منهج التربية النبوية للطفل

مع نماذج تطبيقية من حياة السلف الصالح وأقوال العلماء العاملين

تأليف
محمد نور بن عبد الحفيظ سويد

قدَّم له السادة الفضلاء

الداعية: أبو الحسن الندوي — الشيخ: أحمد القلاش
الدكتور: محمد فوزي فيض الله — الدكتور: محمود الطحان
الشيخ: عبد الرحمن حسن حبنكة — الدكتور: أحمد الحجي الكردي

دار ابن كثير
دمشق - بيروت

الإصدار الجديد (رقم ٣)

الطبعة الرابعة

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

دار ابن كثير
للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي
ص.ب: ٣١١ - تلفون: ٢٢٢٥٨٧٧ - ٢٢٢٨٤٥٠

بيروت - برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي
ص.ب: ١١٣/٦٣١٨ تلفون: ٨١٧٨٥٧ - ٠٣-٢٠٤٤٥٩

مَنْهَجُ

التَّرْبِيَةِ النَّبَوِيَّةِ لِلطِّفْلِ

مع نماذج تطبيقية من حياة السلف الصالح وأقوال العلماء العاملين

تأليف

محمد نور بن عبد الحفيظ سويد

قَدَّمَ لَهُ السَّادَةُ الفُضَلاءُ

الداعية: أبو الحسن الندوي — الشيخ: أحمد القلاش

الدكتور: محمد فوزي فيض الله — الدكتور: محمود الطحان

الشيخ: عبد الرحمن حسن حبنكة

دَارُ ابْنِ كَثِيرٍ

دمشق - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

دعــاء ودعــوة

للطبعـة الثالثـة

اللهم لك الحمد مِلْءَ السموات ومِلْءَ الأرض ومِلْءَ ما شِئْتَ من شيء بعد:

يا رب لولا أنتَ ما اهتدينا ولا تصـدَّقْنا ولا صلَّينا
فأنزلَنْ سكينةً علينا وثَبِّتِ الأقدام إنْ لاقينا

(دعاء الصحابة في غزوة الأحزاب)

اللهم يا مُقلِّبَ القلوب والأبصار! ثَبِّتْ قلوبنا على دينك.

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٣/ ٨].

﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴾ [طه: ٢٠/ ٢٥ـ ٢٨].

﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٧/ ٨٩].

﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [هود: ١١/ ٥٢].

﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأحقاف: ٤٦/ ٣١ـ٣٢].

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى

لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ
أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ
هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ
بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر :
٤٠/ ٣٨_٤٥].

وكتبه محمد نور سويد
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

ليلة الثلاثاء ١٦/ رمضان/ ١٤١٠هـ
١١/ نيسان/ ١٩٩٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دُنْيا يُصِيبُهَا، أو امرأةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إلى ما هَاجَر إليه». متفق عليه.

أقـوال تربويـة

(١) قال رجل للأعمش: هؤلاء الغلمان حولك! قال: اسكت، هؤلاء يحفظون عليك أمر دينك. [عن الكفاية في علم الرواية ص١١٥].

(٢) قال رجلٌ لابنِ سحنون ـ رحمه الله ـ ممن يطلبُ ابنهُ العِلمَ عِنْدَه:
إني أتولى العملَ بنفسي، ولا أُشْغِلُهُ عَمّا هو فيه؛ فقال له: أَعَلِمْتَ أَنّ أَجْرَكَ في ذلكَ أعظمُ من الحج والرِّباطِ والجهادِ؟ [عن التربية في الإسلام ص٢٥٠].

(٣) بادروا بتعليم الأطفال قبل تراكم الأشغال؛ وإن كان الكبيرُ أوقد عقلاً، فإنه أشغلُ قلباً. [حكمة].

(٤) إنني أؤمن بقوة المعرفة، أؤمن بقوة الثقافة، ولكنني أؤمن أكثر بقوة التربية. [سيد قطب ـ مجلة الرسالة عدد ٩٩٥ سنة ١٩٥٢].

☆ ☆ ☆

الإهــداء

إلى والدي الذي شجعني في طفولتي على حفظ القرآن الكريم والسنة الشريفة.

إلى والدتي التي غرست في نفسي معاني: الحب؛ والوفاء؛ والإخلاص؛ وحب العلم.

أبتي وأُمّي يَا رَجَائِي في المُنَى ... أَبَتِـي وأُمّـي مَنْبَـعُ الإيثَـارِ
إنّي جَعَلْتُ ذَخِيرَتِي بِدُعَاكُمَا ... وَرِضَاكُمَا عَوْنِي على الأَخْطَارِ(١)

إلى والديّ الحبيبين أكرر إهداء ثواب وأجر هذا العمل لهما في الإصدار الثالث.

وإنني أتوجه إلى الله تعالى، بالدعاء بهذه الآيات الكريمات، راجياً منه سبحانه؛ القبول؛ وحسن الختام؛ في الدنيا والآخرة:

☆ ☆ ☆

(١) ديوان الأميري «أمي».

دعاء

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٤٠/ ٦٠]

﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ [البقرة: ٢/ ١٢٧].

﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [آل عمران: ٣/ ٣٨].

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ١٤/ ٣٥].

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم: ١٤/ ٤٠-٤١].

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٢٥/ ٧٤].

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل: ٢٧/ ١٩].

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ٤٦/ ١٥].

☆ ☆ ☆

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة تقديم

للداعية : أبي الحسن علي الحسني الندوي

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ، فقد طلب مني الأخُ الكريم محمد نور سويد أن أكتب كلمة عن كتابه : «منهج التربية النبوية للطفل» للطبعة الثالثة ، وقدّم نسخةً من كتابه القيّم ، وعندما تصفّحت أوراقه وجدت أنَّ نخبة من أهل القلم والفكر الإسلامي والتربية قد أعربوا عن تقديرهم لهذا المجهود العلمي الكبير ؛ الذي ملأ فراغاً كبيراً في تربية الطفل ، ولم يكن المؤلفُ في حاجة إلى كلمة جديدة للتعريف بالكتاب ، فقد عرفه الكتّاب المعروفون ، وكان عنوان الكتاب نفسه يعرّف الكتاب خير تعريف ، وقد نال الكتابُ القبولَ كما يظهر من صدور طبعتين في سنة واحدة ، الأمر الذي يدلّ على ما يحمل الكتاب من نفع ، واستحقاق للقراءة ، والاستفادة منه .

لقد بذل المؤلفُ جهداً كبيراً في جمع المواد في هذا الموضوع الطريف ؛ الذي لم يتّجه إليه انتباه الكتاب في التربية ، وعلى عكس ذلك كان عمادهم منهج التربية الغربية ؛ لأن العصر الذي نعيش فيه هو عصر الغزو الفكري ، وقد غزي المسلمون في كل مجال من مجالات العلم والثقافة ، وكانت التربية الميدان الفسيح الذي تغلغل فيه النفوذ الأوربي المادي ، فإن جميعَ تعريفات التربية تلتقي على إعداد الطفل ؛ ليكون الطفل قادراً على تحقيق رغباته الدنيوية ، وتطبّق عليه التجارب التي أجريت على الحيوانات والبهائم ، ولمتابعة هذا المنهج المادي لا يخرّج مجتمعنا إنساناً يحمل الصفات الإنسانية النبيلة .

وقد أشار المؤلف على أساس دراسته للسيرة النبوية والسُّنَّة : أنَّ مرحلة تربية

الطفل تبدأ من الزواج، وأن العلاقات بين الوالدين، وصلاح الوالدين، والتوافق بينهما على الخير، لهما تأثير على تكوين نفسية الطفل وميوله، وذكر أهمية نشأة الطفل في حضن أمه، وأهله، وبيئته، وصلته بالوالدين وأقاربه، ورعاية المثل الإسلامية في مراحل النشأة، وتربيته الفكرية، وأكّد على ضرورة اتخاذ وسائل تلائم طبيعته، والاستفادة في ذلك من المنهج النبوي الشريف، وما ورد في الحديث النبوي الشريف، وأقوال رجال التربية الإسلامية، وقدّم ملخّص قصص وحكايات إسلامية نافعة في تربية ذهن الطفل؛ من الكتب الإسلامية؛ ليتكيّف ذهن الطفل المسلم بالجو الإسلامي، وينشأ فيه الذوق الإسلامي، وتتكون الطبيعة الإسلامية؛ التي تميز بين الخير والشر، والنافع والضارّ، وتوجد فيه مناعة ذاتية، وتهيّىء السيرة النبوية موادّ دسمة توجيهية في تربية السلوك على جميع المستويات.

لقد وصفت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها خُلُق النبي ﷺ: «كان خلقه القرآن»، وقدّم القرآن الكريم حياة الرسول ﷺ للمسلمين: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٣٣/٢١] ولا يمكن اتباع هذه الأسوة إلا إذا عرضت السيرة النبوية، والمنهج النبوي على جميع المستويات، وهذا هو المجهود الأول لعرض السيرة والمنهج النبوي في تربية الطفل، وفي الحياة المنزلية.

جزى الله الأخ الكريم محمد نور سويد على هذا الإبداع، والتقدّم في هذا الموضوع الطريف، وأدعو الله أن ينفع به المسلمين، ويستحق الكتاب أن يكون في كل بيت، وأن تعدّ برامج التربية في ضوء ما عرضه المؤلف في كتابه من الفكر الإسلامي للتربية.

أبو الحسن علي الحسني الندوي

دار العلوم/ ندوة العلماء

١٤١٣/١١/١٧هـ

١٩٩٣/٥/١١م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــم

فضيلة الدكتور: محمد فوزي فيض الله

ربما كانت دراسة السنة النبوية الشريفة، والعناية بالحديث الشريف: سنداً؛ ومتناً، من أبرز ظواهر النهضة الإسلامية المعاصرة.

ويرجع السبب في ذلك إلى هذه الأمور:

١ـ العودة بالأمة إلى التمسك بالوحي المنزل؛ على رسول الله ﷺ بنوعيه: المتلو وهو القرآن الكريم، وغير المتلو، وهو الحديث.

٢ـ أن الأمة الإسلامية؛ لما تخلفت عن عزها الغابر؛ ومجدها التليد، سلكت جميع وسائل النهضة والتقدم الحديثة، لتعود إلى مجدها التليد، فلم تجد شيئاً، فاستيقنت أن هذه الأمة؛ لا تصلحُ إلا بما صلح به أوّلها، وإنما صلح العرب والمسلمون السابقون بالكتاب والسنة.

٣ـ ربما كانت العناية بالسنة أيضاً؛ في هذا العصر؛ للرد على المستشرقين والمستغربين، الذين تشككوا؛ وشككوا الناسَ في سُنَّةِ نبيهم، بالطعن في أكثر الصحابة رواية للحديث، وبالطعن بالمسانيد؛ وفي المتون، ثم بتجريح كتب الصحيح؛ واختراع الضعف؛ أو الضعف في بعضها، ثم باختلاف بعض روايات الحديث، مما جَرّأ بعض ذوي السلطة، على القول بنبذ السنة، والاقتصار على كتاب الله تعالى.

من أجل ذلك تصدى أهلُ السنة؛ والتخصص الدقيق العميق فيها، لدحض كل هذه المزاعم والشكوك، والرد على كل ما أثير حول السنة من أباطيل.

وبذلك أصبح الاشتغال بالسنة ضرباً من خدمة الإسلام وعلومه، والدفاع عن الشريعة وأدلتها.

غير أن العناية الظاهرة بالسنة الشريفة؛ في هذا العصر، لا يعني أبداً ـ عند المعنيين بالسُّنة وغيرهم ـ تقديمها على القرآن الكريم، كما لا يعني أبداً؛ إهمال الفقه الإسلامي، ولا اطراح اللغة العربية وفنونها؛ وإن توهم بعض المبتدئين المشتغلين بالسنة الشريفة ذلك. فالقرآن هو كتاب المسلمين الأول، لا يماري في ذلك مسلم، والسنة تليه مباشرة في الأهمية، تُخصص عامّه، وتُقيد مطلقه، وتُبين مُجمله، وتَشرح معناه، وتُوضح أهدافه، وتُحقق مقاصده.

أما الفقه الإسلامي فإنه يرتكز عليهما، وينبثق منهما، وتُستنبط أحكامه منهما، وذلك بالاجتهاد؛ الذي يعتبر روح الشريعة، والمحرك الذي أورث الفقه الإسلامي الحيوية، والانطلاق، والخلود.

وهذا لأن الشريعة ـ كما يقول الشاطبي رحمه الله ـ «لم تنص على كل جزئية على حدتها، وإنما أتت بأمور كليّة، وعبارات مطلقة، تتناول أعداداً لا تنحصر».

وكان الاجتهاد في استنباط أحكام المستحدثات؛ التي لا نص فيها، مسرى الفكر الفقهي في السلف والخلف، في عصر الصحابة، وفي عصر التابعين؛ ومن بعدهم؛ وأذن به النبي ﷺ لمعاذ؛ وأقرّ عليه الصحابة، ورضي باجتهاد سعد بن معاذ في حكمه على بني قريظة.

وقد رأينا بعض السلف من المُحَدِّثين يمارسون الاجتهاد بوسائله المتعددة: فأحمد ـ رحمه الله ـ يعمل بالمصالح المرسلة، مع تمسكه الشديد بالسنة، ومالك ـ إمام أهل المدينة ـ يقول بالاستصلاح، والقياس، وغيرهما من المحدثين يعمل بسدّ الذرائع، وبالعرف.

وليس الذي يقال عن الحنفية أنهم أصحاب الرأي، بمعنى أنهم يتركون الحديث، ويعملون بالرأي؛ صحيحاً، فالذي صَحَّ عن أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ أنه كان يقول: «ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فعلى الرأس والعين».

بل من المعروف عند أهل العلم قوله: «لم يزل الناسُ في صلاح، ما دام

فيهم من يطلب الحديث، فإذا طلبوا العلم بلا حديث فَسَدُوا». وكذا قولُه: «إياكم والقول في دين الله تعالى بالرأي، وعليكم باتباع السُّنة، فمن خرجَ عنها ضَلَّ».

ولا شك أن مراده القول المذموم؛ وهو الهوى، والرأي الذي لا يعتمد على دليل؛ من الكتاب، أو السنة؛ أو القياس على منصوصاتهما؛ فأما الرأي بمعنى البراعة في الاستنباط، فهو صحيح بالنسبة إليهم، وإلى غيرهم أيضاً، ولهذا عَدَّ ابن قُتيبة في كتابه «المعارف» من أصحاب الرأي: الأوزاعيَّ؛ وسفيان الثوري؛ وهما من أعلام المُحَدِّثين، بل يصفُ بعض الكاتبين أتباع مالك؛ بأنهم أصحاب الرأي، كما نقل الخشني في كتابه «قضاة قرطبة».

ولا يوجد ـ إن شاء الله ـ في هذه الأُمة المسلمة، من يُقدِّم رأيَه على سُنَّةِ النبي ﷺ وكفى بهذا: قول الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ في رسالته المشهورة: «ليس لأحد بلغته سنة عن رسول الله ﷺ أن يدعها لقول أحد».

☆ ☆ ☆

سمةُ نهضة هذا العصر العلمية: الاشتغال بالسنة، تحقيقاً لمخطوطاتها، وشرحاً لمتونها، وعناية بمسانيدها، وبطبع مصنفاتها التي لم تر النور من قبل، وفهرسة ألفاظها، وترتيب أطراف الحديث، تسهيلاً لمراجعة الباحثين فيها، وتمييز الصحيح من الضعيف فيها، ومن ذلك دراسة جوانب من حياة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وإفرادها بالتصنيف، لغرض التأسي؛ والقدوة به: كحياته في السِّلْم؛ وفي الحرب، وحياته في منزله؛ وحياته بين أصحابه، ومواقفه من المنافقين؛ والكافرين من أهل الذمة.

وكذا دراسة هدي النبي ﷺ في العبادة؛ والتعامل؛ والفتوى؛ والقضاء؛ وإقامة الحدود، والمؤاخاة بين الناس، وإبرام العهود، والإصلاح بين الخصوم. . ونحو ذلك مما أَفرَدَ له الأئمة رسائل؛ وبحوثاً خاصة؛ كان من أهمها: «زاد المعاد» لابن القيم ـ رحمه الله ـ.

☆ ☆ ☆

وهذا الكتاب الذي بين يدي الآن، هو واحد من تلك الكتب القيمة؛ التي عنيت بجانب معين من السنة النبوية، والهدي النبوي، وهو «التربية النبوية للطفل».

وإن يكن قد كُتب في التربية الدينية، وفي التربية النبوية، فإنه لم يكتب ـ في حدود العلم ـ في التربية النبوية للطفل، فهذا جانب مستقل هام حيوي، من جوانب الهدي النبوي في تربية النشء.

وقد تناوله المؤلف بعقيدة المؤمن، وفكر المثقف الراجح، ونظر البصير العميق، وتنظيم المهندس المتذوق، فأقامه على عدة فصول، رتب بعضها على بعض:

فصلٌ في نصائحه إلى الوالدين، وفصلٌ في حقوق الطفل الرضيع؛ وفصل في بناء شخصية الطفل من الفطام حتى البلوغ؛ وهذا أهم فصول الكتاب؛ ومحور التربية الطفلية؛ أقامه الكاتب على أساسيات من البناء العَقَدِي والعبادي والاجتماعي، والأخلاقي، والعاطفي، والفكري، والجسمي، والجنسي، والصحي، كما عقد فصلاً خاصاً لتوجيه الطفل ببر الوالدين، ورعاية حقوقهما، وفصلاً آخر بأساليب التربية النبوية الفكرية، والنفسية، المؤثرة في الطفل. ثم ختم هذه الفصول بفصل خاص بتأديب الطفل، وختم الكاتب بحثه بأربعينيتين من الأحاديث: أولاهما في الأربعين الموجهة إلى الآباء، والأخرى في الأربعين الموجهة إلى الأبناء، وقد رجع الكاتب في بحثه إلى مصادر أمينة: في التربية، وفي السنة والتفسير، والفقه والتاريخ والدعوة، وحاضر العالم الإسلامي، والثقافة الإسلامية، وكان يعزو إلى كل مصدر يأخذ عنه، ويوثق كل ما يقول.

ودعّم كل فكرة تربوية رآها، وسجلها؛ بالحديث الشريف، وتطبيقات السلف، ومسالك الأئمة المربين من أهل العلم، وشيد نظرياته التربوية للطفل؛ بالحقائق الدينية الثابتة، والوقائع التاريخية المتوارثة، والمشاهد المقررة في أنظار المربين الإسلاميين، وأتى من ذلك بالمعجب الكثير، حتى كاد يكون كتابه بحق؛ موسوعة تربوية دينية للطفل، وفهرساً لمعظم ما ورد في السنة الشريفة،

وآثار السلف الصالح، ومسالك المربين في تربية الطفل المسلم، وإني لأقدر أن يكون لهذا الكتاب القيم؛ أثر علمي، وتطبيقي واسع في المجتمع المسلم، ويستفيد منه المربُّون، من الآباء والأمهات، ويستفيد منه المربُّون من الأبناء الذين لم يبلغوا الحلم، وحتى الذين بلغوا منهم. لقد كُتِبَ بلغة سهلة ميسورة، وشيّد بآي القرآن الكريم، وحُلِّيَ بالسنة المطهرة، ووُشِّيَ بالقَصَصِ، وزُين بالحِكَمِ والمأثورات عن السلف الصالح من هذه الأمة، ولا شيء أسرع إلى قلب المؤمنين من هذه المذكورات، المُسَلِّمِ بها من جملة الجماعة المسلمة.

وأشهد أني مررتُ بمعظم فصول هذا الكتاب، ورجعت بفوائد جمة، وتمنيت أن لو اطلعت على هذا الكتاب، أو لو أتيح لي أن ألم بفصوله إلماماً كافياً، إذاً لعدّلت من سلوكي في تربية الأولاد، فأفدتهم، وأنقذتهم؛ بما يغالبني فيهم المجتمع من حولهم، بمغرياته البراقة، ووسائله لملء فراغهم، بما لا ينفع ولا يغني عنهم من الجِدِّ شيئاً، ولا يُحَبِّبُ إليهم العلم، ولا يَبني لهم مستقبلاً، ولا يَشدهم إلى عزائم الأمور، ومطامح ذوي الرشاد.

سأقرأ هذا الكتاب مستفيداً، وسيقرؤه كثيرون فيستفيدون، وسندعو جميعاً لمؤلفه باطراد التوفيق، وحسن المثوبة في الدنيا والآخرة، كفاء ما قدم للأمة من جهد، وسَدَّ من ثغرة، وأغنى المكتبة التربوية للطفل المسلم من فقر.

ولا أزكي على الله أحداً، فما تزال السنة معيناً لا يغيض ماؤه، ويُصدر جميع الوراد من حوض النبوة، ولو كانوا أهل الأرض كافة، وكم ترك الأول للآخر! وجزى الله عنا نبينا وسيدنا محمداً ﷺ ما هو أهله.

الكويت الشويخ **أ. د: محمد فوزي فيض الله**

١١ من ذي القعدة الحرام: ١٤٠٤هـ **غفر الله له ولوالديه وللمسلمين**

١٩٨٤/٨/٨م **أستاذ ورئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه**

في جامعة دمشق (سابقاً)

ورئيس قسم الفقه والأصول في كلية

الشريعة والدراسات الإسلامية من جامعة الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــم

العلامة الشيخ :
عبد الرحمن حسن حبنكة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المعلمين من البشر، وسيد المربين والمؤدبين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد أطلعني الشاب المؤمن المهندس ـ محمد نور عبد الحفيظ سويد ـ على أصول كتابه الذي أَعَدّه للنشر بعنوان ـ منهج التربية النبوية للطفل ـ فوجدتُه قد اجتهد عدة سنين في جمع مادته، من كتب السنة، وكتب التربية والأخلاق الإسلامية، وقد أحسنَ ترتيبَ فصوله وأبوابه. وقد دفعه للقيام بهذا العمل الطيب، حرصه على توجيه الأسرة الإسلامية، لتربية ناشئتها؛ وفق منهج التربية النبوية، التي كانت التطبيق العملي، والبيان القولي؛ للتربية الإسلامية للنشء. وقد مرّ على ما ينبغي جمعه واستيعابه من كل ما يتعلق بالطفل، منذ اختيار الزوجين المسلمين لعقد الزواج بينهما، حتى المرحلة الجنينية، فالولادة؛ فالطفولة؛ فالتمييز؛ فالمراهقة؛ فالبلوغ؛ فالرشد. وتدرج في الجمع والترتيب والتصنيف، واهْتمَّ بقراءة مراجع كثيرة؛ لجمع المادة المتعلقة بالموضوع. وفي ظني أنه لم يأل جهداً يملكه إلا بذله، فمن أراد أن يطلع على ما يهمه؛ في شأن تربية الأطفال، تربيةً إسلاميةً نبويةً، فإنه يجدُ في هذا الكتاب؛ زاداً نافعاً، ومادةً جاهزةً، يقتبس منها خيراً كثيراً.

وإني أدعو لأخينا ـ محمد نور عبد الحفيظ سويد ـ بأن يثيبه الله على عمله،

ويمنحه مزيداً من فضله، كما أسأل الله أن ينفع بكتابه هذا، ويُنَوِّرَ به بصائرَ أُسَرنا الإسلامية، حتى تهتدي بهدي رسول الله ﷺ في تربية أطفالها، تربيةً إسلاميةً صحيحةً.

اللهم سدِّد خُطانا، وألهمْنَا الصواب، وارْزُقْنَا العملَ بمراضيك، إنك كريم منّان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني
الأستاذ في جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة

الكويت في ٢٨ رمضان ١٤٠٥ هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريـــظ

العلامة المربي
الشيخ أحمد قلاش

لم يؤلف في مثله نظير، كيف لا؟! وهو يَربط قلوبَ الصغار بسيد الأبرار، فكلٌ بحثٍ منه في تربية الأطفال؛ تجد له أصلاً من إرشاد المربي الأكبر، ﷺ. وتالله! لقد اعتراني مراراً في قراءته خشوع، وفاضت عيناي بدموع، في كثير من مواقفه.

فجزى الله مؤلفه خيراً، ووفَّقَ المسلمين أن يطبعوا منه الآلاف. وحبذا لو قُرر لمادة التربية الإسلامية، لا سيما في المدارس الابتدائية.

أحمد القلاش(١)

---

(١) أحد علماء وشيوخ حلب الشهباء، تخرّج على يديه أغلب علماء حلب، وطلاب العلم فيها.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــم

الدكتور :

محمود الطحان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المربِّين سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فقد طلبَ مني الأخ الكريم محمد نور سويد ـ بعد أنْ أهداني نسخة من كتابه القيِّم «منهج التربية النبوية للطفل» ـ أن أكتبَ كلمةً موجزةً عن الكتاب بعد الاطلاع عليه. وقد تصفحتُ الكتاب؛ واطلعتُ على فهارسه، فرأيتُه كتاباً حافلاً بالفوائد الكثيرة في مجال تربية الطفل.

والجديدُ في هذا الكتاب أنه لفَتَ أنظارَ المسلمين إلى أنه يوجد منهج تربوي متكامل لتربية الطفل؛ مستقىً من هَدْي النبي ﷺ وسُنَّته المطهرة، وأنه لا حاجة للمسلمين أن يستوردوا النظريات التربوية من رجالات ملحدين، أو غير مسلمين، وفي سُنَّة نبيهم ـ الذي لا ينطق عن الهوى ـ ما يغني عن ذلك كله.

والكتاب فيه جهدٌ واضحٌ، وعاطفةٌ صادقةٌ، ونيةٌ مخلصةٌ إن شاء الله تعالى، كما يبدو ذلك لمن يقرأ فيه.

وقد جمعَ المؤلف فيه من الشواهد الحديثية؛ في مجال تربية الطفل؛ الشيء العجيب، وكان موفّقاً في هذا الجمع، ووضع كل شاهد في محله المناسب.

وأما ترتيب الكتاب، فكان ترتيباً ممتازاً، يدل على عقلية صافية، وتفكير سليم، وذوق رفيع.

وباختصار؛ فالكتاب لا تَستغني عنه أي أسرة مسلمة، تضعه في مكتبتها البيتية لتقرأ فيه، وتُطبّق ما جاء فيه من الهدي النبوي؛ بشكل عملي.

وحبذا لو قَرَّرَتْهُ وزارات التربية في البلاد العربية والإسلامية في مدارسها، أو قررت فصولاً منه؛ فإنه جدير بذلك.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يثيب مؤلفه الثواب الجزيل، وأن يجعله في ميزان حسناته، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، والحمد لله رب العالمين.

الكويت: في ٢١/ جمادى الآخرة/ ١٤٠٨هـ
الموافق ٩/ شـــــباط/ ١٩٨٨م

أ. د. محمود الطحان
رئيس قسم التفسير والحديث
في كلية الشريعة جامعة الكويت

كلمة في المنهج

منهج الكتاب: اتّبع فيه؛ أن يكون النبعُ النبوي؛ هو الأساسَ والمرتكزَ في استنباط الأفكار وترتيبها، ولم يكن لدى الكاتب؛ ثمة أفكار مسبقة ليبحث لها عن دليل في الأحاديث النبوية، وإنما العكس هو الصحيح.

فكان كلما وجد حديثاً نبوياً انبهر قلبه، بنور يقذفه الله في قلبه، بعد أن كان أمضى وقتاً في مطالعة الكتب الغربية حول تربية الطفل، ولم يصل فيها إلى شيء، سوى آراء ومذاهب مختلفة، كلٌّ يدلي بدلوه؛ وبتجربته الناقصة؛ فإذا بالحديث النبوي، يجده يحسم أي خلاف، ويضع الأمور في نصابها، ويُبيّنُ؛ ويهدي؛ ويأمر؛ وينهى، وبذلك كان يزداد إيمانه في متابعة البحث والتنقيب؛ عن مزيد من الأحاديث النبوية، التي تخص الأطفال، دون كلل أو ملل، وازداد يقينه في سلامة المنهج المتبع؛ الأمر الذي زاد في نشاطه لمتابعة السير في البحث، عن علاقة الرسول ﷺ بالأطفال، بالتوجيه المباشر؛ وغير المباشر، أو بالإقرار؛ أو بالتصحيح.

وقد وجّه علي ـ كرم الله وجهه ـ نداءً للأمة جميعها، بالأخذ من النبع النبوي، وأن هذا الاتباع هو السلوك الصحيح؛ فقال: «إذا حدثتُكُم عن رسول الله ﷺ حديثاً؛ فظنوا به؛ الذي هو أهْيَأ؛ والذي هو أهدى، والذي هو أتقى» رواه أبو يعلى في مسنده (١/ ٤٤٤) بسند صحيح.

لذلك جاء هذا الكتاب يحمل في طياته عدة مميزات، وهي:

١ـ الحديث النبوي هو أساس مادة هذا الكتاب، ثم تطبيقات الصحابة، والتابعين، والسلف الصالح.

٢ـ وهذا يعني أنه بتطبيقه في هذا الكتاب: الأخذُ من النبع الصافي الذي يتّصف

بالثبات والاستقرار، بخلاف المذاهب الأخرى.

٣ـ الاقتداء بالرسول ﷺ وفي ذلك عبادة لله تعالى، وتنفيذ أمره، يقول سعيد بن إسماعيل الزاهد[1]: من أَمَّرَ السُّنةَ على نفسه؛ قولاً؛ وفعلاً، نطقَ بالحكمة، ومن أَمَّرَ الهوى على نفسه؛ نطق بالبدعة؛ لأن الله يقول: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ﴾ [النور ٢٤/ ٥٤].

٤ـ عالَم الطفل فيه كثير من المجاهيل، وهو بحاجة إلى شخص كامل، وعالم بخفايا الأمور، وهو شخص رسول الله ﷺ؛ لكي يكشف هذا العالم الطفولي المجهول لنا.

٥ـ الكتاب لم يتعرض لحلّ المشكلات التي يعاني منها الآباء والمربون مع الأطفال، أو مشكلات الأطفال أنفسهم، وإنما وضع الغذاء؛ الذي يقضي على هذه الأمراض، وتلك المشكلات؛ من جذورها؛ فإذا حصلتْ مشكلة ما؛ فيعني ذلك وجود خلل في إعطاء هذا الغذاء التربوي النبوي، فما على المربي سوى مراجعة الغذاء في بطون هذا الكتاب، وتقديمه للطفل بشكل جيد؛ وبذلك يمكن القضاء على تلك المشكلات. فإن كانت المشكلة اجتماعية مثلاً؛ رجع إلى البناء الاجتماعي، وهكذا.

٦ـ بإمكان أي مُرَبٍّ، أو مسؤول؛ أو الوالدَيْن، أن يسيروا في دراسة هذا الكتاب، والنهوض بأطفالهم؛ من أي مستوى هم فيه، والانطلاق بهم من جديد.

٧ـ لم يتعرض الكتاب إلى المقارنة مع المدارس التربوية الغربية أو الشرقية، وذلك لعدة أسباب أهمها:

أ ـ الخَوَاء العَقَدي الذي يعاني منه الباحث الغربي، وبالتالي فإن استنباطه للأفكار سيكون ناقصاً.

ب ـ احتواؤه على آراء كثيرة تصل إلى حدّ التناقض مع بعضها، فالطفل المسلم في غنى أن يكون حقلاً لتجارب غير المسلم، ما دام له رسول يقتدي به.

---

(١) كتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ـ للخطيب البغدادي (١/ ٨٠).

ج ـ أنه يعتمد على تجارب معملية، لها ظروفها؛ وظروف العينات المجربة، وظروف الباحث.

٨ـ صحيح أن هذا الكتاب موجه للأطفال، إلا أنه كذلك يُربي الوالدين والمربين، ويكبح جماح نزواتهم؛ وعنفوانهم، وإهمالهم في قيامهم بواجباتهم.

٩ـ امتاز الكتاب بالعرض المبسط للحديث النبوي؛ أو النموذج التطبيقي؛ والإقلال ما أمكن من كلام الكاتب، والاستعاضة عن ذلك؛ بكلام السلف الصالح؛ والعلماء، اتباعاً لنصيحة أحد الشيوخ العلماء العاملين؛ فجزاه الله خيراً.

١٠ـ عرض الكاتب نماذج تطبيقية من حياة السلف الصالح؛ لتزداد الفكرة وضوحاً، ولتكون مادة موجهة في يد المربي، يستفيد منها، فيرسخها في نفس الطفل، وحسب الوقت المناسب؛ الذي يختاره لغرسها؛ وكما قيل: «عند ذكر الصالحين تتنزل الرحمات».

١١ـ كل نقل، أو قصة مشار إليها بالمرجع الذي أخذت منه.

١٢ـ جاء الكتاب في ستة فصول: الفصل الأول: وهو موجّه إلى الوالدين والمربين، ثم الفصل الثاني، وهو: الطفل من الولادة إلى الحولين؛ والفصل الثالث: بناء شخصية الطفل، من الحولين إلى البلوغ، والفصل الرابع: في الترغيب في برّ الوالدين والترهيب من عقوقهما؛ والفصل الخامس: في الأساليب التربوية النبوية للطفل، والفصل السادس: في تأديب الطفل.

١٣ـ يمتاز الكتاب بالإضافة لما سبق بما يلي:

١ـ **الشمولية**: لأنه تطرق إلى كافة ميادين الحياة التي يحتاج إليها الطفل.

٢ـ **الواقعية**: لأنه بُنِيَ من واقع توجيهات الرسول ﷺ للصحابة في تربية أطفالهم، وتوجيهه ﷺ للأطفال مباشرة، أي: ليس تجربة مخبرية، أو إحصائية، كما هو حال التربية الغربية.

٣ـ **العالمية**: فهو يخاطب الطفل المسلم، في أي بقعة من الأرض يعيش عليها، وفي أي زمن هو فيه.

٤ـ **المساواة**: فهو سَوّى بين جميع الأطفال، وخاطب كل الأطفال، فلا

تمييز بين الطفل الغني والفقير، وبين طفل الحاكم والمحكوم، وبين الطفل الأبيض والأسود.

٦ـ **التوازن**: فبما أنه شامل في بنائه، فإنه بالتالي يلبي حاجات الطفل جميعها، ويجعله يعيش في توازن مستقر؛ في حاضره الطفولي ومستقبله.

٧ـ **الوحدة**: فباعتبار أطفال المسلمين يتلقون من مصدر واحد، هو رسول الله ﷺ فإنه بالتالي حقق لهم الوحدة الشعورية، والسلوكية، والأخلاقية، والفكرية.

١٤ـ مرّت كتابة البحث بمراحل: التجميع، فالتبويب، فالكتابة، فالصياغة الأصولية؛ المقعدة بقواعد أساسية، وأساسيات ثابتة، أشبه بالمعادلات الرياضية، التي تستطيع بناء الطفل؛ وحل مشكلاته، وبمثابة قوانين راسخة إذا ثبتت في الطفل فإنها تجعل منه طفلاً مسلماً بإذن الله تعالى.

وينتهي دور الوالدين؛ عند إعطاء هذا المنهج، مع تقديمه للطفل بالأساليب النبوية المبينة بالفصل الخامس، وتبقى النتيجة النهائية بيد الله تعالى، وبذلك ترتفع مسؤولية الوالدين؛ في تربية طفلهم؛ لأنهما أخذا بالأساليب التي أوجبها الله تعالى عليهم، وهي الاقتداء برسول الله ﷺ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣/ ٢١].

﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٤/ ٨٠].

وقد تم تسهيل ذلك على الوالدين؛ بأن ختم الكتاب بأربعين حديثاً، يخاطبهم بها رسول الله ﷺ وبأربعين حديثاً موجهةً إلى الأطفال ليحفظوها.

١٥ـ وأخيراً؛ هو محاولة متواضعة، أضعها بين يدي القارىء، استغرقت عشر سنوات؛ فما كان من خير وصواب فهو من توفيق الله تعالى، وما كان من نقص؛ وعجز؛ وخطأ، فهو مني؛ وهذا ما توصلت إليه، مع ضعف الإمكانيات، وبداية الطلب العلمي الشرعي، وهذا الاجتهاد التربوي

لا أجزم بصوابه كله، ولا أدعي أنه حكم الله وحكم نبيه ﷺ إذ هذا ليس من شأني، وحسبي في ذلك ما رواه الإمام أحمد ومسلم والترمذي أن النبي ﷺ كان يوصي أمير الجيش أو السرية بقوله: «وإذا حاصرت حصناً؛ فأرادوك أن تُنزلهم على حكم الله، فلا تُنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا؟».

وقديماً قال الحكماء:

«من ألّف فقد استُهدف؛ فإن أحسنَ فقد استعطف، وإن أساءَ فقد استُقْذف»(١).

وختاماً، أدعو الله تعالى من أعماق قلبي، لكل من ساعدني، وأسدى إليّ معروفاً، وجزاه الله خير الجزاء، وأثابني وأثابه الأجر الوافر، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

كما يشكر الكاتب كل من ينصحه بمعروف، وينبهه إلى خطأ أو خلل، فيساهم في بناء الطفل المسلم.

وأحسب القارىء المستفيد وَفِيَّ العهدِ بالدعاء لي في ظهر الغيب، لِتُؤَمِّنَ الملائكةُ على دعائه؛ وتقول: ولكَ مِثْل ذلكَ.

والله من وراء القصد.

الكويت ١٢/ ربيــع الأول/ ١٤٠٤هـ

١٥/ كانون الأول/ ١٩٨٣م

وكتبه الفقير إليه تعالى

محمد نور بن عبد الحفيظ سويد

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

---

(١) عن كتاب «الحلل في إصلاح الخلل» من كتاب «الجمل» للبطليوسي المتوفى سنة (٥٢١هـ) تحقيق سعيد عبد الكريم سعودي.

تعريفات عنوان الكتاب

١ـ **مَنهج**: بفتح الميم وكسرها: الطريق الواضح، والخطة المرسومة؛ ومنه: منهاج الدراسة، ومنهاج التعليم، ونحوهما، وجمعه: مناهج[١].

٢ـ **التربية**: لأصل معنى التربية ثلاثة معان:

الأول: رَبَا يَرْبو؛ بمعنى: زاد ونَما.

الثاني: رَبَى يَرْبي، على وزن: خفي، يخفي، ومعناها: نشأ وترعرع.

الثالث: رَبَّ يَرُبُّ، على وزن مدّ يمدّ بمعنى: أصلح وتولى الأمر، وقال البيضاوي في تفسيره: الرّبّ في الأصل، بمعنى التربية، وهي: تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً؛ ثم وُصف به تعالى للمبالغة. أما الراغب الأصفهاني فقال في كتابه «المفردات»: الرَّبّ في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام[٢].

مما سبق يمكن القول:

التربية: عملية بناء الطفل شيئاً فشيئاً إلى حدّ التمام والكمال.

وقد جمعنا المعنى اللغوي للتربية بكلمة بناء: لأنها تعني بذل الجهد، ووضع الشيء في مكانه، ومتابعة النظر إليه؛ بالرعاية والإصلاح بعيداً عن الإهمال.

وشيئاً فشيئاً: على سبيل التدرج، وأنَّ ما يصعب تحقيقه اليوم، يمكن يتحقق غداً.

---

(١) المعجم الوسيط.

(٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، للنحلاوي (ص١٢).

وإلى حدّ التمام والكمال: هو الحدّ الذي يصل فيه الطفل إلى أن يتمسك بشرع الله من ذاته، ويحاسب نفسه بنفسه، ويراقبها، ويتابع تربية نفسه: بتلاوة القرآن، والتمسك بالشرع الحنيف.

٣ـ النبوية: المقصود بها: كل ما صدر عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير يخص مرحلة الطفولة.

٤ـ للطفل: (الطفل) الولد حتى البلوغ؛ ويستوي فيه المذكر والمؤنث، والجمع أطفال[١].

والمقصود بمرحلة الأطفال من الولادة إلى البلوغ، فمرحلة البداية تبدأ بالطفولة لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٢٢/ ٥].

ومرحلة النهاية تبدأ بالبلوغ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٢٤/ ٥٩].

غلمة: فِتية ـ جمع غلام، وهو الطارّ الشارب، أي: صبيان؛ وقال الزمخشري: والغلام هو الصغير إلى حدّ الالتحاء، فإن قيل بعد الالتحاء فهو مجاز[٢].

الصِّبيان: قال النووي ـ رحمه الله ـ: الصِّبيان بكسر الصاد، هذه اللغة المشهورة؛ وحكى ابن دريد ضَمَّها[٣]. وجاء في «مختار الصحاح»: الصَّبي: الغلام. والجمع: صبية وصبيان. والجارية: صبية، والجمع: الصبايا مثل: مطية، ومطايا. وقال ابنُ نجيم في «الأشباه والنظائر»[٤] في باب أحكام الصبيان:

---

(١) المعجم الوسيط.

(٢) فيض القدير (٦/ ٣٥٤) وانظر التفسير الكبير للرازي (٢١/ ١٥٥).

(٣) شرح صحيح مسلم، باب: حكم بول الطفل الرضيع وكيفية غسله.

(٤) غمز عيون البصائر شرح كتاب الأشباه والنظائر للحموي (٣/ ٣٠٩) طبع بيروت.

هو جنين ما دام في بطن أمه، فإذا انفصل ذكراً فصبي، وسُمِّي رجلاً كما في اية المواريث[1] إلى البلوغ؛ فغلام إلى تسع عشرة؛ فشاب إلى أربع وثلاثين؛ فكهل إلى إحدى وخمسين؛ فشيخ إلى آخر عمره؛ هكذا في اللغة.

وفي الشرع يسمى غلاماً إلى البلوغ؛ وبعده شاباً، وفتى إلى ثلاثين؛ فكهل إلى خمسين، فشيخ.

☆ ☆ ☆

(١) يسمى رجلاً كما في آية المواريث، يعني: مجازاً كما يفيده كلام العلامة ابن حجر في شرح البخاري في باب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ﴾ [النور: ٢٤/ ٢٧] كما في القاموس. (المصدر السابق).

القسم الأول
إعداد وتهيئة الزوجين والمربين لتربية الطفل

الفصل الأول

مقدمات عامة إلى الوالدين

١ ـ تمهيد .

٢ـ مسؤولية التربية .

٣ـ السعي للزواج من امرأة صالحة مربية .

٤ـ ثواب الإنفاق على الزوجة والأولاد .

٥ـ أهداف الزواج الإسلامي .

٦ـ صفات المربي الناجح .

٧ـ بشرى للوالدين .

٨ـ الأولاد زينة الحياة الدنيا .

٩ـ صراع الشيطان مع الإنسان على الذرية .

١٠ـ صلاح الوالدين وأثره على الأبناء .

١١ـ الدعاء عند الجماع رجاء الولد الصالح .

١٢ـ الزواج والمصاهرة .

١٣ـ الطفل لم يك شيئاً .

١٤ـ الطفل نطفة .

١٥ـ لمحة عن التصوير في الأرحام وتطور الجنين .

١٦ـ العلاج النبوي للعقيم .

١٧ـ عقاب من تبرأ من ولده .

١ـ تمهيـد :

«الطفل أول ما يَرى من الوجود منزلَه وذويه، فترتسم في ذهنه أولُ صور الحياة، مما يراه من حالهم، وطرق معيشتهم، فتتشكل نفسه المرنة؛ القابلة لكل شيء، المنفعلة بكل أثر؛ بشكل هذه البيئة الأولى؛ يقول الإمام الغزالي: الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة ساذجة، خالية من كل نقش وصورة؛ وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه؛ فإن عُوِّد الخير وعُلِّمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة أبواه، وكل معلم له ومؤدب، وإن عُوِّد الشر، وأهمل إهمال البهائم؛ شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القَيِّم عليه، والوالي له. يقول رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يُهَوِّدانه أو يُمَجِّسانه أو يُنَصِّرانه»[١] وإلى هذا أشار أبو العلاء بقوله:

وينشأ ناشئ الفتيان منا ... على ما كان عوّده أبوه

وما دان الفتى بحجىً ولكن ... يُعَوِّده التَّدَيُّنَ أقربوه

وإذا كان للمنزل كل هذا الأثر في حياة الطفل، وجب تحقيقاً للغاية السابقة، أنْ يحاط بكل ما يغرس في نفسه روح الدين والفضيلة»[٢].

٢ـ مسؤولية التربية :

«أيها الكفيل إذا ألقيتَ مسؤولية الطفل في مراتع وخيمة، أخشى أنْ يُضاعف لك العذاب ضعفين، تُعذَّبُ على تشويه تلك الجوهرة المكرمة عذاباً نكيراً، وتحوزَ من تلك الجناية العامة نصيباً مفروضاً»[٣].

لهذا نجد الرسول ﷺ يُحَمِّلُ الوالدين مسؤولية تربية الأبناء مسؤولية كاملة: فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع،

---

(١) فالأب والأم عنصران مهمان، وإرسالهما لطفلهما إلى المدارس الخاصة ـ باسم التعلم والعلم ـ إنما هو هلاك للولد، إن لم يتنبه والداه عليه، كما أن إهمالهما إنما هو طريق لإهلاكه ـ والعياذ بالله ـ.

(٢) رسالة «أنجع الوسائل».

(٣) السعادة العظمى (ص٩٠) للشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله.

وكلكم مسؤول عن رعيته: الإمام راع، ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله؛ ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها، ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده، ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته» متفق عليه. حتى إن الرسول ﷺ يضع قاعدة أساسية مفادها أن الابن يشب على دين والديه، وهما المؤثران القويان عليه.

أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة، فأبواه يُهودانه أو يُنصرانه أو يُمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟» ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠/٣٠][1].

وإن الله تعالى أمر الوالدين بتربية الأبناء، وحضّهم على ذلك، وحمّلهم مسؤوليتها بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦٦/٦].

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله عز وجل: ﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ قال: علموا أنفسكم وأهليكم الخير. رواه الحاكم في مستدركه (٤/ ٤٩٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

قال الفخر الرازي في التفسير[2]: ﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: بالانتهاء عما نهاكم الله عنه.

وقال مقاتل: أن يؤدب المسلم نفسه وأهله، فيأمرهم بالخير، وينهاهم عن الشر.

---

(١) رواه البخاري: كتاب (٢٣) باب (٨٠و٩٣) وكتاب (٦٥) سورة (٣٠)، وكتاب (٨٢) باب (٣) ورواه مسلم: كتاب (٤٦) حديث رقم (٢٢_٢٥) وسنن أبي داود كتاب (٣٩) باب (١٧) والترمذي: كتاب (٣٠) باب (٥) والموطأ: كتاب (١٦) حديث (٥٢) ومسند أحمد: الجزء الثاني من (٢٣٣ و٢٥٣ و٢٧٥ و٢٨٢ و٣١٥ و٣٤٦ و٣٩٣ و٤٧٠ و٤٨١) والجزء الثالث (ص٣٥٣ و٤٣٥)، والجزء الرابع (ص٢٢) انظر مفتاح السنة (ص٥٣٥).

(٢) التفسير الكبير (٣٠/ ٤٦).

وقال في «الكشاف»: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ بترك المعاصي وفعل الطاعات، وأهليكم بأن تؤاخذوهم بما تؤاخذون به أنفسكم.

فلا بد من بذل الجهد، والعمل الدؤوب، في إصلاح الأطفال، وتصحيح أخطائهم على الدوام، وتعويدهم الخير، وهذا سبيل الأنبياء والمرسلين؛ فلقد دعا نوح ابنه إلى الإيمان، ووصَّى إبراهيم بنيه بعبادة الله وحده؛ وهكذا.

وقد ذكر الإمام النووي في كتابه «بستان العارفين»(١)، عن الشافعي، عن فضيل قال: قال داود النبي ﷺ: «إلهي! كنْ لابني كما كنتَ لي! فأوحى الله تعالى إليه: يا داود! قُل لابنكَ يكن لي كما كنتَ لي، أكنْ له، كما كنتُ لك».

لذلك قرر الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ في رسالته: «أيها الولد» أن معنى التربية يشبه عمل الفلاح الذي يقلع الشَّوْك، ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع، ليحسن نباته، ويكمل ريعُه(٢).

وقد أكد ابن القيم ـ رحمه الله ـ، هذه المسؤولية، وتكلم كلاماً مفيداً نافعاً، فقال(٣): «قال بعض أهل العلم: إن الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة، قبل أن يسأل الولد عن والده؛ فإنه كما أن للأب على ابنه حقاً، فللابن على أبيه حق؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗا﴾ [العنكبوت ٢٩/٨]. وقال تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦٦/٦]. وقال علي بن أبي طالب: علموهم وأدبوهم. وقال تعالى: ﴿۞وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النساء: ٤/٣٦] وقال النبي ﷺ: «اعدلوا بين أولادكم»(٤).

فوصية الله للآباء بأولادهم، سابقة على وصية الأولاد بآبائهم، قال الله

---

(١) (ص٤٥).

(٢) «الريع»: النماء والزيادة. مختار الصحاح.

(٣) أحكام المولود (ص٢٢٩).

(٤) «اعدلوا بين أولادكم في النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف» صحيح رواه الطبراني عن النعمان بن بشير. انظر صحيح الجامع الصغير برقم (١٠٤٦).

تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ١٧/ ٣١].

ويتابع ابن القيم قوله: «فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سدى، فقد أساء غاية الإساءة؛ وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم مِنْ قِبَلِ الآباء، وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كباراً؛ كما عاتب بعضهم ولده على العقوق، فقال: يا أبت! إنك عققتني صغيراً، فعققتُك كبيراً؛ وأضعتني وليداً، فأضعتك شيخاً».

وإن الزواج وإنجاب الأولاد مسؤولية كبيرة يحاسب عليها المرء يوم القيامة؛ أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «يُؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول له: ألم أجعلْ لكَ سمعاً وبصراً ومالاً وولداً؟ وسخَّرتُ لكَ الأنعام والحرث؟ وتركتكَ ترأس وتربع؟ فكنتَ تظن أنك ملاقي يومك هذا؟ فيقول: لا، فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتني» وفي رواية: «ألم أزوجك؟».

«فأي شهادة على سخافة مدارك الرجل، وفقد شعوره، أعظم ممن يمثل أمام عينيه، الزمن الذي يبلغ فيه الطفل أشدّه، ويرسم في مخيلته، كيف ينتظم في دائرة رجاله، ولا يؤهله بالتربية الحسنى لأن يكون سيداً نبيلاً»(١).

أما هذه التربية فهي حق الابن على والديه، وليست هبة أو هدية، وهذا أكده النبي ﷺ بقوله: «إنما سماهم الله أبراراً، لأنهم بروا الآباء والأبناء، كما أن لوالدك عليك حقاً، كذلك لولدك عليك حق» أخرجه البخاري في الأدب المفرد(٢).

وروى النسائي، وابن حبان في صحيحه مرفوعاً:
«إن الله سائل كل راع عما استرعاه أَحَفِظَ أم ضَيَّعَ؟ حتى يسألَ الرجل عن أهل

---

(١) السعادة العظمى (ص٩٠) للشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله.
(٢) ورواه الطبراني، وفيه عبيد الله بن الوليد الوصافي، وهو ضعيف، كذا قاله الهيثمي في المجمع (٨/ ١٤٦).

بيته»[1] وفي رواية عبد الرزاق: «إن الله عز وجل سائل كل ذي رعية فيما استرعاه: أقام أمر الله فيهم أم أضاعه؟ حتى إن الرجل ليُسأل عن أهل بيته».

٣ـ السعي للزواج من امرأة صالحة ومربية:

«إن الإسلام دين أسرة، ويقرر تبعة المؤمن في أسرته، وواجبه في بيته، والبيت المسلم هو نواة الجماعة الإسلامية، وهو الخلايا التي يتألف منها، ومن الخلايا الأخرى.

وإن مما يساعد الأب على تربية طفله، ورعايته في العملية التربوية: الزوجة الصالحة، التي تتفهم دورها، ووظيفتها، وتقوم بهما على أحسن وجه؛ وهي الركن الرئيسي في هذا العمل، وعملها هذا، له دور تاريخي في حياة المجتمعات، فقد تنتج ولداً مصلحاً للمجتمع، يقود الأمة إلى الخير والقوة.

إن البيت قلعة من قلاع هذه العقيدة، ولا بد أن تكون قلعته متماسكة من داخلها، حصينة في ذاتها، كل فرد منها يقف على ثغرة لا ينفذ إليها، وإلا تَكُنْ كذلك، سهلَ اقتحام العسكر من داخل قلاعه. فلا يصعب على طارق، ولا يستعصي على مهاجم.

وواجب المؤمن، أن يُؤَمِّن هذه القلعة من داخلها، وواجبه أن يسد الثغرات فيها، قبل أن يذهب عنها بدعوته بعيداً.

ولا بد من الأم المسلمة، فالأب المسلم وحده لا يكفي لتأمين القلعة، لا بد من أب وأم ليقوما ـ كذلك ـ على الأبناء والبنات. فعبثاً يحاول الرجل أن ينشىء المجتمع الإسلامي، بمجموعة من الرجال... لا بد من النساء في هذا المجتمع، فهن الحارسات على النشء، الذي هو بذور المستقبل وثماره.

هذا أمر ينبغي أن يدركه الدعاة إلى الإسلام، وأن يدركوه جيداً:

«إن أول الجهد ينبغي أن يوجه إلى البيت، إلى الزوجة، إلى الأم، ثم إلى الأولاد، وإلى الأهل بعامة؛ ويجب الاهتمام البالغ بتكوين المسلمة، لتنشىء البيت

---

(١) دستور الأسرة في ظلال القرآن (ص١١٢).

المسلم، وينبغي لمن يريد بناء بيت مسلم، أن يبحث له أولاً عن الزوجة المسلمة، وإلا فسيتأخر بناء الجماعة الإسلامية، وسيظل البنيان متخاذلاً، كثير الثغرات»[١].

☆ ☆ ☆

إن خير ما تنكح عليه المرأة دينها، وصلاحها، وتقواها، وإنابتها إلى ربها تبارك وتعالى؛ مثل هذه تقر العين بها، وتؤتمن على نفسها، ومال زوجها، وتربية أولاده، كي تغذيهم بالإيمان مع الطعام، وتصب فيهم أحسن المبادىء مع اللبن، وتسمعهم من ذكر الله تعالى، ومن الصلاة على نبيه ﷺ ما يشربهم التقوى، ويركز فيهم حب الإسلام إلى أن يموتوا؛ والمرء يشيب على ما شبَّ عليه، وإن صفات الوالدين تنحدر إلى الأولاد.

«وكثيراً ما تظهر ملكة التقوى في الولد، تبعاً لأبويه؛ أو لأحدهما، أو للعم؛ أو الخال، وقد ورد الإرشاد النبوي، منبهاً إلى هذا: فيما رواه ابن عدي وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها، عن سيدنا رسول الله ﷺ قال: «تَخَيَّروا لنطفكم؛ فإن النساء يَلِدْنَ أشباه إخوانهن وأخواتهن»[٢].

وروى الدارقطني عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «اختاروا لنطفكم المواضع الصالحة».

«ومن حق الزوج أن يبتغي الثقافة في زوجته؛ لأن الثقافة تُعينها على تدبير المنزل، وتربية الولد تربية صالحة. وللمرأة أن تتعلم ما تشاء من العلوم، بالطريقة التي تلائم كمالها. ومما صدر من الخواطر: «إن الرجل والمرأة كالبيت من الشِّعْر، ولا يحسن في البيت من الشِّعْر أن يكون شطره محكماً والشطر الآخر

---

(١) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٦٣٦).
(٢) رحمة الإسلام بالنساء للشيخ محمد الحامد ـ رحمه الله ـ (ص٤٠ـ٤١). وفي رواية ابن ماجه والبيهقي: «تخيروا لنطفكم، فانكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم» صحيح. انظر صحيح الجامع رقم (٢٩٢٨).

متخاذلاً»[1]. وإن رسول الله ﷺ امتدح نساء قريش لما يتمتعن به من صفات جيدة تجاه أولادهن بالحنان، وأزواجهن بالرعاية:

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ نساءٍ رَكِبْنَ الإبل؛ صالح نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده».

وإن قيام المرأة بالعملية التربوية لأطفالها، وأولادها، وقيامها على خدمة زوجها، يرقيها إلى أعلى الدرجات، ويضعها في مصاف النساء العظيمات، وعملها هذا يعدل جهاد الرجل في المعركة، وصلاة الجمعة في المساجد.

روى مسلم في صحيحه أن أسماء بنت يزيد بن السكن رضي الله عنها أتت النبي ﷺ فقالت: إني رسول من ورائي من جماعة نساء المسلمين، كلهن يقلن بقولي، وعلى مثل رأيي، إن الله بعثك إلى الرجال والنساء، فآمنّا بكَ واتبعناكَ؛ ونحن معشر النساء، مقصورات مخدرات، قواعد بيوت، وإن الرجال فضلوا بالجُمُعَات؛ وشهود الجنائز؛ والجهاد، وإذا خرجوا للجهاد، حفظنا لهم أموالهم، وربَّينا أولادهم، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟!

فالتفت رسول الله ﷺ إلى أصحابه فقال: «هل سمعتم مقالةَ امرأةٍ، أحسن سؤالاً عن دينها من هذه؟».

فقالوا: لا يا رسول الله!.

فقال رسول الله ﷺ: «انصرفي يا أسماء! وأعلمي من وراءك من النساء: أن حُسنَ تَبَعُّلِ إحداكنَّ لزوجها، وطلبها لمرضاته، واتباعها لموافقته، يعدل كل ما ذكرت».

وإن الماوردي يعتبر اختيار الزوجة حق الولد على أبيه، اقتباساً من قول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فيقول: «فمن أول حق الولد أن ينتقي أمه، ويتخير قبل الاستيلاد منهن: الجميلة؛ الشريفة؛ الدّيّنة؛ العفيفة؛ العاقلة

(١) دراسات في الشريعة الإسلامية (ص٩٨) للشيخ محمد الخضر حسين ـ رحمه الله ـ.

لأمورها، المرضية في أخلاقها، المجربة بحسن العقل وكماله، المواتية لزوجها في أحوالها»[1].

وإن رسول الله ﷺ يقر النظرة التربوية التي نظرها جابر بن عبد الله في اختياره لزوجته، لتقوم بمهام تربوية في بناء أخوات صغار لجابر، بالإضافة إلى أبنائه في المستقبل.

أخرج الخمسة عن جابر في حديث طويل[2] أنه قال لرسول الله ﷺ حين سأله: «هل تزوجت بكراً أم ثيباً؟» قال: بل ثيباً؛ قال: «هَلا بِكْراً تُلاعِبُها وتُلاعِبُكَ؟» فقلت: يا رسول الله! تُوفي والدي، ولي أخوات صغار، فكرهت أن أتزوج مثلهنّ «أي: في السن» فلا تُؤدبهن، ولا تقوم عليهن، فتزوجت ثيباً، لتقوم عليهن وتؤدبهن».

لذلك فإن من واجبات المرأة الأم، تجاه زوجها؛ أن تحسن القيام بتربية أولادها منه، في صبر، وحلم، ورحمة، فلا تغضب على أولادها أمامه، ولا تدعو عليهم، ولا تسبهم، ولا تضربهم، فإن ذلك قد يُؤذيه منها، وربما استجاب اللهُ دعاءَها عليهم، فيكون مصابهما بذلك عظيماً[3].

وأخيراً، فإن الزوجة الصالحة هي الكنز الحقيقي الذي يدخره الرجل في دنياه وآخرته. روى الترمذي عن ثوبان، قال: «لما نزلت ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٩/ ٣٤] كنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فقال بعض أصحابه: أُنزلت في الذهب والفضة، فلو علمنا أي المال خير لاتخذناه؛ فقال رسول الله ﷺ: «أفضله لسان ذاكر، وقلب شاكر، وزوجة صالحة، تُعين المؤمن على إيمانه». وروى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾ كَبُرَ ذلك على

(١) كتاب نصيحة الملوك، لأبي الحسن الماوردي، تحقيق الشيخ الخضر محمد الخضر (ص١٦٢).
(٢) انظر الحديث بطوله في تيسير الوصول (١/ ٦٢) وجامع الأصول (١/ ١٥).
(٣) المرأة المسلمة، للشيخ وهبي سليمان الغاوجي (ص١٥٣).

المسلمين، فقال عمر: أنا أُفَرِّجُ عنكم، فانطلق؛ فقال: يا نبي الله! إنه كَبُرَ على أصحابك هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب ما بقي من أموالكم، وإنما فرض المواريث، لتكون لمن بعدكم» فَكَبَّرَ عمر، ثم قال له: «ألا أُخبرك بما يكنز الرجل: المرأة الصالحة، إذا نظر إليها زوجها سَرَّتْهُ، وإذا أَمَرَها أطاعته، وإذا غابَ عنها حفظته».

اللهم اجعل زوجاتنا كذلك، صالحات قانتات حافظات للغيب.

٤ـ ثواب الإنفاق على الزوجة والأولاد:

إن الإنفاق له أثر طيب في العملية التربوية، وخاصة عندما يكون مصدرها الموجه هو الشرع: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق: ٦٥/ ٧] فلا إسراف؛ ولا تبذير؛ ولا تقنيط؛ ولا شُحّ، وإنما اعتدال في الإنفاق والبذل؛ وذلك تدريب أيضاً للطفل الناشىء، على البذل المستطاع، والإدارة الجيدة للاقتصاد المنزلي.

وقد جاءت أحاديث كثيرة توجه الإنسان إلى الإنفاق، وأنه مأجور عليه؛ بل أنه يتقدم كل الصدقات:

أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دينارٌ أنفقتَه في سبيل الله، ودينار أنفقتَه في رقبة، ودينار تَصدقتَ به على مسكين، ودينار أنفقتَه على أهلك، أَعظمُهَا الذي أنفقته على أَهْلِكَ».

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنك مهما أنفقتَ على أهلك من نفقةٍ، فإنك تؤجر، حتى اللّقْمَة ترفعُها إلى في امرأتك» رواه أبو يعلى في مسنده (٢/ ٨١) بسند صحيح، ورواه أحمد (١/ ١٧٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله! أي الصدقة أفضل؟ قال: «جهد المقل، وابدأ بمن تعول» رواه الحاكم في مستدركه (١/ ٤١٤) وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وأقره الذهبي، ورواه أحمد (٢/ ٤ـ٩٤).

وروى أحمد ـ بإسناد جيد ـ عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أطعمتَ نفسكَ فهو لك صدقة، وما أطعمتَ ولدَكَ فهو

لك صدقة، وما أطعمتَ زوجتك فهو لك صدقة، وما أطعمتَ خادمك فهو لك صدقة».

وروى أبو حنيفة في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ماتَ أحدُكم مغموماً مهموماً، كان أفضل عند الله، من ألف ضربة بالسيف في سبيل الله» قال العلامة مُلا علي القاري في شرحه لهذا الحديث: «مغموماً» أي: حزيناً بحيث يغم فؤاده «مهموماً» تأكيد لما قبله، من: سبب العيال، وكسب الحلال، الذي هو فرض عين عند أهل الكمال. «كان» في تلك الحال «أفضل عند الله من ألف ضربة بالسيف في سبيل الله» فإنه فرض كفاية في غالب الأحوال.

وقد روى القضاعي عن ابن عباس، وأبو نعيم في الحلية: «طلبُ الحلالِ جهادٌ».

وروى الطبراني عن ابن مسعود: «طلب الحلال فريضة».

وروى الديلمي عن أنس. «طلب الحلال واجب على كلِّ مسلم».

وروى ابن عساكر عن أنس: «من ماتَ كالاًّ في طلب الحلالِ ماتَ مغفوراً له»(١)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثماً أن يُضَيِّعَ من يقوت» رواه الحاكم في مستدركه (١/ ٤١٥) وقال: صحيح الإسناد؛ ولم يخرجاه؛ وأقره الذهبي.

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعلِّم ابنه أن يطلب الكسب الحلال لأولاده: أورد ابن المبارك في كتابه «الزهد» وأسنده إلى الحسن، قال: بينما عمر بن الخطاب يمشي ذات يوم في بعض أزقة المدينة، إذا صَبِيَّة بين يديه تقوم مرة، وتقعد أخرى، فقال: يا بؤسها! من لهذه؟ فقال ابن عمر: هذه إحدى بناتك يا أمير المؤمنين، قال: فما لها؟ قال: مَنَعْتَها ما عندكَ؛ قال: أَفعجزتَ إذ منعتُها ما عندي، أن تكسَبَ عليها، كما يكسبُ الأقوام على بناتهم؟ والله مالكَ

(١) شرح مسند أبي حنيفة للمحدث الملا علي القاري (ص٦٢).

عندي، إلا ما لرجلٍ من المسلمين، وبيني وبينك كتاب الله؛ قال الحسن: فَخَصَمَه والله[1].

ولا بد أن نذكر ثواب إنفاق الزوجة على زوجها وأولادها:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ انصرف يوماً من الصبح، فأتى النساء في المسجد، فوقف عليهن، فقال: يا معشر النساء! ما رأيتُ من نواقص عقولٍ قطُّ ودينٍ؛ أذهبَ بقلوب ذوي الألباب منكنَّ، وإني قد رأيتُ أنكنَّ أكثرَ أهل النار يوم القيامة، فتقرَّبْنَ إلى الله بما استَطَعْتُنَّ، وكان في النساء امرأةُ عبدِ الله بن مسعود فانقلبت إلى عبدِ الله بنِ مسعود، فأخبرته بما سمعت من رسول الله ﷺ، وأخذتْ حُلِيَّها، فقال ابن مسعود: أين تذهبين بهذا الحلي؟ قالت: أتقربُ به إلى الله ورسوله، قال: ويحكِ، هلمي؛ تصدقي به عليَّ وعلى ولدي، فإنا له موضع، فقالت: لا، حتى أذهب إلى رسول الله ﷺ قال: فذهبتْ تستأذن على رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله! هذه زينب؛ تستأذن؛ قال: «أي الزيانب هي؟» قالوا: امرأة ابن مسعود قال: «ائذنوا لها» فدخلتْ على النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله! إني سمعت منكَ مقالةً، فرجعت إلى ابن مسعود، فحدثتُه، وأخذتُ حلياً لي، أتقرب به إلى الله وإليك، رجاء ألا يجعلني الله من أهل النار، فقال لي ابنُ مسعود: تصدقي به عليَّ، وعلى ابني، فإنا له موضع، فقلت: حتى أستأذن رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «تصدقي به عليه، وعلى بنيه؛ فإنهم له موضع». رواه ابن خزيمة في صحيحه (٤/ ١٠٦) وإسناده صحيح.

وفي رواية: «صدقَ ابنُ مسعود، زوجك، وولدك؛ أحق من تصدقت به عليهم» وفي رواية: «نَعم، لهما أجران: أجر القرابة، وأجر الصدقة».

٥ـ أهداف الزواج الإسلامي:

الزواج الإسلامي ليس غاية جنسية بين الزوجين، وإن كان هذا هدفاً ثانوياً، تلبية لدوافع الجسد؛ وإنما له أهداف سامية أهمها:

١ـ تكثير عدد المسلمين، وإدخال السرور على قلب الرسول ﷺ:

---

(١) الزهد والرقائق (ص٣٧٥) للإمام عبد الله بن المبارك.

فعن معقل بن يسار قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أصبتُ امرأةً، ذات حسن وجمال، وإنها لا تلد، أفأتزوجها؟ فقال: «لا» ثم أتاه الثانية، فنهاه، ثم أتاه الثالثة، فقال: «تزوجوا الولود، فإني مكاثرٌ بكم الأمم» رواه أبو داود والنسائي.

وروى ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «النكاح من سنتي، ومن لم يعمل بسنتي فليس مني؛ وتزوجوا، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة».

٢ـ إعفاف النفس، والتقرب إلى الله تعالى: وذلك لقوله ﷺ: «وفي بضع أحدكم له صدقة» قالوا: يا رسول الله! أيأتي أحدُنا شهوته؛ ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه وِزْر؟» قالوا: بلى، قال: «فكذلك، لو وضعها في الحلال؛ كان له فيها أجر» رواه مسلم، والنسائي، وأحمد.

٣ـ إنشاء الجيل المسلم: حيث ينوي عند الجماع طلب الولد الصالح: أورد البخاري في صحيحه ـ باب من طلب الولد للجهاد ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة على مئة امرأة، أو تسع وتسعين، كلهن يأتي بفارس؛ يجاهد في سبيل الله؛ فقال له صاحبه: قل: إن شاء الله، فلم يقل: إن شاء الله، فلم تحمل منهنّ إلا امرأة واحدة، فجاءت بشق رجل؛ والذي نفس محمد بيده! لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله؛ فرساناً أجمعون».

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»[1]: «قوله: باب من طلب الولد للجهاد، أي: ينوي عند المجامعة حصول الولد، ليجاهد في سبيل الله، فيحصل له بذلك أجر، وإن لم يقع له ذلك».

ويقول أبو الحسن الماوردي مؤكداً هذا المعنى عند الجماع:

«وأن ينوي في ذلك كله نية الولد، وأن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وينوي

(١) فتح الباري (٧/ ٢٧٢).

في الولد؛ أن الله لعله يرزقه من يعبد الله ويوحده، ويجري على يديه صلاح الخلق، وإقامة الحق، وتأييد الصدق، ومنفعة العباد، وعمارة البلاد»[1].

٤ـ استمرار ذرية الإنسان: روى الطبراني عن أبي حفصة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لا يدع أحدكم طلب الولد، فإن الرجل إذا مات وليس له ولد انقطع اسمه»[2].

ومن الملاحظ في العصر الحديث أن الكفار من غرب وشرق وأذنابهم في بلاد المسلمين، يُروجون فكرة تحديد النسل بين المسلمين، وفي الوقت نفسه يشجعون الكفار على الإنجاب، وذلك لكي يقل عدد المسلمين، ويزداد عدد الكفار.

ولهذا حضّ النبي ﷺ على الإنجاب ليكون عزاً للمسلمين، وقوة لهم: فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ولد في أهل بيت؛ غلام، إلا أصبح فيهم عِزّ لم يكن» رواه الطبراني في الأوسط[3].

٦ـ صفات المربي الناجح:

هناك صفات أساسية، كلما اقترب منها المربي كانت له عَوْناً في العملية التربوية، والكمال البشري هو للرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ولكن الإنسان يسعى بكل جهده، وبقدر المستطاع، يراقب فيها نفسه بنفسه، وذلك للتوصل إلى الأخلاق الطيبة، والصفات الحميدة؛ وخاصة أنه في مركز القدوة التربوية، فينظر إليه الجيل الجديد على أنه مربيه وموجهه؛ وإليك أهم الصفات التي يسعى إليها المربي ـ وفقني الله وإياك إليها ـ:

(١) **الحِلْمُ والأناة**: أخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لأشجّ عبد القيس: «إن فيك خَصلتين يحبهما الله: الحِلْمُ والأناة».

---

(١) كتاب نصيحة الملوك، للماوردي تحقيق الشيخ خضر محمد خضر (ص٦٦).

(٢) انظر كنز العمال (٢٨١/١٦). وإسناده حسن، كذا قاله الهيثمي في المجمع (٢٥٨/٤).

(٣) قال الهيثمي في المجمع (١٥٥/٨): وفيه هاشم بن صالح ذكره ابن أبي حاتم، ولم يجرحه، ولم يوثقه، وبقية رجاله ثقوا.

وهذه قصة لطيفة، تبين أهمية الحلم والأناة في بناء أخلاق الجيل الجديد: قال عبد الله بن طاهر: «كنتُ عند المأمون يوماً، فنادى الخادم: يا غلام! فلم يُجبه أحد؛ ثم نادى ثانياً وصاح: يا غلام! فدخل غلام تركي؛ وهو يقول: أما ينبغي للغلام أن يأكل ويشرب؟ كلما خرجنا من عندك، تصيح: يا غلام! يا غلام! إلى كم يا غلام! فنكس المأمون رأسه طويلاً، فما شككت في أن يأمرني بضرب عنقه؛ ثم نظر إليَّ فقال: يا عبد الله! إن الرجل إذا حسَّن أخلاقه، ساءت أخلاق خَدمه؛ وإنا لا نستطيع أن نُسيء أخلاقنا، لنحسِّن أخلاق خدمنا»[1].

(٢) **الرفق والبعد عن العنف**: أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيق؛ يحب الرِّفْقَ، ويعطي على الرِّفْق ما لا يُعطي على العُنْفِ، وما لا يعطي على ما سواه».

وعنها أن النبي ﷺ قال: «إن الله رفيق، يحب الرفق في الأمر كله» متفق عليه.

وعنها أيضاً أن النبي ﷺ قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانَه، ولا يُنزع من شيء إلا شانَه» رواه مسلم.

وأخرج مسلم عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من يُحرم الرِّفْقَ؛ يُحْرَم الخير كله».

وروى أحمد عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها: «يا عائشة! ارفقي، فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيراً، دَلَّهم على الرِّفْقِ». وفي رواية: «إذا أراد الله بأهل بيت خيراً، أدخل عليهم الرفق».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا نصلي مع رسول الله ﷺ العشاء، فكان يصلي، فإذا سجد وثَبَ الحسنُ والحسينُ على ظهره، وإذا رفعَ رأسَه أخذهما، فوضعهما وضعاً رفيقاً، فإذا عاد عادا، فلما صلى، جعل واحداً ها هنا؛ وواحداً ها هنا، فجئتُه، فقلتُ: يا رسول الله! ألا أذهبُ بهما إلى أمهما؟ قال: «لا» فبرقت برقة فقال: «الحقا بأمكما» فما زالا يمشيان في ضوئها حتى دخلا.

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، للشيخ عبد الله علوان ـ رحمه الله ـ (٢/ ٢٨٥).

رواه الحاكم في مستدركه (٣/ ١٦٧) وقال: صحيح الإسناد؛ ولم يخرجاه؛ وقال الذهبي: صحيح.

وإليك عزيزي القارىء: هذه القصة البديعة في موعظتها، لنرى تعامل السلف الصالح وحلمهم:

روي أن غلاماً لزين العابدين، كان يصبّ له الماء، بإبريق مصنوع من خزف، فوقع الإبريق على رجل زين العابدين، فانكسر، وجرحت رجله؛ فقال الغلامُ على الفور: يا سيدي! يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ [آل عمران: ٣/ ١٣٤] فقال زين العابدين: لقد كظمتُ غيظي؛ ويقول: ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ فقال: لقد عفوتُ عنك؛ ويقول: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ فقال زين العابدين: أنت حرٌّ لوجه الله[١].

(٣) القلب الرحيم: عن أبي سليمان مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتينا رسول الله ﷺ ونحن شَبَبَةٌ متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رفيقاً، فظن أنا قد اشتقنا أهلنا؛ فسألنا عمن تركنا من أهلنا، فأخبرناه، فقال: «ارجعوا إلى أهلكم، فأقيموا فيهم، وعلِّموهم، وبرُّوهم، وَصَلّوا كذا في حين كذا، وصلوا كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة، فليؤذن أحدكم، وليؤمكم أكبركم». متفق عليه.

وروى البزار عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إن لكل شجرة ثمرة، وثمرة القلب الولد، إن الله لا يرحم من لا يرحم ولده؛ والذي نفسي بيده! لا يدخل الجنة إلا رحيم». قلنا: يا رسول الله! كلنا يرحم، قال: «ليس رحمته أن يرحم أحدكم صاحبه، وإنما الرحمة أن يرحم الناس».

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: أَبْصَر النبيُّ ﷺ امرأةً معها صبيتان؛ قد حملت إحداهما وهي تقود الأخرى، فقال رسول الله ﷺ: «والداتٌ حاملاتٌ رحيمات؛ لولا ما يأتين إلى أزواجهن؛ لدخل مُصلِّياتهن الجنة» رواه الحاكم

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام للشيخ عبد الله علوان ـ رحمه الله ـ (٢/ ٢٨٥).

في مستدركه (٤/ ١٧٣) وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وقد أعضله شعبة عن الأعمش.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن امرأة أتت النبي ﷺ ومعها ولدان، فأعطاها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحد منهما تمرة تمرة، ثم إن أحد الصبيين بكى، فشققتها، فأعطت كل واحد منهما النصف، فقال رسول الله ﷺ: «والداتٌ؛ حاملات؛ رحيمات بأولادهن، لولا ما يصنعن بأزواجهن، دخل مصلّياتهن الجنة» رواه الحاكم في مستدركه (٤/ ١٧٤) وسكت عنه.

(٤) **أخذ أيسر الأمرين ما لم يكن إثماً**: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين قط، إلا أخذ أيسرهما؛ ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه؛ وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه من شيء قط؛ إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله تعالى» متفق عليه.

(٥) **الليونة والمرونة**: وهنا يجدر بنا فهم الليونة بمعناها الواسع، وهي: قدرة فهم الآخرين بشكل متكامل؛ لا بمنظار ضيق؛ وليس معناها: الضعف، والهوان، وإنما التيسير الذي أباحه الشرع.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أُخبركم بمن يحرم على النار؛ أو بمن تحرم عليه النار؟ تحرم على كل قريب هيّن ليّن سهل». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[١].

(٦) **الابتعادُ عن الغضب**: إنّ الغضب، والعصبية الجنونية من الصفات السلبية في العملية التربوية؛ بل كذلك من الناحية الاجتماعية. فإذا ملك الإنسان غضبه، وكظم غيظه، كان ذلك فلاحاً له ولأولاده؛ والعكس بالعكس.

وقد حَذّر منه النبي ﷺ الرجلَ الذي سأله وصية خاصة له، فكان جوابه في المرات الثلاث: «لا تغضب»[٢].

---

(١) ورواه ابن حبان والخرائطي وأحمد والطبراني. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٩٣٨).

(٢) رواه البخاري، عن أبي هريرة.

كذلك اعتبر ﷺ الشجاعة هي القدرة على عدم الغضب؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الشديد بالصُّرَعَة، إنما الشديدُ الذي يملك نفسه عند الغضب». متفق عليه.

ومما يروى أن زين العابدين بن الحسن رضي الله عنهما استدعى غلاماً له، وناداه مرتين؛ فلم يُجبه، فقال له زين العابدين: أما سمعتَ ندائي؟ فقال: بلى؛ قد سمعته، قال: فما حملك على ترك إجابتي؟ قال: أمنتُ منكَ، وعرفتُ طهارةَ أخلاقِك فتكاسلتُ، فقال: الحمد لله الذي أَمِنَ مني غلامي[1].

(٧) **الاعتدالُ والتوسط**: إن التطرف صفة ذميمة في كل الأمور؛ لهذا نجد أن رسول الله ﷺ يحب الاعتدال في عمود الدين، فما بالك في باقي الأمور الحياتية الأخرى، والتي أهمها العملية التربوية؟

فعن أبي مسعود عقبة بن عمر البدري رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح؛ من أجل فلان؛ مما يُطيل بنا، فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط، أشد مما غضب يومئذٍ. فقال: «يا أيها الناس! إن منكم مُنفرين، فأيكم أمّ الناس فليوجز، فإن من ورائه الكبير؛ والصغير؛ وذا الحاجة». متفق عليه.

(٨) **التخولُ بالموعظة الحسنة**: إن كثرة الكلام في كثير من الأحيان لا تؤتي أكلها؛ في حين نجد أن التخول بالموعظة الحسنة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها؛ لذلك نصح الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه تلاميذه بقوله[2]: «لا تُحدث فقهكَ من لا يشتهيه». كما أن الصحابة أدركوا هذا من فعل النبي ﷺ فعن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: كان ابن مسعود رضي الله عنه يُذكرنا في كل خميس مرة؛ فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن! لوددتُ أنك ذكرتنا كلَّ يوم. فقال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملّكم، وإني أتخولكم بالموعظة؛ كما كان

---

(١) تربية الأولاد (٢/ ٣٥٢).

(٢) مقدمة حاشية ابن عابدين.

رسول الله ﷺ يتخولنا «أي: يتعهدنا» بها؛ مخافة السآمة علينا». متفق عليه.

٧ـ بشرى سارة للوالدين في بركة الأولاد عليهم:

أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

وروى ابن أبي حاتم[١] عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «ذَكرنا عند رسول الله ﷺ الزيادةَ في العمر، فقال: «إن الله لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها، وإنما الزيادة في العمر؛ أن يرزق الله العبد ذرية صالحة، يدعون له؛ فيلحقه دعاؤهم في قبره»[٢].

وروى البخاري في الأدب المفرد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «تُرفع للميت بعد موته درجته فيقول: أيّ ربي! أي شيء هذا؟ فيقول له: ولدكَ استغفرَ لكَ»[٣].

وروى أبو يعلى عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «المولود حتى يبلغ الحِنْث، ما عمل من حسنة كتبت لوالده أو لوالديه، وما عمل من سيئة لم تُكتب عليه ولا على والديه»[٤].

٨ـ الأولاد زينة الحياة الدنيا وفتنتها:

الأبناء هبة الله للإنسان، تسر الفؤاد مشاهدتهم، وتقرّ العين رؤيتهم، وتبتهج النفس بمحادثتهم، فهم زهرة الحياة الدنيا، وهذا ما أكدته الآيات الكريمة:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ٣/ ١٤].

---

(١) ذكره ابن كثير في التفسير (٤/ ٣٧٣ و٢/ ٥٧٣).

(٢) ورواه الحكيم. انظر كنز العمال (١٦/ ٢٨١).

(٣) ورواه الطبراني في الأوسط، وفيه ضعفاء قد وثقوا، كذا قاله الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢١٠) بألفاظ متقاربة.

(٤) انظر (الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد) للشيخ البنا الساعاتي (٧/ ٥١).

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف: ١٨/ ٤٦].

﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ [الحديد: ٥٧/ ٢٠].

لهذا نجد الكفار انخدعوا بهذه الزينة، فبدؤوا يتفاخرون بالأولاد، إذ لديهم حاشية تمنعهم، وأن الإله راض عليهم؛ لأنه أعطاهم هذه الكثرة من الأولاد، واستعْلوا بها على المؤمنين، فإذا بالآيات تلاحقهم؛ وتطاردهم؛ على هذه الأفكار البالية؛ والتفاخر الجاهلي، وتقرر للمؤمنين أن هذه الكثرة لن تنفعهم، ولن تغني من الله شيئاً:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [آل عمران: ٣/ ١١٦].

﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ٩/ ٥٥].

﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [التوبة: ٩/ ٦٩].

﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٢٣/ ٥٥ـ٥٦].

﴿ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ: ٣٤/ ٣٥ـ٣٧].

وقد جاءت الخطابات القرآنية تحذر الإنسان فتنة الأولاد، من أن يطغي

حبهم إلى درجة انتهاك الأوامر الربانية، وأن يكونوا سبباً لمقت الله وغضبه؛ لهذا كانت الآيات تقرر:

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٨/ ٢٨].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التغابن: ٦٤/ ١٤-١٥].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ [لقمان: ٣١/ ٣٣].

أما التهديد والوعيد لمن قدم حب ولده على شرع الله تعالى، فكان بالشكل التالي:

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٩/ ٢٤].

ولكن ما هي الوسيلة عندما يختار الابن طريقاً بعيداً عن الإيمان، ويسلك سلوك الفجار الفساق ـ أعاذنا الله من هؤلاء الأبناء ـ إنها المفاصلة الجسدية، والشعورية، والنفسية:

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٥٨/ ٢٢].

ومما يكفِّر فتنة الولد: الصيام؛ والصلاة؛ والصدقة؛ والأمر بالمعروف؛ والنهي عن المنكر. كما ورد في الحديث:

أخرج الشيخان والترمذي عن حذيفة في حديث طويل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «فتنة الرجل في: أهله؛ وماله؛ وولده؛ ونفسه؛ وجاره؛ يكفِّرها: الصيام؛ والصلاة؛ والصدقة؛ والأمر بالمعروف؛ والنهي عن المنكر».

رزقنا الله جميعاً الولد الصالح الذي يُعيننا على طاعة الله، ويذكِّرنا إن نسينا، وينصحنا إن ابتعدنا.

٩ـ صراع الشيطان مع الإنسان على الذرية:

ثم إن هناك صراعاً بين الإنسان والشيطان على الذرية والأولاد، فالشيطان أقسم أن يسعى لإبعاد الذرية عن منهج الله، ويصرفهم عن طاعته، وهذا ما أخبرنا به سبحانه وتعالى؛ لنكون على بينة من أمرنا، فننتبه لذلك، وقد خصص الله تعالى لنا فترة الطفولة البريئة، لنكسبها جولة قبل الشيطان، فإذا ما خسرها الوالدان فإن جولة أساسية قوية قد فاتتهما، فهما بحاجةٍ إلى جهد أكثر، وعمل أكبر في المستقبل، لإصلاح ولدهما:

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ(١) إِلَّا قَلِيلًا قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا وَٱسْتَفْزِزْ(٢) مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ(٣) وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: ١٧/ ٦٢ـ٦٤].

وأخرج الإمام مسلم عن عياض بن حمار، أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: إني خلقتُ عِبادي حُنفاء، فجاءَت الشياطينُ فاجْتالتهم».

وأمام ظاهرة الأبوة والأمومة، نلاحظ صنفاً من الناس، قد امتحنهم الله بفقدان هذه النعمة، واختبرهم بحرمانها، لحكمة يقتضيها سبحانه، ولكي تبقى القلوب موجهة إليه، تجأر إليه بالدعاء في طلب الولد، وخاصة الولد الصالح:

---

(١) أي لأستولين عليهم بالإغواء.
(٢) أي: أستخف، وأستعجل، وأزعج.
(٣) أي: بكل راكب وماش بفرسانك ومشاتك.

﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٤٢/ ٤٩ـ٥٠].

ولكن المجتمع الجاهلي كان يعالج هذه المشكلة بعملية تعويضية، وذلك بتبني أولاد غير أولادهم، فيربونهم، وينسبونهم لأنفسهم، وقد جاءت الآياتُ بإبطال هذه الأفكار، وإعادة الأمور إلى نصابها، ونسبة الابن لأبيه الحقيقي: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣/ ٤ـ٥].

١٠ـ صلاح الوالدين، وأثره على الأبناء:

إن لصلاح الوالدين ـ وهما القدوة الحسنة للطفل الناشيء ـ أثراً كبيراً على نفس الطفل، فبالإضافة إلى تقواهم لله، واتباعهم لمنهجه؛ مع شيء من الجهد؛ والتعاون بينهما، ينشأ الطفل على الطاعة والانقياد لله؛ وهذا ما أكدته الآية الكريمة: ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران: ٣/ ٣٤] ولكن قد نلاحظ خروجاً عن هذه القاعدة، لحكمةٍ يعلمها الله سبحانه، ولتبقى القلوب حذرة يقظة متنبهة، تتضرع إليه بطلب الولد الصالح. وقد نفع صلاح الآباء الذرية والأولاد؛ فهذا سيدنا الخضر[1] ـ عليه السلام ـ يبني جداراً متبرعاً، فيسأله سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام عن سبب عدم أخذ الأجر، فكان جوابه: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾[2] [الكهف: ١٨/ ٨٢].

---

(١) كما في صحيح البخاري: أن اسمه الخضر.

(٢) روى ابن كثير أن الجد السابع كان صالحاً، فنفع الله به الحفيد. وقال الفخر الرازي في تفسيره (٢١/ ١٦٢) معلقاً على الآية: «هذا يدل على أن صلاح الآباء يفيد العناية بأحوال الأبناء». ثم قال: «ولما ذكر رعاية مصالح اليتيمين لأجل صلاح أبيهما إضافة إلى الله تعالى؛ لأن المتكفل بمصالح الأبناء لرعاية حق الآباء ليس إلا الله سبحانه وتعالى».

وحتى إن الملائكة لتدعو للمؤمن ووالديه وذريته: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [غافر: ٤٠/ ٨] فإذا ما نشأت الذرية على الطاعة لله، والدعوة لدينه، كان اللقاء بينهم في جنات الخلد، كما أخبر به سبحانه، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٥٢/ ٢١]. ولهذا قال أحد الصالحين: «يا بني! إني لأستكثر من الصلاة لأجلك».

وإن سهل التستري يتعهد ولده؛ وهو في صلبه؛ فيباشر إلى العمل الصالح، رجاء أن يكرمه الله تعالى بالولد الصالح، فيقول: «إني لأعهد الميثاق؛ الذي أخذه الله تعالى عليّ؛ في عالَم الذَّرّ، وإني لأرعى أولادي من هذا الوقت، إلى أن يخرجهم الله تعالى إلى عالم الشهود والظهور»[1].

وهذا دليل على حرص السلف الصالح على الولد الصالح، رزقني الله وإياك ذرية صالحة ـ إنه سميع مجيب ـ.

وروى البيهقي في كتاب الاعتقاد[2] بسنده إلى ابن عباس: أنه لما نزل ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٥٣/ ٣٩] أنزل الله تعالى بعد هذا: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٥٢/ ٢١] قال: يعني بإيمان، فأدخل الله عز وجل الأبناء بصلاح الآباء الجنة.

وفي رواية: «أَلْحَقْنَا بهم ذريتهم» قال ابن عباس: الله عز وجل يرفع ذرية المؤمن معه في درجته؛ في الجنة، وإن كانوا دونه في العمل؛ ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الطور: ٥٢/ ٢١]. يقول: وما نقصناهم.

---

(١) حاشية ابن عابدين (١/ ٥٣، ط٢).

(٢) كتاب «الاعتقاد» للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، المتوفى سنة (٤٥٨هـ) ص(٧٤ـ٧٥).

وروى ابن شاهين[1] أن الحارثة بن النعمان رضي الله عنه أتى النبي ﷺ وهو يُناجي رجلاً، فجلس ولم يسلم. فقال جبرائيل: أما إنه لو سلَّم لرددنا عليه؟ فقال لجبرائيل: «وهل تعرفه؟» فقال: نعم، هذا من الثمانين الذين صبروا يوم حنين، رزقهم، ورزق أولادهم على الجنة في الجنة.

وقال سعيد بن المسيب: إني لأُصلي فأذكر ولدي، فأزيدُ في صلاتي؛ وقد روي أن الله يحفظ الصالح في سبعة من ذريته؛ وعلى هذا يدل قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧/ ١٩٦]. قاله القرطبي[2].

١١ـ الزواج والمصاهرة:

نعمة الزواج نعمة ربانية للإنسان، وهو سُنَّة الرسل أجمعين، جعله الله سُنَّة لاستمرار الحياة البشرية، بالتزاوج بين الذكر والأنثى، وهذا الاتصال يتجلى فيه قَدَرُ الله أن جمع بين الزوجين.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ١٦/ ٧٢].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ١٣/ ٣٨].

وقد وجه الله تعالى الإنسان إلى التفكر في ظاهرة الزواج هذه، والتأمل فيها، وهي آية من آياته في الأرض، لها عظمتها؛ ولها سلطانها على النفس، بالتوجه إليه سبحانه، في طلب العون منه، والإيمان والتصديق بمنهجه: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٣٠/ ٢١].

وهذه المصاهرة العجيبة التي قدرها الله بين البشر، ووجهها بعنايته، ورعاها برعايته، يغذيها بالمودة والرحمة والسكَن: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٥/ ٥٤].

---

(١) ذكره ابن حجر في الإصابة (١/ ٣١٢).

(٢) انظر حسن الأسوة رقم (٩٤).

١٢ـ الدعاء عند الجماع رجاء الولد الصالح:

روى عبد الرزاق بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن أحدهم إذا أتى أهله قال: باسم الله، اللهم جَنِّبْنَا الشيطان، وَجَنِّب الشيطانَ ما رُزِقْنَا، فيولد بينهما ولد، فلا يصيبه الشيطان أبداً». وأخرجه الشيخان.

وفي رواية: «لو أن أحدهم إذا جامع قال: اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رُزِقْنَا، فَقُضِي بينهما ولد، لم يضره الشيطان إن شاء الله».

وروى عبد الرزاق عن الحسن قال: إذا أتى الرجل أهله فليقل: «باسم الله، اللهم بارك لنا فيما رزقتنا، ولا تجعل للشيطان نصيباً فيما رزقتنا، قال: فكان يُرجى إن حملت؛ أو تلقت أن يكون ولداً صالحاً».

١٣ـ الطفل لم يك شيئاً:

بعد أن تتم عملية الزواج، يتوجّه الزوجان ويطلبان من الله تعالى النسل الطيب، وأن يمنّ عليهم بالذرية الصالحة، وكلما تأخرت هذه النعمة، ازداد الزوجان طلباً وإلحاحاً على الله؛ وهنا يتذكر الإنسان آية من كتاب الله تذكره أنه لم يك شيئاً، وأن الذي أتى به إلى هذا العالم هو الله، فحقّ على الإنسان أن يقدم العبودية لمن أوجده: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ٧٦/ ١].

١٤ـ الطفل نطفة:

وجهت الآيات الإنسان للتفكير في أصله، وفي المواد المركب منها؛ ليتعرف على نعمة الله عليه، فلا يتكبر؛ ولا يتعجرف؛ ولا يستكبر؛ ولا يستنكف عن عبادة الله:

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق: ٨٦/ ٦/ ٧].

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس: ٨٠/ ١٧ـ١٩].

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الواقعة: ٥٦/ ٥٩].

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان: ٧٦/ ٢].

١٥ـ لمحة عن التصوير في الأرحام، وتطور الجنين:

بعد أن يتم التلاحم بين الماء من صلب الرجل ومن ترائب المرأة، تبدأ عملية تشكيل الجنين الأولي، والله تعالى يحدد ذكراً أم أنثى، وتبدأ معها عملية التصوير:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ٣/ ٦].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان: ٣١/ ٣٤].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ [الحج: ٢٢/ ٥].

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [فاطر: ٣٥/ ١١].

﴿ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ﴾ [الزمر: ٣٩/ ٦].

وهنا تبدأ عملية الحمل، ورعاية الله للجنين الجديد، أما نفسية الأم الحاملة فقد تتأثر وتعاني من آلام لم تجدها من قبل، وهذا صوّرته الآية: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا ﴾ [الأحقاف: ٤٦/ ١٥]. أما أقل الحمل فهي ستة أشهر ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف: ٤٦/ ١٥]. فالحمل والرضاع يساوي ثلاثين شهراً. وبما أن الرضاع سنتان، فتبقى فترة الحمل ستة أشهر. وهذا ما أفتى به علي كرم الله وجهه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

وقد جمع هذا التطور الجنيني حديث البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم؛ يُجمع خَلْقُهُ في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يُرسَلُ الملك، فَينْفُخ فيه الروح، ويُؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه؛ وأجله؛ وعمله؛ وشقي؛ أو سعيد».

١٦ـ العلاج النبوي للعقيم:

روى أبو حنيفة في مسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما: أنه جاء رجل من الأنصار إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ما رُزِقْتُ ولداً قط، ولا وُلِدَ لي، قال ﷺ: «فأينَ أنتَ من كثرة الاستغفار؛ وكثرة الصدقة تُرْزَقُ بها» قال: فكان الرجل يُكْثر الصدقة، ويكثر الاستغفار، قال جابر: فولد له تسعة ذكور.

قال العلامة ملا علي القاري في شرحه على الحديث: ولعله مقتبس من قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ٧١/ ١٠ـ١٢].

وقد ورد: «من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل غمٍّ فرجاً، ومن كل ضيق فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب» رواه أحمد والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما[١].

١٧ـ عقاب من تبرأ من ولده، أو أحد والديه:

عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «من انتفى من ولده؛ ليفضحه في الدنيا؛ فضحه الله تبارك وتعالى يوم القيامة؛ على رؤوس الأشهاد؛ قصاص بقصاص» رواه أحمد، والطبراني في الكبير والأوسط، ورجال الطبراني رجال الصحيح خلا عبد الله بن أحمد، وهو ثقة إمام، قاله الهيثمي في المجمع (٥/ ١٥).

---

(١) شرح مسند أبي حنيفة لعلي القاري (ص٥٨٧).

وعن معاذ بن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لله تعالى عباداً لا يكلمهم الله يوم القيامة؛ ولا يزكيهم؛ ولا ينظر إليهم» قيل: مَنْ أولئك يا رسول الله؟! قال: «متبرىء من والديه؛ راغب عنهما، ومتبرىء من ولده» رواه أحمد، والطبراني، وزاد: «ولهم عذاب أليم» وفيه: زبان بن فائد، ضعفه أحمد وابن معين، وقال أبو حاتم: صالح، كذا قاله الهيثمي (٥/ ١٥).

وروى أحمد بإسناد صحيح وابن ماجه وأبو يعلى والبغوي وابن قانع وابن منده والطبراني وسعيد بن منصور، أن الخشخاش العنبري قال: أتيت النبي ﷺ، ومعي ابن لي، قال: فقال (أي: النبي ﷺ): «ابنك هذا؟» قال: قلت: نعم، قال: «لا تجني عليه، ولا يجني عليك»[١].

وروى الحاكم وقال: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي، عن أبي رمثة قال: انطلقت مع أبي نحو رسول الله ﷺ؛ فسلم عليه أبي، وجلسنا ساعة فقال رسول الله ﷺ لأبي: «ابنك هذا» قال: إي ورب الكعبة! قال: «حقاً» قال: أشهد به، فتبسم رسول الله ﷺ ضاحكاً من ثبت شبهي بأبي، ومن حلف أبي على ذلك، قال: ثم قال: «أمَا إن ابنك هذا؛ لا يجني عليك، ولا تجني عليه» قال: وقرأ رسول الله ﷺ:
﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ﴾ [النجم: ٥٣/ ٣٨-٥٦].

☆ ☆ ☆

---

(١) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٩٩٠).

الفصل الثاني

الطفـل من الولادة إلى الحولين

روى الطبراني عن عائشة رضي الله عنها قالت:
سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ربى صغيراً؛ حتى يقول: لا إله إلا الله لم يحاسبه الله»[1]

■ تمهيد أدعية عسر الولادة:

١ ـ عمل اليوم الأول من الولادة:
زكاة الفطر؛ والإرث ـ البشارة ـ الأذان والإقامة ـ الدعاء ـ التحنيك.

٢ ـ عمل اليوم السابع من الولادة:
التسمية ـ حلق الشعر ـ العقيقة ـ الختان.

٣ ـ الرضاعة إلى الحولين.

٤ ـ حكم بول الرضيع، وكيفية تطهيره.

٥ ـ جواز اصطحاب الأم لرضيعها إلى المسجد.

٦ ـ كراهية اصطحاب الطفل إلى المسجد في مرحلةعدم تعوّده ضبط التَّبوُّل والتبرز.

٧ ـ حق الحضانة للأم.

٨ ـ حق الولاية للأب.

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٥٩): رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه سليمان بن داود الشاذكوني، وهو ضعيف.

- **تمهيد: أدعية عسر الولادة:**

إن الطلق له آلامه؛ ومتاعبه الجسدية، والنفسية، وإن لحظة خروج المولود؛ من اللحظات الحرجة؛ لكلا الزوجين، وقد صورت الآية حالة مريم وهي في هذه اللحظات:

﴿ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾(1) [مريم: ١٩/ ٢٢-٢٣].

ومما يستحب ذكره أثناء الطلق ما علمه الرسول ﷺ أن يقال أثناء طلق ابنته فاطمة، فقد روى ابن السني بإسناد ضعيف: أن فاطمة رضي الله عنها لما دنا ولادها، أمر الرسول ﷺ أم سلمة، وزينب بنت جحش أن تأتيا فتقرأا عندها آية الكرسي، و: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٧/ ٥٤] و: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ١٠/ ٣] ويعوذاها بالمعوذتين(2).

ومما رواه ابن السني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إذا عسر على المرأة ولدها أخذ إناءً لطيفاً يكتب فيه: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: ٤٦/ ٣٥] إلى آخر الآية. و: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٧٩/ ٤٦] و: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١٢/ ١١١] ثم يغسل، ويسقي المرأة منه، وينضح على بطنها وفرجها»(3).

---

(1) قال محمد بن إسحاق: فلما حملت به، وملأت قلتها، ورجعت، استمسك عنها الدم، وأصابها ما يصيب الحامل على الولد من الوصب، والتوحم، وتغير اللون حتى فطر لسانها. مختصر ابن كثير (٢/ ٤٤٨).

(2) ذكره ابن تيمية في كتاب «الكلم الطيب» (ص٨٧) تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، وقال: رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٦٢٥) وإسناده ضعيف.

(3) عمل اليوم والليلة، باب: ما تعوذ به المرأة التي تطلق، رقم (٦٢٤).

والمرأة في هذه الساعات الشديدة العصيبة؛ بحاجة إلى التوجه بالدعاء إلى الله تعالى، وبقدر تضرعها إليه بصدق، وإخلاص، وتجديد التوبة النصوح، فسرعان ما ييسر الله تعالى عليها ولادتها، ويهيىء لها أسباب تحمل آلام المخاض، ومشاقه.

قال الشيخ ابن ظفر المكي[1]: «بلغني أن أبا السري منصور بن عمار رضي الله عنه أصاب أمه وجع الولادة، وعندها قابِلتها، وهو صبي بين يديها، فقالت له: يا منصور! بادر إلى أبيك فادْعه، فقال لها: أتستعينين في حال الشدة بمخلوق؛ لا يضر ولا ينفع، وأكون أنا رسولك إليه، قالت: الساعة أموت، قال لها: قولي يا الله أغثني، فقالت ذلك، فاندلق جنينها من ساعته».

وإن رعاية الله مستمرة للإنسان؛ ورحمته لا تنفك لحظة، وتيسيره لعباده من اللحظة الأولى، وهذا أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ [عبس: ٨٠/ ٢٠] فيخرج الطفل من بطن أمه، وينتهي دوام الحياة الجنينية، لتبدأ الحياة الطفلية، وهنا تبدأ حقوقه على وليه بما يلي:

أولاً ـ عمل اليوم الأول من الولادة:

١ـ إخراج زكاة الفطر: وستتكلم عنها في الفصل الثالث ـ إن شاء الله ـ.

٢ـ استحقاق الميراث: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا اسْتَهَلّ المولود وُرِّث[2]» رواه أبو داود.

وعن سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله، والمسور بن مخرمة قالا: قضى رسول الله ﷺ «لا يرث الصبي حتى يستهل صارخاً، واستهلاله أن يصيح؛ أو يعطس؛ أو يبكي»[3] ذكره أحمد بن حنبل في رواية ابنه عبد الله، وصححه ابن حبان.

---

(١) كتاب أنباء نجباء الأبناء، لابن ظفر المكي، المتوفى سنة (٥٦٥هـ). (ص١٦٣).
(٢) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٥٣).
(٣) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٥٢).

قال في «شرح السنة»: لو مات إنسان، ووارثه حمل؛ يوقف له الميراث، فإن خرج حياً كان له، وإن خرج ميتاً فلا يورث منه؛ بل لسائر ورثة الأول، فإن خرج حياً، ثم مات يورث منه، سواء استهلّ أو لم يستهلّ، بعد أن وُجدت فيه أمارة الحياة: من عطاس؛ أو تنفس، أو حركة دالة على الحياة[1].

٣ـ البشارة والتهنئة بالمولود الجديد:

المجتمع الإسلامي بصفته التكافلية الاجتماعية، لا يدع مناسبة فرح، أو حزن إلا أن يشارك أعضاء المجتمع الإسلامي بها؛ ليصبح البنيان مرصوصاً بشكل قوي.

والطفل الوليد الجديد، المنضمّ إلى هذا المجتمع الجديد عليه، يُرحَّب به أعضاؤه، ويسارعون لزفّ البشرى لوالديه، متمثلين بشارة الملائكة لرسل الله الكرام، عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام:

﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣/ ٣٩]. ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ١٩/ ٧].

وإن المسارعة في التهنئة، وزفّ البشرى، تزيد من دخول السرور على قلبي الوالدين، مما يجعل المجتمع الإسلامي قوي الارتباط، فيهنِّىء الضيفُ الوالدين بتهنئة الحسن البصري اللطيفة:

«بورك لك في الموهوب، وشكرتَ الواهب، ورُزقتَ برّه، وبلغ أشده». كما ذكر ذلك ابن القيم ـ رحمه الله ـ في «تحفة المولود».

٤ـ الأذان في أذنه اليمنى، والإقامة في أذنه اليسرى:

روى الإمام أحمد، والترمذي، أن رسول الله ﷺ: أَذَّن في أُذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة ـ أي: بأذانها ـ.

---

(١) المنتقى من أخبار المصطفى ﷺ، لابن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقي (٢/ ٤٦٧).

والسرّ في ذلك، وحكمته، كما قال الدهلوي ـ رحمه الله ـ:

١ـ الأذان من شعائر الإسلام.

٢ـ إعلام الدين المحمدي.

٣ـ ثم لا بد من تخصيص المولود بذلك الأذان؛ بأن يصوت في أذنه.

٤ـ عَلمت أن من خاصية الأذان؛ أن يفرّ منه الشيطان، والشيطان يؤذي الولد في أول نشأته، حتى ورد في الحديث أن استهلاله لذلك[1].

أخرج الشيخان عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من بني آدم مولود؛ إلا نخسه الشيطان؛ حين يولد؛ فيستهل صارخاً؛ من نخسه إياه؛ إلا مريم وابنها» ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣/ ٣٦].

ويكشف ابن القيم عن أسرار أخرى للتأذين، فيقول ـ رحمه الله ـ:

٥ـ أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان، كلماته المتضمنة لكبرياء الرب، وعظمته، والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام، فكان ذلك كالتلقين له؛ شعار الإسلام عند دخوله الدنيا، كما يلقن التوحيد عند خروجه منها.

٦ـ وغير مستنكر؛ وصول أثر التأذين إلى قلبه، وتأثيره به، وإن لم يشعر؛ مع ما في ذلك من فائدة أخرى، وهي:

٧ـ هروب الشيطان من كلمات الأذان، وهو كان يرصده؛ حتى يولد، فيقارنه للمحنة؛ التي قدرها الله، وشاءها، فيسمع شيطانه ما يضعفه؛ ويغيظه؛ أول أوقات تعلقه به.

٨ـ وفيه معنى آخر وهو: أن تكون دعوته إلى الله؛ وإلى دينه الإسلام؛ وإلى عبادته، سابقة على دعوة الشيطان، كما كانت فطرة الله التي فطر عليها؛ سابقة على تغيير الشيطان لها، ونقله عنها، ولغير ذلك من الحكم[2].

وسواء كان المولود ذكراً أو أنثى، فهو هبة الله؛ ونعمته على عباده، روى

(١) كتاب «حجة الله البالغة» للدهلوي.

(٢) «أحكام المولود» لابن القيم.

الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ولدت الجارية؛ بعث الله عز وجل إليها مَلَكاً يزف البركة زفاً، يقول: ضعيفة خرجت من ضعيفة، القَيِّم عليها معان إلى يوم القيامة؛ وإذا ولد الغلام؛ بعث الله إليه ملكاً من السماء، فقبّل بين عينيه، وقال: الله يقرئك السلام».

٥ـ الدعاء وشكر الله تعالى على النعمة الجديدة:

روى الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل؛ أو قال: أو ولد؛ فيقول: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، فيرى فيه آفة دون الموت».

٦ـ تحنيك المولود[1]:

في الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه قال: ولد لي غلام، فأتيت به النبي ﷺ فسماه إبراهيم، وحنكه بتمرة، وزاد البخاري: ودعا له بالبركة ودفعه إليّ. وفي الصحيحين عن هشام بن عروة عن أسماء رضي الله عنها أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة (قالت): فخرجتُ وأنا متمّ[2]، فأتيتُ المدينة، فنزلت بقباء، فولدته بقباء، ثم أتيتُ رسول الله ﷺ فوضعته في حجره، فدعا بتمرة، فمضغها، ثم تفل فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق الرسول ﷺ. قالت: ثم حنكه بالتمرة، ثم دعا له، وبَرَّكَ عليه، وكان أول مولود ولد في الإسلام للمهاجرين؛ في المدينة، قالت: ففرحوا به فرحاً شديداً، وذلك أنهم قيل لهم: إن اليهود قد سحرتكم؛ فلا يولد لكم.

---

(١) يقول الدكتور فاروق مساهل ـ مجلة الأمة القطرية عدد (٥٠) ـ في مقالته تحت عنوان: اهتمام الإسلام بتغذية الطفل، معلقاً على حديث التحنيك ما نصه: والتحنيك بكل المقاييس معجزة نبوية طبية، مكثت البشرية أربعة عشر قرناً من الزمان لكي تعرف الهدف والحكمة من ورائها، فلقد تبين للأطباء أن كل الأطفال الصغار (وخاصة حديثي الولادة والرضع) معرضون للموت لو حدث لهم أحد أمرين:

١ـ إذا نقصت كمية السكر في الدم (بالجوع).

٢ـ إذا انخفضت درجة حرارة أجسامهم عند التعرض للجو البارد المحيط بهم.

(٢) «أنا متم»: أي: دنا وِلادها.

وروى مسلم في صحيحه، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يؤتى بالصبيان فَيُبَرِّكُ عليهم؛ ويحنكهم، فأتي بصبي؛ فبال عليه، فدعا بماء، فأتبعه بوله.

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ معلقاً: قوله: «فيبرك عليهم»: أي يدعو لهم، ويمسح عليهم، وأصل البركة: ثبوت الخير؛ وكثرته، وقولها: «فيحنكهم»: قال أهل اللغة: التحنيك: أن يمضغ التمر؛ أو نحوه، ثم يدلك به حنك الصغير، وفيه لغتان مشهورتان: حنكته بالتخفيف والتشديد، والرواية هنا: فيحنِّكهم بالتشديد، وهي أشهر اللغتين، وقولها: «بصبي يَرضع» هو بفتح الياء، أي: رضيع، وهو الذي لم يفطم.

أما أحكام الباب:

ـ ففيه استحباب تحنيك المولود.
ـ وفيه التبرك بأهل الصلاح والفضل.
ـ وفيه استحباب حمل الأطفال إلى أهل الفضل للتبرك بهم، وسواء في هذا الاستحباب المولود في حال ولادته وبعدها.

ـ وفيه الندب إلى حسن المعاشرة، واللين؛ والتواضع؛ والرفق بالصغار وغيرهم»[(١)].

* **كيفية تحنيك النبي ﷺ للمولود:**

عن أنس رضي الله عنه قال: لما ولدت أم سليم غلاماً، أرسلت به معي، إلى النبي ﷺ؛ وحملت تمراً؛ فأتيت به رسول الله ﷺ؛ وعليه عباءة، وهو يهنأ بعيراً له، فقال رسول الله ﷺ: «هل معك تمر؟» قال: قلت: نعم، فأخذ التمرات؛ فألقاهن في فيه؛ فلاكهنّ؛ ثم جمع لعابه؛ ثم فغر فاه؛ فأوجره إياه، فجعل الصبي يتلمّظ، فقال رسول الله ﷺ: «حب الأنصار التمر»، فحنكه؛ وسماه عبد الله، فما كان في الأنصار شاب أفضل منه.

رواه أحمد في مسنده (٣/ ٨٨) ومختصراً في (٣/ ١٨٨). وكذا رواه مسلم والبخاري.

---

(١) شرح صحيح مسلم، باب: حكم بول الرضيع، وكيفية غسله.

ثانياً ـ عمل اليوم السابع:

١ـ تسمية الطفل:

فإذا ولد المولود فإن من أول الإكرام له، والبرّ به؛ أن يحلّيه باسم حسن، وكنية لطيفة، شريفة، فإن للاسم الحسن موقعاً في النفوس مع أول سماعه، وكذلك أمر الله عباده، وأوجب عليهم أن يدعوه بالأسماء الحسنى، فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٧/ ١٨٠].

وأمر أن يصفوه بالصفات العُلَى فقال: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١٧/ ١١٠] واختار النبي ﷺ أسماء أولاده اختياراً، وآثرها إيثاراً، ونحل محمد ابن الحنفية اسمه بعد ذلك، تشريفاً له، وإجلالاً، وإكراماً، وإفضالاً[١].

وذلك لما روى أبو يعلى في مسنده (١/ ٢٥٩) بسند صحيح عن محمد ابن الحنفية، عن علي رضي الله عنهما: أنه استأذن رسول الله ﷺ في إن وُلد له؛ بعده ولد؛ أن يسميه باسمه؛ ويكنيه بكنيته. قال: فكانت رخصة من رسول الله ﷺ. قال: وكان اسمه محمد؛ وكنيته أبو القاسم. قال المحقق حسين أسد: ورواه أبو داود، والترمذي، وابن سعد في الطبقات، والحاكم في المستدرك، وصححه، ووافقه الذهبي.

وروى أبو داود، والنسائي عن أبي وهب الجشمي قال: قال رسول الله ﷺ: «تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله تعالى: عبد الله، وعبد الرحمن، وأصدقها: حارث؛ وهمام، وأقبحها: حرب؛ ومرّة»[٢].

وروى أبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم تُدْعَوْنَ يوم القيامة بأسمائكم؛ وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم»

---

(١) مغني المحتاج (٤/ ٢٩٥).

(٢) في سنده مجهول، لكن يشهد لبعضه أحاديث صحيحة، انظر جامع الأصول (١/ ٣٥٧) ت. الأرناؤوط.

وأخرجه ابن حبان في صحيحه، ورجاله ثقات، إلا أن فيه انقطاعاً.

وروى مسلم، وأبو داود، والترمذي، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبُّ الأسماء إلى الله تعالى: عبد الله؛ وعبد الرحمن».

وروى الطبراني عن أبي بسرة مرفوعاً: «خيرُ أسمائكم: عبد الله؛ وعبد الرحمن؛ والحارث»[1].

وغدا الصحابة يطبقون هذا الحديث، حتى ذكر ابن الصلاح أن من يسمى «عبد الله» من الصحابة نحو (٢٢٠) نفساً، وقال العراقي: يجتمع من المجموع نحو (٣٠٠) رجل[2].

ومن لطيف ما صنعه النبي ﷺ أنه سمى ابن عباس بعبد الله يوم ولد. فعن ابن عباس قال: حدثتني أم الفضل بنت الحارث قالت: بينما أنا مارة؛ والنبي ﷺ في الحجر، فقال: «يا أم الفضل!» قلت: لبيك يا رسول الله! قال: «إنك حامل بغلام» قلت: كيف، وقد تحالفت قريش لا يولدون النساء؟ قال: «هو ما أقول لكِ، فإذا وضعتيه؛ فأتني به». فلما وضعته؛ أتيت النبي ﷺ، فسماه «عبد الله» ثم قال: «اذهبي به؛ فلتجدنه كيِّساً» قالت: فأتيت العباس؛ فأخبرته؛ فتبسم؛ ثم أتى النبي ﷺ وكان رجلاً جميلاً، مديد القامة، فلما رآه النبي ﷺ قام إليه، فقبّل ما بين عينيه؛ وأقعده عن يمينه، ثم قال: «هذا عمي، فمن شاء فليباه بعمه». قال العباس: بعض القول يا رسول الله!، قال: «ولم لا أقول؛ وأنت عمي؛ وبقية آبائي؟! والعم والد»[3].

وروى مسلم وأبو داود عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ولد لي الليلة غلام؛ فسميته باسم أبي إبراهيم».

وأخرج مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال: ولد لرجل منا غلام،

---

(١) صحيح انظر صحيح الجامع رقم (٣٢٦٩).
(٢) عن «المنهل اللطيف في أصول الحديث» للشيخ محمد بن علوي المالكي الحسني (ص١٩٤).
(٣) المصدر السابق (ص٢٣٠).

فسمّاه القاسم، فقلنا: لا نكنيك أبا القاسم؛ ولا نُنْعِمُكَ عيناً، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: «سَمِّ ابنك عبد الرحمن».

وأخرج أيضاً قال: وُلد لرجل منا غلام فسماه محمداً، فقال له قومه: لا ندعك تسمي باسم رسول الله ﷺ. فانطلق بابنه؛ حامله على ظهره، فأتى به النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! وُلد لي غلام؛ فسميته محمداً، فقال لي قومي: لا ندعك تُسمي باسم رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «تسمّوا باسمي، ولا تكتنوا بكنيتي، فإنما أنا قاسم؛ أقسم بينكم».

ويقرر النبي ﷺ أن الأمم المؤمنة السابقة، كانت تسمي أبناءها بأسماء أنبيائها، وصالحيها: أخرج مسلم عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: لما قدمت نجران سألوني فقالوا: إنكم تقرؤون ﴿يا أخت هارون﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلما قدمتُ على رسول الله ﷺ؛ سألته عن ذلك فقال: «إنهم كانوا يُسمّون بأنبيائهم؛ والصالحين قبلهم» ورواه أحمد، والترمذي، والنسائي، وعبد بن حميد، وابن أبي شيبة، وغيرهم(١).

وقد اختار الصحابي الجليل الزبير بن العوام أسماء شهداء الصحابة لأبنائه، رجاء أنْ يسلكوا سلوكهم، فينالوا درجة الشهادة في سبيل الله:

يقول الزبير رضي الله عنه: «إن طلحة بن عبيد الله التميمي يسمي بنيه بأسماء الأنبياء، وقد علم أن لا نبي بعد محمد ﷺ، وإني أسمّي بنيّ بأسماء الشهداء؛ لعلهم أن يستشهدوا».

وعلى هذه القاعدة، وذلك المذهب جاءت أسماء بأبنائه، فسمى «عبد الله» بعبد الله بن جحش شهيد غزوة أحد، و«المنذر» بالمنذر بن عمرو الأنصاري من بني ساعدة، و«عروة» بعروة بن مسعود الثقفي، و«حمزة» بحمزة بن عبد المطلب شهيد أحد، و«جعفراً» بجعفر بن أبي طالب شهيد غزوة مؤتة، و«مصعباً» بمصعب بن عمير حامل اللواء وشهيد أحد، و«عبيدة» بعبيدة بن الحارث شهيد

---

(١) انظر: حسن الأسوة (ص١٣٥).

غزوة بدر، و«خالداً» بخالد بن سعيد شهيد مرج الصفر، و«عمر» بعمر بن سعيد أخي خالد قتل يوم اليرموك[1].

وبعد تسمية المولود الأول فإن أبويه يُكْنَيَانِ باسمه:

روى أبو داود، والنسائي عن أبي شريح: أنه كان يسمى أبا الحكم، فقال له النبي ﷺ: «إنَّ اللهَ هو الحَكَم، وإليه الحُكْم». فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني؛ فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين، فقال: «ما أحسن هذا! فما لك من الولد؟» فقلت: شريح؛ ومسلم؛ وعبد الله، قال: «فمن أكبرهم؟» قلت: شريح، قال: «أنت أبو شريح»[2].

ورواه الحاكم، وزاد: «فدعا له ولولده».

قال في «شرح السنة»: الحَكَم: هو الحاكم الذي إذا حكم؛ لا يردّ حكمه، وهذه الصفة؛ لا تليقُ بغير الله تعالى، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ [الرعد: ١٣/ ٤١].

«وفيه: أن يكنىٰ الرجل بأكبر بنيه، فإن لم يكن له ابن؛ فبأكبر بناته، وكذلك المرأة؛ تكنى بأكبر بنيها، فإن لم يكن لها ابن؛ فبأكبر بناتها[3].

ومن ثم تكنية المولود لما كان النبي ﷺ ينادي الطفل الصغير بكنيته، وليس باسمه، فيمازحه بقوله: «يا أبا عمير! ما فعل النغير؟» والحديث رواه مسلم.

وإن الشيطان ليوحي بالأسماء القبيحة والأسماء غير الشرعية:

لذا السعيد والسعيدة من ابتعد عن ذلك:

روى الترمذي عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما حملت حواء ـ عليها السلام ـ طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد،

---

(١) انظر تربية النشء في ظل الإسلام (ص١٢٤) للدكتور محمود محمد عمارة.
(٢) إسناده صحيح. انظر جامع الأصول (١/ ٣٧٣) ت. الأرناؤوط.
(٣) شرح السنة (٦/ ٣٩٤) والحديث رواه أبو داود والنسائي والبخاري في الأدب المفرد والحاكم، كذا قاله محقق شرح السنة، طبع دار الكتب العلمية.

فقال: سمّيه عبد الحارث؛ فإنه يعيش، فسمته؛ فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره».

ومن الأسماء المكروه التسمية بها:

ما رواه مسلم واللفظ له، والترمذي، وأبو داود: «لا تُسمين غلامك يساراً؛ ولا رباحاً؛ ولا نجيحاً؛ ولا أفلح».

وما رواه الترمذي عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأنهينَّ أن يسمى رافع؛ وبركة؛ ويسار»(١).

وإنك لتلحظ اهتمام النبي ﷺ أنه كان يغير الأسماء القبيحة:

أخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يغير الاسم القبيح(٢).

فمن ذلك أنه غيّر اسم برّة إلى زينب:

روى مسلم وأبو داود عن محمد بن عمرو بن عطاء ـ رحمه الله تعالى ـ قال: سميت ابنتي برّة، فقالت لي زينب بنت أبي سلمة: إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم؛ وسُمّيتُ برّة، فقال رسول الله ﷺ: «لا تُزكوا أنفسكم، الله أعلم بأهل البر منكم» فقالوا: بم نُسميها؟ قال: «سموها زينب».

وغيّر اسم عاصية إلى جميلة:

أخرج مسلم وأبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ غير اسم عاصية، وسماها جميلة.

وغيّر اسم أصرم إلى زُرْعة:

أخرج أبو داود عن بشير بن ميمون رضي الله عنه عن عمه أسامة بن أخدري:

---

(١) إسناده قوي. انظر جامع الأصول (١/ ٣٧١) ت. الأرناؤوط.

(٢) إسناده صحيح، المصدر السابق. وانظر صحيح الجامع رقم (٤٩٩٤) وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٢٠٧).

أن رجلاً كان اسمه: أصرم، وكان في نفرٍ أتوا النبي ﷺ، فقال له: «ما اسمك؟» قال: أصرم، قال: «بل أنتَ زُرْعة».

كيف نختار اسماً حسناً للطفل؟ هناك ثلاثة خيارات يقدمها الإمام الماوردي:

١ـ منها أن يكون الاسم مأخوذاً من أسماء أهل الدين، من الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين، ينوي بذلك التقرب إلى الله ـ جل اسمه ـ بمحبتهم، وإحياء أسمائهم، والاقتداء بالله ـ جل اسمه ـ في اختيار تلك الأسماء لأوليائه، وما جاء به الدين، كما قد روينا عنه أن أحب الأسماء إلى الله: عبد الله وأمثاله.

قال الشيخ الدهلوي(١) رحمه الله:

«اعلم أن أعظم المقاصد الشرعية؛ أن يدخل ذكر الله في تضاعيف ارتفاقاتهم الضرورية؛ ليكون كل ذلك ألسنة تدعو إلى الحق، وفي تسمية المولود بذلك إشعار بالتوحيد، وأيضاً فكان العرب وغيرهم يسمون الأولاد بمن يعبدونه، ولما بعث النبي ﷺ مقيماً لمراسم التوحيد، وجب أن يسن في التسمية أيضاً مثل ذلك، وإنما كان الاسمان(٢) أحب من سائر ما يضاف فيه العبد إلى اسم من أسماء الله تعالى؛ لأنهما أشهر الأسماء، ولا يطلقان على غيره، بخلاف غيرهما، وأنت تستطيع أن تعلم من هذا؛ سرّ استحباب تسمية المولود بمحمد؛ وأحمد، فإن طوائف الناس؛ أولعوا بتسمية أولادهم بأسماء أسلافهم المعظمين عندهم، وكاد يكون ذلك تنويهاً بالدين، وبمنزلة الإقرار بأنه من أهله.

٢ـ ومنها أن يكون الاسم؛ قليل الحروف؛ خفيفاً على الألسن، سهلاً في اللفظ، سريع التمكن من السمع.

٣ـ ومنها أن يكون حسناً في المعنى؛ ملائماً لحال المسمى، جارياً في أسماء أهل طبقته؛ وملته؛ وأهل مرتبته(٣).

---

(١) في كتابه «حجة الله البالغة».

(٢) أي: عبد الله، وعبد الرحمن.

(٣) نصيحة الملوك (ص١٦٦).

٢ـ حلق شعره:

روى الإمام مالك: أن فاطمة رضي الله عنها وزنت شعر حسن، وحسين، وأم كلثوم، فتصدقت بزنة ذلك فضّة.

وذكر ابن إسحاق: أنَّ رسول الله ﷺ قال لفاطمة حينما ولدت الحسن: «يا فاطمة! احلقي رأسه؛ وتصدقي بزنة شعره فضة» فوزنته؛ فكان وزنه درهماً؛ أو بعض درهم.

قال الشيخ الدهلوي ـ رحمه الله ـ معلقاً على الحديث: السبب في التصدق بالفضة: «أن الولد لما انتقل من الجنينية إلى الطفلية؛ كان ذلك نعمة؛ يجب شكرها، وأحسن ما يقع به الشكر؛ ما يُؤذن[1] أنه عوضه، فلما كان شعر الجنين؛ بقية النشأة الجنينية، وإزالته أمارة للاستقلال بالنشأة الطفلية، وجب أن يؤمر بوزن الشعر فضة، وأما تخصيص الفضة؛ فلأن الذهب أغلى؛ ولا يجده إلا غني، وسائر المتاع ليس له بال، بزنة شعر المولود».

٣ـ العقيقة[2]:

روى الإمام أحمد والترمذي وأبو داود والنسائي والحاكم وابن حبان في صحيحه عن أم كرز الكعبية: أنها سألت رسول الله ﷺ عن العقيقة؟ فقال ﷺ: «عن الغلام شاتان، وعن الجارية شاة، لا يضركم أذكراناً كُنَّ أم إناثاً».

وروى أصحاب السنن عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل غلام رهينة[3] بعقيقته؛ تذبح عنه يوم سابعه، ويسمى فيه، ويحلق رأسه».

---

(١) أي: يشعر.

(٢) جاء في «العين» للخليل بن أحمد الفراهيدي (ص٦٢) قال: «العرب تقول: عقَّ الرجل عن ابنه، يعقُّ؛ إذا حلق عقيقته، وذبح عنه شاة، وتسمى الشاة التي تُذبح لذلك: عقيقة، والعقّة: العقيقة وتجمع عقيقاً، والعقيقة: الشعر الذي يُولَد الولد به، وتسمى الشاة التي تذبح لذلك عقيقة، يقع اسم الذَّبح على الطعام، ويقال: أعقّت الحاملُ إذا نبتَت العقيقة على ولدها في بطنها، فهي مُعِقّ وعقوق».

(٣) أي: كالشيء المرهون لا يتم الانتفاع والاستمتاع به دون فكه، ويحتمل أنه أراد =

وروى الإمام أحمد عن أسماء بنت يزيد مرفوعاً: «العقيقة حق، عن الغلام شاتان متكافئتان، وعن الجارية شاة»[1].

وروى الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً: «عن الغلام عقيقتان، وعن الجارية عقيقة»[2].

وروى الطبراني والضياء عن بريدة مرفوعاً: «العقيقة تُذبح لسبع؛ أو لأربع عشرة؛ أو لإحدى وعشرين»[3].

وكان أنس رضي الله عنه يعق عن بنيه الجزور[4].

ومن شدة اهتمام السلف الصالح بأمر العقيقة، أن الذي لا يجد مالاً؛ لكي يعق عن ولده، عق بعصفور: فقد روى مالك في الموطأ[5] بسنده عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أنه قال: «سمعت أبي يستحب العقيقة ولو بعصفور».

قال الإمام مالك بعدها: الأمر عندنا في العقيقة: أنَّ من عق؛ فإنما يعقُّ عن ولده بشاة، شاة للذكور والإناث، وليست العقيقة بواجبة، ولكنها يستحب العمل بها، وهي من الأمر الذي لم يزل عليه الناس عندنا، فمن عقّ عن ولده، فإنما هي

= بذلك أن سلامة المولود ونشأته على النعت المحبوب رهينة بالعقيقة، وهذا هو المعنى كما قال الدهلوي.
والحديث صحيح، انظر صحيح الجامع (٤١٨٤) وقال: رواه الترمذي، والحاكم.
وقال الخطابي: وأجود ما قيل فيه ما ذهب إليه أحمد بن حنبل: أنه إذا لم يعق عنه لم يشفع في والديه يوم القيامة، ونقله الحليمي عن جماعة متقدمة على أحمد» انظر شرح المحتاج للشربيني (٤/ ٢٩٣).

(١) صحيح. انظر صحيح الجامع رقم (٤١٠٦_٤١٠٧).
(٢) صحيح. انظر صحيح الجامع رقم (٤١٣٢).
(٣) رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح، كذا قاله الهيثمي في المجمع (٤/ ٥٩).
(٤) أي: يذبح.
(٥) الموطأ ـ كتاب العقيقة.

بمنزلة النُّسُك؛ والضحايا، لا يجوز فيها: عوراء؛ ولا عجفاء؛ ولا مكسورة؛ ولا مريضة؛ ولا يباع من لحمها شيء، ولا جلدها، ولا يُكسر عظامها؛ ويأكل أهلها من لحمها، ويتصدَّقون منها؛ ولا يُمسُّ الصبي بشيء من دمها»[1]

قال الشيخ الدهلوي رحمه الله: «يستحب لمن وجد الشاتين؛ أن ينسك بهما عن الغلام، وذلك لما عندهم أن الذكران أنفع لهم من الإناث، فتناسب زيادة الشكر؛ وزيادة التنويه».

وأما سبب الأمر بالعقيقة فهو: أن العرب كانوا يعقّون عن أولادهم، وكانت العقيقة أمراً لازماً عندهم، وسُنَّة مؤكدة، وكان فيها مصالح كثيرة؛ راجعة إليه المصلحة الملية؛ والمدنية؛ والنفسية؛ فأبقاها الرسول ﷺ وعمل بها ورغّب الناس فيها».

إلا أن رسول الله ﷺ غيّر في تقاليدها:

فعن بريدة رضي الله عنه قال: «كنا في الجاهلية إذا ولد لنا غلام؛ ذبحنا عنه شاة؛ ولطخنا رأسه بدمها، فلما كان الإسلام؛ كنا إذا ولد لنا غلام؛ ذبحنا عنه شاة؛ وحلقنا رأسه، ولطخنا رأسه بزعفران» رواه الحاكم في مستدركه (٤/ ٢٣٨) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبي.

وقال الشربيني ـ رحمه الله ـ: «ويكره لطخ رأس المولود بدمها، لأنه من فعل الجاهلية، وإنما لم يحرم للخبر الصحيح كما في (المجموع) أنه ﷺ قال: «مع الغلام عقيقة، فأهرقوا عليه دماً، وأميطوا عنه الأذى» بل قال الحسن وقتادة: أنه يستحب ذلك، ثم يغسل؛ لهذا الخبر، ويسن لطخ رأسه بالزعفران والخلوف؛ كما صححه في (المجموع). ا.هـ» شرح المحتاج (٤/ ٢٩٤).

مصالح الأمر بالعقيقة وحِكَمُها[2]:

١ـ التلطف بإشاعة نسب الولد: إذ لا بد من إشاعته، لئلا يقال فيه ما لا يحبه،

---

(١) المصدر السابق.

(٢) من (١) إلى (٤) من كتاب «حجة الله البالغة للدهلوي» رحمه الله ومن (٥ـ٦) من «أحكام المولود» لابن القيم ـ رحمه الله ـ.

ولا يحسن أن يدور في السكك؛ فينادي أنه ولد لي ولد؛ فتعين التلطف بمثل ذلك.

٢ـ ومنها: اتباع داعية السخاوة؛ وعصيان داعية الشح.

٣ـ ومنها: أن النصارى كان إذا ولد لهم ولد؛ صبغوه بماء أصفر، يسمونه المعمودية، وكانوا يقولون: يصير الولد به نصرانياً، وفي مشاكلة هذا الاسم؛ نزل قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ٢/ ١٣٨]. فاستحب أن يكون للحنيفيين فعل بإزاء فعلهم بذلك، يُشعر بكون الولد حنيفياً، تابعاً لملة إبراهيم؛ وإسماعيل عليهما السلام، وأشهر الأفعال المختصة بهما؛ المتوارثة في ذريتهما، ما وقع ـ عليه السلام ـ من الإجماع على ذبح ولده، ثم نعمة الله عليه؛ أن فداه بذبح عظيم، وأشهر شرائعهما الحج الذي فيه الحلق والذبح، فيكون التشبه بهما في هذا؛ تنويهاً بالملة الحنيفية؛ ونداء أن الولد قد فُعل به ما يكون من أعمال هذه الملة.

٤ـ ومنها: أن هذا الفعل في بدء ولادته، يخيل إليه أنه بذل ولده في سبيل الله، كما فعل إبراهيم عليه السلام وفي ذلك تحريك سلسلة الإحسان، والانقياد.

٥ـ أنها قربان يُقَرَّبُ به عن المولود: في أول أوقات خروجه إلى الدنيا، والمولود ينتفع بذلك غاية الانتفاع، كما ينتفع بالدعاء له، وإحضاره مواضع المناسك، والإحرام عنه، وغير ذلك.

٦ـ أنها تفكّ ارتهان المولود: فإنه مرتهن بعقيقته، قال الإمام أحمد: مرتهن عن الشفاعة لوالديه، وقال عطاء بن أبي رباح: مرتهن بعقيقته قال: يحرم شفاعة ولده.

وجعل الله النسيكة عن الولد؛ سبباً لفك رهانه من الشيطان؛ الذي يعلق به، من حين خروجه إلى الدنيا؛ وطَعْنه في خاصرته، فكانت العقيقة فداء، وتخليصاً له من حبس الشيطان له؛ وسجنه في أسره، ومنعه له؛ من سعيه في مصارع آخرته التي إليها معاده، فكأنه محبوس لذبح الشيطان له بالسكين التي أعدها لأتباعه وأوليائه، وأقسم لربه أنه ليستأصلن ذرية آدم إلا قليلاً منهم، فهو بالمرصاد للمولود من حين يخرج إلى الدنيا، فحين يخرج يبتدره عدوه، ويضمه إليه،

ويحرص على أن يجعله في قبضته، وتحت أسره، ومن جملة أوليائه وحزبه، فهو أحرص شيء على هذا وأكثر المولودين من أقطاعه وجنده، كما قال تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الإسراء: ١٧/ ٦٤]. وقال: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ [سبأ: ٣٤/ ٢٠] فكان المولود بصدد هذا الارتهان، فشرع الله سبحانه للوالدين أن يفكاه بذبح يكون فداه، فإذا لم يذبح عنه بقي مُرْتَهناً به».

ويبقى السؤال: ما هي الحكمة في تخصيص اليوم السابع؟

فيجيب الشيخ الدهلوي رحمه الله:

ـ وأما تخصيص اليوم السابع فلأنه:

«لا بد من فصل بين الولادة والعقيقة، فإن أهله مشغولون بإصلاح الوالدة، والولد في أول الأمر، فلا يكلفون حينئذ بما يضاعف شغلهم؛ وأيضاً فرب إنسان لا يجد شاة إلا بسعي، ولو كانت في أول يوم؛ لضاق الأمر عليهم، والسبعة الأيام مدة صالحة للفصل المعتد به غير الكثير.

ـ وأما إماطة الأذى فللتشبه بالحاج، وقد ذكرنا.
ـ وأما التسمية فلأن الطفل قبل ذلك لا يحتاج أن يسمى»[1].

«ولا تجوز العقيقة من مال المولود؛ لأن العقيقة تبرع، فإن فعل ذلك الولي ضمن، كما نقله النووي في المجموع»[2].

٤ـ الختـان[3]:

تعريفه: لغة: قطع القلفة، أي: الجلدة التي على رأس الذَّكَر.
وأما اصطلاحاً: هو الحرف المستدير على أسفل الحشفة، أي: موضع

---

(١) حجة الله البالغة (٢/ ١٤٤).
(٢) شرح المحتاج (٤/ ٢٩٣).
(٣) انظر في البخاري كتاب (٧٧) باب (٦٣) وكتاب (٧٩) باب (٥١) ومسلم كتاب (٢ ح٤٩ و٥٠) وفي أبي داود كتاب (٣٢) باب (١٦) والترمذي كتاب (٤١) باب (١٤) والنسائي كتاب (٨) باب (١و٧٥) ومسند أحمد (٢/ ٢٢٩ـ٢٣٩ ـ ٢٨٣ ـ ١٤٠ ـ ٤٨٩ و٤/ ٢٦٤).

القطع من الذَّكَر، وهو الذي تترتب عليه الأحكام الشرعية، كما روى الإمام أحمد والترمذي والنسائي عن النبي ﷺ: «إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل»(١).

ما ورد في الحضّ على الختان:

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: «من الفطرة: المضمضة؛ والاستنشاق؛ وقص الشارب؛ والسواك؛ وتقليم الأظافر؛ ونتف الإبط، والاستحداد(٢)، والاختتان».

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الفطرة خمس: الختان، والاستحداد؛ وقص الشارب؛ وتقليم الأظافر، ونتف الإبط».

وروى أحمد عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «الختان سنّة للرجال؛ مكرمة للنساء»(٣).

وهكذا نجد اهتمام الإسلام وحرصه على ختن الصبي(٤) والبنت. وذلك يبدأ بعد اليوم السابع، وذلك لما رواه البيهقي عن جابر رضي الله عنه أنه قال: «عقّ رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام».

وقال ابن جزيّ: «ويكره الختان يوم الولادة؛ ويوم السابع؛ لأنه من فعل اليهود».

وأول من اختتن هو سيدنا إبراهيم عليه السلام، اختتن وهو ابن ثمانين سنة؛ وذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن إبراهيم عليه السلام اختتن وهو ابن ثمانين سنة» وفي رواية: «أنه أول من أضاف الضيف، وأول من لبس السراويل، وأول من اختتن».

---

(١) صحيح، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٢٦١).

(٢) «الاستحداد»: حلق الشعر الذي يخرج حول الفرج.

(٣) قال ابن جزيّ: سنة مؤكدة عند مالك، وأبي حنيفة، وقال الشافعي: فرض. انظر القوانين الفقهية لابن جزي.

(٤) قال ابن جزي: يختن الرجال الصبيان، ويخفض النساء الجواري.

واستمر الختان بعده في الرسل وأتباعهم؛ حتى بعثة الرسول ﷺ، وإن الختان هو سنة الأنبياء والمرسلين تقتدي بهم البشرية لتحظى بالاتباع السليم.

فقد روى الترمذي والإمام أحمد عن أبي أيوب قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع من سنن المرسلين: الختان، والتعطر، والسواك، والنكاح».

وروى البخاري عن سعيد بن جبير قال: سئل ابن عباس رضي الله عنهما: مِثل من أنتَ؛ حين قُبض رسول الله ﷺ؟ قال: «أنا يومئذ مختون، وكانوا لا يختنون الرجل حتى يُدْرِك».

وفي رواية الحاكم في مستدركه (٣/ ٥٣٤): «توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن خمس عشرة وقد ختنت».

ويستحب الدعوة لطعام الختان، وهو «الإعذار» ولا يفعل ذلك في خفاض النساء للستر(١).

ومن شدة حرص الإسلام على الختان أنه إذا أسلم رجل؛ ولم يكن مختوناً؛ وجب عليه الختان، بالإضافة إلى الغسل، وذلك لما رواه أحمد وأبو داود عن عثيم بن كليب، عن أبيه، عن جده، أنه جاء إلى النبي ﷺ فقال: قد أسلمت قال: «ألقِ(٢) عنك شعر الكفر؛ واختتن».

وروى حرب في مسائله عن الزهري أن رسول الله ﷺ قال: «من أسلم فليختتن؛ وإن كان كبيراً».

ومن شدة الاهتمام كذلك أنه لا تُقبل صلاة للأقلف ـ غير المختون ـ فقد روى وكيع عن سالم، عن عمرو بن هرم، عن جابر، عن يزيد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الأقلف لا تُقبل له صلاة، ولا تؤكل ذبيحته».

ومن شدة الاهتمام كذلك ما قاله ابن قتيبة(٣) في قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ

---

(١) انظر القوانين الفقهية لابن جزي (ص٢١٤).

(٢) أي: احلق شعر رأسك.

(٣) تأويل مشكل القرآن (ص١٤٩).

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾ [البقرة: ٢/ ١٣٨] يريد: الختان، فسماه صبغة، لأن النصارى كانوا يَصْبُغُون أولادهم في ماء، ويقولون: هذا طهرة لهم؛ كالختان للحُنفاء، فقال الله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ أي: الزموا صبغة الله؛ لا صبغة النصارى أولادهم، وأراد بها ملة إبراهيم عليه السلام.

ومن اللطائف الفقهية في أمر الختان ما ذكره الخطابي: «أما الختان ـ وإن كان مذكوراً في جملة السنن ـ فإنه عند كثير من العلماء على الوجوب، وذلك أنه شعار الدين، وبه يعرف المسلم من الكافر، إذا وجد المختون بين جماعة قتلى غير مختونين، صُلي عليه، ودفن في مقابر المسلمين»(١).

ثالثاً ـ الرضاعة إلى الحولين والفطام:

إن الإسلام حين ربط الرجل والمرأة برباط الزوجية، وجمعهما في مستقر واحد هو الأسرة، حَمّل كلاًّ منهما المسؤولية؛ لتكوين اللبنة الصالحة؛ في بناء المجتمع الصالح، وجعل لكل من الزوجين واجبات وحقوقاً، فعلى الزوج الإنفاق؛ وعلى الزوجة الإرضاع، إرضاع طفلها المولود؛ الذي هو بحاجة إلى أن تتلمس يداه صدر أمه؛ ليجد المتعة النفسية، والراحة العاطفية، ويتغذى لبن أمه مع الحنان الدافق، ويمصّ حليب أمه من ثدييها، اللذين هيأهما الخالق جل وعلا لذلك، وهيأ المعمل الذي يولد الحليب في صدر الأم؛ فقيرة كانت أو غنية، وذلك للحفاظ على نشأة الطفل الضغير؛ والمولود الجديد؛ في هذا العالم الغريب.

ولقد كانت عادة العرب الإرضاع؛ بل إنها عادة الإنسانية جميعاً من قبل، فأخبر القرآن عن سيدنا موسى عليه السلام ﴿ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ ﴾ [القصص: ٢٨/ ١٢] ونشأ رسول الله ﷺ على الإرضاع، فأرضعته حليمة السعدية، فأصبحت بذلك أمه من الرضاع، وجعل الله تعالى لهذا الإرضاع أحكاماً شرعية، فمنها: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ

(١) انظر: «تربية الأولاد في الإسلام».

﴿وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ [النساء: ٤/ ٢٣].

ولم يُعرف الحليب والإرضاع الاصطناعيان؛ إلا في هذا العصر، الذي ما لبث أن عاد ينادي؛ وبصراخ شديد؛ للعودة إلى الإرضاع الطبيعي. والمسلم الملتزم بالشرع الإسلامي، لم يكن في حاجة إلى التنقل من الإرضاع الطبيعي إلى الاصطناعي؛ ثم الطبيعي، فهو يستقي من منهج الله تعالى، ويسير عليه، حتى جاء الخطاب القرآني إلى الأم يدعوها بالاهتمام برضاعة طفلها من صدرها، في أحلك الظروف الصعاب على الرغم من سوء العلاقة مع زوجها، وحتى بعد طلاقها من زوجها. إنه الاهتمام بالطفل، والتشريع الرباني للطفل، والعدل الإلهي في حق هذا الطفل: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٣٣].

«إن على الوالدة المطلَّقة واجباً تجاه طفلها الرضيع؛ واجباً يفرضه الله عليها، ولا يتركها فيه لفطرتها؛ التي قد تفسدها الخلافات الزوجية، فيقع الغرم على هذا الصغير. إذاً يكفله الله ويفرض له في عنق أمه الإرضاع، وتأخذ من أبيه الأجر، فالله أولى بالناس من أنفسهم، وأبرّ منهم؛ وأرحم من والديهم، والله يفرض للمولود على أمه أن ترضعه حولين كاملين؛ لأنه سبحانه يعلم أن هذه الفترة؛ هي المثلى من جميع الوجوه: الصحية؛ والنفسية؛ للطفل.

(لمن أراد أن يتم الرضاعة) وتثبت البحوث الصحية والنفسية اليوم أن فترة عامين ضرورية؛ لينمو الطفل نمواً سليماً؛ من الوجهتين الصحية والنفسية؛ ولكن نعمة الله على الجماعة المسلمة لا تتركهم؛ حتى يعلموا هذا من تجاربهم، فالرصيد الإنساني من ذخيرة الطفولة؛ لم يكن ليترك يأكله الجهل؛ كل هذا الأمد الطويل، والله رحيم بعباده، وبخاصة بهؤلاء الصغار الضعاف؛ المحتاجين للعطف والرعاية[1].

ولم يكتف الإسلام أن يحافظ على رضاعة الطفل بعد طلاق أبويه، بل تعدى

---

(١) الظلال (٢/ ٣٧١) (ط ٤).

ذلك بأن أخّر إقامة الحد على أمه الزانية، وذلك حتى تنتهي رضاعته من ثدي أمه، إنها الرحمة بالطفل؛ والحرص عليه، أن ينشأ قوي الجسم، صحيحاً غير سقيم:

روى الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٣٤٨) قصة المرأة الغامدية التي زنت؛ فقال لها النبي ﷺ: «ارجعي حتى تلدي»، فلما ولدت؛ جاءت بالصبي تحمله، فقالت: يا نبي الله! هذا قد ولدت، قال: «فاذهبي؛ فأرضعيه حتى تفطميه»، فلما فطمته؛ جاءت بالصبي، في يده كسرة خبز، قالت: يا نبي الله! هذا قد فطمته، فأمر النبي ﷺ بالصبي فدفع إلى رجل من المسلمين، وأمر بها؛ فحفر لها حفرة.. وذكر حديث الرجم.

وأكد الطبيب البارع ابن سينا على أهمية الرضاعة الطبيعية بقوله: «إنه يجب أن يرضع ما أمكن من لبن أمه، فإن في إلقامه ثدي أمه؛ عظيم النفع جداً؛ في دفع ما يؤذيه».

أما الطبيب البلدي فقال: «فالأخلق بلبن الأم؛ أن يكون أوفق الألبان كلها؛ لسائر الأطفال، إن لم يكن لها علة؛ أو سبب، يفسد اللبن»[١].

ويضيف أن الإرضاع فيه: «سلامة الأم والطفل، ونفع له ولها؛ وحفظ لصحتها وصحته».

وهنا نجد أن الطبيب البلدي قد سبق أطباء اليوم؛ في إثبات الرضاعة من ثدي الأم، حيث يقيها عدداً من الأمراض منها سرطان الثدي.

وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان لا يفرض[٢] لمولود حتى يُفطم، فتراجع عن ذلك، وفرض له من حين ولادته، حتى تطول فترة الإرضاع، فبينما

---

(١) تدبير الحبالى والأطفال والصبيان، تأليف أحمد بن محمد بن يحيى البلدي، تحقيق الدكتور محمود الحاج قاسم محمد، وزارة الثقافة العراقية (ص١٨٦).

(٢) في عصرنا يسمى علاوة، أي: زيادة الراتب الشهري للموظف الحكومي، عندما يرزق بمولود، إلا أن عمر رضي الله عنه كان يفرض مالاً لوالده سواء كان موظفاً حكومياً، أو غير حكومي، وهذا سبق حضاري لعمر رضي الله عنه.

هو يطوف ذات ليلة بالمصلى، بكى صبي، فقال لأمه: أرضعيه، فقالت: إن أمير المؤمنين لا يفرض لمولود حتى يفطم، وإني فطمته، فقال عمر: إنْ كِدْتُ لأن أقتله؛ أَرْضعيه، فإن أمير المؤمنين سوف يفرض له، ثم فرض بعد ذلك للمولود حين يولد»[1]. وبذلك تحقق وعد الله تعالى: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ١٧/ ٣١] من اللحظة الأولى.

وللرضاعة من ثدي الأم مزايا عديدة ومتنوعة:

إن الطفل تَكَوَّنَ من غذاء أمه وهو جنين، فهو يتابع غذاءه بحليب أمه وهو رضيع، فالحليب الطبيعي هو امتداد لتكوينه، وهذا من أقوى الأسباب للرضاعة الطبيعية. وهناك حكماً ذكرها بعض الأطباء منها:

١ـ فالطفل يرضع لبناً نظيفاً، معقماً.
٢ـ ليس بارداً، ولا حاراً.
٣ـ متوافراً في كل الأوقات.
٤ـ لا يفسد بالتخزين.
٥ـ يتناسب مع معدة الرضيع.
٦ـ يفي باحتياجات الطفل الرضيع.
٧ـ يُضفي على الطفل مناعة خاصة ضد الجراثيم.
٨ـ الرضاعة المباشرة من ثدي الأم تمنع حدوث البدانة في الأطفال، وفي الأمهات.
٩ـ والرضاعة من ثدي الأم تنمي الحنان؛ وتقوي الرابطة العاطفية بين الأم ووليدها[2].

وعملية الرضاعة عندما تصاحبها النية الحسنة، وطلب مرضاة الله، فإنها تؤتي أكلها كل حين بإذن الله، ولهذا روي أن عمرو بن عبد الله قال لامرأته التي

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٥/ ٣١١).

(٢) مقال ـ اهتمام الإسلام بتغذية الطفل ـ للدكتور فاروق مساهل، مجلة الأمة القطرية، عدد (٥٠/ ١٤٠٥).

ترضع ابناً لها: «لا يكونن رضاعك لولدك؛ كرضاع البهيمة ولدها؛ قد عطفت عليه من الرحمة بالرحم، ولكن أرضعيه؛ تتوخين ابتغاء ثواب الله، وأن يحيا برضاعك خلق، عسى أن يوحد الله، ويعبده»(١).

ومن الأمور المكروهة أثناء الإرضاع، حمل المرأة وهي مرضع، فتفسد لبنها بحملها، وبالتالي يُحرم الطفل الرضيع من الإرضاع الطبيعي، وهذا ما حذر منه ﷺ فعن ابن مسعود قال: كان رسول الله ﷺ «يكره عشر خلال» وذكر منها «... وفساد الصبي» أخرجه أبو داود والنسائي، وفساد الصبي: هو المسمى بالغيلة، وهو حمل المرأة المرضع، فيفسد لبنها.

رابعاً: ـ حكم بول الطفل الرضيع، وكيفية تطهيره:

روى الإمام مسلم في صحيحه عدداً من الأحاديث النبوية في كيفية غسل بول الطفل الرضيع، فأورد:

١ـ عن عائشة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يؤتى بالصبيان؛ فيبرك عليهم؛ ويحنكهم؛ فأتي بصبي؛ فبال عليه، فدعا بماء؛ فأتبعه بوله؛ ولم يغسله.

٢ـ وفي رواية لها أيضاً قالت: أُتي رسول الله ﷺ بصبي يرضع؛ فبال في حِجْره، فدعا بماء فصبه عليه.

٣ـ وعن أم قيس بنت محصن أنها أتت رسول الله ﷺ بابن لها؛ لم يأكل الطعام، فوضعته في حِجْره، فقال: فلم يزد على أن نضح بالماء.

وفي رواية: فدعا رسول الله ﷺ بماء فنضحه على ثوبه، ولم يغسله غسلاً.

فذهب الشافعي إلى النضح، والحنفية والمالكية إلى الغسل، وأما كون بول الصبي نجساً، فهذا مجمع عليه، كما نقل النووي ـ رحمه الله ـ(٢).

خامساً ـ جواز اصطحاب الأم رضيعها إلى المسجد:

يجوز للأم أن تحمل رضيعها للذهاب إلى المسجد؛ حتى تصلي في جماعة،

---

(١) نصيحة الملوك، للماوردي (ص١٦٦).
(٢) شرح صحيح مسلم، باب: حكم بول الطفل الرضيع، وكيفية غسله.

إذا رغبت؛ وأذن لها زوجها، ودليل ذلك أن رسول الله ﷺ كان يخفف صلاته، ويسرع فيها؛ رأفة ورحمة بالصغير، مخافة أن تفتن أمه بالصلاة؛ وهي تسمع بكاءه، فروى عبد الرزاق في مصنفه عن ابن جريج قال: أخبرني عطاء أنه بلغه أن النبي ﷺ قال: «إني لأخفف الصلاة؛ أسمع بكاء الصبي؛ خشية أن تفتن أمه». وروى أنه ﷺ قرأ بالمعوذتين في صلاة الفجر يوماً؛ لما فرغ قالوا: أوجزت! فقال ﷺ: «سمعت بكاء صبي فخشيت على أمه أن تفتن». قال الكاساني في «البدائع» معلقاً: «دلّ أن الإمام ينبغي أن يراعي حال قومه، ولأن مراعاة حال القوم؛ سبب لتكثير الجماعة، فكان ذلك مندوباً إليه».

وعن أنس بن مالك رسول الله ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ يسمع بكاء الصبي مع أمه، فيقرأ بالسورة القصيرة؛ أو الخفيفة» رواه ابن خزيمة في صحيحه (٣/ ٥٠) قال المحقق مصطفى الأعظمي: ورواه مسلم.

وعنه أيضاً: أن النبي ﷺ قال: «إني لأدخل في الصلاة؛ فأريد إطالتها؛ فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي، مما أعلم من وجد أمه، من بكائه» رواه ابن خزيمة في صحيحه (٣/ ٥٠) ورواه البخاري ومسلم.

وفي رواية لأحمد (٣/ ١٨٨) عن أنس رضي الله عنه قال: «سمع النبي ﷺ نداء صبي وهو في الصلاة؛ فخفف؛ فظننا إنما فعل ذلك رحمة للصبي، إذ علم أن أمه معه في الصلاة».

سادساً ـ كراهية اصطحاب الطفل إلى المسجد في مرحلة عدم تعوّده ضبط التبول والتبرز:

في هذه المرحلة حيث لا يستطيع الطفل قضاء حاجته بنفسه، ولا أن يذهب إلى الحمام لقضاء حاجته، ولا يستطيع أن يعبر لأحد والديه بحاجته للخلاء، فإنه لا يؤخذ إلى المسجد؛ بل إن رسول الله ﷺ نهى الآباء والأمهات أن يأخذوا الطفل في هذه المرحلة إلى المسجد.

روى ابن ماجه وعبد الرزاق في مصنفه عن واثلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال: «جنبوا مساجدكم: صبيانكم»... الحديث، وسنده ضعيف.

سابعاً ـ حق الحضانة للأم:

«إن تربية النشء، والعناية بهم في حال الصغر؛ هو ما يعرف في الفقه بالحضانة، فإن النساء عليه أقدر من الرجال، لما فُطرن عليه؛ من مزيد العطف والحنان والصبر؛ ولهذا قُدم النساء فيه على الرجال، فكانت الأم مقدمة فيه على الأب ومن وراءه؛ والجدة مقدمة فيه على الأب والجد ومن وراءهما من الرجال»[1].

روى أبو داود والحاكم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن امرأة قالت: يا رسول الله! إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وثديي له سقاء، وحجري له حواء، وإن أباه طلقني؛ وأراد أن ينزعه مني، فقال: «أنتِ أحق به؛ ما لم تنكحي».

ثامناً ـ حق الولاية للأب «ولي أمر الطفل»[2]:

«إن أمور رعاية الأولاد، والإشراف عليهم، وإدارة مالهم وتأديبهم، وتوجيههم إلى حرفة، وتعليمهم، وكذلك أمور القضاء، وإقامة الحدود، وهو ما يعرف في الفقه بـ: «الولاية» فإن الرجال عليها أقدر من النساء، لما فُطروا عليه من القوة والشدة والثبات، ولهذا قُدم الرجال فيه على النساء، وحكمٌ لاحَقَّ للنساء فيه، مع غناء الرجال».

☆ ☆ ☆

(١) انظر الموضوع ملخصاً ومرتباً بشكل فقهي في كتاب: «أحكام المرأة في الفقه الإسلامي» للدكتور أحمد الحجي الكردي (ص١٤٩ـ١٥٠).

(٢) المصدر السابق.

الفصل الثالث

الأساليب التربوية النبوية للطفل

* تمهيد

الباب الأول ـ أسس الأساليب التربوية المخاطب بها الوالدان والمربون الالتزام بها.

الباب الثاني ـ أسس الأساليب الفكرية المؤثرة في عقل الطفل.

الباب الثالث ـ أسس الأساليب النفسية المؤثرة في نفس الطفل.

«لا يدري كثير من الناس أن الطفل واحد من رجال الأمة، إلا أنه مستتر بثياب الصبا، فلو كشف لنا عنه وهو كامن تحتها، لرأيناه واقفاً في مصافّ الرجال القوامين، لكن جرت سنة الله ألا يتفق زوال تلك الأستار إلا بالتربية شيئاً فشيئاً، ولا تؤخذ إلا بالسياسات الجيدة على وجه من التدريج».

الشيخ: محمد الخضر حسين رحمه الله

السعادة العظمى (ص٩٠) للشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله.

تمهيــد:

نستلهم هذه الأساليب التربوية مما يصل إليه الفكر في الاستنباط، من خلال الأحاديث النبوية، ومعاملة الرسول ﷺ مع الأطفال، بالإضافة إلى خطاباته المباشرة للأطفال، أو للآباء في طريقة معاملتهم لأطفالهم.

نلاحظ وفرتها وكثرتها، الأمر الذي يدلُّ على غِنى المادة الحديثية، كما أنها لا تدع مجالاً لتقليد غرب، أو شرق، وبفضل هذه الكثرة يستطيع الوالدان والمربون أن ينْفُذوا إلى جميع مداخل الطفل النفسية والفكرية، إذ تُنير لهم الطريق، وتقدِّم لهم الحلول الناجحة في بناء شخصية الطفل، وتربيته، وتكوينه على نحو ما تقدَّم.

وفي هذا الاستنباط قد تتكرَّر بعضُ الأحاديث، فليس ذلك تكراراً مملاً، وإنما إظهار جانب جديد لما يوحيه الحديث من ظلال وأفكار، وبعد رَصْد هذه الأساليب تبيّن أنها تنقسمُ إلى خمسة أسس يتفرّعُ عن كل واحد منها قواعد أساسية في الأساليب التربوية النبوية للأطفال.

فالأساسُ الرئيسي الأول: موجَّه إلى الوالدين والمربين، وماذا عليهم أن يلتزموا به من قواعد، وذلك لضبط سلوكهم، وأفكارهم.

وأما الأساس الثاني: فهو أسسُ الأساليب الفكرية المؤثرة؛ التي يستطيع المربون والوالدان أن ينفذوا من خلالها إلى فكر الطفل، وعقله، وتثبيت الأفكار لديه، وتنمية مداركه العقلية، وبناء شخصيته.

وأما الأساس الثالث: فهو أسس الأساليب النفسية المؤثرة، التي يستطيع المربون والوالدان الدخول إلى نفس الطفل، والتأثير عليه، وتنمية ثقته بنفسه، وبنائها نحو كمال أفضل.

وأما الأساس الرابع: فهو أسلوب الترغيب في بر الوالدين، والترهيب من عقوقهما، ونكرر هنا ضرورة مراجعة الوالدين بر والديهم، لأن البر يسري في الحال، والعقوق تنتقل عدواه إلى الأبناء، وفاقد الشيء لا يعطيه، وباب بر

الوالدين واسع وكبير جداً، فمهما قدم المرء لوالديه فهو مقصر، وشعوره بالتقصير دعوة له للاستزادة من بر الوالدين، جعلني الله وإياك من الأبرار.

وأما الأساس الخامس فهو أسلوب تأديب الطفل وطريقة ضربه، ومتى يضرب، وفي أي الأماكن يجوز فيه الضرب، وهي مواصفات آلة الضرب، وأن الضرب مثل الدواء والملح، فزيادته ونقصانه يبقي الحالة على ما هي عليها من العقوق والتمرد. فوجب الاهتمام به بدقة وعناية.

وهذه محاولة متواضعة، أرجو فيها التوفيق من الله تعالى.

فما كان من صواب فكَرَمُه وعطاؤه سبحانه، وما كان غير ذلك فمن نفسي الخاطئة المقصرة، أرجوه سبحانه المغفرة، والسداد.

ولا بد من الإشارة إلى أنَّ طريقةَ الاستنباط كانت من الحديث مباشرة، على خلاف ما يفعله بعضهم، من أخذ الأسلوب الغربي أو الشرقي، ثم البحث عن دليل له في الشرع، وفي تقديري ـ والله أعلم ـ أن هذا العمل ترقيعي، لا يلبث الزمن أن يكشف بطلان ذلك الأسلوب، مما يُعرِّض الشريعة إلى تناقضات هي في الأصل غنية عنها، لو اتبعنا أسلوب السلف الصالح، أن يكون الكتاب والسنة، هما النبعان الأصيلان، وعمل السلف الصالح هو التطبيق العملي لما ورد فيهما.

☆ ☆ ☆

الباب الأول

أسس الأساليب المخاطب بها الوالدان، والمربون والالتزام بها

الأساس الأول: القدوة الحسنة.

الأساس الثاني: تحين الوقت المناسب للتوجيه.

الأساس الثالث: العدل والمساواة بين الأطفال.

الأساس الرابع: الاستجابة لحقوق الأطفال وتلبيتها.

الأساس الخامس: الدُّعاء.

الأساس السادس: شراء اللعب لهم.

الأساس السابع: مساعدة الأطفال على البر والطاعة.

الأساس الثامن: الابتعاد عن كثرة اللوم والعتاب.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «علِّموا، ويسِّروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا، وإذا غضب أحدكم فليسكت» رواه أحمد والبخاري في الأدب[1].

---

(١) صحيح، انظر صحيح الجامع رقم (٤٠٢٧).

الأساس الأول ـ القدوة الحسنة:

للقدوة الحسنة أثر كبير في نفس الطفل، إذ كثيراً ما يقلّد الطفل والديه، حتى إنهما يطبعان فيه أقوى الآثار «فأبواه يهوّدانه أو يمجّسانه أو ينصّرانه». ويحثُّ رسول الله ﷺ الوالدين أن يكونا قدوة حسنة في خُلُق الصدق أثناء تعاملهم مع الأطفال:

أخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قال لصبي تعال هاك، ثم لم يعطه، فهي كذبة».

وأخرج أبو داود عن عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي يوماً، ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: تعال أعطك، فقال لها ﷺ: «ما أردت أن تعطيه؟» قالت: أردت أن أعطيه تمراً، فقال لها: «أما إنكِ لو لم تعطه شيئاً، كُتِبت عليكِ كذبة».

والأطفال بمراقبتهم لسلوك الكبار، فإنهم يقتدون بهم، فإن وجدوا أبويهما صادقين سينشؤون على الصدق، وهكذا في باقي الأمور.

وهذا الطفل ابن عباس رضي الله عنهما عندما شاهد أمامه من يقوم الليل، فإنه يسارع لذلك، ويلحق برسول الله ﷺ، أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بتُّ عند خالتي ميمونة ليلة، فقام النبي ﷺ، فلما كان في بعض الليل، قام رسول الله فتوضأ مِنْ شنٍّ مُعلق وضوءاً خفيفاً، ثم قام يصلي، فقمت، فتوضأت نحواً مما توضأ، ثم جئتُ فقمت عن يساره، فحوَّلني، فجعلني عن يمينه، ثم صلى ما شاء الله.. الحديث.

فقد توضأ الطفل على نحو ما رآه، ثم وقف يصلي... وهكذا تكون القدوة الحسنة المؤثرة في الطفل.

وفي مطالبة الوالدين بالقدوة الحسنة، فإن الطفل الناشئ يراقب سلوكهما، وكلامهما، ويتساءل عن سبب ذلك، فإن كان خيراً فخير، فهذا الطفل عبد الله بن أبي بكرة يراقب أدعية والده، ويسأله عن ذلك، ويجيبه والده دليل فعله هذا:

أخرج أبو داود عن عبد الله بن أبي بكرة رحمه الله قال: قلت لأبي: يا أبت

أسمعُك تقول كل غداة: اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، ولا إله إلا أنت، تكررها ثلاثاً حين تصبح وثلاثاً حين تمسي. فقال: يا بني! إني سمعتُ رسول الله ﷺ يدعو بهن، فأنا أحبُّ أن أستنَّ بسنته.

فالوالدان مطالبان بتطبيق أوامر الله تعالى وسنة رسوله ﷺ سلوكاً وعملاً، والاستزادة من ذلك ما وسعهم ذلك؛ لأن أطفالهم في مراقبة مستمرة لهم صباح مساء، وفي كل آن، «فقدرة الطفل على الالتقاط الواعي، وغير الواعي كبيرة جداً، أكبر مما نظن عادة، ونحن ننظر إليه على أنه كائن صغير لا يدرك، ولا يعي[1]».

الأساس الثاني ـ تحيّن الوقت المناسب للتوجيه:

إن لاختيار الوالدين للوقت المناسب في توجيه ما يريدان، وتلقين أطفالهم ما يحبان دوراً فعالاً في أن تؤتي النصيحة أكلها... وإن اختيار الوقت المناسب المؤثر في الطفل، يسهّل ويقلّل من جهد العملية التربوية؛ فإن القلوب تُقْبِل وتُدْبِر، فإن استطاع الوالدان ـ زمن إقبال قلوب أطفالهم ـ توجيههم؛ فإنهم سيحققون فوزاً كبيراً بعملهم التربوي.

وإن الرسول ﷺ كان دقيق النظر إلى تحيُّن الزمان والمكان المناسبين لتوجيه الطفل، والاستفادة منهما في تلقين الطفل الأفكار، وتصحيح سلوكه الخاطىء، وبناء سلوك سليم صحيح.

وقد قدَّم النبي ﷺ لنا ثلاثة أوقات أساسية في توجيه الطفل، فما هي هذه الأوقات؟

١ـ النزهة، والطريق، والمركب:

فحديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي رواه الترمذي قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً، فقال: «يا غلام!..» الحديث.

يدل على أن هذه التوجيهات النبوية كانت في الطريق، وهما يسيران إما مشياً على الأقدام، أو سيراً على الدابة، ولم تكن هذه التوجيهات في غرفة محدودة،

---

(١) منهج التربية الإسلامية (٢/ ١١٧) لمحمد قطب.

وإنما في الهواء الطلق، حيث نَفْسُ الطفل أشد استعداداً للتلقي، وأقوى على قبول النصائح، والتوجيهات.

وإن رواية الحاكم في مستدركه (٣/ ٥٤١) تؤكد أن السير على الدابة، فروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أهدي إلى النبي ﷺ بغلة، أهداها له كسرى، فركبها بحبلٍ من شعر، ثم أردفني خلفه، ثم سار بي ملياً، ثم التفت، فقال: «يا غلام»[1] قلت: لبيك يا رسول الله! قال: «احفظ الله يحفظك...» الحديث.

حتى إن الرسول ﷺ ليحمّل أحد الأطفال في الطريق سراً من أسراره لكي يحفظه، وما ذلك إلا لقوة تأثر الطفل للتلقي في مثل هذه الأوقات.

أخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه، فأسرَّ إليَّ حديثاً، لا أُحدِّث به أحداً من الناس، وكان أحبَّ ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدفٌ أو حائش نخل.

٢ـ وقت الطعام:

ففي هذا الوقت يحاولُ الطفل أن ينطلق على سجيته، ويضعف أمام شهوة الطعام، فيتصرف أفعالاً شائنة أحياناً، ويخلّ بالآداب أحياناً أخرى، وإذا لم يجلس الوالدان معه باستمرار أثناء الطعام، ويُصحِّحا له أخطاءه، فإن الطفل سيبقى في براثن العادات السيئة المنفرة، كذلك فإن عدم الجلوس معهم في أثناء طعامهم، سيفقد الوالدين وقتاً مناسباً لتلقي الطفل، وتعلمه:

وقد أكل النبي ﷺ مع الأطفال، وشاهد، ولاحظ جملة من الأخطاء، فقدَّمها بأسلوب حيوي أثار به عقل، ونفس الطفل إلى التصحيح، وهكذا كان.

أخرج البخاري ومسلم عن عمر بن أبي سَلَمَة رضي الله عنهما قال: كنتُ غلاماً في حِجْر النبي ﷺ فكانت يدي تطيش في الصَّحْفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام! سمِّ الله تعالى، وكُلْ بيمينك، وكل مما يليك» فما زالت طعمتي بعد.

---

(١) رقم (٢٧٥) عمل اليوم والليلة للنسائي ت. د. فاروق حمادة.

وفي رواية أبي داود والترمذي وابن حبان في صحيحه: «ادنُ يا بني! فسمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك»(١).

فأنت تجد في هذه الرواية دعوة النبي ﷺ الطفل إلى الطعام معه، وذلك بكل رفق: «ادْنُ» ثم وجّهه إلى طريقة الطعام، وآدابه.

وغدا الصحابةُ يصطحبون معهم أطفالهم إلى الولائم، وخاصة التي يحضرها رسول الله ﷺ، فيتعلَّمون في هذه الولائم علماً نافعاً، وآداباً جامعة، فيكتسبون قوة الرجولة شيئاً فشيئاً.

روى الدارقطني (٤/ ٢٨٥): عن عاصم بن كليب، عن أبيه، عن رجل من الأنصار، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فانتهينا إلى القبر، قال: فرأيته يوصي الحافر قال: «أوسعْ من قِبَل رأسه، أوسِعْ من قِبَل رجليه» فلما انصرف تلقاه داعي امرأة من قريش، فقال: إن فلانة تدعوك، وأصحابك، قال: فأتاها، فلما جلس القومُ أتي بالطعام، فوضع النبي ﷺ يده، ووضع القوم، فبينما هو يأكل إذ كفَّ يده، قال: وقد كنا جلسنا بمجالس الغلمان من آبائهم، قال: فنظر آباؤنا رسول الله ﷺ يلوك أكلته، فجعل الرجل يضرب يد ابنه حتى يرمي العرق من يده، فقال رسول الله ﷺ: «أجد لحمَ شاة أُخِذت بغير إذن اهلها...» وفي رواية له: «فذهب بي أبي معه، قال: فجلسنا بين يدي آبائنا مجالس الأبناء من آبائهم». وفي رواية ثالثة: «خرجت مع أبي وأنا غلام مع رسول الله ﷺ... ثم ذكر الحديث».

٣ـ وقت مرض الطفل:

المرض يلينُ قلوبَ الكبار القساة، فما بالك بالأطفال الذين ما زالت قلوبهم عامرة باللين، وحسن الاستقبال؟! فالطفل عندما يمرض يجمع بين سجيتين عظيمتين في تصحيح أخطائه، وسلوكه، وحتى معتقده: سجية فطرية الطفولة، وسجية رقة القلب والنفس في أثناء المرض، وقد وجَّهنا إلى هذا رسول الله ﷺ

(١) صحيح. انظر صحيح الجامع رقم (٢٥١).

فزار طفلاً يهودياً مريضاً، ودعاه إلى الإسلام، وكانت الزيارة مفتاح عهد النور لذاك الطفل.

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه، فقال له: «أسلمْ» فنظر إلى أبيه وهو عنده؟ فقال: أطعْ أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار».

أرأيت كيف كان هذا الطفل يخدم النبي ﷺ ولم يدعه إلى الإسلام بعد، إلى أن وجد النبي ﷺ الوقت المناسب لدعوته، فأتاه، وعاده. إلى مثل دعوة النبي ﷺ للأطفال أدعو نفسي وأدعوك، وإلى الصبر والحلم في الدعوة، وتحين الوقت المناسب؛ لإلقاء بذرة الإيمان؛ لتنمو في التربة الصالحة في الوقت الصالح.

وهكذا أصبح بيدي الوالدين ثلاثة أوقات رئيسية مناسبة في توجيه الطفل، وبناء شخصيته، وهي: وقت النزهة، والطريق، والركوب. ووقت الطعام، ووقت المرض، وإلى غيرها من الأوقات التي يجدها الوالدان مناسبة لطفلهم.

الأساس الثالث ـ العدل والمساواة بين الأطفال[1]:

وهذا ركنٌ ثالث مخاطب به الوالدان للالتزام به؛ ليستطيعا تحقيق ما يريدان، ألا وهو: العدل، والمساواة بين الأطفال؛ إذ لهما كبير الأثر في مسارعة الأبناء إلى البر والطاعة.

ويكفي أن نعلم أن شعور الطفل بأن أحد والديه يميل إلى أخيه، ويكرمه، ويدلّله أكثر منه، إن مجرد هذا الشعور ـ لا سمح الله ـ سيجعل في هذا الطفل

---

(١) «اختلف الموجبون في كيفية التسوية، فقال محمد بن الحسن وأحمد وإسحاق وبعض الشافعية: العدل أن يعطى الذكر مثل حظ الأنثيين كالميراث، وقال الجمهور: لا فرق بين الأنثى والذكر، والظاهر: الأمر بالتسوية، عن كتاب «تحقيق القضية في الفرق بين الرشوة والهدية» للشيخ عبد الغني النابلسي (ص٢١٩).

شراسة، لا يقوى الأبوان على الصمود أمامها، وحسداً لا يستطيع الوالدان كبح جماحه، فهؤلاء أخوة يوسف لما علموا من أبيهم ميل قلبه إلى يوسف، رموا أباهم بالخطأ ﴿ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ١٢/ ٨].

فكانت نتيجة قناعتهم هذه أن يُقْدموا على عمل مشين في حق الأخوة وحق الأبوة:

﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ۝ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [يوسف: ١٢/ ٩ـ١٠].

وهكذا حبكوا هذه المؤامرة على أخيهم الطفل الصغير؛ الذي لم يبلغ الحلم، ولا ذنب له إلا إظهار والده حبه له أكثر من إخوته، فكان هذا الحسد وذاك الكيد؛ لذلك مهما قدَّم الوالدان من نصائح وتوجيهات، وترغيب وترهيب، فلن تكون له أيّ جدوى ما لم يلتزما بالعدل، والمساواة بين الأطفال، مادياً ومعنوياً، ولا يظهرا ميلهم القلبي أمام أطفالهم، وأبنائهم.

وقد وضح لنا رسول الله ﷺ قاعدة عظيمة في طريقة برّ الأطفال، وخضوعهم لوالديهم.. إنه العدل والمساواة، وإليك بيان هذا:

روى الشيخان عن النعمان بن البشير رضي الله عنهما: أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: إني نحلتُ (أي: أعطيت) ابني هذا غلاماً كان لي، فقال رسول الله ﷺ: «أكلّ ولدك نحلتهُ مثل هذا؟» فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ: «لا تشهدني على جَوْر» ثم قال ﷺ: «أيسرُّك أن يكونوا لك في البر سواء؟» قال: بلى، قال رسول الله ﷺ: «فلا إذاً».

وفي رواية لمسلم فقال: «أفعلت هذا بولدك كُلّهم؟!» قال: لا، قال: «اتقوا الله، واعدلوا في أولادكم» فرجع أبي في تلك الصدقة.

وفي رواية الدارقطني (٣/ ٤٢): فقال النبي ﷺ: «لك ولد غيره؟» قال: نعم، قال: «فأعطيتهم كما أعطيته؟» قال: لا، قال: «ليس مثلي يشهدُ على هذا،

إن الله تعالى يحب أن تعدلوا بين أولادكم، كما يحب أن تعدِلوا بين أنفسكم».

وروى الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اعدلوا بين أولادكم، اعدلوا بين أولادكم، اعدلوا بين أولادكم»[١].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اعدلوا بين أولادكم في النَّحل؛ كما تُحِبُّونَ أن يَعدِلوا بينكم في البرِّ واللطفِ» رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال (١/ ١٧٢) وقال محققه: حديث صحيح.

يقول الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله معلقاً على الأحاديث: «ووجه الدلالة في هذه الأحاديث: أن عدم المساواة بين الأولاد حرام، فوق أن تمييز بعض الأولاد على البعض الآخر، أمر من شأنه توليد العداوة، والحقد، والبغضاء بينهم، ويؤدي إلى قطيعة الرحم»[٢].

ومن شدة يقظة السلف الصالح: أنهم كانوا يعدلون بين أبنائهم حتى في القبلة، استجابة لنداء رسول الله ﷺ وتنفيذاً لأمره، وحتى إن رسول الله ﷺ لينبه إلى العدل في القبلة بين الصبي والبنت:

فقد روى البيهقي عن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً كان جالساً مع النبي ﷺ فجاء بنيٌّ له، فقبّله، وأجلسه في حجره، ثم جاءت بنية فأخذها، فأجلسها إلى جنبه، فقال النبي ﷺ: «فما عدلت بينهما!».

ويقول طاووس: لا يجوزُ ذلك ولو برغيف محترق، وبه قال ابن المبارك، وروي معناه عن مجاهد وعروة[٣]، فأي منهاج في العالم كله، وأي مدرسة تربوية على الكرة الأرضية تستطيعُ أن تنبه إلى العدل في القبلة، والجلوس في الحجر والجوار؟! إنها مشكاة النبوة.

---

(١) إسناده حسن. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٢٤٩).

(٢) عن «تحقيق القضية في الفرق بين الرشوة والهدية» للشيخ النابلسي (ص٢١٧).

(٣) المصدر السابق (ص٢١٨).

وفي كثير من الأحيان قد يقع التشاجرُ، والقتال بين الأبناء، أو بين الأطفال، فحتى تصفو النفوس الناشئة، وتبتعد عن الكيد والحسد، فلا بد من التفريق بينهم، وإحقاق الحق، وإبطال الباطل، والعدل والمساواة بينهم.

فهذا رسول الله ﷺ يفرق بين طفلين اقتتلا، ويصحح لهما أفكارهما الخاطئة، ويدعو الكبار إلى دفع الظلم بشتى صوره... ومتى ارتفع الظلم حل العدل مكانه.

روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: اقتتل غلامان: غلامٌ من المهاجرين، وغلام من الأنصار، فنادى المهاجري: يا للمهاجرين! ونادى الأنصاري: يا للأنصار! فخرج النبي ﷺ فقال: «ما هذا؟ دعوى الجاهلية؟» قالوا: لا يا رسول الله! إلا أن غلامين اقتتلا، فكسع[1] أحدهما الآخر، فقال: «لا بأس، ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً، إن كان ظالماً فلينهه فإن هذا له نَصْر، وإن كان مظلوماً فلينصره».

ومن العدل أن تفرق بين الأطفال إذا رأيتهم يقتتلون؛ لأنه لا بد من وجود ظالم منهم ومظلوم، ولهذا قال الترمذي: رأيت أبا عبد الله (أي: أحمد بن حنبل) مرّ على صبيان الكتّاب يقتتلون، ففرّق بينهم[2].

وفي ختام هذا الركن، نوجّه هذه البشارة إلى الوالدين العادلين، والمربين المقسطين، لنرى الأجر الأخروي يوم القيامة لهم، فضلاً عن تحقيق أهدافهم التربوية في الدنيا، وذلك بالفوز بمنابر من نور، جعلني الله وإياك منهم، ووفّقني الله وإياك إلى التمسك بالعدل.

روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلُّوا».

---

(١) «الكسع»: أن تضرب دُبُرَ الإنسان بصدر قدمك.

(٢) «الآداب الشرعية والمنح المرعية» لمحمد بن مفلح المقدسي الحنبلي (١/ ١٨٢).

وبقي سؤال هام يواجه الوالدين، وهو: متى يجوز التفضيل؟

يرى الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ حرمة التفضيل بين الأولاد، ما لم يكن هناك داع، أو مقتض للتفضيل، فإنه لا مانع منه، قال في «المغني»[(١)]:

فإن خصّ بعضهم لمعنى يقتضي تخصيصه، مثل اختصاصه بحاجة، أو زمان، أو عمى، أو كثرة عائلة، أو اشتغاله بالعلم، ونحو ذلك من الفضائل، أو صرف عطية عن بعض ولده لفسقه، أو بدعته، أو لكونه يستعين بما يأخذه على معصية الله، أو ينفقه فيها، فقد روي عن أحمد ما يدل على جواز ذلك لقوله في تخصيص بعضهم بالوقوف، لا بأس به إذا كان لحاجة، وأكرهه إذا كان على سبيل الأثرة والعطية في معناها[(٢)].

الأساس الرابع ـ الاستجابة لحقوق الأطفال:

إن إعطاء الطفل حقه، وقبول الحق منه، يغرس في نفسه شعوراً إيجابياً نحو الحياة، ويتعلّم أنَّ الحياة أخْذٌ وعطاء، كذلك فإنه تدريب للطفل على الخضوع للحق، فيرى أمامه قدوة صالحة، وإن تعوده العدل في قبول الحق، ورضوخه له، تتفتح طاقته لترسم طريقها في التعبير عن نفسه، ومطالبته بحقوقه، وعكس هذا يؤدي إلى كبتها وضمورها.

فهذا رسول الله ﷺ يستأذن غلاماً على يمينه لكي يتنازل عن حقه ليعطيه للكبير؛ الذي على يساره، فإذا بالطفل لا يؤثر سؤر رسول الله ﷺ على نفسه لأحد أبداً، فيعطيه رسول الله ﷺ الإناء ليشرب، ويهنأ في الاستمتاع بحقه.

أخرج البخاري، ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أتي بشراب، فشرب منه، وعن يمينه غلام، وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟» فقال الغلام: لا، والله يا رسول الله! لا أوثر بنصيبي

---

(١) انظر المغني لابن قدامة (٥/ ٦٠٤).

(٢) عن «تحقيق القضية في الفرق بين الرشوة والهدية» للشيخ النابلسي (ص٢١٨).

منك أحداً، فتلّه (أي: وضعه) رسول الله ﷺ في يده. وزاد رزين: «والغلام: الفضل بن العباس»[1].

وعندما يتقدم أحد الأطفال معترضاً ـ لشعوره بغبن حقه ـ إلى رسول الله ﷺ قبل معركة أحد، ويقول لحبيبه، ومصطفاه: يا رسول الله! لقد قبلت ابنَ عمي في دخول المعركة، وأنا إن صارعته صرعته، فيأذن رسول الله ﷺ لهما بالمصارعة أمامه، وإذا به يفوزُ على ابن عمه، ويصرعه، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن أذن له ليكون جندياً مسلماً في قتال المشركين.

فهل هناك شخص في الدنيا أعلى مكانة، وأسمى منزلة، وأرفع جاهاً، وأكثر جنوداً وتابعين أفضل من رسول الله ﷺ؟ كلا.. وألف كلا.. فهو قبل الحق من الصغير، وهو علّمنا ووجّهنا أن نقبل الحق من الصغير دون تكبر، أو استعلاء، أو تعجرف على الصغير.

ويمكن أن نسأل صنفاً من الكبار: علامَ الحيل، واللفّ، والدوران مع الأطفال، والتهرب من الخضوع والاستجابة لحقوقهم؟! لمثل هؤلاء نوجّه الحديث التالي:

روى ابن عساكر والديلمي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قلت للنبي ﷺ: علمني كلمات جوامع نوافع، فقال:

«اعبد الله، ولا تشرك به شيئاً، وزلْ مع القرآن أينما زال، واقبل الحقَّ ممن جاء به صغيراً أو كبيراً وإن كان بغيضاً بعيداً، واردُدِ الباطل ممن جاء به صغيراً أو كبيراً، وإن كان حبيباً قريباً».

ومن حق الطفل أن يصبح إماماً، وقائداً، إذا كان عالماً قارئاً على من يكبره بالعلم، والمعرفة:

روى الإمام عبد الرزاق في مصنفه عن مهاجر بن حبيب الزبيدي قال:

اجتمع أبو سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن جبير، فقال سعيد بن جبير

(١) انظر جامع الأصول (٥/ ٨٤) ت: الأرناؤوط. وذكره النووي في كتابه: (رياض الصالحين) (باب: التنافس في أمور الآخرة).

لأبي سلمة: حدِّث فإنا ستبعك، قال أبو سلمة: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان ثلاثة في سفر فليؤمّهم أقرؤهم، وإن كان أصغرهم، فإذا أمّهم فهو أميرهم» قال أبو سلمة: فذاكم أميرٌ أمَّره رسول الله ﷺ.

ومعلوم أن معنى: أقرؤهم: أي: أفقههم في أحكام الصلاة، وتلاوة القرآن.

روى الإمام مسلم: أن أبا موسى استأذن على عمر ثلاثاً، فكأنه وجده مشغولاً، فرجع، فقال عمر: ألم تسمع صوت عبد الله بن قيس؟! ائذنوا له، فدعي به، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: إنا كنّا نُؤمر بهذا، قال: لتقيمن على هذا بينة، أو لأفعلن، فخرج فانطلق إلى مجلس من الأنصار، فقالوا: لا يشهد على هذا إلا أصغرنا، فقام أبو سعيد فقال: كنا نُؤمَر بهذا، فقال عمر: خفي عليّ هذا من أمر رسول الله ﷺ ألهاني عنه الصفق بالأسواق.

وفي رواية: «لا يقوم معه إلا أصغر القوم، قال أبو سعيد: قلت: أنا أصغر القوم، قال: فاذهبْ به».

وفي رواية: «لا يقوم معك إلا أصغرنا سناً قمْ يا أبا سعيد!».

أرأيت أخي المسلم! كيف أن أمير المؤمنين يقبلُ شهادة الحق من الصغير أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما؟ فهلا نقتدي به؟!

وقد سار السلفُ الصالحُ على قبول الحق من الصغير مهما كان نوعه.

فهذا أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ اتَّعظ بمقالة طفل صغير، حينما رأى الإمام الطفل يلعب بالطين، فقال للطفل: إياك والسقوط في الطين، فقال الغلام الصغير للإمام الكبير: إياك أنت من السقوط؛ لأن سقوط العالِم سقوط العالَم، فما كان من أبي حنيفة إلا أن تهتزّ نفسه لهذه المقولة، فكان لا يُخرِّج فتوى ـ بعد سماعه هذه المقالة من الطفل الصغير ـ إلا بعد مدارستها شهراً كاملاً مع تلامذته[1].

قال مسعر: كنت أمشي مع أبي حنيفة، فوطيء على رجْل صبي لم يره، فقال

---

(١) مقدمة حاشية ابن عابدين.

الصبي لأبي حنيفة: يا شيخ! ألا تخاف القِصَاصَ يوم القيامة؟ قال: فغشي على أبي حنيفة، فأقمتُ عليه حتى أفاق، فقلت له: يا أبا حنيفة! ما أشد ما أخذ بقلبك قول هذا الصبي! قال: فقال: أخاف أنه لقن[1].

وروى ابن ظفر المكي[2] فقال: بلغني أن السري بن المغلس السقطي قرأ على مؤدبه: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦] فقال: يا أستاذ ما الوِرد؟ فقال: لا أدري، فقرأ: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧] فقال: يا أستاذ! ما العهد؟ قال: لا أدري، فقطع السري القراءة، وقال: إذا كنت لا تدري، فلم غررت بالناس؟! فضربه المؤدب، فقال السريّ: يا أستاذ! ألم يكفك الجهل والغرور حتى أضفت إليهما الظلم والأذى، فاستحله المؤدب، وتاب إلى الله تعالى من التأديب، وأقبل على طلب العلم، وكان يقول: إنما أعتقني من رقّ الجهل: السري.

ولئن زدنا في رواية هذه القصص، فإنما لتنير لنا السبل، وتدرّبنا على استماع كلام الصغير، فقد دخل الصبي الحسين بن الفضل على بعض الخلفاء، وعنده كثيرٌ من أهل العلم، فأحب أن يتكلم، فَزَجَرَهُ، وقال: أصبيٌّ يتكلم في هذا المقام؟ فقال: إن كنتُ صبياً فلستُ أصغر من هدهد سليمان، ولا أنت أكبر من سليمان حين قال له: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [النمل: ٢٢] ثم قال: ألا ترى أنه فهّم الحكم سليمان، ولو كان الأمر بالكبر لكان داود أولى[3]. وقد مرَّ معنا قبول الإمام مالك من الغلام الناشئ الإمام الشافعي، وكيف صحح الطفل الصغير للإمام الكبير.

وهذا عمر بن عبد العزيز لما وليَ الخلافة، وبدأت الوفود تزوره لتهنئه بالمنصب الجديد، تقدم أحد الوفود غلام صغير ليتكلم باسم الوفد، فقال الخليفة عمر: أما وجد القومُ مَنْ هُو أسن منك ليتكلم؟! فقال الغلام: يا أمير

---

(١) ص (٤٠٦) مناقب أبي حنيفة للإمام الموفق بن أحمد المكّي المتوفى سنة (٥٦٨هـ).

(٢) ص (١٤٦) «أنباء نجباء الأبناء» لابن ظفر المكي.

(٣) (ص٦٤) «تذكرة الآباء وتسلية الأبناء» لابن العديم.

المؤمنين! لو كان الأمر في كبر السن لكان من هو أكبر منك في مقامك هذا... يا أمير المؤمنين! أما علمت أن المرء بأصغريه: لسانه وقلبه؟! فقال الخليفة عمر: عظني يا غلام! فوعظه حتى أبكاه(1).

أرأيت هذه النفوس العظيمة، والرؤوس المليئة بالعلم والمعرفة، تتقبل النصح، والإرشاد من الأطفال، وتسمع إليهم بتواضع، وتستفيد من آرائهم، فيصححون من أفكارهم وطريقتهم؟! جعلني الله وإياك سائرين على هداهم، وأن نقبل الحق من الصغير والكبير.

الأساس الخامس ـ الدعاء للأطفال:

الدعاء من الأركان الرئيسية التي يخاطب بها الوالدان للالتزام به... وتحين لحظات الإجابة التي بيَّنها رسول الله ﷺ إذ دعاء الوالدين مستجابٌ عند الله تعالى، فبالدعاء تزدادُ شحنة العاطفة وقوداً، وتتمكن الرحمة والرأفة من قلبي الوالدين، فيتضرعان إلى الله تعالى، ويبتهلان إليه في إصلاح الطفل ومستقبله... وهذه سُنَّةُ الأنبياء والمرسلين على نحو ما تقدم من آيات في أول صفحة من هذا الكتاب.

لهذا نجد خطورة من يدعو على ولده، فهذا عملٌ خطير جداً، ومهما قلنا عن خطورته فهو أكثر، لما فيه من دمار للطفل، ولمستقبله، ومن دمار للأبوين كذلك.

وقد نهى الرسول ﷺ الآباء والأمهات أن يدعوا على أولادهم؛ لأن هذا منافٍ للخُلُق الإسلامي، ويخالف التربية النبوية، ويبتعد عن منهج النبوة في دعوة الناس إلى الإسلام.

حتى أن رسول الله ﷺ لم يدعُ على مشركي الطائف وقال: «أرجو من الله تعالى أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله» وقد حقق الله تعالى رجاءه.

لهذا نجد النهي النبوي للآباء في الدعاء على الأبناء:

---

(1) مواقف حاسمة بين العلماء والحكام، لعبد العزيز البدري. وانظر (ص٦٤) من كتاب «تذكرة الآباء وتسلية الأبناء» لابن العديم.

روى أبو داود عن رسول الله ﷺ قال: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة، فينزل فيها إعطاء، فيستجاب لكم».

وقد ذكر الإمام الغزالي أنه جاء رجلٌ إلى عبد الله بن المبارك يشكو له عقوقَ ولده، فقال له: هل دعوتَ عليه؟ فقال: بلى. فقال عبد الله بن المبارك: أنت أفسدته[1].

فبدلاً من أن تكون سبباً في إفساد الطفل بالدعاء عليه، فلتكن سبباً في صلاح الطفل، فتدعو له، كما فعل الرسول ﷺ فدعا للأطفال، فبارك الله في مستقبلهم بالعمل، والمال، والولد:

فقد أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضمَّني رسول الله ﷺ إلى صدره وقال: «اللهم علِّمه الحكمة».

وفي رواية: «علمه الكتاب» وفي رواية لمسلم والبخاري: «اللهم فقهه في الدين».

وعند أحمد زيادة: «وعلمه التأويل».

وبفضل دعوة رسول الله ﷺ أصبح ابن عباس في كبره، حَبْر الأمة، وترجمان القرآن.

وهذا رسول الله ﷺ يتبع أسلوب الدُّعاء للطفل لإنقاذه من أن يختار أمه النصرانية على أبيه المسلم، وفي ذلك عبرة وعظة لأهمية هذا الأسلوب النبوي، الذي تفتقده الأساليب غير الإسلامية.

روى عبد الرزاق في مصنفه[2] ـ بسنده ـ عن عبد الحميد الأنصاري عن أبيه عن جدِّه: أن جدّه أسلم، وأبت امرأته أن تسلم، فجاء بابن له صغير لم يبلغ، قال: فأجلسَ النبيُّ ﷺ الأبَ ها هنا، والأمَّ ها هنا، ثم خيّره، وقال: «اللهم

(١) الإحياء (٢/ ٢١٧).
(٢) (٧/ ١٦٠).

اهده» فذهب إلى أبيه. رواه أحمد والنسائي أيضاً.

فالعقوق أقلّ بكثير من الكفر، ومع ذلك كان علاجُ النبي ﷺ له هو الدعاء، وبذلك يمكن القول أن الدعاء يقتلع جذور العقوق؛ إذا أخلص الوالدان في دعائهما، واستمرا به حتى في السفر.

روى الإمام مسلم أن النبي ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر، كبَّر ثلاثاً، ثم قال: «سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين[1]، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هوّن علينا سفرنا هذا، واطْوِ عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء[2] السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل والولد»[3].

وحرصت الأمهات أن ينال أطفالهن دعوة من رسول الله ﷺ لينال الأطفال حظ الدنيا والآخرة.

هذه أم سُلَيْم ـ والدة أنس ـ تطلب من رسول الله ﷺ الدعاء لأنس، فيدعو له:

أخرج الشيخان والترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قالت أم سليم: يا رسول الله! خادمُك أنس ادعُ الله له، فقال: «اللهم أكثر ماله وولده، وبارك فيما أعطيته».

وفي رواية للبخاري قال: جاءت بي أم سليم إلى رسول الله ﷺ قد أزرتني بنصف خمارها، وردتني بنصفه، فقالت: يا رسول الله! هذا أنيس ابني، أتيتُك به يخدمك، فادْعُ الله له، فقال: «اللهم أكثر ماله وولده» قال: فوالله! إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادّون على نحو المئة اليوم.

---

(١) أي: مطيقين.

(٢) أي: شدة.

(٣) ورواه ابن خزيمة في صحيحه (٤/١٣٨ـ١٤١).

وروى الترمذي عن أبي خلدة رحمه الله قال: قلت لأبي العالية: سمع أنس من رسول الله ﷺ؟ قال: خدمه عشر سنين، ودعا له النبي ﷺ وكان له بستان يحمل في السنة الفاكهة مرتين، وكان فيها ريحان يجيء منه ريح المسك.

وعن عبد الله بن هشام رضي الله عنه: أنه ذهبت به أمه إلى النبي ﷺ وهو صغير، فمسح رأسه، ولم يبايعه، وفي رواية: «فمسح رأسه، ودعا له، فكان يضحي بالشاة الواحدة عن جميع أهله» رواهما الحاكم في مستدركه (٣/ ٤٥٦) وسكت عنهما الذهبي أيضاً.

عن أبي حمزة بن عبد الله يقول: «سألت أبي عبيد الله بن عتبة بن مسعود: أي شيء تذكر من رسول الله ﷺ؟ فقال: أذكر: أنه أخذني وأنا خماسي، أو سداسي، فأجلسني في حجره، ومسح رأسي، ودعا لي ولذريتي بالبركة». رواه الحاكم في مستدركه (٣/ ٢٥٩) وسكت عنه، وسكت الذهبي أيضاً.

وقد يقول قائل: إن الطفل عاقّ، ولا يستجيب لنداء والديه؟ فالجواب على ذلك سماحة سيدنا يعقوب مع أبنائه فقال: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾[1].

الأساس السادس ـ شراء اللعب للأطفال:

إن إقرار الرسول ﷺ للعبة عائشة رضي الله عنها التي كانت تلعب بها، يدلنا على حاجة الطفل للألعاب، وحبه للمجسّمات الصغيرة.

وإن مشاهدة الرسول ﷺ لعصفور أبي عمير وهو يلعبُ به، دليل آخر على حاجة الطفل للعب تكون بيديه، فيتسلى بها.

وإن الحسين رضي الله عنه كان عنده جرو يتسلى به:

فعن علي رضي الله عنه قال: كانت لي من رسول الله ﷺ ساعةٌ من السحر آتيه فيها، فكنت إذا أتيتُ استأذنت، فإن وجدتُه يصلي سبّح، فدخلت، وإن وجدته فارغاً أذن لي، فأتيته ليلة فأذن لي، فقال: «أتاني الملك، أو قال:

---

(١) قال المفسرون: سيستغفر لهم في وقت السحر، ويدعو لهم.

جبريل، فقلت: ادخل، فقال: إنّ في البيت ما لا أستطيع أن أدخل، قال: فنظرت، فقلت: لا أجد شيئاً فطلبتُ، فقال لي: أنظر، فنظرت فإذا جَرْو للحسين بن علي مربوطاً بقائم السرير في بيتِ أم سلمة. فقال: إن الملائكة، أو: إنا معشر الملائكة، لا ندخلُ بيتاً فيه تمثال، أو كلب، أو جنب» رواه أبو يعلى في مسنده (١/ ٤٤٥) بسند صحيح.

ولكن من يأتي للطفل بهذه الألعاب؟ إنه الوالدان... فيشتريان له من اللعب ما يناسب عمره وقدرته، ويضعونها بين يديه وفي متناوله، وذلك ليبدأ بتشغيل عقله وحواسه، وتنمو شيئاً فشيئاً، وحتى تكون اللعبة مفيدة وجيدة للطفل لا بد للوالدين أن يطرحا على أنفسهما التساؤلات التالية حين شراء الألعاب لأطفالهم:

س١: هل اللعبة التي ستحضرها من النوع الذي يستثير نشاطاً جسدياً صحياً مفيداً للطفل؟

س٢: أهي من النوع الذي يرضي الحاجة للاكتشاف، والتحكم في الأشياء؟

س٣: هي من النوع الذي يتيح التفكيك والتركيب؟

س٤: أهي من النوع الذي يشجع تقليد سلوك الكبار وطرائق تفكيرهم؟

■ فإذا كانت الإجابة بنعم كانت اللعبة مناسبة ومفيدة تربوياً[١].

الأساس السابع ـ مساعدة الأطفال على البر والطاعة، وتهيئة أسبابهما لهم:

إن تهيئة الأسباب للطفل حتى يبر والديه، ويطيع أوامر الله تعالى، يساعد الطفل على البر والطاعة، وينشطه للاستجابة والعمل؛ وإنَّ تهيئة الأجواء المناسبة يستدعي من الطفل أن يسير سيراً محموداً من تلقاء نفسه، وبالتالي يكون الوالدان قد قدّما له أكبر هدية في مساعدته على النجاح.

ومن شدة أهمية تهيئة الأجواء والأسباب ليكون الطفل باراً بوالديه، جعل رسول الله ﷺ يدعو للآباء، أن ينزل الله تعالى عليهم رحماته ورضوانه

---

(١) مقال للدكتورة صالحة سنقر في مجلة المعلم العربي السورية (ص٧٦٣) عدد (١١ و١٢) عام (١٩٧٩).

لمساعدتهم أطفالهم، فقد روى ابن حبان عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رحم الله والداً أعان ولده على برّه».

وروى الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعينوا أولادكم على البر، من شاء استخرج العقوقَ من ولده».

فإذاً هناك مسؤولية كبيرة ملقاة على كاهل الوالدين في إعانة طفلهم على برّهم، وإن لديهم القدرة في استخراج العقوق منهم، وذلك بالحكمة، والموعظة الحسنة، وطول الزمن.

الأساس الثامن ـ الابتعاد عن كثرة اللوم والعتاب:

نلاحظ أن رسول الله ﷺ ما كان يكثر العتاب على تصرفات، وأعمال الطفل، أو يلجأ كثيراً إلى التوبيخ والتأنيب، فهذا أنس رضي الله عنه يخدم النبي ﷺ عشر سنين متوالية، فيصف تربية الرسول ﷺ: «فما كان يقول لي لشيء فعلته لم فعلته، ولا لشيء لم أفعله لِمَ لَمْ تفعله».

وأخرج الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: خدمتُ النبي ﷺ عشر سنين، فما أمرني بأمرٍ فتوانيتُ عنه، أو ضيّعته فلامني، فإن لامني أحد من أهل بيته قال: «دعوه، فلو قدر، أو قال: لو قضي أن يكون كان».

وهذا الأسلوب من رسول الله ﷺ زرع في نفس الطفل أنس دقة الملاحظة، وروح الحياء، مما جعله يلحظ هذه الملاحظة من رسول الله ﷺ.

بل إن هناك أثراً يدل، ويوجه الآباء والأمهات إلى الابتعاد عن اللوم والعتاب، وإظهار عيوب الطفل بكثرة:

فقد روى(1) عبد الرزاق عن عروة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ، أو قال أبو بكر، أو قال عمر رضي الله عنهما لرجل عاب على ابنه شيئاً صنعه: «إنما ابنك سهمٌ من كنانتك».

---

(1) عن البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث (٢/ ١٠٢) لابن حمزة.

فعندما يعيبُ الأب على ابنه، إنما يعيبُ على نفسه؛ لأنه هو الذي خرَّج هذا الولد، وكان حرياً أن يسارع إلى تربيته.

ووضَّح شمس الدين الإنبابي في رسالته «رياضة الصبيان وتعليمهم وتأديبهم» هذه الفكرة فقال:

«ولا يكثر عليه الملامة في كل وقت؛ فإنه يُهَوِّن عليه الملامة، وركوب القبائح»(١).

☆ ☆ ☆

(١) التربية في الإسلام (ص١٣٠).

الباب الثاني

أسس الأساليب الفكرية المؤثرة في عقل الطفل

الأساس الأول: رواية القصص.

الأساس الثاني: الخطاب المباشر.

الأساس الثالث: خطاب الطفل على قدر عقله.

الأساس الرابع: الحوار الهادئ.

الأساس الخامس: الطريقة العملية التجريبية.

الأساس السادس: **شد الطفل إلى قدوة ثابتة هي رسول الله ﷺ.**

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۝ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ٣١/ ١٣-١٩].

الأساس الفكري الأول ـ رواية القصص للطفل وقراءته لها:

تلعب القصة دوراً كبيراً في شد انتباه الطفل، ويقظته الفكرية والعقلية، وتحتل المركز الأول في الأساليب الفكرية المؤثرة في عقل الطفل؛ لما لها من متعة، ولذة. ونجد وفرة في القصص النبوي تجاه الأطفال، حكاها النبي ﷺ لأصحابه الحاضرين منهم الكبير والصغير، فكانوا يُصغون إليه بكل انتباه؛ لما يقصه النبي ﷺ عن حوادث وقعت في زمن مضى؛ ليتعظ بها الحاضرون، ومن بعدهم إلى يوم الدين.

وثمة ملاحظة هامة، وهي أن القصص النبوي يعتمد على حقائق ثابتة، وقعت في غابر الزمن، وهي بعيدةٌ عن الخرافة والأساطير، وإنما هي قصص تبعث في الطفل الثقة بهذا التاريخ، كما تُضْفي على روحه الاندفاع والانطلاق، وتبني فيه الشعور الإسلامي المتدفق الذي لا يجفّ نبعه، والإحساس العميق الذي لا يعرف البلادة.

«وإن أخبار العلماء العاملين، والنبهاء الصالحين من خير الوسائل التي تغرس الفضائل في النفوس، وتدفعها إلى تحمُّل الشدائد والمكاره في سبيل الغايات النبيلة، والمقاصد الجليلة، وتبعثها إلى التأسي بذوي التضحيات والعزمات؛ لتسمو إلى أعلى الدرجات، وأشرف المقامات.

ومن هنا قال بعض العلماء من السلف: «الحكايات جند من جنود الله تعالى، يثبت الله بها قلوب أوليائه». وشاهده من كتاب الله تعالى قوله سبحانه: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١١/ ١٢٠].

وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: «الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحبّ إليّ من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم» وشاهده من كتاب الله تعالى قوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف: ١٢/ ١١١]»[١].

وسيأتي معنا عدد من القصص النبوي مثل قصة أصحاب الأخدود، وقصة

---

(١) مقدمة «صفحات من صبر العلماء»، ومقدمة «رسالة المسترشدين».

جريج العابد، وقصة أصحاب الغار، وقصة أويس القرني، ونزيد هنا بعض القصص النبويِ لتكون زاداً للوالدين والمربين . . . وهي:

١ـ قصة سيدنا إبراهيم وإسماعيل وأمه عليهم السلام.
٢ـ قصة الكفل.
٣ـ قصة الأقرع والأبرص والأعمى.
٤ـ قصة المقترض ألف دينار.

١ـ قصة سيدنا إبراهيم وإسماعيل وأمه عليهم السلام:

أخرج البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال:

«أول ما اتخذ النساء المِنْطَق من قبل أم إسماعيل، اتخذت مِنْطَقاً لِتُعَفِّي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعها هناك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم! أين تذهب، وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟! فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذاً لا يُضيِّعنا، ثم رجعت.

فانطلق إبراهيم عليه السلام حتى إذا كان عند الثنية ـ حيث لا يرونه ـ استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الدعوات، فرفع يديه، فقال:
﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ١٤/ ٣٧].

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل، وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت، وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوّى، أو قال: يتلبَّط، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً؟ فلم تر أحداً، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي، رفعت طرف درعها، ثم سعتْ سعيَ الإنسان المجهود، حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة، فقامت عليها،

فنظرت هل ترى أحداً؟! فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: فلذلك سعى الناس بينهما.

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً، فقالت: صه.. ـ تريد: نفسها ـ ثم تسمَّعت، فسمعت أيضاً، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه ـ أو قال: بجناحه ـ حتى ظهر الماء تحوِّضه، وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرفُ من الماء في سقائها، وهو يفورُ بعدما تغرف، وفي رواية: بقدر ما تغرف. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم ـ أو قال: لو لم تغرف ـ لكانت زمزم عيناً معيناً».

قال: فشربت، وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة، فإن ها هنا بيتاً لله يبنيه هذا الغلام، وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله.

وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله، فكانت كذلك، حتى مرت بهم رُفقةٌ من جُرْهُم (أو: أهل بيت من جُرْهُم) مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائراً، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على الماء، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جرياً، أو جريين، فإذا هم بالماء، فرجعا، فأخبراهم، فأقبلوا، وأم إسماعيل عند الماء. فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ قالت: نعم، ولكن لا حقَّ لكم في الماء، قالوا: نعم، قال ابنُ عباس: قال النبي ﷺ: فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحبُّ الأنس، فنزلوا، فأرسلوا إلى أهليهم، فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم.

وشبَّ الغلام، وتعلم العربية منهم، وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته، فلم يجدْ إسماعيل، فسأل امرأته عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا ـ وفي رواية: ذهب يصيد ـ ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بشرٍ، نحن في ضيق وشدة، وشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، وقولي له: «يغيِّر عتبة بابه».

فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً، فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، فسألني: كيف عيشنا؟ فأخبرته أنا

في جهد وشدة، قال: فهل أوصاك بشيء! قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول لك: غيِّر عتبة بابك، قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك، فطلقها.

وتزوج منهم أخرى، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله أن يلبث، ثم أتاهم بعد، فلم يجده، فدخل على امرأته، فسألها عنه، قالت: خرج يبتغي لنا، قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنت على الله عز وجل، فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم، قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء، قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء، قال النبي ﷺ: «ولم يكن لهم يومئذ حَبٌّ، ولو كان لهم دعا لهم فيه» قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه، قال: فإذا جاء زوجك، فاقرئي عليه السلام، ومُريه يثبت عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم أتانا شيخ حسن الهيئة ـ وأثنت عليه ـ فسألني عنك، فأخبرته، فسألني: كيف عيشنا؟ فأخبرته أنا بخير، قال: أوصاك بشيء؟ قالت: نعم يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك. قال: ذاك أبي، وأنت العتبة، أمرني أن أمسكك.

ثم لبث عنهم ما شاء الله، ثم جاء بعد ذلك، وإسماعيل يبري نبلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد، والولد بالوالد، ثم قال: يا إسماعيل! إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك ربك، قال: وتعينني؟ قال: وأعينك، قال: إن الله أمرني أن أبني بيتاً ها هنا ـ وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها ـ فعند ذلك رفع القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء، جاء إبراهيم بهذا الحجر، فوضعه له، فقام عليه وهو يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(١) [البقرة: ٢/ ١٢٧] قال: فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

---

(١) انظر جامع الأصول (١٠/ ٢٩٥). ت: الأرناؤوط.

٢ـ قصة الكفل[1]:

روى الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كان فيمن كان قبلكم رجل اسمه الكِفْل، وكان لا ينزعُ عن شيء، فأتى امرأة علم بها حاجة، فأعطاها عطاءً كثيراً، وفي رواية: ستين ديناراً، فلما أرادها على نفسها ارتعدتْ، وبكتْ، فقال: ما يبكيك؟ قالت: لأن هذا عمل ما عملتُه قط، وما حملني عليه إلا الحاجة، فقال: تفعلين هذا أنتِ من مخافة الله؟! فأنا أحرى، اذهبي فَلَكِ ما أعطيتك، ووالله! لا أعصيه أبداً، فمات من ليلته مكتوباً على بابه إن الله تعالى قد غفر للكفل، فعجب الناس من ذلك، حتى أوحى الله تعالى إلى نبي زمانهم بشأنه».

٣ـ قصة الأقرع والأبرص والأعمى:

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً، فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجِلْد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل، أو قال: البقر ـ شك إسحاق ـ إلا أن الأبرص والأقرع قال أحدهما: الإبل، وقال الآخر: البقر، قال: فأعطي ناقة عُشَراء، فقال: بارك الله لك فيها.

قال: فأتى الأقرع، فقال: أي شيء أحبُّ إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهبُ عني هذا الذي قد قذرني الناسُ، قال: فمسحه، فذهب عنه، قال: وأعطي شعراً حسناً، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر، فأعطي بقرة حاملاً، قال: بارك الله لك فيها.

قال: فأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحبُّ إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاةً والداً.

---

[1] تروى هذه القصة عند قرب الطفل من سن الاحتلام.

فأُنتِجَ هذان، وَوَلّد هذا، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم.

قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين، قد انقطعتْ بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله، ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال: بعيراً، أتبلَّغُ به في سفري، فقال: الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك! ألم تكن أبرص يَقْذَرك الناس، فقيراً فأعطاك الله؟ فقال: إنما ورثْتُ هذا المال كابراً عن كابر، فقال: إن كنتَ كاذباً فصيَّرك الله إلى ما كنت.

قال: وأتى الأقرع في صورته، فقال له مثل ما قال لهذا، فرد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذباً، فصيّرك الله إلى ما كنت.

قال: وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين، وابن سبيل، انقطعتْ بي الحبال في سفري، فلا بلاغَ لي اليوم إلا بالله، ثم بك، أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنتُ أعمى، فردَّ الله إليَّ بصري، فخذْ ما شئت، ودعْ ما شئت، فوالله! لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال: «أمْسِكْ مالكَ، فإنما ابتُليتُم، فقد رُضِي عنك، وسُخِط على صاحبيك»(١).

٤ ـ قصة المقترض ألف دينار:

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ ذَكَر رجلاً من بني إسرائيل، سأل بعض بني إسرائيل أن يُسلِفَه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيداً، قال: فائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً، قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مُسَمّى، فخرج في البحر، فقضى حاجته، ثم التمس مركباً يركبه يقدمُ عليه للأجل الذي أجّله، فلم يجد مركباً فاتّخذ خَشَبةً، فنقرَها، فأدخل فيها ألف دينار، وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زَجج(٢) موضعها،

---

(١) انظر جامع الأصول (١٠/ ٣٢١) ت الأرناؤوط.

(٢) أي: سوّى موضع النقر، وأصلحه.

ثم أتى بها البحر، فقال: اللهم إنك تعلم أني تَسَلَّفْتُ فلاناً ألف دينار، فسألني كفيلاً، فقلت: كفى بالله شهيداً، فرضي بك، وإني جهدتُ أن أجد مركباً، ثم رمى بها في البحر حتى وَلَجت فيه، ثم انصرف، وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرجُ إلى بلده.

فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعلَّ مركباً قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطباً، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه، وأتى بألف دينار، فقال: والله! ما زلتُ جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجدتُ مركباً قبل الذي جئت به، قال: فإن الله قد أدَّى عنك الذي بعثته في الخشبة، فانصرف بالألف دينار راشداً».

وهكذا يعيشُ الطفل مع القصص النبوي، ومع قصص السيرة النبوية، ومع القصص القرآني، فيعيش في أجواء الإيمان، وحرارته، فيزيده ثباتاً، ورسوخاً.

الأساس الفكري الثاني ـ الخطاب المباشر للطفل:

إن الخطاب المباشر في مخاطبة عقل الطفل، وتبيين الحقائق له، وترتيب المعلومات الفكرية ليحفظها مع فهمها، يجعل من الطفل أشدّ قبولاً، وأكثر استعداداً للتلقي، أما اللف والدوران، فليس له في التعامل مع الطفل نصيب، وهكذا علَّمنا رسول الله ﷺ أن نتوجّه إلى الطفل في كثيرٍ من المناسبات بالخطاب المباشر بصراحة، ووضوح.

وما حديث ابن عباس رضي الله عنه ـ الذي أخرجه الترمذي ـ قال: كنتُ خلف النبي ﷺ يوماً، فقال: «يا غلام! إني أعلمك كلمات» إلا دليل ذلك.

فالرسول ﷺ يباشر إلى الموضوع الذي يريده، فيقول للطفل الناشىء: «إني أعلمك» فالرسول ﷺ يعلم الطفل «كلمات» مختصرة مفيدة، لا طول فيها، ولا ملل، وذلك انسجامٌ مع طبيعة الطفل الفكرية؛ التي تتطلب الكلمات القصيرة، الموجزة، الجامعة، الغنية بالمعاني والأفكار.

وإذا تأملنا في طبيعة الكلمات التي وجهها الرسول ﷺ وجدناها تشكّل للطفل قواعد فكرية، عَقَدية، أساسية في حياته الحاضرة الطفلية، وفي شبابه

المرتقب بعد حين، فلنقرأ هذه الكلمات، ونشاهد:

«احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعنْ بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعت الأقلام، وجَفَّت الصُّحُف».

أرأيتَ إلى جمال هذا الخطاب المباشر الذي ابتدأ في شد انتباه الطفل بكلمة: «يا غلام» التي تثير انتباه الطفل، وتشعره بنشوة اهتمام الآخرين به، مثلما يشعر الشباب عندما يسمعون النداء: «يا شباب».

ثم هل رأيت بياناً جامعاً شاملاً، يخاطب عقل الطفل مثل هذا الخطاب؟! وهل قرأت، أو سمعت مثل هذه القواعد الكلية التي تؤسس فكر وعقل الطفل؛ لتكون مرتكزاً له في مواجهة الحياة؟ كذلك فإن الرسول ﷺ ليرشد الطفل بخطابه المباشر إلى طريقة عملية؛ ليتخلص من أدران أمراض القلب كالحسد، والبغضاء، والحقد، والكيد، وذلك بتسلسل فكري عجيب.

أخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «يا بني! إذا قدَرْتَ أن تصبح وتمسي، وليس في قلبك غشٌّ لأحد، فافعل يا بني، وذلك من سنتي، ومن أحيا سنتي فقد أحياني، ومن أحياني كان معي في الجنة».

وهنا استخدم النبي ﷺ عبارة: «يا بني» وذلك لإثارة مشاعر الطفل، وشدّ انتباهه له، واستيقاظه إلى سماع الحديث.

وفي استعراض بيان الرسول ﷺ هذا نجد طريقة الإقناع التي استخدمها مع الطفل، وكيف رتب له المعلومات ليحفظها، وتسلسل معه في الحديث ليفهمه، ويستفيد منه في خطاب مباشر له، وفي جو هادىء مريح، وفي إثارة عجيبة بكلمة: «يا بني».

الأساس الفكري الثالث ـ خطاب الطفل على قدر عقله:

الطفل كأي كائن حي، له حدود لا يستطيع تجاوزها، وعقله وفكره ما زال في ريعان النمو والتوسُّع، وإدراك الوالدين والمربين إلى درجة نمو عقل الطفل

التي وصل إليها، يَسَهُل عليهم حل كثير من المشاكل، إذ عندها يعرفون متى يخاطبونه، والكلمات التي يستعملونها، والأفكار التي يقدمونها.

ودليل هذا أنه قبل معركة بدر، حينما قبض الصحابة على غلام راع لقريش، سألوه عن عدد الجيش، فإذا به لا يحسن الإجابة فضربوه، حتى أقبلَ النبي ﷺ ـ وهو عالمُ النفس الحقيقي بلا منازع ـ فإذا به يسأل الغلام: «كم ينحر القوم من الإبل؟» قال الغلام: بين التسعة والعشرة. فقال ﷺ: «القوم بين التسعمئة والألف» فعرف ﷺ أن هذا الغلام لا يعرف عدد الألوف، ولكن طاقته العقلية تدرك عدد العشرات... وعشرات أي شيء؟؟ عشرات الإبل التي يسهل عدّها على كل طفل؛ لما لها من الحجم الكبير.

وهذا دليلٌ آخر: ينادي الرسول ﷺ بنتاً صغيرة باللغة الحبشية التي تفهمها، ولو كلّمها بغير ذلك لما فهمت قصده، فقد أورد ابن تيمية في كتابه: «اقتضاء الصراط المستقيم» أن النبي ﷺ قال لأم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص ـ وكانت صغيرة قد وُلدت بأرض الحبشة لما هاجر أبوها ـ فكساها ﷺ قميصاً، وقال: «يا أم خالد! هذا سنا» والسنا بلغة الحبشة: الحسن[(١)].

وروى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: لقد رأيتُ رسول الله ﷺ يسترني بردائه، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد، حتى أكون أنا التي أسأمه، فاقدروا قَدْر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو.

وللنسائي في أخرى عنها: قالت: «وجاءت السودان يلعبون بين يدي رسول الله ﷺ في يوم عيد، فدعاني رسول الله ﷺ فكنت أطلع عليهم من فوق عاتقه، حتى كنت أنا التي انصرفت».

ومن الأمثلة الحياتية: أنه حينما كان يقصّر أنس رضي الله عنه في خدمة النبي ﷺ، أو ينسى أمراً، فيعاقبه أهلُ النبي ﷺ، فإذا برسول الله ﷺ المدرك لحدود طاقة الطفل، يقول: «دعوه، فلو قدر لكان» فهذا يعني: أن الطفل ذو طاقة فكرية وجسمية محدودة، فمطالبته بأعمال تفوق قدرته يعني: استنبات البذور في

---

(١) قال ابن حجر في الفتح معلقاً (١٣/ ٣١): «وأن الممازحة بالقول والفعل إنما يقصد به التأنيس».

الهواء. وحتى في الممازحة كان ﷺ يمازح الأطفال على قدر طاقتهم العقلية والفكرية، فيمازحهم بأشياء يحسونها، ويدركونها، ويعرفونها... وهل ممازحته ﷺ للطفل «أبا عمير»... «يا أبا عمير! ما فعل النغير» إلا دليل ذلك، حيث كان هذا النغير طائراً صغيراً يلعب به الطفل الصغير.

وإذا أردنا أن نشاهد الصورة العكسية، أي: مخاطبة الطفل فوق طاقته الفكرية، سنجد عندها التمرد، والمشاكسة، والعناد، والبلادة أحياناً، أرأيت رجلاً يأمرك بأمر بغير لغة تعرفها، فلا تستجيب له، فينهال عليك ضرباً ولكماً، هل هذا من العدل بمكان؟ وهكذا الطفل.

الأساس الفكري الرابع ـ الحوار الهادىء مع الطفل:

إن الحوار الهادىء ينمي عقل الطفل، ويوسع مداركه، ويزيد من نشاطه في الكشف عن حقائق الأمور، ومجريات الحوادث والأيام، وإن تدريب الطفل على المناقشة والحوار يقفز بالوالدين إلى قمة التربية والبناء، إذ عندها يستطيع الطفل أن يعبر عن حقوقه، وبإمكانه أن يسأل عن مجاهيل لم يدركها، وبالتالي تحدث الانطلاقة الفكرية له، فيغدو في مجالس الكبار، فإذا لوجوده أثر، وإذا لآرائه الفكرية صدىً في نفوس الكبار؛ لأنه تدرب في بيته مع والديه على الحوار، وأدبه، وطرقه، وأساليبه... واكتسب خبرة الحوار من والديه.

أما ما يفعله بعضُهم بإلزام الطفل السكوت الدائم، ليدل على التهذيب الأخلاقي، والصمت التام، والأدب الرفيع، فإن هذا طيب وجيد بشرط أن تكون للطفل القدرة على التعبير عن أفكاره، واستطاعته الحوار بأدب، وخُلُق جمّ.

وإنَّ رسول الله ﷺ حاور الطفل بهدوء، وروية عندما سأله عن عدد الجيش ـ كما تقدم ـ أما الصحابة فكانوا يضربونه، فلا يجيبهم.

وإن رسول الله ﷺ حاور الفتى المقبل على طلب الزنى بشكل هادىء، فقام الفتى وقد أبغض الزنى بغضاً شديداً.

وقد تقدم في قيام الأطفال للّيل حديث ابن عباس رضي الله عنهما؛ الذي رواه البخاري، وحرصه على القيام، وفي رواية ثانية زيادة: نتعلم منها محاورة

الرسول ﷺ مع الطفل الناشيء ابن عباس، وإليك الحوار الهادىء اللطيف:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: بِتُّ عند خالتي ميمونة لأراقب صلاة رسول الله ﷺ، فانتبه رسول الله ﷺ وقال: «نامت العيون، وغارت النجوم، وبقي الحي القيوم» ثم قرأ آخر آل عمران: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ٣/ ١٩٠] الآيات. ثم قام إلى شَنّ معلق في الهواء، فتوضأ، وافتتح الصلاة، فتوضأت، ووقفت عن يساره، فأخذ بأذني، وفي رواية: بذؤابتي، وأدارني خلفه، حتى أقامني عن يمينه، فعدتُ إلى مكاني، فأعادني ثانياً وثالثاً، فلما فرغ قال: «ما منعك يا غلام! أن تثبت في الموضع الذي أوقفتك فيه؟» فقلت: أنت رسول الله، ولا ينبغي لأحد أن يساويك، فقال ﷺ: «اللهم فقّهه في الدين، وعلّمه التأويل»[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي من آخر الليل، فقمت وراءه، فأخذني، فأقامني حذاءه، فلما انصرف قال: «ما لك؟! أجعلك حذائي فتخنس» قلت: ما ينبغي لأحد أن يصلي حذاءك، وأنت رسولُ الله، فأعجبه، فدعا الله أن يزيدني فهماً وعلماً. رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٣٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

ويحاور ﷺ طفلاً يريد الدخول في المعركة بكل هدوء وروية، ويسمع رأيه، وينصفه:

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: أَيَّمَتْ أمي، وقدمت المدينة، فخطبها الناس، فقالت: لا أتزوج إلا برجل يكفلُ لي هذا اليتيم، فتزوجها رجلٌ من الأنصار، قال: فكان رسول الله ﷺ يعرضُ غلمان الأنصار في كل عام، فيلحق من أدرك منهم، قال: فعرضت عاماً، فألحق غلاماً، وردّني، فقلت: يا رسول الله! لقد ألحقته، ورددتني، ولو صارعتُه لصرعتُه، قال: «فصارِعْهُ» فصارعتُه فصرعته، فألحقني. رواه الحاكم في مستدركه (٢/ ٦٠) وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

---

(١) بدائع الصنائع (١/ ٢٥٨).

وسار الصحابة بعد ذلك على منهاج النبوة، فهذا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يشكو إليه أب عقوق ولده، فما كان من عمر إلا أن استدعى الابن ليفهم الحقيقة، فقال عمر للابن: ما حملك على عقوق أبيك؟ فقال: يا أمير المؤمنين! ما حقُّ الولد على أبيه؟ قال: أن يحسن اسمه، وأن يحسن اختيار أمه، وأن يُعلِّمه الكتاب. فقال: يا أمير المؤمنين! إن أبي لم يفعل شيئاً من ذلك. فالتفت عمر للأب وقال له: لقد عققت ولدك قبل أن يعقك.

وكان عمر يحاور الصبيان، حتى إنه يستشيرهم في الأمور المهمة[1].

أرأيت يا أخي! خليفة المسلمين، ورئيس أكبر دولة في العالم. وعمر وما أدراك ما عمر بقوته في الحق؟! يستشير في الأمور المهمة، هؤلاء الذين لا تأبه لهم بالاً، وتنظر إليهم من علٍ، هؤلاء الأطفال، الذين يحاورهم رسول الله ﷺ، ويناقشهم أمير المؤمنين، فَهَلمّ إلى الحوار الهادىء مع طفلك، تناقشه في ودّ، وتسمع إلى رأيه بأناة وحلم، كما سمع وحاور خامس الخلفاء الراشدين:

«حينما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وفَدت الوفود من كل بلد لبيان حاجتها، وللتهنئة، فوفد عليه الحجازيون، فتقدم غلامٌ هاشمي للكلام، وكان حَدَثَ السِّنِّ، فقال عمر: لينطق من هو أَسَنُّ منكَ، فقال الغلام: أصلح الله أمير المؤمنين، إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا منح الله عبداً لساناً لافظاً، وقلباً حافظاً، فقد استحق الكلام، وعرف فضله من سمع خطابه، ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين! بالسن، لكان في الأمة من هو أحق بمجلسك هذا منك. فقال عمر: صدقت، قلْ ما بدا لك. فقال الغلام: أصلح الله أمير المؤمنين، نحن وفدُ تهنئة، لا وفد مرزئة، وقد أتيناك لمنّ الله الذي مَنَّ علينا بك، ولم يقدمنا إليك رغبة ورهبة، أما الرغبة فقد أتيناك من بلادنا، وأما الرهبة فقد أمِنّا جَوْرَكَ بِعَدْلِكَ. فقال عمر: عظني يا غلام! فقال الغلام: أصلح الله أمير المؤمنين، إن ناساً من الناس غرهم حلم الله عنهم، وطول أملهم، وكثرة ثناء الناس عليهم، فزلّت بهم الأقدام، فهووا في النار. فلا يَغُرَّنَّكَ حِلْمُ الله

---

(١) «حياة عمر بن الخطاب» للطنطاويين.

عنك، وطول أملك، وكثرة ثناء الناس عليك، فتزل قدمك، فتلحق بالقوم، فلا جعلك الله منهم، وألحقك بصالحي هذه الأمة. ثم سكت.

فقال عمر: كم عمر الغلام؟ فقيل: هو ابن إحدى عشرة سنة، ثم سأل عنه، فإذا هو من ولد سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهم فأثنى عليه، ودعا له».

وعن مصعب بن سعد قال: «كان أبي إذ صلّى في المسجد تجوز، وأتم الركوع والسجود، وإذا صلى في البيت أطال الركوع والسجود والصلاة، قلت: يا أبتاه! إذا صليت في المسجد جوزت، وإذا صليت في البيت أطلت، قال: يا بني! إنا أئمةٌ يُقتدى بنا» رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح، كذا قاله الهيثمي في المجمع (١/ ١٨٢).

وعن أبي بردة بن أبي موسى رضي الله عنهما قال: شهدت أبا موسى، وهو في بيت أم الفضل، فعطَسَت، فشمّتها، وعطستُ فلم يشمّتني، فلما جئت إلى أمي أخبرتها، فلما جاءها أبو موسى، قالت له: عطس عندك ابني فلم تشمّته، وعطست امرأة فشمّتها؟ فقال: إن ابنك عطس فلم يحمد الله، فلم أشمته، وإنها عطست، فحمدت الله فشمّتها، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمّتوه، وإذا لم يحمد الله فلا تشمّتوه» قالت: أحسنت، أحسنت. رواه الحاكم في مستدركه (٤/ ٢٦٥) وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

ونوردُ فيما يلي نموذجاً حياً في الحوار الهادىء، كان سبباً في تصحيح مسار إمام كبير، فقد رأى الإمام أبو حنيفة غلاماً يلعب بالطين، فقال له: يا غلام! إياك والسقوط في الطين، فقال الغلام للإمام: إياك أنت من السقوط؛ لأن سقوط العالِم سقوط العالَم. فكان أبو حنيفة لا يفتي بعد سماع هذه الكلمة إلا بعد مدارسة المسألة شهراً كاملاً مع تلامذته[1].

وروى الخطيب بسنده إلى مجاشع بن يوسف أنه قال: كنتُ بالمدينة عند

---

(١) الإسلام بين العلماء والحكام» (ص١١٢) لعبد العزيز البدري. و(ص٦٤) من كتاب «تذكرة الآباء وتسلية الأبناء لابن العديم».

مالك (ابن أنس) وهو يفتي الناس، فدخل عليه محمد بن الحسن، صاحب أبي حنيفة ـ وهو حَدَث ـ وذلك قبل أن يرحل إليه لسماع الموطأ منه، فقال (محمد): ما تقول في جُنُبٍ لا يجد الماء إلا في مسجد؟ فقال مالك: لا يدخل الجنب المسجد. قال (محمد): فكيف يصنع وقد حضرت الصلاة وهو يرى الماء؟ قال: فجعل مالك يكرر: لا يدخل الجنب المسجد. فلما أكثر عليه قال له مالك: فما تقول أنت في هذا؟ قال: يتيمم ويدخل، فيأخذ الماء من المسجد، ويخرج، فيغتسل، قال: من أين أنت؟ قال: من أهل هذه، وأشار إلى الأرض، ثم نهض، قالوا: هذا محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، فقال مالك: محمد بن الحسن كيف يكذب؟ وقد ذكر أنه من أهل المدينة. قالوا: إنما قال من أهل هذه، وأشار إلى الأرض، قال: هذا أشد عليّ من ذاك[1].

الأساس الفكري الخامس ـ تدريب حواس الطفل بالتجارب العملية:

إن تدريب حواس الطفل يكسبه معرفة، وعلماً، فعندما يبدأ بالنمو، ويبتدىء بتشغيل يديه في عمل من الأعمال، فإن ذلك يثير في عقله اليقظة. فيشاهد أمامه كيف يدرب حواسه، ويعيد هو بنفسه ذلك العمل، وهكذا يتقن العمل، ويتطلع إلى إجادة العمل خطوة خطوة.

ورسول الله ﷺ رأى طفلاً يسلخ شاة، وما يُحْسنُ، فما كان منه ﷺ إلا أن شَمَّر عن ساعديه، ويبدأ بسلخ الشاة أمام الطفل، وراح الطفل يتأمل الكيفية، ويُعمل عقله في ذلك، ويركز ذهنه في التعليم من رسول الله ﷺ.

فقد أخرج أبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ مَرّ بغلام يسلخ شاة، وما يحسن، فقال له رسول الله ﷺ: «تنحّ حتى أريك» فأدخل يده بين الجلد واللحم، فَدَحَس[2] بها، حتى دخلت إلى الإبط، ثم مضى، فصلى للناس، ولم يتوضأ. بمثل هذه التجارب العملية في تدريب الطفل

---

(١) بلوغ الأماني في سيرة الإمام محمد بن حسن الشيباني، للشيخ محمد زاهد الكوثري، رحمه الله (ص١٢).

(٢) أي: دَفَعَ.

يمكن أن تتفتح آفاق معرفته، وتتوسع مدارك ذهنه وعقله.

الأساس الفكري السادس ـ شد الطفل إلى شخصية ثابتة قدوة له هو رسول الله ﷺ:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بِتُّ عند خالتي ميمونة، فلما كان بعض الليل قام رسول الله ﷺ يصلي، فأتى شناً معلقاً، فتوضأ وضوءاً خفيفاً، ثم قام فصلى، فقمت فتوضأت، وصنعت مثل الذي صنع، ثم قمت عن يساره، فحوّلني عن يمينه، فصلى ما شاء الله، ثم اضطجع فنام حتى نفخ، ثم أتاه المؤذن يؤذنه بالصلاة، فخرج فصلى. رواه ابن خزيمة في صحيحه (٣/ ١٧).

وفي رواية أخرى لابن خزيمة: بت عند خالتي ميمونة، **فتتبعت كيف يصلي رسول الله ﷺ**، ثم قام يصلي...

إن ربط الطفل بشخص رسول الله ﷺ والاقتداء به، وغرس حبه على نحو سيأتي في البناء العقدي للطفل، والاهتداء بحديث النبي ﷺ الذي أخرجه الطبراني، وابن النجار عن علي كرم الله وجهه: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن».

إن تعلق الطفل بالرسول ﷺ يجعل منه إنساناً سوياً، إذ يفتح ذهنه ومداركه على سيرة إمام الرسل، وقائد البشرية، وحبيب الرحمن، ويتوقد عقله بالنور الإيماني، ويفهم هذا التاريخ المجيد، فيرفع رأسه بانتمائه إلى رسول الله ﷺ.

وإذا علمنا سخافة الغرب بتنشئة الطفل على التمسك بالأشخاص الخياليين مثل «سوبرمان» وغيره أدركنا عظم أهمية ربط عقل الطفل بشخص رسول الله ﷺ.

ويكفي أن تقدم سيرته، وسلوكه، وغزواته أمام الأطفال ليسارع الطفل إلى حب نبيه، والاقتداء برسوله، والتمسك بسلوكه ﷺ، والابتعاد عن الشرذمة الفاجرة.

☆ ☆ ☆

الباب الثالث

أسس الأساليب النفسية المؤثرة في نفس الطفل

الأساس الأول: صحبة الطفل.

الأساس الثاني: إدخال السرور، والفرح إلى نفس الطفل.

الأساس الثالث: زرع التنافس البنّاء بين الأطفال، ومكافأة الفائز.

الأساس الرابع: مبدأ تشجيع الأطفال.

الأساس الخامس: المدح والثناء.

الأساس السادس: تنمية ثقة الطفل بنفسه.

الأساس السابع: حسن النداء.

الأساس الثامن: الاستجابة لميولهم، وترضيتهم.

الأساس التاسع: أثر التكرار في نفس الطفل.

الأساس العاشر: التدرج في الخطوات.

الأساس الحادي عشر: الترغيب والترهيب.

«إن الأرواح لتنمو بالتربية اللطيفة، كما تنمو الأجسام بالغذاء الصحيح، ولنماء الجسم حد معلوم، وغاية لا تُتَجاوَز، إذا أَدْرَكَ شأوها أخذ في التقهقر إلى الوراء، أما نماء الروح فموصول بحياة الإنسان، لا يقف إلا إذا خمدت أنفاسه، وبرح مدرسة هذا العالم الكبرى».

الشيخ محمد الخضر حسين ـ رحمه الله ـ

---

(١) أي: فَارَقَ.

الأساس النفسي الأول ـ صحبة الطفل:

تلعب الصحبة دوراً كبيراً في التأثير على نفس الطفل، وهي مرآةُ الصديق لصديقه، وهي أشبهُ بعملية التلقيح بين الصديقين، فيتعلمان من بعضهما بعض.

وكان ﷺ يصحب الأطفال في كافة الميادين، فتارة يصحب ابن عباس، ويسيران في الطريق، وتارة يصحب أطفال ابن عمه جعفر، وأخرى يصاحب أنساً، وهكذا يصحب النبي ﷺ الطفل معه من غير تأفف ولا استكبار، ومن غير تعجرف، ولا استعلاء، فهذا حقُّ الطفل أن يصحَب الكبار ليتعلم منهم، فتتهذب نفسه، ويتلقح عقله، وتتحسّن عاداته.

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل، وهو يلعبُ مع الصبيان، فأخذه فصرعه، فشقّ عن قلبه... الحديث. رواه الحاكم في مستدركه، وقال: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي.

وروى الحاكم[1] أن عبد الله بن جعفر قال: لو رأيتني وقثم وعبيد الله بن العباس نلعب، إذ برسول الله ﷺ على دابة فقال: «احملوا هذا إلي» فجعلني أمامه، ثم قال لقثم: «احملوا هذا إلي» فجعله وراءه، ما استحيا من عمه العباس أن حمل قثم، وترك عبيد الله، ثم مسح برأسي ثلاثاً، فلما مسح قال: «اللهم اخلفْ جعفراً في ولده» قلت لعبد الله بن جعفر: ما فعل قثم؟ قال: استشهد، قلت لعبد الله: الله ورسوله كان أعلم بخبره، قال: أجل.

وهذا الطفل الصحابي يُحدِّث كيف اصطحبه قومه إلى رسول الله ﷺ مما جعله بعد ذلك يروي الأحاديث النبوية، ويحدث عما رآه، وسمعه من رسول الله ﷺ، إنه أبو جحيفة رضي الله عنه فيقول:

أتينا رسول الله ﷺ في نفر من بني عامر بن صعصعة بالأبطح، فقال: «مرحباً، أنتم مني» فلما حضرت الصلاة خرج بلال، فأذن، وجعل أصبعيه في أذنيه، وجعل يستديرُ في أذانه، فلما أقام غَرَزَ النبي ﷺ عَنَزَةً، فصلى إليها. رواه أبو يعلى في مسنده (٢/ ١٩١) بسند صحيح.

---

(١) السعادة العظمى (ص٩٠) للشيخ محمد خضر حسين رحمه الله.

وهكذا فعل الصحابة رضوان الله عليهم، فعمر كان يصحب ابنه، وابن عباس. والزبير يصحب طفله إلى المعركة ليتعلم فنون القتال، فينشأ قوياً صلباً، ثم ركّز ﷺ على صحبة الطفل للطفل، فكان ﷺ في طفولته يلعب مع الأطفال، ويعيش معهم، فيغدو، ويروح معهم، وهكذا نشأ.

ثم يشاهد ﷺ مجموعة من الأطفال يلعبون، فلا يفرقهم، ولا يفسد عليهم لعبهم، بل إنه يشجعهم على هذه الروح الجماعية، والمتابعة في اللعب.

فإذاً لا بد للطفل من صحبة الأطفال في عمره، والأصدقاء في طفولته، فإذا أحسن الوالدان اختيار الصديق الصالح لطفلهما، وراقبا سلوكَ هذه المجموعة من الأصدقاء، ورعوها برعايتهم، واجتمع الآباء لمدارسة أحوال أطفالهم، واجتمعت الأمهات في مدارسة سلوك أطفالهم، فإن هذا سيأتي بالخير كله.

لأنه كما أن الوالدين مطالبان بتأمين الطعام الحلال للطفل، لينشأ جسمه بالحلال، وينبت لحمه بعيداً عن السحت، فإن الوالدين مطالبان بتأمين الصديق الصالح لطفلهما، يحادثه، ويسامره، ويلعب معه.

والحذر، الحذر من أطفال السوء أن يلتقطوا طفلك، فيهوُوا به إلى مهاوي الرذيلة، وارتكاب الجرائم، وأنت في غيّك لاهٍ، وفي الدنيا منهمك، والأم في استمتاعها بالزيارات لصديقاتها ذاهبة عائدة، والطفل يعيش بين براثن أطفال السوء. وما الجرائم وسجون الأحداث إذا زرتها، أو سمعت عنها، إلا من أطفال السوء انتشلوا طفلك في غفلة منك.

فهل تريد أن تشاهد طفلك في سجون الأحداث، أم في بيوت الله والمساجد؟! فلتسارعْ تبحث عن طفل صالح يصادق طفلك، ويصاحبه في غدوّه ورواحه. فإن لم تجد الطفل الصالح، فسارع إلى أستاذ صالح يرشدك إلى الأطفال الصالحين، ويضم طفلك معهم.

أمَا آن للوالدين أن يستيقظا؟! فلقد استيقظ الأعداء على سرقة طفلكم من بين أحضانكم، وذلك بالمنظمات الكافرة، والاتحادات الفاسدة، والنوادي القذرة.

الأساس النفسي الثاني ـ إدخال السرور والفرح في نفس الطفل:

السرور والفرح يلعب في نفس الطفل شيئاً عجباً، ويؤثر في نفسه تأثيراً قوياً. فالأطفال، وهم براعم البراءة والصفاء يحبون الفرح، بل هم أداة الفرح للكبار، ويحبون الابتسامة أن يشاهدوها على وجوه الكبار.

وبالتالي فإن تحريك هذا الوتر المؤثر في نفس الطفل سيورث الانطلاق، والحيوية في نفسه، كما أنه يجعله على أهبة الاستعداد لتلقي أي أمر، أو ملاحظة، أو إرشاد.

وكان ﷺ يُدخل دائماً السرور والفرح إلى نفوس الأطفال، ويتبع في ذلك شتى الأساليب، فمن ذلك:

- الاستقبال الجيد لهم.
- تقبيلهم، وممازحتهم.
- مسح رؤوسهم.
- حملهم، ووضعهم في حجره الشريف.
- تقديم الأطعمة الطيبة لهم.
- الأكل معهم.

كل ذلك كان يفعله ﷺ على نحو ما سيأتي معنا في البناء العاطفي؛ لما للفرح من قوة في التأثير، ولما للسرور من براعة في إسعاد الطفل.

الأساس النفسي الثالث ـ زرع التنافس البنّاء بين الأطفال، ومكافأة الفائز:

إنَّ التنافس يحرك في الإنسان عامة، فضلاً عن كون الطفل ذي مشاعر، وطاقات مكنونة، لا يعرفها الإنسان إلا عندما يضع في نفسه؛ منافسه فلان أو فلان؛ للفوز عليه، ورسول الله ﷺ يثيرُ في نفس الطفل روحَ المنافسة؛ ليحرك هذه الطاقة الهائلة في الإنسان، فمن أمثلة ذلك: المنافسة الفكرية، حينما طرح رسول الله ﷺ سؤالاً على أصحابه، وكان من بين الحاضرين ابن عمر رضي الله عنهما، وكان أصغر القوم.

أخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن

من شجر البوادي شجرة لا يسقط ورقها، وإنها المسلم، فحدِّثوني ما هي؟» فوقع الناسُ في شجر البوادي، قال عبد الله: وقع في نفسي أنها النخلة. ثم حدثنا رسول الله قال: «هي النخلة».

وفي رواية يبرر فيها ابن عمر عدم جوابه: «فإذا أنا أصغر القوم، فسكتّ» فالأسئلة تنبّه عقلَ الطفل، وتفتح مغاليق فهمه، وتُوقِظ حركةَ الذاكرة الجامدة... وهذا النوع من الأسئلة يسمّى في بلاد الشام «بالتحازير» وفي مصر «بالفوازير».

فهذا الطفلُ ابن عمر نافس الكبار في المعرفة والجواب، إلا أنه التزم بالأدب لصغر سِنّه.

ومن الأمثلة كذلك: التنافس الرياضي بين الأطفال، حيث كان ﷺ يجري مسابقة الجري بين الأطفال؛ لتنمو عضلاتهم، ويقوى جسمهم:

أخرج أحمد عن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصفُّ عبد الله، وعبيد الله، وكُثيراً بَني العباس رضي الله عنهم ثم يقول: «من سبق إليّ فله كذا وكذا». قال: فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره، فيقبّلهم، ويلتزمهم.

فإذاً المنافسة، والمسابقة أسلوب بيد الوالدين والمربِّين يستخدمونه في الأوقات المناسبة، فتنشط نفوس الأطفال، ويرتفع منسوب همتهم، ونشاطهم، وتنمو مواهبهم، ويُقدِّمون للفائز منهم الهدايا والعطايا، كما فعل رسول الله ﷺ: «ومن سبق إليّ فله كذا وكذا».

فيشعر الطفل باللذة، ونشوة السعادة، ويسارع كل طفل أن يقدم كل طاقته، ويبذل كل وسعه في الوصول إلى الفوز، ويستعد ليوم المسابقة، فيغدو إلى البيت، ويهيىء نفسه، ويتدرب، ويتعلم، ويسأل، وينقب عن المعرفة، ويُري والديه إلى أي درجة وصل، وهكذا تتفجر الطاقة المكنونة.

وثمة ملاحظة، وفائدة أخرى لهذا الأسلوب؛ إذ ينمي فيه روح الجماعة، والابتعاد عن الفردية، ويتدرَّب على فهم الحياة، فتارة يربح، وأخرى يخسر،

ومرة يعرف الجواب، وأخرى يُغلق عليه، ومرة يصيب، وتارة يخطىء، وهكذا. .

الأساس النفسي الرابع ـ مبدأ تشجيع الطفل:

إن التشجيع الحسي، أو المعنوي، خير كله، وعنصر ضروري من عناصر التربية، لا غِنى عنه[١]، ولكن بدون إفراط.

وللتشجيع دور كبير في نفس الطفل، وفي تقدم حركته الإيجابية البناءة، وفي كشف طاقاته الحيوية، وأنواع هواياته، كما أنه يزيد في استمرارية العمل، ودَفعه قُدُماً نحو الأمام بمردود جيِّد.

وما الحديث الذي تقدم في صف النبي ﷺ للأطفال، وتشجيعهم على السباق، وأنه: «من سبق إليّ فله كذا وكذا» إلا دليل على ذلك.

وهذا عمر رضي الله عنه يخرج من مجلس رسول الله ﷺ بصحبة ابنه عبد الله؛ الذي قال لأبيه عمر عندما خرجا: «فلما خرجتُ مع أبي، قلتُ: يا أبتاه! وقع في نفسي النخلة، قال: ما منعك أن تقولها؟! **لو كنت قلتها كان أحبّ لي من كذا وكذا**، قال: ما منعني إلا أني لم أرك ولا أبا بكر تكلّمتُما، فكرهتُ» (رواه البخاري).

قال ابن حجر معلقاً على الحديث: «كأنه أشار بإيراده إلى أن تقديم الكبير، حيث يقع التساوي، أما لو كان عند الصغير ما ليس عند الكبير، فلا يمنع من الكلام بحضرة الكبير؛ لأن عمر تأسّف حيث لم يتكلم ولده، مع أنه اعتذر له بكونه بحضوره وحضور أبي بكر، ومع ذلك تأسّف على كونه لم يتكلم»[٢].

وعلق ابن القيم على الحديث في كتابه «الطب النبوي» (ص٣٩٨) بقوله:

«وفيه: فرح الرجل بإصابة ولده، وتوفيقه للصواب.

وفيه: أنه لا يكره للولد أن يُجيب بما يعرف بحضرة أبيه، وإن لم يعرفه الأب، وليس في ذلك إساءة أدب عليه».

---

(١) منهج التربية الإسلامية، لمحمد قطب (٢/ ١٤١).

(٢) فتح الباري (١٣/ ١٥٣)

وهذا مثال آخر لاهتمام عمر، وتشجيعه للأطفال أن يتكلموا في مجلس الكبار، وتقديم آرائهم وأفكارهم: روى ابن المبارك في الزهد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم في المستدرك عن عمر رضي الله عنه، قال: فيم ترون أنزلت هذه الآية: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٦٦] فقالوا: الله أعلم، فغضب عمر فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين! فقال عمر: **قل يا بن أخي ولا تُحقِّرْ نفسك**، فقال ابن عباس: ضرب مثلاً لعمل، فقال عمر: أيّ عملٍ؟ فقال: العمل، فقال عمر: لرجل غني يعمل بالحسنات، ثم بعث الله إليه بشيطان، فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله كلها[1].

فليكن شعار الوالدين والمربين في تشجيع الأطفال: «قل يا بني، ولا تحقر نفسك».

ومن التشجيع الحسن: تشجيع الأطفال على الأمور الحسنة، ومن بينها: شراء الكتب النافعة؛ ليصبح للطفل مكتبة علمية تنمو مع نموه؛ فهذا ابن عابدين ـ العالم الكبير ـ يُحدّث ابنه عن نشأته فيقول[2]:

«وكان السبب في جمعه لهذه الكتب العديمة النظير: والده، فإنه كان يشتري له كل كتاب أراده، ويقول له: اشتر ما بدا لك من الكتب، وأنا أدفع لك الثمن، فإنك أحييتَ ما أمتُّه أنا من سيرة سلفي. فجزاك الله تعالى خيراً يا ولدي». وأعطاه كتبَ أسلافه الموجودة عنده من أثرهم، الموقوفة على ذراريهم.

الأساس النفسي الخامس ـ المدح والثناء:

لا شك أن لمدح الطفل أثراً فعالاً في نفسه، فيحرِّك مشاعره، وأحاسيسه، فيسارع الطفل إلى تصحيح سلوكه، وأعماله، وترتاح نفسه، وتزهو لهذا الثناء، وتُتابع في النشاط، وتستمر به، ورسول الله ﷺ ـ وهو عالم النفس الحقيقي ـ يُنبِّه

(١) المصدر السابق.
(٢) حاشية ابن عابدين (١/ ٧ ط٢).

على هذا الوتر الحسَّاس في نفس الغلام، فإذا به تتحرك نفسه نحو الاستجابة والتطبيق:

أخرج البخاري عن ابن عمر(١) رضي الله عنهما قال: كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصَّها على رسول الله ﷺ فتمنيت أن أرى رؤيا، فأقصّها على رسول الله ﷺ، وكنت غلاماً شاباً، وكنتُ أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ، فرأيت في النوم كأن ملكين أخذا بي، فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطويةٌ كطيِّ البئر، وإذا لها قرنان، وإذا فيها أناسٌ قد عَرَفتُهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، قال: فلقينا ملك آخر، فقال لي: لم تُرَع. فقصصتها على حفصة، فقصَّتها حفصةُ على رسول الله ﷺ، فقال: «نِعْمَ الرجل عبد الله لو كان يُصلي من الليل» فكان بَعْدُ لا ينام من الليل إلا قليلاً.

هكذا أثر مدح رسول الله ﷺ: «نعم الرجل عبد الله» فنبَّهه إلى أمر غفل عنه، وبأسلوب رائع، مُحبَّب إلى النفس: «لو كان يُصلي من الليل».

وهكذا المدح والثناء في مكانه المناسب، وزمنه المناسب، وباعتدال من غير مراء، ولا تبجيل، يؤتي ثماره في كل حين.

وسيأتي معنا كذلك قول النبي ﷺ للغلام الناشىء؛ الذي تعلَّم العربية والسريانية لخدمة النبي ﷺ، فمما قاله النبي ﷺ له ـ يوم الخندق ـ: «أما إنه نِعْم الغلام».

الأساس النفسي السادس ـ ملاعبة الطفل، والتصابي له:

مصاباة الطفل وملاعبته تُنمي من نفسه، وتساعده على إظهار مكنوناتها، وسيمر معنا ملاعبة النبي ﷺ للحسن والحسين، وركوبهما على ظهره، والمسير بهما، كذلك اللعب مع أولاد العباس، كل ذلك يدلُّ على أهمية ملاعبة الوالدين للطفل.

ومن شدة اهتمام النبي ﷺ بتصابي الوالدين لأطفالهم فإنه يُوجِّه نداءً عاماً لكل والدين: أن يتصابيا لطفلهما:

---

(١) ولد عبد الله بن عمر في السنة الثانية أو الثالثة من البعثة، وأسلم مع أبيه وهو صغير، لم يبلغ الحلم، ولم يجزه النبي ﷺ في أحد، وأجازه يوم الخندق.

روى ابنُ عساكر عن أبي سفيان قال: دخلتُ على معاوية وهو مُستلقٍ على ظهره، وعلى صدره صبيٌّ، أو صبية تناغيه، فقلت: أمط هذا عنك يا أمير المؤمنين! قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَن كان له صبيٌّ فليتصابَ له».

وأورد البخاري في صحيحه: «باب: من ترك صبيّة غيره حتى تلعب، أو قبّلها، أو مازحها»: عن أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت: أتيت رسول الله ﷺ مع أبي، وعليّ قميص أصفر، فقال رسول الله ﷺ: «سَنَهْ سَنَهْ» قال عبد الله: وهي بالحبشية: حَسَنَة، قالت: «فذهبتُ ألعبُ بخاتم النبوة، فزجرني أبي، فقال رسول الله ﷺ: «دعها» ثم قال: «أبْلي وأخلِقي، ثم أبْلي وأخْلقي، ثم أبلي وأخلِقي» قال عبد الله: فبقي حتى ذكر، يعني: من بقائها.

قال الحافظ ابن حجر معلقاً: «وأن الممازحة بالقول والفعل مع الصغيرة إنما يُقصد به التأنيس، والتقبيل من جملة ذلك»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ ليُدلع لسانه للحسن بن علي، فيرى الصبي حمرة لسانه، فَيَبْهشّ إليه. رواه ابنُ حبان في صحيحه، وإسناده حسن(٢).

وهذا نموذجٌ جديدٌ من تصابي النبي ﷺ للحسن، فيفتح فمه، ويضع فمه في فيه:

روى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما رأيتُ حسناً قط إلا فاضت عيناي دموعاً، وذلك أن النبي ﷺ خرج يوماً، فوجدني في المسجد، فأخذ بيدي، فانطلقتُ معه، فما كلمني حتى جئنا سوق بني قينقاع، فطاف فيه، ونظر، ثم انصرف، وأنا معه حتى جئنا المسجد، فجلس، فاحتبى، ثم قال: «أين لُكَع!! ادع لي لُكَع» فجاء حسن يشتدُّ، فوقع في حجره، ثم أدخل يده في لحيته، ثم جعل النبيُّ ﷺ يفتح فاه، فيدخل فاه في فيه، ثم قال: «اللهم! إني أحبه فأحبه، وأحب من يحبه».

وروى الترمذي وأبو داود عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: «يا ذا الأذنين»

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٣١).
(٢) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٧٠).

يعني: يمازحه. وزاد رزين: كان يقول لي: «يا ذا الأذنين» يمازحني(١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان ﷺ يلاعب زينب بنت أم سلمة، ويقول: «يا زوينب، يا زوينب» مراراً. رواه الضياء بسند صحيح(٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يصلي، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، فإذا أرادوا أن يمنعوهما، أشار إليهم أن دعوهما، فلما قضى الصلاة وضعهما في حجره، وقال: «من أحبني فليحبَّ هذين» رواه أبو يعلى بسند حسن(٣).

الأساس النفسي السادس ـ تنمية ثقة الطفل بنفسه:

اتبع رسول الله ﷺ لتنمية ثقة الطفل بنفسه عدداً من الطرق، وذلك لينشأ طفلاً قوياً، وذلك بالطرق التالية:

١ـ **تقوية إرادة الطفل**: وذلك بتعويده على أمرين اثنين، وهما:

أ ـ **تعويده حفظ الأسرار**: كما فعل أنس رضي الله عنه، وعبد الله بن جعفر، إذ عندما يتعلم الطفل كتم الأسرار، ولا يفضحها، فإن إرادته تنمو وتقوى، وبالتالي تكبر ثقته بنفسه.

ب ـ **تعويده الصيام**: عندما يصمد أمام الجوع والعطش في الصوم يشعر الطفل بنشوة الظفر، والانتصار على النفس، وبالتالي فإن إرادته تقوى على مواجهة الحياة، مما يزيد في ثقته بنفسه.

٢ـ تنمية الثقة الاجتماعية: عندما يقضي الطفل حاجيات المنزل، وأوامر الوالدين، ويجالس الكبار، ويجتمع مع الصغار، فإنه تنمو ثقته الاجتماعية بنفسه.

٣ـ **تنمية الثقة العلمية**: وذلك بتعلمه للقرآن، ولسُنَّة رسوله ﷺ، وسيرته العظيمة، فينشأ الطفل، وقد حمل علماً غزيراً في صغره، فتنمو ثقته العلمية

---

(١) إسناده ضعيف. انظر جامع الأصول (١١/ ٥٥ـ٥٦) ت. الأرناؤوط.

(٢) انظر صحيح الجامع رقم (٥٠٢٥).

(٣) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٣١٢).

بنفسه؛ لأنه يحمل حقائق العلم بعيداً عن الخرافات، والأساطير.

٤ـ تنمية الثقة الاقتصادية والتجارية: وذلك بتعويد الطفل البيع والشراء، والتجول في الأسواق بصحبة والديه، وقضاء حاجتهما.

أخرج مالك عن سليمان بن يسار قال: فَنِيَ عَلَفُ حمار سعيد بن أبي وقاص، فقال لغلامه: خُذْ من حنطة أهلك، فابتع به شعيراً، ولا تأخذ إلا مثله.

ويشاهد النبي ﷺ الطفل عبد الله بن جعفر، وهو يبيع بيع الغلمان، فدعا له بالبركة. وهكذا تجدُ حرصَ رسول الله ﷺ على تنمية ثقة الطفل بنفسه.

الأساس النفسي السابع ـ حسن النداء للطفل:

نلاحظ أن النبي ﷺ في خطابه للأطفال كان يُنوِّع في ذلك؛ لإثارة انتباه الطفل، ووضعه في حالة استعداد لتلقي الكلام.

فتارة يخاطب الطفل باسمه فيداعبه بقوله: «يا أبا عمير! ما فعل النغير؟» وتارة يخاطبه بطفولته، فيناديه: «يا غلام! إني أعلمك كلمات... يا غلام سم الله تعالى، وكُلْ بيمينك». وكثيراً ما يناديه بنداء العاطفة فيناديه: «يا بني! إذا دخلت على أهلك فسلم». «يا بني! إذا قدرت أن تصبح وتمسي، وليس في قلبك غشّ لأحد، فافعل».

وكان الصحابةُ ـ رضوان الله عليهم ـ ينادون الطفل المسلم الذي أدرك والده الإسلام بالنداء «يا بن أخي» كما قال عمر بن الخطاب لابن عباس: «قل يا بن أخي! ولا تحقر نفسك». أما الطفل المسلم الذي لم يدرك والده الإسلام فكانوا ينادونه: «يا بني».

كما روى البخاري في «الأدب المفرد» عن الصعب بن حكم، عن أبيه، عن جده قال: أتيت عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فجعل يقول: يا بن أخي!! ثم سألني فانتسبت له، فعلم أن أبي لم يدرك الإسلام، فجعل يقول: «يا بني! يا بني!»[1].

---

(١) «الأدب المفرد» باب: قول الرجل يا بني لمن أبوه لم يدرك الإسلام، ورواه ابن =

وروى مسلم في صحيحه عن إسحاق بن مالك قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا بني!».

وروى أيضاً عن المغيرة بن شعبة قال: ما سأل رسولَ الله ﷺ أحد عن الدجال أكثر مما سألته عنه فقال لي: «أي بني!» الحديث.

قال الإمام النووي رحمه الله: «وفي هذين الحديثين جاز قول الإنسان لغير ابنه ممن هو أصغر سناً منه: يا بني مُصَغَّراً، ويا ولدي، ومعناه التلطف، وأنك عندي بمنزلة ولدي في الشفقة، وكذا يقال له، ولمن هو في مثل سن المتكلم يا أخي للمعنى الذي ذكرناه، وإذا قصد التلطف كان مستحبّاً كما فعله ﷺ»(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده(٢) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «ابن أخي! إن هذا اليوم مَنْ ملك فيه سمعه وبصره ولسانه، غفر له، يعني: يوم عرفة»(٣).

وفي رواية البيهقي في «شعب الإيمان» بلفظ: «يا بن أخي! إن هذا يوم... الحديث»(٤).

وفي رواية الطيالسي «مه يا غلام!...»(٥).

وروى أحمد في مسنده (٣/ ٣٠٧) حديث ابن عباس قال: كنت رديف النبي ﷺ فقال: «يا غلام! أو يا غليم! ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن،

= أبي شيبة في مصنفه (٩/ ٨٢) باب: في الرجل يقول لابن غيره: يا بني!.

(١) شرح صحيح مسلم للإمام النووي، باب: جواز قوله لغير ابنه يا بني، واستحبابه للملاطفة.

(٢) المسند (١/ ٣٢٩).

(٣) الكنز (٥/ ٦٨).

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

فقلت: بلى، فقال: احفظِ الله يحفظك... الحديث» فهنا تجد النداء: «يا غليم».

مما تقدم نجد أن حسن نداء الطفل، تارة باسمه الصريح، وأخرى بيا غلام، وثالثة يا بن أخي، ورابعة يا بني... كل هذا يوقظ نفس الطفل لتلقي النداء، ويشعره بمحبة المخاطب له.

ومن حسن نداء الطفل مناداته بكنيته، حيث كان ﷺ يداعب الصغير فيقول له: «يا أبا عمير! ما فَعَلَ النُّغَير؟» وما رواه أبو الدرداء عن أنس رضي الله عنه قال: كناني رسول الله ﷺ ببقلة؛ كنتُ أجْتنيها وكان يُكنى: «أبا حمزة» ومعنى حمزة: بقلة[1].

فالتنويع في نداء الطفل، يشعره بأهميته بين الكبار، مما هو أدعى لاستجابته، وتنفيذ الأوامر الموجهة إليه، بكل فرح وسرور.

ومن حسن النداء كذلك للخادم الصغير والصغيرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه يُحدِّثُ عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يَقُلْ أحدُكم، أَطْعِمْ رَبَّكَ، واسْقِ ربَّكَ، وليقُلْ: سيدي؛ مولاي؛ ولا يقُلْ أحدُكُم: عَبْدي؛ أَمَتِي، وليقُلْ: فَتَايَ؛ وفتاتي؛ وغلامي» رواه البخاري ومسلم وأبو داود وأحمد، فأي رحمة وعطف وحنان، ورقة وعذوبة من تربية المجتمع أن يقولوا لخدامهم: فتاي. وفتاتي، وغلامي، فيسوي بينهم وبين أولادهم في العطف برقة النداء وعذوبته، إنه فقط في المنهج النبوي.

وفي رواية أخرى تعليل نبوي لطيف في تعريف السادة أنهم عبيد الله، قوله ﷺ: «لا يقولَنَّ أحدُكم عَبْدي؛ وأمتي، كلكم عبيد الله، وكُلُّ نسائكم إماءُ الله، ولكن ليقُلْ غُلامي، وجاريتي، وفتايَ، وفتاتي».

وإنها التربية القرآنية التي ترسخ في نفوس المؤمنين ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَنكُمْ﴾ [سورة الحجرات/ ١٣].

الأساس النفسي الثامن ـ الاستجابة لميول الطفل، وترضيته:

من الأساليب الناجحة في كثير من المواطن ـ وليس كلها ـ: الاستجابة

(١) أدب الكاتب لابن قتيبة، باب: أصول أسماء الناس.

لميول الطفل، وترضيته حتى يرضى.. وذلك كلما كان أقرب إلى الصغر، فالصغير لا بد من ترضيته، ولا بد من تنفيذ مطالبه، وذلك لشعوره بالحاجة التي يطلبها، فإذا تمت الاستجابة انشرحت نفسه، وفرح، وانطلق بحيوية فائقة، وإذا لم يلبّ طلبه ازداد غيظاً، وغضباً، وحمقاً، وتصرَّف بما لا يرضى، ولا يحب.

والرسول ﷺ يقرر قاعدة نفسية عظيمة جداً في حلّ كثير من مشاكل الطفل النفسية، وقد استجاب الصحابةُ لهذه القاعدة، وغدوا إلى تطبيقها.

روى ابن عساكر(١) عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه ـ كما في «الجامع الكبير» ـ أن رسول الله ﷺ خرج إلى عثمان بن مظعون، ومعه صبيٌّ صغير له، يلثمه، فقال له: «ابنك هذا؟» قال: نعم، قال: «تحبه يا عثمان؟» قال: إي والله يا رسول الله، إني أحبه، قال: «أفلا أزيدك حباً له؟» قال: بلى، فداك أبي وأمي، قال: «إنه من ترَضَّى صبياً صغيراً من نسله حتى يرضى، ترضّاه الله يوم القيامة حتى يرضى».

وقد حدثت مناقشةٌ بين معاوية والأحنف بن قيس، حيث بيّن الثاني للأول أهمية ترضية الولد، وتلبية طلبه:

«قال يزيد بن معاوية: أرسل أبي إلى الأحنف بن قيس، فلما وصل إليه، قال له: يا أبا بحر! ما تقول في الولد؟ قال: يا أمير المؤمنين! ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، وبهم نصولُ على كل جليلة، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، فيمنحونك ودّهم، ويحبوك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقلاً ثقيلاً، فيملوا حياتك، ويودوا وفاتك، ويكرهوا قربك.

فقال له معاوية: لله أنت يا أحنف! لقد دخلت عليّ وأنا مملوءٌ غضباً وغيظاً على يزيد، فلما خرج الأحنف من عنده رضيَ عن يزيد، وبعثَ إليه بمئتي ألف درهم، ومئتي ثوب، فأرسل يزيد إلى الأحنف بمئة ألف درهم

---

(١) عن «البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف» لابن حمزة (٢/ ١٣٥).

ومئة ثوب، فقاسمه إياها على شطر»[1].

وقال عديّ بن حاتم رضي الله عنه: أتيت رسول الله ﷺ ـ وهو جالس في المسجد ـ فقال القوم: هذا عدي بن حاتم، وجئت بغير أمان ولا كتاب، فلما دُفعتُ إليه أخذ بيدي ـ وقد قال قبل ذلك: إني لأرجو أن يجعل الله يده في يدي ـ قال: فقام بي، فلقيته امرأة وصبي معها فقالا: إن لنا إليك حاجة، فقام معهما حتى قضى حاجتهما... الحديث» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب.

الأساس النفسي التاسع ـ أثر التكرار في نفس الطفل:

الطفل كأي كائن بشري ينسى، ويغفل، وقد خصَّه الله تعالى من بين جميع الكائنات الحية بهذه الطفولة الطويلة، وهي مرحلة غير تكليفية، وإنما هي تتهيأ للتكليف.

والقلم الملائكي عنها مرفوع: «رفع القلم عن الثلاث... وعن الصبي حتى يحلم».

فإذا أدركنا هذا فإنه من السهل علينا أن نؤمن بمبدأ التكرار، أي: تكرار الأمر أكثر من مرة حتى يؤثر في نفس الطفل، فينصاع للأمر، ويستجيب للنداء.

أما دليلُ مبدأ التكرار، فهو من قوله ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة، وهم أبناءُ سبع سنين، واضربوهم وهم أبناءُ عشر سنين». رواه أبو داود وغيره.

فقد خصص النبي ﷺ ثلاث سنوات متواصلة لتأصيل أمر هام في الإسلام، وهو أمرُ الصلاة، ومعلوم لدى الجميع أهمية الصلاة؛ لذلك جاء الخطاب القرآني: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾. [سورة طه/ ١٣٢].

فلا بُدَّ من الصبر في هذه السنوات، وتكرار طلب الصلاة من الطفل، ونظرة حسابية إلى هذه المدة نجد أنه خلال ثلاث سنوات، وفي كل صلاة

---

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي (٢/ ٢١٨).

يأمر الوالدان ابنهما بالصلاة، فيصبح لدينا رقم ضخم من أوامر التكرار، وهو: (٥×٣٦٥)×٣ = ٥٤٧٥ مرة[1].

وهو رقم إن دل على شيء فإنما يدل على أهمية التكرار، وأن نفس الطفل قد لا تستجيب للأمر في المرة الأولى، ولا الثانية، ولا الثالثة، فلا بُدَّ من التكرار من غير يأس، ولا قنوط.

فهذا الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود يدرك مبدأ التكرار مع الأطفال، فقال في توجيهه للآباء نحو أبنائهم: «عودوهم الخير؛ فإن الخير عادة».

وحتى يعتاد الطفل، فلا بُدَّ من تكرار الملاحظة أكثر من مرة؛ لأنه سيخطىء، ولهذا كان أنس رضي الله عنه يطبق سُنَّة رسول الله ﷺ، فيمرّ على الصبيان، ويسلّم عليهم، ويقول: كان رسول الله ﷺ يفعله.

فعندما يرى، ويسمع الطفل السلام من الكبار عليه أكثر من مرة، يتعلّم السلام، فما يلبث إلا أن تكون عادته.

الأساس النفسي العاشر ـ التدرُّج في الخطوات مع الطفل:

من الحديث السابق: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين» نستفيد مبدءاً عظيماً مؤثراً في نفس الطفل، وهو التدرج، وعدم دفع القضايا جملة واحدة، وأن لكل مرحلة زمنها، فالصلاة ـ وهي ركن الدين وعموده ـ تمرُّ في ثلاث مراحل مع الطفل:

١ ـ المرحلة الأولى: وهي من لحظة مسيره ووعيه إلى السابعة من عمره، وهي مرحلة المشاهدة، حيث يشاهد الطفل والديه يصليان،

---

(١) لقد طبقت مبدأ التكرار مع بناتي فوجدته نافعاً جداً وخاصة بين السابعة والثامنة أول ما يتعود الطفل الصلاة، فيظن أن الصلاة مرة واحدة في العمر، ثم يظن مرة واحدة في اليوم، ثم يظن أنها في الصباح والمساء فقط، إلى أن يدرك ويتعود خمس صلوات في اليوم. وبالله التوفيق.

فيسارع إلى الصلاة، فإذا دَرَّبه والداه عليها كان له خيراً على خير.

٢ـ **المرحلة الثانية**: مرحلة الأمر، وتمتدُّ من السابعة من عمره إلى العاشرة؛ حيث يوجه الوالدان الأوامر للطفل، ويطلبان منه الصلاة.

٣ـ **المرحلة الثالثة**: مرحلة الضرب، وتبدأ من العاشرة إلى ما بعد، وفيه يضرب الطفل إن لم يؤدِّ الصلاة.

إن لهذا التدرج في الخطوات أثراً كبيراً في نفس الطفل واستجابته؛ لأنه ما زال غضّاً يافعاً، فلا بد من التدرج معه، ونقله من مرحلة إلى أخرى. وتخطيط أي قضية، أو هدف يطلب فيه السرعة، يمر بمراحل وخطوات، يرسمها الوالدان، ويتعاونان على تنفيذها.

الأساس النفسي الحادي عشر ـ الترغيب والترهيب للطفل:

الترغيب والترهيب من الأساليب النفسية الناجحة في إصلاح الطفل، وهو أسلوبٌ واضح ظاهر في التربية النبوية، وقد استخدمه النبي ﷺ مع الأطفال في كثيرٍ من الحالات. وفي مقدمتها: بر الوالدين، فرغّب في برهما، وأرهب من عقوقهما، وما ذاك إلا ليستجيب الطفل، ويتأثر، فيصلح من نفسه، وسلوكه.

وهو أسلوب قرآني فريد، فما من مرة ذكرت الجنة وإلا وذكرت النار وبالعكس، لأن النفس البشرية تميل إلى حب الترغيب في العمل وثمرته، وتخاف من التحذير من فعل الخطأ ونتائجه، وليس معنى الترهيب هو التخويف المفزع والمقلق للنفس، وإنما تذكير الطفل بثواب الفعل وعقوبة المخالفة.

☆ ☆ ☆

الفصل الرابع

أسلوب الترغيب في بر الوالدين والترهيب من عقوقهما

- وصايا قرآنية :
- تمهيـــد :

أولاً ـ أسس بر الوالدين في حياتهما :

الأساس الأول ـ ثواب البر في الدنيا والآخرة .

الأساس الثاني ـ تقديم بر الوالدين على الفروض الكفائية .

١ ـ تقديم بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله .

٢ ـ تقديم بر الوالدين على الزوجة والأصدقاء .

٣ ـ تقديم بر الوالدين على الحج .

٤ ـ تقديم بر الوالدين على زيارة الرسول ﷺ .

٥ ـ تقديم بر الوالدين على الأولاد .

٦ ـ تقديم بر الأم على النوافل .

٧ ـ تقديم بر الوالدين على الهجرة في سبيل الله تعالى .

٨ ـ نموذج من بر الرسول ﷺ بوالديه .

الأساس الثالث ـ لا طاعة للوالدين في معصية الخالق مع بقاء الإحسان إليهما .

الأساس الرابع ـ أحق الناس بصحبتك والداك .

الأساس الخامس ـ تقديم بر الأم على الأب عند التعارض، بعد محاولة التوفيق بينهما.

الأساس السادس ـ أنت ومالك لأبيك.

الأساس السابع ـ عتق الوالدين من أي مال استحق بذمتهما.

الأساس الثامن ـ الدعاء المتبادل بين الأبوين وأبنائهم.

الأساس التاسع ـ ألا تَسْتَبِبَ لوالديك.

الأساس العاشر ـ أَشْهِر الانتساب لأبيك، واعْتَـزّ به.

الأساس الحادي عشر ـ الحج عمن عجز منهما صحياً عن أدائه.

الأساس الثاني عشر ـ إنفاذ نذرهما.

الأساس الثالث عشر ـ العقوق من الكبائر، وجزاؤه في الدنيا والآخرة.

ثانياً ـ أسس البر بعد وفاة أحدهما، أو كليهما:

الأساس الأول ـ إنفاذ عهدهما، ووصيتهما.

الأساس الثاني ـ الدُّعاء، والاستغفار لهما.

الأساس الثالث ـ صلة رحمهما، وبرّ أصدقائهما.

الأساس الرابع ـ الصدقة عليهما.

الأساس الخامس ـ الحج عنهما.

الأساس السادس ـ المسارعة للعمل الصالح لإدخال السرور على الوالد المتوفى.

الأساس السابع ـ زيارة قبريهما.

الأساس الثامن ـ برّ قسمهما وألا تستسبّ لهما.

وصايا قرآنية

الآيــة الأولـــى:

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٧/ ٢٣ـ٢٤].

الآيــة الثانيــة:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢٩/ ٨].

الآيــة الثالثــة:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان: ٣١/ ١٤ـ١٥].

تمهيـــد :

إن علاقة هذا الفصل بتربية الطفل، تبرز أهميته لارتباطه مباشرة بكل إنسان، ذكر أم أنثى؛ وذلك لما ورد من الأحاديث الشريفة التي توضح أن لبرّ الوالدين كبير الأثر في بر الأبناء، وبالتالي إذا أردنا من أطفالنا أن يبرونا، فهذا يتطلب منا ـ سواء كنا عزاباً أم متزوجين ـ المسارعة إلى بر الوالدين، كما نصح بذلك سيدنا رسول الله ﷺ:

فقد روى الحاكم[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم، وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم، ومن أتاه أخوه متنصلاً فليقبل ذلك محقاً أو مبطلاً، فإنْ لم يفعل لم يرد عليّ الحوض».

وروى الطبراني بإسناد حسن عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «برّوا آباءكم تبركم أبناؤكم، وعِفّوا تعِف نساؤكم».

فإذا اتضح لنا سبب عقوق الأبناء، وهم في مرحلة الطفولة؛ التي تتميز بقوة سيطرة الوالدين، وعمق فطرتيهما، فإن الطريق السليم لتقويم الطفل، وسلوكه سلوك الأبرار، وسيره بشكل سوي، هو أن نُعدّل من سلوكنا، وأن نغير من علاقتنا مع والدينا، نحو: البر، والطاعة، والابتعاد عن العقوق بشتى ألوانه وصوره لذلك حال الوالدين جرى إلى الأبناء بالشعور وبلا شعور وهي سنة إلهية كما أخبر النبي ﷺ «اعمل ما شئت كما تدين تُدان» رواه عبد الرزاق في مصنفه. وإذا تأمل الإنسان من حوله، لوجد مصداق هذا القول، ورأى بأم عينيه أن الأب العاق لوالديه سينتج ولداً عاقاً فهي قاعدة مطردة منتظمة لهذا قلنا: إنه لا بد من تعديل سلوك الآباء مع والديهم حتى يتم تعديل سلوك الأبناء معهم.

ويبقى سؤال: كيف يكون الإنسان باراً؟ وما هي أسس البر؟

وهل البر عند حضور الوالدين؟ أم في غيابهما أيضاً؟ وهل يتعدى إلى ما بعد وفاتهما كذلك؟

من خلال البحث، والمتابعة في الأحاديث النبوية، نجد أن هناك أُسساً للبر

---

(١) وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح، المستدرك (٤/ ١٥٤).

في حياتهما، وأسساً للبر بعد وفاتهما، وبذلك فتح باب البر على مصراعيه، وامتدت فترة البر طويلاً، وطال زمن الاستفادة وتعديل الخطأ المرتكب، وذلك من رحمة الله بعباده، وأي رحمة؟! والعجب كل العجب رغم كل هذه التسهيلات، وكثرة الرحمة الإلهية، أن نجد العقوق بين الناس منتشراً، بألوان وأشكال متنوعة ـ أجارنا الله من العقوق ـ وهذا عين الظلم للنفس وللأبناء، فمن لم يكن رحيماً بنفسه بأن يكون باراً لوالديه، فليكن رحيماً بأطفاله؛ بأن يسارع لبر والديه حتى يوفّق الله أبناءه، وأطفاله لبره، فينتشلهم من إثم العقوق، وغضب الله تعالى.

أولاً: ـ أسس برّ الوالدين في حياتهما:

الأساس الأول ـ ثواب البر في الدنيا والآخرة:

إن لبر الوالدين كبير الأثر في حياة الإنسان الدنيوية والأخروية؛ لهذا نجد الرسول ﷺ يحدد معالم هذا البر، وأثره في حياة الفرد المسلم؛ الذي إذا صلح أدى ذلك إلى صلاح المجتمع.

ويبين أن هذا البر حق واجب على الإنسان، وليس نفلاً يتبرع به، فقد روى أبو داود عن كليب بن منفعة، عن جده: أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! من أبرُّ؟ قال: «أمّك، وأباك، وأختك، وأخاك، ومولاك الذي يلي ذلك، حقاً واجباً، ورحماً موصولة».

وروى الإمام أحمد عن المقدام بن معد يكرب، عن النبي ﷺ قال:

«إن الله يوصيكم بأمهاتكم... إن الله يوصيكم بأمهاتكم... إن الله يوصيكم بأمهاتكم... إن الله يوصيكم بآبائكم... إن الله يوصيكم بالأقرب فالأقرب»[1] ورواه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عياش.

وروى ابن ماجه عن أبي أمامة رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا رسول الله! ما حق الوالدين على ولدهما؟ قال: «هما جنتك ونارك».

---

(١) صحيح. انظر صحيح الجامع رقم (١٢٤٩).

وروى الترمذي عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد»(١).

وروى الإمام أحمد والنسائي عن جاهمة مرفوعاً: «الزمها، فإن الجنة تحت أقدامها»(٢). أي: الوالدة، فإذاً لا بد من معرفة عظم مكانة الوالدين، وأهمية برهما.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فحافظ على الباب، أو اترك هذا».

رواه الحاكم في مستدركه (٤/ ١٥٢) وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

أثر بر الوالدين في الدنيا:

☆ زيادة العمر والرزق:

روى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يُمدَّ له في عمره، ويزداد في رزقه، فليبرّ والديه، وليصل رحمه».

وروى أبو يعلى والطبراني والحاكم (وقال: صحيح، وأقره الذهبي)(٣) والأصبهاني عن معاذ بن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من برَّ والديه طوبى له، زاد الله في عمره».

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليُحْرَم الرِّزق بالذنب يُصيبه ولا يَرُدُّ القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر». رواه ابن

---

(١) ورواه ابن حبان. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٥١٦) ورواه الحاكم في مستدركه (٤/ ١٥٢) وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

(٢) صحيح. انظر صحيح الجامع رقم (١٩٢٤) ورواه البخاري في الأدب والطبراني والحاكم.

(٣) فيض القدير (٦/ ٩٥) للمناوي.

ماجه، وابن حبان في صحيحه، واللفظ له، والحاكم بتقديم وتأخير، وقال: صحيح الإسناد.

وعن سلمان رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يردُّ القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العُمر إلا البر». رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب.

أثر بـر الوالدين في الآخرة:

١ـ التكفير للذنوب الدنيا:

روى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إني أصبت ذنباً عظيماً، فهل لي من توبة؟ فقال: «هل لك من أم؟» قال: لا، قال: «هل لك من خالة؟» قال: نعم، قال: «فبرّها». ورواه الحاكم بألفاظ متقاربة، وقال: صحيح الإسناد.

وروى البخاري في الأدب المفرد عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أتاه رجل فقال: إني خطبتُ امرأةً؛ فأبتْ أن تنكحني، وخطبَها غيري. فأحبَّتْ أن تنكحه، فغِرْتُ عليها، فقتلتُها؛ فهل لي من توبة؟ قال: أمُّكَ حَيَّةٌ؟ قال: لا، قال: تُبْ إلى الله عزَّ وجل، وتقرَّب إليه ما استطعتَ. فذهبتُ، فسألتُ ابنَ عباس: لمَ سألتَه عن حياة أُمّه؟ فقال: **إني لا أعلمُ عملاً؛ أقربَ إلى الله عز وجل من برِّ الوالدة.**

٢ـ دخول الجنة:

روى النسائي[١] عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «دخلت الجنة فسمعت قراءة فقلت: من هذا؟ فقيل: حارثة بن النعمان» فقال رسول الله ﷺ: «كذلكم البر» وكان براً بأمه، وفي رواية أحمد: كان أبر الناس بأمه، وإسناده صحيح.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «رَغِمَ أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه: من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما، فلم يدخل الجنة».

---

(١) ذكره ابن حجر في الإصابة (١/ ٣١٢).

قال النووي رحمه الله[1]: رغم أنفه: كناية عن الذل، كأن أنفه لصق بالرغام، أي: بالتراب حقيراً، هواناً.

وقد تقدَّم حديثُ النبي ﷺ للرجل: «هما جنتك ونارك».

وروى أحمد بإسناد صحيح: «من أدرك والديه، أو أحدهما، ثم دخل النار بعد ذلك، فأبعده الله، وأسحقه».

وروى أحمد والطيالسي والحاكم بسند صحيح: «الوالد أوسط أبواب الجنة».

وعن عروة بن مرة قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! شهدت أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصليت الخمس، وأديت زكاة مالي، وصمت شهر رمضان، فقال النبي ﷺ: «من مات على هذا كان مع النبيين، والصديقين، والشهداء يوم القيامة هكذا» ونصب أصبعيه «ما لم يعقّ والديه» رواه أحمد والطبراني بإسنادين، ورجال أحد إسنادي الطبراني رجال الصحيح، كذا قاله الهيثمي في المجمع (٨/ ١٤٧).

وكلنا يعلم قول النبي ﷺ: «لا طاعة لبشر في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف».

الأساس الثاني ـ تقديم بر الوالدين على الفروض الكفائية:

إن بر الوالدين فرض على كل فرد مسلم، فرضه الله تعالى على عباده، فلا يوازي هذا الفرض إلا فرض مثله، وبقوته، أي: إن الفروض العينية على كل فرد، توازي فرض بر الوالدين، مثل صلاة الفرض، وصيام رمضان، والزكاة، وما علم من الدين بالضرورة، والجهاد في سبيل الله في حالة فرضه العيني (وهو النفير العام)، ففي مثل هذه الحالات يحاول الابنُ قدر استطاعته التوفيق بينهما، فإذا عجز عن ذلك ـ مع بذل قصارى جهده ـ يقدم فرض الله العيني على فرضية بر الوالدين؛ ولهذا قال الإمام الغزالي بعد أن ساق أحاديث بر الوالدين: «أكثر

(١) «رياض الصالحين» باب: بر الوالدين.

العلماء على أن طاعة الأبوين واجبة في الشبهات»[1].

أما في الفروض الكفائية؛ التي إذا أقامها البعض قياماً، يكتفي منه المجتمع المسلم، سقط عن الباقين، فإن فرض بر الوالدين يتقدم عليها جميعاً، فما بالك إذا تعارض فرض بر الوالدين مع المباحات والمندوبات، لهذا قال الإمام الغزالي[2]:

من شغله نفله عن فرضه فهو مغرور، ومن شغله فرضه عن نفله فهو معذور. ولتكن كلمة الغزالي هذه قاعدة أصيلة في حياة الإنسان، يوازن بها الأمور، ويجريها عند التعارض، وسنأتي على ذلك بأمثلة:

١ـ تقديم بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله:

روى الحاكم[3] في مستدركه، وقال: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي: أن جاهمة رضي الله عنه أتى النبي ﷺ، فقال: إني أردتُ أن أغزو، وجئت أستشيرك، قال: «ألك والدة؟» قال: نعم، قال: «اذهب فالزمها، فإن الجنة عند رجليها».

في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحبُّ إلى الله تعالى، قال: «الصلاة على وقتها» قلت: ثم أيّ؟ قال: «بر الوالدين» قلت: ثم أيّ؟ قال: «الجهاد في سبيل الله».

وقد شرح هذا الحديث أحد الأئمة الكبار، وهو ابنُ حجر العسقلاني فقال:

«قال ابنُ التين: تقديم البر على الجهاد يحتمل وجهين:

أحدهما: التعدية إلى نفع الخير.

والثاني: أن الذي يفعله يرى أنه مكافأة على فعلها، فكأنه يرى أن غيره أفضل منه، فنبَّهه على إثبات الفضيلة فيه.

---

(١) الإحياء (٢/ ٢١٨).

(٢) كلمة كنت أسمعها من أحد مشايخي، ويُردِّدها كثيراً، وانتفعت بها كثيراً، فجزاه الله خيراً.

(٣) المستدرك (٢/ ١٠٤).

قلت ـ أي: ابن حجر ـ: والأول ليس بواضح، ويحتمل أنه قدم لتوقف الجهاد عليه؛ إذ من بر الوالدين استئذانهما في الجهاد؛ لثبوت النهي عن الجهاد بغير إذنهما[1].

وفي الصحيحين ـ واللفظ لمسلم ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أقبل رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد، أبتغي الأجر من الله تعالى، فقال: «هل لك من والديك أحدٌ حي؟» قال: نعم، بل كلاهما، قال: «فتبتغي الأجر من الله تعالى؟» قال: نعم؛ قال: «فارجع إلى والديك، فأحسنْ صحبتهما».

وفي رواية لهما: جاء رجل فاستأذنه في الجهاد، قال: «أَحَيٌّ والداك؟» قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد».

قال الحافظ ابن حجر: «قوله: ففيهما فجاهد» أي: إن كان لك أبوان، فأبلغ جهدك في برهما، والإحسان إليهما، فإن ذلك يقوم لك مقام قتال العدو[2].

ويزيد الإمام الغزالي معاني عظيمة في محاكمة الأمور عند تعارضها مع بر الوالدين، فيقول رحمه الله تعالى:

«أكثر العلماء على أن طاعة الأبوين واجبة في الشبهات، وإن لم تجب في الحرام المحض، حتى إذا كانا يتنغصان بانفرادك عنهما بالطعام، فعليك أن تأكل معهما؛ لأن ترك الشبهة ورع، ورضا الوالدين حتم، وكذلك ليس لك أن تسافر في مباح، أو نافلة إلا بإذنهما، والمبادرة إلى الحج الذي هو فرض الإسلام نفل؛ لأنه على التأخير، والخروج لطلب العلم نفل إلا إذا كنت تطلب علم الفرض من الصلاة والصوم، ولم يكن في بلدك من يعلمك، وذلك كمن يسلم ابتداء في بلد ليس فيها من يعلمه شرع الإسلام، فعليه بالهجرة، ولا يتقيد بحق الوالدين»[3].

---

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٤).
(٢) المرجع السابق (١٩/ ٦).
(٣) الإحياء (٢/ ٢١٨).

وقال الإمام الكاساني في «بدائع الصنائع»[1]:

«وكذا الولد لا يخرج إلا بإذن والديه، أو أحدهما إذا كان الآخر ميتاً؛ لأن بر الوالدين فرض عين، فكان مقدماً على فرض الكفاية». اهـ.

٢ـ تقديم بر الوالدين على الزوجة والأصدقاء:

روى الترمذي عن علي كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء:

«... وأطاع الرجل زوجته وعقّ أمه وبرّ صديقه وجفا أباه... الحديث».

وقال: حديث غريب.

وروى أبو داود والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كانت تحتي امرأة، وكنت أحبُّها، وكان عمر يكرهها، فقال لي: طلقها فأبيتُ، فأتى عمر رضي الله عنه النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال النبي ﷺ: «طلقها»[2].

وروى الإمام أحمد والنسائي وصححه الحاكم عن عائشة رضي الله عنها: سألت النبي ﷺ: أي الناس أعظم حقاً على المرأة؟ قال: «زوجها» قلت: فعلى الرجل؟ قال: «أمه».

وحسبنا شاهداً يوقظ من الغفلة أن نختم بهذا الحديث:

روى الإمام أحمد ـ مختصراً والطبراني ـ واللفظ له عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال: كنا عند النبي ﷺ فأتاه آت فقال: شاب يجود بنفسه، قيل له: قل: لا إله إلا الله فلم يستطع، فقال: «أكان يصلي» فقال: نعم، فنهض رسول الله ﷺ، ونهضنا معه، فدخل على الشاب، فقال له: «قل لا إله إلا الله» فقال: لا أستطيع، قال: «لم؟» قيل: كان يعقّ والدته، فقال ﷺ: «أحية والدته؟» قالوا: نعم، فدعاها، فقال لها: «أرأيتِ لو أجَّجتُ ناراً ضخمة، فقيل

---

(١) (٩٨/٧).

(٢) قال الإمام أحمد لرجل سأله نفس السؤال: ائتني بأب مثل عمر لكي يأمر ابنه بالطلاق، حتى يستجيب الابن له.

لكِ: إن شفعت له خلينا عنه، وإلا أحرقناه بهذه النار، أكنتِ تشفعين له؟ قالت: يا رسول الله إذاً أشفع، قال: «فأشهدي الله، وأشهديني أنك قد رضيت عنه» قالت: اللهم إني أشهدك، وأشهد رسولك أني قد رضيت عن ابني، فقال له رسول الله ﷺ:

«يا غلام! قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» فقالها، فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي أنقذه من النار».

٣ـ تقديم بر الوالدين على الحج:

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لِلْعبد المملوك المُصْلِح أجران» والذي نفس أبي هريرة بيده! لولا الجهاد في سبيل الله، والحجُّ، وبِرُّ أمي، لأحببت أن أموت وأنا مملوك.

هذا، ولم يحج أبو هريرة حتى ماتت أمه، مبالغة في إكرام أمه، وصحبتها. ورواه الترمذي أيضاً.

٤ـ تقديم بر الوالدين على زيارة الرسول ﷺ:

وهذا نموذجٌ في غاية الروعة والجمال، اكتسب صاحبه شرف السبق في كل ميدان بفضل شغله ببرّ أمه، حتى إنه ما كان يستطيع زيارة النبي ﷺ ومشاهدته، ولو مرة واحدة، لاحتياج أمه إليه، إنه أويس القرني رحمه الله تعالى ـ رزقني الله وإياك مثل بره ـ أخرج مسلم عن أسيد بن جابر رحمه الله قال: كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمدادُ أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ قال: نعم، قال: من مُرادٍ ثم من قرنٍ؟ قال: نعم قال: فكان بك بَرَصٌ، فبرأت منه إلا موضع دِرهم؟ قال: نعم قال: لك والدةٌ؟ قال: نعم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مرادٍ ثم من قرن، وكان به برص، فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها برٌّ لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل» فاستغفر لي، فاستغفر له، فقال له عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة، قال: ألا أكتب إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء الناس أحبُّ إليّ.

قال: فلما كان من العام المقبل حجَّ رجل من أشرافهم، فوافق عمر، فسأله عن أويس، قال: تركته رثَّ البيت، قليل المتاع، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مُرادٍ، ثم من قرن، كان به برص، فبرأ منه، إلا موضع درهم له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل» فأتى أويساً، فقال: استغفر لي، قال: أنت أحدث عهداً بسفرٍ صالح، فاستغفر لي، قال: لقيت عمر؟ فقال: فاستغفر له، ففطن له الناس، فانطلق على وجهه، قال أُسَيْد: وكسوتُهُ بُردة، فكان كلما رآه إنسان، قال: من أين لأويس هذه البردة؟!

٥ـ تقديم بر الوالدين على حب الأولاد:

معنا الآن حادثة عجيبة في أمرها، عظيمة في بابها، رائعة في إخلاصها، قمة في معانيها وفي برّ صاحبها، تبين كيف أن الإخلاص في بر الوالدين ينجي صاحبه في الظلمات الحالكة... وفي الأزمات الصعبة... عندما يبلغ آخر أنفاسه، فيأتيه الفرج الرباني لقاء بر الوالدين، جعلني الله وإياك من البررة:

في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثةُ نفر ممن كان قبلكم، حتى آواهم المبيتُ إلى غار، فدخلوه، فانحدرت صخرةٌ من الجبل، فسدّت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم، قال رجلٌ منهم: اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنتُ لا أغْبِقُ[١] قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى[٢] بي طلبُ الشجر يوماً، فلم أُرِحْ[٣] عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين، فكرهتُ أن أوقظهما، وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يدي ـ أنتظر استيقاظهما حتى برق

(١) أي: لا أقدم في الشرب.
(٢) أي: بعد.
(٣) أي: أرجع.

الفجر ـ والصبية يتضاغون[1] عند قدمي، فاستيقظا، فشربا غَبوقَهما، اللهم إن كنتُ فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرِّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه.

قال الآخر: اللهم! إنه كانت لي ابنةُ عمٍ كانت أحب الناس إليّ. وفي رواية: كنتُ أحبها كأشدِّ ما يحبُّ الرجالُ النساء، فأردتُها على نفسها، فامتنعت مني، حتى ألمَّتْ بها سنة من السنين، فجاءتني، فأعطيتها عشرين ومئة ديناراً على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قدرتُ عليها. وفي رواية: فلما قعدتُ بين رجليها قالت: اتقِ الله، ولا تفضّ الخاتم إلا بحقّه، فانصرفتُ عنها، وهي أحبُّ الناس إليّ، وتركتُ الذهب الذي أعطيتها، اللهم! إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك، ففرّج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجلٍ واحدٍ ترك الذي له، وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله! أدِّ إليّ أجري، فقلتُ: كلُّ ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزىء بي، فقلتُ: لا أستهزىء بك، فأخذه كله، فاستاقه، فلم يترك منه شيئاً. اللهم إن كنتُ فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرج عنّا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون».

٦ـ تقديم بر الأم على النوافل:

أخرج الشيخان ـ واللفظ لمسلم ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه برفعه:

«كان جريج رجلاً عابداً، فاتخذ صومعة، فكان فيها، فأتته أمه، وهو يصلي، فقالت: يا جريج! فقال: اللهم أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فقالت بعد ثالث يوم في ثالث مرة: اللهم لا تمته حتى ينظر في وجوه المومسات، فذكر بنو إسرائيل جريجاً وعبادته، وكانت امرأة بغيّ يتمثّل بحسنها، فقالت: إن شئتم لأفتننه، فتعرضت له، فلم يلتفت لها، فأتتْ راعياً كان يأوي

(١) أي: يصيحون.

إلى صومعة، فأمكنته من نفسها، فوقع عليها، فحملت، فلما ولدت، قالت: هو من جريج، فأتوه، فأنزلوه من صومعته، وهدموها، وجعلوا يضربونه، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زنيتَ بهذه البغي فولدت منك! فلما انصرف أتى الصبي، فطعن في بطنه، وقال: يا غلام! من أبوك؟ فقال: فلان الراعي.

فأقبلوا على جريج يُقبّلونه، ويتمسّحون به، وقالوا: نبني صومعتك من ذهب، قال: لا، أعيدوها من لبن كما كانت، ففعلوا، وبينما كان الصبي يرضع من أمه، مرّ رجلٌ على دابة فارهة، وشارة حسنة، فقالت المرأة: اللهم اجعل ابني مثل هذا، فترك الثدي، وأقبل ينظر إليه، وقال: اللهم! لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديه، وجعل يرضع، قال: فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي ارتضاعه بإصبعه السبابة في فمه يمصها.

ومروا بجارية يضربونها، ويقولون: زنيت، سرقت، وهي تقول: حسبي الله تعالى ونعم الوكيل، فقالت أمه: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فترك الرضاع، ونظر إليها، فقال: اللهم اجعلني مثلها.

قال الحافظ ابن حجر: «قال ابنُ بطال: سبب دعاء أم جريج على ولدها: أن الكلام في الصلاة كان في شرعهم مباحاً، فلما آثر استمراره في صلاته، ومناجاته على إجابتها، دعت عليه لتأخيره حقها. قال ابنُ حجر: والذي يظهر من ترديده في قوله: «أمي وصلاتي» أن الكلام عنده يقطع الصلاة، فلذلك لم يجبها.

وقد روى الحسن بن سفيان من طريق الليث، عن يزيد بن حوشب، عن أبيه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو كان جريج عالماً لعلم أن إجابته أمه أولى من عبادة ربه»(1).

٧ـ تقديم بر الوالدين على الهجرة في سبيل الله:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني جئت أبايعك على الهجرة، وتركت أبواي يبكيان، قال: «فارجع إليهما،

---

(١) «فتح الباري» (٣/ ٣٢١).

فأضحكهما كما أبكيتهما» رواه الحاكم في مستدركه (٤/ ١٥٢) وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

خاتمة ـ نموذج بر الرسول ﷺ لوالديه من الرضاعة، وبرّ ابنته فاطمة له:

روى أبو داود عن عمر بن السائب رضي الله عنه بلغه: أن رسول الله ﷺ كان جالساً يوماً، فأقبل أبوه من الرضاعة، فوضع له بعض ثوبه، فقعد عليه، ثم أقبلت أمه من الرضاعة، فوضع لها شِقّ ثوبه من جانبه الآخر، فجلست عليه، ثم أقبل أخوه من الرضاعة، فقام النبي ﷺ: «فأجلسه بين يديه».

وروى أبو داود أيضاً عن أبي الطفيل رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يَقْسمُ لحماً بالجِعْرانة، وأنا يومئذ غلامٌ، أحمل عظم الجزُور، إذ أقبلت امرأة حتى دنت إلى النبي ﷺ فبسط لها رداءه، فجلست عليه، فقلت: من هي؟ فقالوا: هذه أمه التي أرضعته.

وروى الشيخان ومالك عن أمّ هانيء رضي الله عنها أخت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال: ذهبتُ إلى رسول الله ﷺ عام الفتح، فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تسْترهُ بثوب، فسلمتُ عليه فقال: «من هذه؟» فقلت: أنا أم هانيء بنت أبي طالب، فقال: «مرحباً بأم هانيء»... الحديث.

وروى الشيخان عن أبي حازم قال: إنه سمع سهل بن سعد يسأل عن جُرح رسول الله ﷺ وكسرت رباعيتُه، وهُشِمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم، وكان عليٌّ يسكب عليها بالمجنِّ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة حصير، فأحرقته، حتى صار رماداً، فألصقته بالجرح، فاستمسك الدم.

[البيضة: الخوذة، والهشم: الكسر، والمجن: الترس].

الأساس الثالث ـ لا طاعة للوالدين في معصية الخالق مع بقاء الإحسان إليهما:

إن الذي فرض طاعة الوالدين هو الله تعالى، فإذا أراد بعض الأبوين استغلال هذا الفرض في غير ما أمر سبحانه، فإن الله تعالى أذن للمسلم، وطالبه بعدم الطاعة، وفي ذلك إحسان لهما، وتنبيه للرجوع إلى أمر الله تعالى، فإن أصرا على

المعصية، أو الكفر، فيبقى الابن محسناً لهما في غير المعصية... وهذا خلق إسلامي رفيع في الإحسان إليهما، ومصاحبتهما بمعروف رغم انحرافهما عن الشريعة، ولكن دون أن يمسا العقيدة بأي طعن، أو لمز، أو غمز، وكل ما يؤول إلى الكفر لا طاعة للوالدين فيه، وكل أمر فيه معصية (كالحرام، والمكروه تحريماً) لا طاعة للوالدين فيه، مع إبلاغهما شرع الله تعالى برفق، ولين، وحكمة، وليس بفظاظة، وغلظة، وغضب، واستكبار.

وكلنا يعلم قول النبي ﷺ: «لا طاعة لبشر في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف»[1].

يقول الفخر الرازي في التفسير: «الإنسان إن انقاد لأحد ينبغي أن ينقاد لأبويه، ومع هذا لو أمراه بالمعصية لا يجوز اتباعهما فضلاً عن غيرهما»[2].

وفي جيل الصحابة شواهد كثيرة على ذلك:

أخرج مسلم والترمذي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «أنزلت فيّ أربع آيات من القرآن، قال: حلفت أم سعد ألا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب، قالت: زعمت أن الله وصّاك بوالديك، فأنا أمّك، وأنا آمرك بهذا، قال: مكثت ثلاثاً حتى غُشي عليها من الجهد، فقام ابنٌ لها يقال له عُمارة فسقاها، فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله عزّ وجلّ في القرآن هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٢٩/ ٨].

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ٣١/ ١٥][3].

---

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والطيالسي. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٨١) ورواه أبو يعلى في مسنده (١/ ٢٤١).

(٢) انظر تفسير الرازي (٢٥/ ٣٥).

(٣) قال القرطبي في تفسير الآية (١٤/ ٦٤): «إن طاعة الأبوين لا تُراعى في ارتكاب =

وروى ابن جرير بسنده[١] عن ابن زياد قال: دعا رسول الله ﷺ عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول، قال: «ألا ترى ما يقول أبوك؟» قال: وما يقول أبي؟ فداك أبي وأمي، قال: «يقول لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» فقال: فقد صدق والله! يا رسول الله، أنت والله الأعز وهو الأذل، أما والله! لقد قدمتَ المدينة يا رسول الله! وإن أهل يثرب ليعلمون ما به أحدٌ أبرّ بوالده مني، ولئن كان يرضي الله ورسوله أن آتيهما برأسه لأتيتهما به، فقال رسول الله ﷺ: «لا» فلما قدموا المدينة قام عبد الله بن عبد الله بن أبي على بابها بالسيف لأبيه، قال: أنت القائل لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل؟ أما والله لتعرفن العزة لك أو لرسول الله ﷺ؟ والله لا يؤويك ظلها، ولا تؤويه أبداً إلا بإذن من الله ورسوله، فقال: يا للخزرج.. ابني يمنعني بيتي.. يا للخزرج!.. ابني يمنعني بيتي!.

فقال: والله! لا يأويه أبداً إلا بإذن منه، فاجتمع إليه رجالٌ فكلموه، فقال: والله! لا يؤويه إلا بإذن من الله ورسوله، فأتوا النبي ﷺ فأخبروه، فقال: «اذهبوا إليه فقولوا له: خلّه ومسكنه» فأتوه فقال: أما إذا جاء أمر النبي ﷺ فنعم.

وقال الحميدي في مسنده[٢]: قال عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول لأبيه: والله! لا تدخل المدينة أبداً حتى تقول: رسول الله ﷺ الأعز وأنا الأذل.

ويبقى الإحسان إليهما في أمور الدنيا مستمراً، وصلة رحمهما دائمة.. ففي الصحيحين عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت: قدمَتْ عليَّ أمي وهي مشركة في عهد، أي: معاهدته ﷺ (مع المشركين، وتأمينه لهم في صلح الحديبية) فاستفتيتُ رسول الله ﷺ قلت: قدمت عليّ أمي وهي راغبة (أي:

= كبيرة، ولا في ترك فريضة، وتلزم طاعتهما في المباحات». وقال الرازي (١٤٧/٢٥): «يعني أن خدمتهما واجبة وطاعتهما لازمة ما لم يكن فيها ترك طاعة الله، أما إذا أفضى إليه فلا تطعهما».

(١) ورواه محمد بن إسحاق بن يسار كما في «مختصر ابن كثير» للصابوني.
(٢) «مختصر ابن كثير» (٥٠٦/٣) للشيخ محمد علي الصابوني.

طامعة فيما عندي تسألني شيئاً) أفأصل أمي (أي: أتصدَّق عليها مع كفرها)؟ قال: «نعم، صلي أُمَّكِ».

قال ابن عيينة: فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٦٠/٨].

ويبقى الابن المسلم حريصاً كل الحرص على إسلام والديه، ودعوتهم إلى الإيمان، وحثهم على التطبيق، بكل لهفة، ورحمة، ولطف، وهدوء، وهذا مسلك الأنبياء والمرسلين في دعوة آبائهم، فإبراهيم عليه الصلاة والسلام يقدِّم لنا نموذجاً في طريقة الدعوة:

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [مريم: ١٩/ ٤١-٥٠].

وهذا أبو هريرة يقدم نموذجاً رائعاً في الحرص على دعوة أمه:

وروى البخاري في «الأدب المفرد» عن أبي كثير التميمي قال: سمعتُ أبا هريرة رضي الله عنه يقول: ما سمع بي أحد يهودي، ولا نصراني إلا أحبني، وإن أمي كنت أريدُها على الإسلام فتأبى، فقلت لها، فأبت، فأتيت النبي ﷺ فقلت: ادع الله لها، فدعا، فأتيتها، وقد أغلقتْ عليها الباب، فقالت: يا أبا هريرة! إني قد أسلمتُ، فأخبرت النبي ﷺ فقلت: ادع الله لي ولأمي، فقال: «عبدك أبو هريرة وأمه أحبَّهما إلى الناس».

وهذا أبو بكر يسارعُ بعد فتح مكة ليأخذ والده إلى النبي ﷺ طمعاً في إسلامه، وقد كان:

عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، قالت: لما كان عام الفتح، ونزل رسول الله ﷺ ذا طوى، قال أبو قحافة لابنة له، وكانت أصغر ولده: أي بنية! أشرفي بي على أبي قبيس وقد كفَّ بصره، فأشرفت به عليه، فقال: أي بنية ماذا ترين؟ قالت: أرى سواداً مجتمعاً، وأرى رجلاً يسري بين يديْ ذلك السواد مقبلاً، فقال: تلك الخيل يا بنية! ثم قال: ماذا ترين؟ قالت: أرى السواد قد انتشر، فقال: إذاً والله دفعت الخيل، فأسرعي بي إلى بيتي، فخرجتْ سريعاً حتى إذا هبطت به إلى الأبطح، وكان في عنقها طوقٌ لها من ورق، فاقتطعه إنسان من عنقها، فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد خرج أبو بكر رضي الله عنه حتى جاء مع أبيه يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ. قال: «هلا تركتِ الشيخ في بيته حتى أجيئه!؟» فقال: يمشي هو إليك يا رسول الله، أحق من أن تمشي إليه، فأجلسه بين يديه، ثم مسح رسول الله ﷺ صدره، وقال: «أسلمْ تسلمْ» فأسلم. رواه الحاكم في مستدركه (٤٦/٣) وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي.

الأساس الرابع ـ أحقّ الناس بصحبتك والداك:

كثيراً ما يخطىء الإنسان في اتخاذ الصاحب والخليل، فلا يستطيع أن يجدَ المخلص الوفي، ويركض في طلبه، فتتعثر قدماه، ويبحث هنا وهناك بجدّ ونشاط، لعله يجد المخلص الوفي، فيلمح من بعيد صديقاً، فيصادقه، حتى إذا صادقه وجده غير ذلك.

ولم يترك النبي ﷺ الإنسان وهذه حالته في التقلب، فدلّه إلى طريق مختصر قصير جداً في الوصول إلى الصديق الوفي... إنه الوالدان، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! من أحق الناس بحسن

صحبتي؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «أبوك».

وفي رواية: يا رسول الله! من أحق بحسن صحبتي؟ قال: «أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أباك[1]، ثم أدناك أدناك».

وقد يقول قائل: أنا في غنى أن أتخذ صاحباً وصديقاً؟ فالجواب: إذا أنت استغنيت فلا بأس، ولكن الوالدين لا يستغنيان عن صحبتك، ومحادثتك، ومشاورتك، وسماع رأيك في كثير من القضايا التي تستجد في حياتهما وحياة إخوتك، ويبقى حديث رسول الله ﷺ هو الحكم الفَصْل.

الأساس الخامس ـ تقديم بر الأم على الأب عند التعارض بعد محاولة التوفيق بينهما:

قال الحافظ ابن حجر شارحاً للحديث السابق ما يلي:

«قال ابن بطال: مقتضاه أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر، قال: وكان ذلك لصعوبة الحمل، ثم الوضع، ثم الرضاع، فهذه تنفرد بها الأم، وتشقى بها، ثم تشارك الأب في التربية».

وقد وقعت الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ٣١/ ١٤] فسوى بينهما في الوصايا، وخص الأم بالأمور الثلاثة.

وقال القرطبي: المراد أن الأم تستحق على الولد الحظ الأوفر من البر، وتقدم في ذلك على حق الأب عند المزاحمة.

وقال عياض: وذهب الجمهورُ إلى أن الأم تفضل في البر على الأب، وقيل: يكون برهما سواء، ونقله بعضهم عن مالك، والصواب الأول.

قلت: ـ أي: ابن حجر ـ إلى الثاني ذهب بعض الشافعية، لكن نقل عن الحارث المحاسبي الإجماع على تفضيل الأم في البر، وفيه نظر.

(١) قال النووي رحمه الله: هكذا منصوب بفعل محذوف، أي: ثم برّ أباك.

والمنقول عن مالك ليس صريحاً في ذلك، فقد ذكره ابن بطال، قال: سُئل مالك: طلبني أبي، فمنعتني أمي؟ قال: أطع أباك، ولا تعص أمك، قال ابنُ بطال: هذا يدلُّ على أنه يرى أن برهما سواء، كذا قال، وليست الدلالة على ذلك بواضحة.

قال: وسُئِل الليث يعني عن المسألة بعينها، فقال: أطع أمك فإن لها ثلثي البر، وهذا يشيرُ إلى الطريق التي لم يتكرر ذكر الأم فيه إلا مرتين.

وقد أخرج البخاري في «الأدب المفرد» وأحمد وابن ماجه، وصححه الحاكم بلفظه: «إن الله يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بآبائكم، ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب».

«وفي حديث أبي رمثة: انتهيت إلى رسول الله ﷺ فسمعته يقول: «أمك، وأباك، ثم أختك، وأخاك، ثم أدناك أدناك»[(١)].

أخرجه الحاكم هكذا، وأصله عند أصحاب السنن الثلاثة وأحمد وابن حبان، والمراد بالدنو: القرب إلى البار، قال عياض: تردَّد بعضُ العلماء في الجد والأخ، والأكثر على تقديم الجد.

«قلت: ـ أي: ابن حجر ـ وبه جزم الشافعية، قالوا: يقدّم الجد ثم الأخ، ثم يقدّم من أدلى بأبوين على من أدلى بواحد، ثم تقدم القرابة من ذوي الرحم، ويقدم منهم المحارم على من ليس بمحرم، ثم سائر العصبات، ثم المصاهرة، ثم الولاء، ثم الجار، وأشار ابنُ بطال: إلى أن الترتيب حيث لا يمكن إيصال البر دفعة واحدة، وهو واضح».

وجاء ما يدل على تقديم الأم في البر مطلقاً، وهو ما أخرجه أحمد والنسائي وصححه الحاكم من حديث عائشة: سألت النبي ﷺ: أي الناس أعظم حقاً على المرأة؟ قال: «زوجها» قلت: فعلى الرجل؟ قال: «أمه».

---

(١) حسن. انظر صحيح الجامع رقم (١٤٠٠) وقال: أخرجه أبو يعلى في سننه عن صعصعة المُجاشعي، والطبراني عن أسامة بن شريك.

ويؤيد تقديم الأم حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: أن امرأة قالت: يا رسول الله! إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وثديي له سقاء، وحجري له حواء، وإن أباه طلقني، وأراد أن ينزعه مني، فقال: «أنت أحق به ما لم تنكحي» وكذا أخرجه الحاكم، وأبو داود. فتوصلت لاختصاصها به وبإخصاصه بها في الأمور الثلاثة.

«ونقل المحاسبي الإجماع على أن الأم مقدمة في البر على الأب»(١).

الأساس السادس ـ أنت ومالك لأبيك(٢):

روى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ أتاه رجل فقال: يا رسول الله! إن لي مالاً وولداً، وإن أبي يجتاح مالي، فقال: «أنت ومالك لأبيك، إن أولادكم من أطيب كسبكم، فكلوا من كسْب أولادكم»(٣).

وفي رواية أبي حنيفة كما في مسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن أولادكم من كسبكم، وهبة الله لكم، يهب لمن يشاء إناثاً، ويهب لمن يشاء الذكور».

وروى البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه: «إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم».

وقد روى القرطبي حادثة الشيخ مع ابنه، فقال:

روينا بالإسناد المتصل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إن أبي أخذ مالي، فقال النبي ﷺ للرجل: «فأتني بأبيك» فنزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ فقال: «إن الله عز وجل يقرئك السلام، ويقول لك: إذا جاءك الشيخ فاسأله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٥ـ٦).

(٢) انظر بتوسع مصنف عبد الرزاق (٩/ ١٢٩).

(٣) صحيح. انظر صحيح الجامع رقم (١٤٨٧).

أذناه» فلما جاء الشيخ قال له النبي ﷺ: «ما بال ابنك يشكوك؟ أتريد أن تأخذ ماله؟» فقال: سله يا رسول الله! هل أنفقه إلا على إحدى عماته، أو خالاته، أو على نفسي؟ فقال له رسول الله ﷺ: «إيه.. دعنا من هذا، أخبرني عن شيء قلتَهُ في نفسك ما سمعته أذناك».

فقال الشيخ: والله يا رسول الله! ما زال الله عز وجل يزيدنا بك يقيناً، لقد قلت في نفسي شيئاً ما سمعته أذناي، قال: «قل وأنا أسمع»، قال: قلت[1]:

غَذَوتُك مولوداً ومُنْتُك[2] يافعاً	تُعلّ بما أجْني عليك وتنْهَلُ
تخافُ الرَّدى نَفْسي عليك وإنَّها	لتَعْلَمُ أنَّ المَوْتَ وقتٌ مُؤجَّلُ
فلما بَلَغْتَ السنَّ والغاية التي	إليها مدى ما كنتُ فيك أؤملُ
جَعَلْتَ جزائي غلظةً وفظاظةً	كأنكَ أنتَ المنعم المُتَفَضِّلُ
فليتك إذا لم تَرْعَ حقَّ أبوّتي	فعلت كما الجار المُصاحب يفعلُ
فأوليتني حق الجِوار ولم تكن	عليَّ بمال دون مالك تَبْخَلُ

قال: فحينئذ أخذ النبي ﷺ بتلابيب ابنه، وقال: «أنت ومالك لأبيك»[3].

وقد تقدم معنا الحديث الذي رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح قول النبي ﷺ عن رجل: «وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين، فهو في سبيل الله».

وكذلك فإن للوالدين الحق في الرجوع بالهبة المقدمة لأحد أبنائهم:

روى الترمذي عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يحل لأحد أن يعطي عطية فيرجع فيها إلا الوالد لولده» ورواه ابن ماجه والبيهقي، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد.

وروى الترمذي والنسائي وابن ماجه والبيهقي وأبو داود عن ابن عمرو وابن

---

(١) نسبت هذه الأبيات في أشعار الحماسة لأمية بن أبي الصلت.
(٢) أي: قمت بمؤونتك.
(٣) تفسير القرطبي (١٠/ ٤٥) (ط٣). رواه ابن ماجه عن جابر، ورواه الطبراني عن سمرة وابن مسعود، والحديث صحيح. انظر صحيح الجامع رقم (١٤٨٦).

عباس رضي الله عنهم: أن النبي ﷺ قال:

«ولا يحلُّ لرجل أن يعطي عطية، أو يهب هبة، ثم يرجع فيها إلا الوالد فيما يعطي ولده، ومثل الذي يعطي العطية، ثم يرجع فيها كمثل الكلب يأكل، فإذا شبع قاء، ثم يعود في قيئه».

وعن محمد بن سيرين قال: «بلغت النخلة على عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ألف درهم، فعمد أسامة بن زيد إلى نخلة، فنقرها، وأخرج جمارها، فأطعمها أمه، فقال له: ما حملك على هذا وأنت ترى النخلة قد بلغت ألفاً؟! فقال: إن أمي سألتنيه، ولا تسألني شيئاً أقدر عليه إلا أعطيتها» رواه الحاكم في مستدركه (٣/ ٥٩٧) وسكت عنه، وقال الذهبي: أمه ماتت زمن الصديق، والحديث فيه إرسال.

الأساس السابع ـ عتق الوالدين من أيّ مال استحقَّ بذمتهما:

وهذه صورةٌ من صور البر العظيمة، ففي السابق أيام الرقيق، قد يصبحُ الابن حراً وله مال، والأب أو الأم رقيقين بلا مال يعتقان أنفسهما، أما صورتها في واقعنا الحالي، فمثلاً حلّت بأحد الوالدين ديون كثيرة لأي سبب من الأسباب، فماذا كان موقف رسول الله ﷺ في هذه الحالة؟

«لا يجزي ولدٌ والداً إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه، فيعتقه»[1]. وصورتها كذلك: أن يسجن أحد الوالدين لأي سبب من الأسباب، ولا يملكان مالاً لكفالتهما، فما على الولد إلا المسارعة لوضع ماله في خدمة والديه؛ لأنه كما تقدم: «أنت ومالك لأبيك».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من حج عن أبويه، أو قضى عنهما مغرماً، بُعث يوم القيامة مع الأبرار» رواه الدارقطني (٢/ ٢٦٠).

الأساس الثامن ـ الدعاء المتبادل بين الأبوين وأبنائهما:

الدعاء ركن أساسي في البر، وهو مظهرُ القلب الذي يعبر عن الحب والود،

---

(١) رواه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

وهو ذليل البر القلبي، فالقلب المفعم بالحب يلحّ بالدعاء، ويجري على اللسان مجرى النفس، وكلما ازدادت المحبة القلبية المتبادلة بين الوالدين والأبناء، ازداد الدعاء.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده» رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن، وليس في رواية أبي داود: «على ولده»[1].

وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ على أمّ سليم، فأتتهُ بتمرٍ وسمنٍ قال: «أعيدوا سمنكم في سقائه، وتمركم في وعائه فإني صائم» ثم قام إلى ناحية من البيت، فصلّى غير المكتوبة، فدعا لأم سليم وأهل بيتها، فقالت أم سليم: يا رسول الله! إنَّ لي خُويْصة، قال: «ما هي؟» قالت: خادمك أنس، فما ترك خير آخرةٍ ولا دنيا إلا دعا لي به: «اللهم ارزُقْه مالاً، وولداً، وبارك له» فإني من أكثر الأنصار مالاً، وحدثتني ابنتي أمينة أنه دُفن لصُلبي مقْدم حجّاج البصرة؛ بضع وعشرون ومئة.

وروى البخاري في «الأدب المفرد» عن أبي حازم أن أبا مرة أخبره: أنه ركب مع أبي هريرة رضي الله عنه إلى أرضه بالعقيق، فإذا دخل أرضه صاح بأعلى صوته: عليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أماه! فتقول: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، فيقول: رحمك الله كما ربيتني صغيراً، فتقول: يا بني! وأنت فجزاك الله خيراً، ورضي عنك كما بررتني كبيراً. اللهم بارك لنا في أموالنا وأولادنا.

وعن أم سلمة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة: «ائتيني بزوجك وابنيك» فجاءت بهم، فألقى عليهم كساءً فدكياً، قال: ثم وضع يده عليهم، ثم قال:

---

(١) ورواه الإمام أحمد والبخاري في «الأدب» عن أبي هريرة، ورواه ابن ماجه والطيالسي والطبراني وابن عساكر وأحمد والخطيب عن عقبة بن عامر. انظر صحيح الجامع رقم (٣٠٣١).

«اللهم إن هؤلاء آل محمد، فاجعل صلواتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد، إنك حميد مجيد». قالت أمُّ سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم، فجذبه من يدي، وقال: «إنك على خير» رواه أحمد (٦/ ٣٢٣).

الأساس التاسع ـ ألا تَستسِبَّ لوالديك:

من دلالات البر: أن تحافظ على اسم والديك من السب والشتم بشتى صوره، وأشكاله، سواء من أنفسهما، فتفعل أعمالاً تغضبهما، فيسبان ذاتهما، فتكون أنت سبب هذا الشتم، أو أن تسيء إلى أحد، فيسبّ أحد والديك، أو يُسيء أحد إليك، فتسبه بوالديه، فيسب والديك.. وهكذا.

وباختصار إن سب الوالدين بأي صورة من الصور، أو أي شكل من أشكاله، ومهما كان سبب ذلك، فليس من البر، والمحافظة على اسم الوالدين من السب أكبر دليل على البر.

روى ابن السني عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ رأى رجلاً معه غلام، فقال للغلام: من هذا؟ قال: أبي. قال: فلا تمشِ أمامه، ولا تَسْتَسِبَّ له، ولا تجلس قبله، ولا تدعه باسمه»[1].

وروى ابن أبي الدنيا مرسلاً عن أبي المخارق رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مررت ليلة أسري بي برجل مغيب في نور العرش، قلت: من هذا؟ أهذا ملك؟ قيل: لا، قلت: نبي؟ قيل: لا، قلت: من هو؟ قال: هذا رجل كان في الدنيا لسانه رطب من ذكر الله، وقلبه معلق بالمساجد، ولم يستسبّ لوالديه».

وثبت في الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله من لعن والديه» وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال:

---

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه (١١/١٣٨) موقوفاً على أبي هريرة، وقال حبيب الرحمن الأعظمي معلقاً: «والحديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد»، وروى عبد الرزاق (١١/١٣٧) قول طاووس: «إن من الجفاء أن يدعو الرجل والده باسمه».

«من الكبائر شتم الرجل والديه» قالوا: يا رسول الله! وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «نعم يَسُبّ أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه».

الأساس العاشر ـ أشهِر الانتساب لأبيك واعتز به:

حرص الإسلام على إشهار نسب الابن من أول يوم يولد فيه، فأوصى بالعقيقة؛ لإشهار نسب المولود، وكثيراً ما يحدث في المجتمعات العجب العجاب، ففي المجتمع الجاهلي القديم كان يتنصل الابن من نسبه لأبيه، وفي المجتمع الجاهلي الحديث يخجل الابنُ المثقف ـ وقد حصل على منصب اجتماعي مرموق ـ يخجل هذا الأحمق أن يعترف بأبيه، وقد أتى لزيارته عابراً، أو غير ذلك من ألوان التهرب من إشهار اتصال الابن بأبيه التي يجيدها أبالسة هذا الزمان، والعياذ بالله.

والأمر خطير عندما نعلم أن إنكار النسب يعني الكفر بعينه، وهذا هو الدليل:

في الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من ادعى إلى غير أبيه، وهو يعلم أنه غير أبيه، فالجنة عليه حرام»[1].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كفر»[2].

وفي الصحيحين أيضاً ـ واللفظ لمسلم ـ عن أبي ذر رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمُهُ إلا كفر، ومن ادعى ما ليس له فليس منا، وليتبوأ مقعده من النار، ومن دعا رجلاً بالكفر، أو قال: عدو الله، وليس كذلك، إلا حار عليه».

---

(١) ورواه أبو يعلى في مسنده (٢/٥٩) بسند صحيح، ورواه أحمد (١/٩٦٩) والبيهقي (٧/٤٠٣).

(٢) بأن يصير الولد في رتبة جليلة من غنى، أو جاه، أو نحو ذلك، وأبواه من الأدنياء، فيرغب عن الانتساب إليهما.

الأساس الحادي عشر ـ الحج عمن عجز منهما صحياً عن أدائه:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن امرأة من خثعم سألت رسول الله ﷺ غداة النحر، والفضل ردفه، فقالت: يا رسول الله! إن فريضة الله في الحج على عباده أدركت أبي شيخاً كبيراً، لا يستطيع أن يستمسك على الراحلة، هل ترى أن أحج عنه؟ قال: «نعم» رواه ابن خزيمة في صحيحه بسند صحيح (٤/ ٣٤٢).

وعن ابن رزين أنه قال: يا رسول الله! إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج والعمرة، ولا الظعن، قال: «حجّ عن أبيك» رواه ابن خزيمة في صحيحه (٤/ ٣٤٦) وإسناده صحيح.

الأساس الثاني عشر ـ إنفاذ نذرهما:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ أدرك شيخاً كبيراً يهادى بين ابنيه، يتوكأ عليهما، فقال النبيُّ ﷺ: «ما شأن هذا الشيخ؟» فقال ابناه: يا رسول الله! كان عليه نذر، فقال النبيُّ ﷺ: «اركب أيها الشيخ! فإن الله غنيٌّ عنك وعن نذرك» رواه ابن خزيمة في صحيحه (٤/ ٣٤٧) ورواه مسلم.

الأساس الثالث عشر ـ العقوق[1] من الكبائر، وجزاؤه في الدنيا والآخرة:

في الصحيحين عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» قلنا: بلى يا رسول الله! قال: «الإشراك بالله وعقوق الوالدين» وكان متكئاً فجلس فقال: «ألا وقول الزور» فما زال يُكررها حتى قلنا: ليته سكت.

وروى النسائي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة،

---

(١) أصل العَقّ: الشقُّ. وإليه يرجع عقوق الوالدين، وهو قَطْعُهما؛ لأن الشقّ والقَطْع واحد يقال: عقَّ ثوبَه؛ إذا شقَّه، عقّ والديه يعُقُّهما عَقّاً وعُقُوقاً. قال الشاعر:

إن البنين شرارهم أمثاله ... مَنْ عق والده وبَرّ الأبعدا

انظر كتاب «العين» للخليل.

والديوث، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن الخمر، والمنَّان بما أعطى».

وروى الإمام أحمد وابن ماجه والبخاري في «الأدب المفرد» عن معاذ رضي الله عنه قال: أوصاني رسول الله ﷺ بعشر كلمات قال:

١ـ «لا تشرك بالله شيئاً وإن قُتلت وحُرِّقت».

٢ـ «ولا تَعُقَّنَّ والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك».

٣ـ ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمداً، فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمداً، فقد برئت منه ذمة الله».

٤ـ «ولا تشربن خمراً فإنه رأس كل فاحشة».

٥ـ «وإياك والمعصية، فإن بالمعصية حلّ سخَط الله».

٦ـ «وإياك والفرار من الزّحف، وإن هلك الناس».

٧ـ «وإذا أصاب الناس موت وأنت فيهم فاثبت».

٨ـ «وأنفق على عيالك من طَوْلك».

٩ـ «ولا ترفع عنهم عصاك أدباً».

١٠ـ «وأخِفْهم في الله».

وروى البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس».

وفي الصحيحين عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعاً وهات، ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال».

وروى الإمام أحمد عن مالك بن عمرو القشيري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أعتق رقبة مسلمة فهي فداؤه من النار، فإن كل عظم من عظامه محرر بعظم من عظامه، ومن أدرك أحد والديه، ثم لم يغفر له، فأبعده الله عز وجل ومن ضم يتيماً من أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله، وجبت له الجنة».

وروى الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن مجتمعون، فقال: «يا معشر المسلمين! اتقوا الله، وصلوا أرحامكم؛ فإنه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم، وإياكم والبَغْي فإنه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة البغي، وإياكم وعقوق الوالدين، فإن ريح الجنة توجد من مسيرة ألف عام، والله لا يجدها عاق، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زانٍ، ولا جارٌّ إزارَه خيلاء، إنما الكبرياء لله رب العالمين».

ومن علامات الساعة: صورة قبيحة من العقوق، بحيث يقتل الابن أباه، فقد روى البخاري في «الأدب المفرد»(١) عن أبي موسى مرفوعاً: «لا تقوم الساعة حتى يقتل الرجل جاره، وأخاه، وأباه».

أما عقوبة العقوق في الدنيا:

روى الحاكم والأصبهاني عن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال:

«كل الذنوب يؤخر الله ما شاء منها إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين، فإن الله يجعله لصاحبه في الحياة الدنيا قبل الممات».

ضابط العقوق:

ومدار ضابط عقوق الوالدين، أو أحدهما، كما قال ابن حجر الهيتمي(٢):

لو فعل معه ما يتأذى به تأذياً ليس بالهين عرفاً كان كبيرة، وإن لم يكن محرماً لو فعل مع الغير.

«كأن يلقاه فيقطب في وجهه، أو يَقْدَمَ عليه في ملأ، فلا يقوم له، ولا يعبأ به، ونحو ذلك مما يقضي أهل العقل والمروءة من أهل العرف بأنه مؤذٍ تأذياً عظيماً».

ثانياً ـ أساسيات البر بعد وفاة أحدهما، أو كليهما:

يشبُّ بعضُ الناس وقد فقد أحدَ والديه في الصغر، فيجب أن يقدّم شيئاً لهما إكراماً وتعظيماً. أو قد يموت أحدهما في حياته، فيجب أن يتابع البر، فما هي

---

(١) (١/ ٢٠٣).

(٢) الزواجر (٢/ ٧٣).

أركان هذا البر بعد وفاة أحدهما، أو كليهما؟

من خلال التأمل في الأحاديث الشريفة نجد سبعة أركان، وهي:

الأساس الأول ـ إنفاذ عهدهما، ووصيتهما:

روى أبو داود والنسائي عن الشريد بن سويد الثقفي رضي الله عنه قال: إن أمه أوصته أن يعتق عنها رقبةً مؤمنة، فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! إني أمي أوصت أن أعتق عنها رقبة مؤمنة، وعندي جارية سوداء نوبية أفأعتقها؟ فقال رسول الله ﷺ: «ادع بها» فدعوتها، فجاءت، فقال لها النبي ﷺ: «من ربُّكِ؟» قالت: الله، قال: «فمن أنا؟» قالت: رسول الله، قال: «أعتقها فإنها مؤمنة».

وروى أبو داود عن مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله! هل بقي من بر أبوي شيء أبرّهما بعد موتهما؟ فقال: «نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما»(١).

فهذا حديث جامع لأغلب الأركان.

وقد يجد الابنُ صعوبات في تنفيذ الوصية، ولكن صدق البر، واليقين بالله تعالى وأن ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[النحل: ٩٦] مما يساعده للمسارعة إلى التنفيذ، وهاك نموذجاً: أخرج البخاري عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال:

لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني، فقمتُ إلى جنبه، فقال: يا بني! إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإني لا أراني إلا سأقتل مظلوماً، وإن من كبير همّي لِدَيْني أفترى ديننا يبقي من مالنا شيئاً؟ ثم قال: يا بني! بعْ مالنا، واقضِ ديني، وأوصى بالثلث، وثلثه لبنيه، يعني: بني عبد الله، قال: فإن فضل شيء من مالنا بعد قضاء الدين فثلثه لولدِك، قال عبد الله بن الزبير:

---

(١) ورواه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٥٥) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

فجعل يوصيني بدينه ويقول: يا بني إن عجزت عن شيء منه فاستعن بمولاي، قال: فوالله ما دريت ما أراد حتى قلت: يا أبت! من مولاك؟ قال: الله، فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير! اقض عنه دينه، قال: فقتل الزبير ولم يَدَع ديناراً أو درهماً إلا أرضين منها الغابة، وإحدى عشرة داراً بالمدينة، ودارين بالبصرة، وداراً بالكوفة، وداراً بمصر، قاله: وإنما كان دينه الذي كان عليه أن الرجل كان يأتيه بالمال، فيستودعه إياه، فيقول الزبير: لا، ولكن هو سلف، فإني أخشى عليه الضيعة، وما ولي إمارة قط، ولا جبايةً، ولا خراجاً، ولا شيئاً إلا أن يكون في غَزْوٍ مع رسول الله ﷺ أو مع أبي بكر وعمر وعثمان، قال عبد الله بن الزبير: فحسبتُ ما كان عليه من الدين، فوجدتهُ ألفي ألفٍ ومئتي ألف، قال: فلقي حكيمُ بن حزام عبد الله بن الزبير فقال: يا بن أخي! كم على أخي من الدين؟

قال: فكتمته وقلت: مئة ألف، فقال حكيم: والله! ما أرى أموالكم تسعُ هذه، قال: فقال عبد الله: أرأيتك إن كانت ألفي ألفٍ؟ قال: ما أراكم تطيقون هذا، فإن عجزتم عن شيء عنه فاستعينوا بي، وكان الزبير قد اشترى الغابة بسبعين ومئة ألف، فباعها عبد الله بألف ألفٍ وستمئة ألف، ثم قام فقال: من كان له على الزبير شيء فليوافنا بالغابة.

فأتاه عبد الله بن جعفر، وكان له على الزبير أربعمئة ألف، فقال لعبد الله: إن شئتم تركتُها لكم، قال عبد الله: لا، قال: فإن شئتم جعلتموها فيما تؤخّرون إن أخرتم، فقال عبد الله: لا، قال: فاقطعوا لي قطعة، فقال عبد الله: لك من ها هنا إلى ها هنا، قال: فباع عبد الله منها، فقضى دينه، وأوفاه، وبقي منها أربعة أسهم ونصف، قال: فقدم على معاوية وعنده عمرو بن عثمان، والمنذر بن الزبير، وابن زَمْعة، قال: فقال له معاوية: كم قُوِّمت الغابة؟ قال: كل سهم بمئة ألف، قال: كم بقي منها؟ قال: أربعة أسهم ونصف، فقال المنذر بن الزبير: قد أخذت منها سهماً بمئة ألف، وقال عمرو بن عثمان: قد أخذت سهماً بمئة ألف، وقال ابن زمعة: قد أخذت سهماً بمئة ألف، فقال معاوية: كم بقي؟ قال: سهم ونصف، قال: قد أخذته بخمسين ومئة ألف.

قال: وباع عبد الله بن جعفر نصيبه من معاوية بستمئة ألفٍ قال: فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه، قال بنو الزبير: اقسم بيننا ميراثنا، قال: لا، والله! لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم أربع سنين، ألا مَنْ كان له على الزبير دينٌ فليأتنا فلنقضه.

قال: فجعل كلَّ سنة ينادي في الموسم، فلما مضى أربع سنين قسم بينهم، ودفع الثلث، قال: وكان للزبير أربعُ نسوة، فأصاب كل امرأةٍ ألف ألفٍ ومئتا ألف، قال: فجميع ماله خمسون ألف ألف ومئتا ألف».

وهذا من عظيم البر الذي يقدمه الابن لوالديه، مع اليقين، والثقة بالله تعالى في تيسير أمر البر، وتنفيذ عهدهما، جعلني الله وإياك من البررة.

الأساس الثاني ـ الدعاء، والاستغفار لهما:

روى البخاري في «الأدب المفرد» عن محمد بن سيرين قال: كنا عند أبي هريرة رضي الله عنه فقال: اللهم اغفر لأبي هريرة، ولأمه، ولمن استغفر لهما. قال محمد: فنحن نستغفر لهما حتى ندخل في دعوة أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد تقدم الحديث: «الصلاة عليهما والاستغفار لهما» والصلاة هنا: الدعاء لهما. وفي الحديث: «وولد صالح يدعو له».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب! أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك» رواه أحمد والطبراني في الأوسط، ورجالهما رجال الصحيح غير عاصم بن بهدلة، وقد وثق، كذا قاله الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢١٠).

الأساس الثالث ـ صلة رحمهما، وبرّ أصدقائهما:

روى مسلم[1] عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه كان إذا خرج إلى مكة كان

---

(١) ورواه أحمد والبخاري في «الأدب المفرد» وأبو داود والترمذي. انظر صحيح الجامع رقم (١٥٢٥).

له حمارٌ يتروّحُ عليه إذا ملَّ ركوب الراحلة، وعمامة يشدُّ بها رأسه، فبينما هو يوماً على ذلك الحمار إذ مرّ به أعرابيٌّ فقال: ألست ابن فلان؟! قال: بلى، فأعطاه الحمار، فقال: اركب هذا، وخُذ العمامة، وقال: اشددْ بها رأسك، فقال له بعضُ أصحابه: غفر الله لك، أعطيت هذا الأعرابي حماراً كنت تروّح عليه، وعمامة كنت تشدُّ بها رأسك، فقال: إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ من أبر البر صلة الرجل أهل وُدِّ أبيه بعد أن يولّي» وإن أباه كان وداً لعمر.

وقد تقدم الحديث: «وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما».

وروى ابن حبان في صحيحه عن أبي بُرْدة قال: قدمت المدينة، فأتاني عبد الله بن عمر فقال: أتدري لم أتيتك؟ قال: قلت: لا، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحبَّ أن يصل أباه في قبره فليصلْ إخوان أبيه بعدهُ» وإنه كان بين أبي عمر وبين أبيك إخاء وودّ، فأحببْتُ أن أصِلَ ذاك[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنّ رسول الله ﷺ قال: «احفظْ ودّ أبيك لا تقطعه، فيطفىء الله نورك» رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن، كذا قاله الهيثمي في المجمع (٨/ ١٤٧).

الأساس الرابع ـ الصدقة عليهما:

روى الشيخان والنسائي وأبو داود عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إن أمي تُوفيت، أينفعها إن تصدقتُ عنها؟ قال: «نعم» قال: فإن لي محرماً فأنا أشهدك أني تصدّقت به عنها.

وأخرج الجماعة إلا الترمذي عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: إن أمي افتُلتت نفسها، وأظنها لو تكلمت تصدقت، لها أجر إن تصدقت عنها؟ فقال: «نعم». ورواه ابن خزيمة في صحيحه (٤/ ١٢٤).

وروى الطبراني في الأوسط أن رسول الله ﷺ قال: «ما على أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه إذا كانا مسلمين، فيكون لوالديه أجرها،

---

(١) ورواه أبو يعلى. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٤٣٢).

ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شيء».

وروى مالك والنسائي عن سعيد بن عمرو بن شرحبيل بن سعد بن عبادة عن أبيه عن جده، قال: خرج سعدُ بن عبادة مع النبي ﷺ في بعض مغازيه، وحضرت أمه الوفاة في المدينة، فقيل لها: أوصي، فقالت: فيم أوصي؟ المالُ مالُ سعد، فتوفيت قبل أن يقدم سعد، فلما قدم سعد ذكر ذلك له، فقال: يا رسول الله! هل ينفعها أن أتصدَّق عنها؟ فقال النبي ﷺ: «نعم» فقال سعد: حائط[1] كذا وكذا صدقة عنها، الحائط سمّاه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إن أبي مات، وترك مالاً، ولم يوص، فهل يكفّر عنه إن تصدقت عنه؟ فقال: «نعم».

رواه ابن خزيمة في صحيحه (٤/ ١٢٣) بسند صحيح.

الماء أفضل الصدقة عليهما:

روى أبو داود والنسائي عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! إن أمي ماتت، فأي الصدقة أفضل؟ قال: «الماء» فحفر بئراً، وقال: هذه لأم سعد.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «من حفر ماءً لم يشرب منه كبد حرّى من جن ولا إنس ولا طائر إلا آجره الله يوم القيامة، ومن بنى مسجداً كَمفْحَص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتاً في الجنة». رواه ابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٢٦٩) قال المحقق مصطفى الأعظمي: إسناده صحيح، ورواه ابن ماجه.

الأساس الخامس ـ الحج عنهما:

عن أبي رزين رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله! إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج والعمرة ولا الظعن، قال: «حُجَّ عن أبيك، واعتمر» رواه الحاكم في مستدركه (١/ ٤٨١) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وعن أنس رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: إن أبي مات،

---

(١) الحائط: أي البستان.

ولم يحج حجة الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «أرأيت لو كان على أبيك دين أكنت تقضيه عنه؟» قال: نعم. قال: «فإنه دين عليه فاقضه» رواه البزار، والطبراني في الأوسط والكبير، وإسناده حسن، قال الهيثمي في المجمع: (٣/ ٢٨٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما يقول: قال فلان الجهني: يا رسول الله! إن أبي مات، وهو شيخ كبير لم يحج، أو لا يستطيع الحج، قال: «حج عن أبيك» رواه ابن خزيمة في صحيحه (٤/ ٣٤٣) وإسناده صحيح.

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا حج الرجل عن والديه تقبل الله منه ومنهما، واستبشرت أرواحهما في السماء، وكتب عند الله باراً» رواه الدارقطني (٢/ ٢٦١) وقال العزيزي في شرح الجامع الصغير: هذا حديث صحيح.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتى رسولَ الله ﷺ رجلٌ فقال له: إن أبي مات، وعليه حج الإسلام، فأحجّ عنه؟ قال: «أرأيت لو أن أباك ترك ديناً عليه أقضيته عنه؟» قال: نعم، قال: «احججْ عن أبيك» رواه الدارقطني (٢/ ٢٦٠).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حجَّ عن أبيه وأمه فقد قضى عنه حجَّته، وكان له فضل عشر حجج» رواه الدارقطني (٢/ ٢٦٠).

الأساس السادس ـ المسارعة للعمل الصالح لإدخال السرور عليهما:

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ عند آية: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٩/ ١٠٥] قال: وقد ورد أن أعمال الأحياء تُعرض على الأموات من الأقرباء والعشائر في البرزخ، ثم أورد حديث أبي داود الطيالسي بإسناده عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أعمالكم تُعرض على أقاربكم وعشائركم؛ فإن كان خيراً استبشروا به، وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك».

ثم أورد حديث الإمام أحمد بإسناده عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إن أعمالكم تُعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات، فإن كان خيراً استبشروا به، وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لا تُمتهم حتى تهديهم كما هديتنا».

وروى الإمامُ ابن المبارك بإسناده عن أبي الدرداء أنه كان يقول: إن أعمالكم تُعرض على أمواتكم فيسرون ويساؤون، ثم يقول: اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً أخزى به عند خالي عبد الله بن رواحة.

وعن النبي ﷺ أنه قال: «تُعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس على الله تعالى، وتُعرض على الأنبياء وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة، فيفرحون بحسناتهم، وتزداد وجوههم بياضاً وإشراقاً، فاتقوا الله، ولا تؤذوا موتاكم»[1].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علماً علّمه ونشره، أو ولداً صالحاً تركه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً كراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته».

رواه ابن خزيمة في صحيحه (٤/ ١٢١) بسند حسن لغيره لشواهده، وقد تقدم معنا في الحديث الصحيح: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» رواه مسلم وابن خزيمة في صحيحه، ورواه أحمد (٢/ ٣٧٢). رزقني الله وإياك هذه الخصال الثلاث، ووفقني الله وإياك لطاعته، ومرضاته.

الأساس السابع ـ زيارة قبريهما:

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: زار النبيُّ ﷺ قبر أمه، فبكى،

---

(١) وأورده في الجامع الصغير، وقال: رواه الحكيم الترمذي عن والد عبد العزيز، رامزاً إلى حسنه، هكذا قاله الشيخ عبد الله سراج في كتابه «الإيمان بعوالم الآخرة» (ص٩٦).

وأبكى من حوله، فقال: «استأذنتُ ربي في أن أستغفر لها فلم يأذنْ لي، واستأذنته في أن أزورَ قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكِّرُ الموت».

وعن ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور، فقد أُذن لمحمد في زيارة قبر أمه، فزوروها، فإنها تُذكِّر الآخرة».

رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

وفي رواية الحاكم في مستدركه (١/ ٣٧٥) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبي: زار النبي ﷺ قبر أمه في ألف مقنع، فلم ير باكياً أكثر من يومئذ.

الأساس الثامن ـ برّ قسمهما، وألا تستسبّ لهما:

عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من برَّ قسمهما، وقضى دينهما، ولم يستسب لهما، كُتِب باراً وإن كان عاقاً في حياته. ومن لم يبر قسمهما، ويقضي دينهما، واستسبّ لهما كُتِب عاقاً، وإن كان باراً في حياته» رواه الطبراني في الأوسط، وسكت الهيثمي في المجمع (٨/ ١٤٧) عن سنده.

الأساس التاسع ـ الصوم عنهما:

عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: أتت امرأةٌ إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي توفيت وعليها صوم شهرين، فقال: «صومي عنها» فقالت: إن عليها حجةً قال: «فحجّي عنها» قالت: فإني تصدقت عليها بجارية، فقال: «قد آجرك الله، وردَّها عليك الميراث» رواه الحاكم في مستدركه (٤/ ٣٤٧) وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

☆ ☆ ☆

الفصل الخامس
أسلوب تأديب الطفل

قال رسول الله ﷺ:

«ما أعطي أهل بيت الرفق إلا نفعهم ولا منعوه إلا ضرهم» رواه الطبراني بإسناد صحيح[١].

■ تمهيــد:

أسس تأديب[٢] الطفل:

الأساس الأول: التأديب ضرورة تربوية.

الأساس الثاني: تصحيح خطأ الطفل فكرياً ثم عملياً.

- تصحيح الخطأ الفكري.
- تصحيح الخطأ بالتعليم العملي.

الأساس الثالث: التدرج في تأديب الطفل.

المرحلة الأولى: رؤية الأطفال السوط.

المرحلة الثانية: شد الأذن.

المرحلة الثالثة: الضرب وقواعده.

القاعدة الأولى: ابتداء الضرب من سن العاشرة.

القاعدة الثانية: أقصى الضربات للتأديب ثلاثة، وللقصاص عشرة.

القاعدة الثالثة: الالتزام بمواصفات أداة الضرب وطريقته ومكانه.

القاعدة الرابعة: لا ضرب مع الغضب.

القاعدة الخامسة: ارفع يدك عن الضرب إذا ذكر الطفل الله تعالى.

---

(١) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٩٤٧).

(٢) التأديب: التهذيب والمجازاة. المعجم الوسيط (١/ ١٠).

«ضَرْبُ الوالِدِ لولده؛ كالسماد للزرع»

لقمان يعظ ابنه(١)

«اللهم إني أعوذ بك: من شر زمان؛ تَمَرَّدَ فيه صغيرهم، وتآمر فيه كبيرهم، وتقرب فيه آجالهم»

هرم بن حيان(٢)

ـ رحمه الله ـ

«فالصبي إذا أهمل في ابتداء نشوئه، خرج في الأغلب رديء الأخلاق، كذاباً، حسوداً، سروقاً، نماماً، ذا فضول، وضحك، وكياد، ومجانة، وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب»

الإمام الغزالي

ـ رحمه الله تعالى ـ

(١) كتاب (العيال) لابن أبي الدنيا (١/ ٥١٠).

(٢) حلية الأولياء (٢/ ١٢٠).

● **تمهيــد:**

تقدم معنا في الباب السابق الأساليب التربوية النبوية، سواء منها الفكرية أو النفسية، فإذا لم تُجْدِ أية وسيلة مع الطفل، فهذا يعني: أن الطفل بحاجة إلى علاج بالتأديب، لكي يحس بأن الأمر جدّ لا هزل فيه، فيذوق ألم التأديب، فيعرف قيمة الحنان والعاطفة التي تدفقت عليه من والديه قبل التأديب، ويشعر بضرورة الانقياد والطاعة، وحسن الخلق والسيرة.

ولكن ما هي أسس التأديب: وكيف يؤدِّب الأب ابنه، فيحقق حديث النبي ﷺ: «لأن يُؤدِّب الأب ابنه خير له من أن يتصدَّق بصاع» رواه الترمذي

ولا بُدَّ قبل الشروع في هذا أن نعرف المفهوم الفقهي للتأديب، حيث يقول الكاساني في «بدائع الصنائع»[1]:

«إن الصبي يعزر تأديباً لا عقوبة؛ لأنه من أهل التأديب. ألا ترى إلى ما روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «مروا صبيانكم بالصلاة! إذا بلغوا سبعاً، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشراً».

وذلك بطريق التأديب، والتهذيب، لا بطريق العقوبة؛ لأنها تستدعي الجناية، وفعل الصبي لا يوصف بكونه جناية بخلاف المجنون، والصبي الذي لا يعقل؛ لأنهما ليسا من أهل العقوبة، ولا من أهل التأديب».

* * *

---

(١) (٧/ ٦٣).

الأساس التأديبي الأول ـ التأديب ضرورة تربوية:

إن التأديب ليس عملاً انتقامياً من الطفل، وإنما هدفه تربوي، ووسيلته تربوية.

وقد قرر ابنُ الجزار القيرواني ضرورة تأديب الطفل في الصغر فقال:

«الصغير أسلس قيادة، وأحسن مؤاتاة وقبولاً؛ فإن قال لنا قائل: قد نجد من الصبيان من يقبل الأدب قبولاً سهلاً، ونجد منهم من لا يقبل ذلك، وكذلك نجد من الصبيان من لا يستحي، ونجد منهم من هو كثير الحياء، ونجد منهم من يُعنى بما يُعلّمه، ويتعلمه بحرص، واجتهاد، ونجد من هو يملّ التعليم ويبغضه، وقد نجد أيضاً في ذوي العناية منهم، وذوي العلم من إذا مُدح تعلّم علماً كثيراً، ومنهم من يتعلم إذا عاتبته، أو عاتبه المعلم، ووبّخه، ومنهم من لا يتعلم إلا للفَرَق من الضَّرْب، وكذلك نجد اختلافاً كثيراً، ومطرّداً في الذين يملّون التعلّم، ويبغونه.

وقد نرى من الصبيان مُحبّاً للكذب، ونرى منهم مُحبّاً للصدق، ويُرى منهم اختلاف في الأخلاق، ومضادّة كثيرة بالطبع، فما معنى قولك: ويحبّذ في أن يؤخذ الأطفال بالأدب منذ الصغر، وأنت منهم مثل هذا بالطبع من غير تعليم، ولا تأديب، أفَتَرى الأدب ينقل الطبع المذموم إلى الطبع المحمود؟.

فنقول لقائل هذه المقالة: أما ما ذكرت من طبائع الصبيان، واختلافهم، وقولك: أفترى الأدب ينقل الطبع المذموم إلى الطبع المحمود؟ فلعمري إنه لكذلك، وإنما أوتي صاحب الطبع المذموم من قبل الإهمال في الصبا، وتركه ما يعتاد مما تميل إليه طبيعته فيما هي مذمومة، أو يعتاد أشياء مذمومة أيضاً؛ لعلها ليست في غريزته، فإن أخذ في الأدب بعد غلبة تلك الأشياء عَسُرَ انتقاله، ولم يستطع مفارقة ما اعتاده في الصبا، وقد قال أحد الفلاسفة: «إن أكثر الناس إنما أُتُوا في سوء مذاهبهم من عادات الصبا إذا لم يتقدمهم تأديب، وإصلاح أخلاقهم، وحُسْن سياستهم».

فلذلك أُمِرْنا نحن أن نُؤدِّب الصبيان، وهم صغار، لأنهم ليس لهم

عزيمة تصرفهم لما يؤمر به من المذاهب الجميلة، والأفعال الحميدة، والطرائق المثلى، إذ لم تغلب عليهم بعد عادة رديئة تمنعهم من اتباع ما يُراد بهم من ذلك، فمن عَوّد ابنه الأدب، والأفعال الحميدة، والمذاهب الجميلة في الصغر حازَ بذلك الفضيلة، ونال المحبّة والكرامة، وبلغ غاية السعادة، ومن ترك فعل ذلك، وتخلّى عن العناية به أدّاه ذلك إلى عظيم النقص والخساسة، ولعلّه يَعْرِف فضيلة ذلك في وقت لا يُمكنه تلافيه، واستدراك ما فاته منه، فتحصل له الندامة التي هي ثمرة الخطأ، وذلك أنّا قد نرى من الناس مَنْ يعلم أنّ مذاهبه رديئة، ولا يخفى عليه الطريق المحمود، ويعسر عليه النزوع إليه لتقدّم العادة المعتادة فيهم.

وإن حملوا أنفسهم على بعض تلك الحالات تصنّعاً، وحياء من الناس في الظاهر لم يعدموا إذا خَلَوْا أن يرجعوا إلى المذاهب المتمكّنة في غرائزهم، وإنما أصل العادة أن الإنسان إلى العادة أميل، وعليها أحرص، وبها أشدّ تمسّكاً، فليس إذاً من الأسباب الذميمة شيء أقوى سبباً إذا كان في طبيعته من مثل ذلك الشيء الذي تعوّده، فإن لم يُعن في ذلك الطبع، فإن العادة وحدها تبلغ في ذلك إذا استحكمت، وتمكنت مبلغاً قوياً، وكذلك فعل العادة في الأشياء المحسوسة الفاضلة، فإن رأيت صبياً في طبيعة جيّدة، وعادة صالحة، فإنه لا تفارقه الخصال المحمودة الشريفة؛ لأنه طُبع عليها من جهتين قويتين، كما أن ذلك لا تفارقه الخصال المذمومة الدنيئة؛ لأنه طُبع عليها من هاتين الجهتين، أعني العادة والطبيعة، مع أن بعض الحكماء قال: «العادة طبيعة ثانية» فلموقع العادة هذا الموقع وجب أن يؤدب الأطفال، ويعوّدوا بالأشياء الجميلة، وتربيتهم تربية فاضلة ليكونوا ـ إن قبلتْ طبائعهم منفعة التأديب والتعاهد ـ أخياراً فضلاء، فإن أمكن أن يكون من الصبيان من لا يقبل ذلك لم يلزمنا نحن التواني، وإغفال ما يجب في حين يمكن فيه تأديبهم، فنرجع على أنفسنا باللوم، فنقول:

«إنا قد أخطأنا إذ لم نعاتبهم في حين يُمكن فيه تأديبهم وقبولهم، وقد علمنا أن صغير الخطأ في أوائل الأشياء وأصولها ليس بيسير الضرر في العاقبة،

كذلك فإن العاقبة في الصواب، كأنّ الأشياء لتُنْبِيء عن الأصول، فقد بينّا بياناً شافياً، وأوضحنا إيضاحاً كافياً، وتبيّن لمن فهم عنا قولنا: إن الصواب أن يؤدب الصبي، فإن كانت طبيعته طبيعة من ليس بأديب ولا لبيب، فهذا بيّن للمعترض طريق الصواب، فأما إن كان الصبي طبيعته جيدة، أعني: أن يكون مطبوعاً على الحياء، وحب الكرامة، والألفة، محباً للصدق، فإن تأديبه يكون سهلاً، وذلك أن المدح والذم يبلغان منه عند الإحسان أو الإساءة مالا تبلغه العقوبة من غيره، فإن كان الصبي قليل الحياء، مستخفاً للكرامة، قليل الألفة، محباً للكذب، عَسُر تأديباً، ولا بدّ لمن كان كذلك من إرهاب وتخويف عند الإساءة، ثم يُحقق ذلك بالضرب إذا لم ينجح التخويف، وينبغي أن يُتفقّد الصبي في كلامه وقعوده بين الناس، وحركته، ونومه، وقيامه، ومطعمه، ومشربه، ويُلْزَم في جميع ذلك ما ألزمه العقلاء أنفسهم، حتى صاروا وأمثالهم طبيعة من طبائعهم»[(١)].

فإذا تقرر معنا أن التأديب ضرورة تربوية تهذيبية تقويمية للطفل، فهذا يعني ضرورة يقظة الوالدين والمربين في تعاملهم مع الطفل، وفهم طبيعته، واختيار نوع العقوبة، وطريقتها.

الأساس التأديبي الثاني ـ تصحيح خطأ الطفل فكرياً ثم عملياً:

مما لا شك فيه أن استئصال الخطأ من جذوره وأصوله يعد نجاحاً باهراً، ونصراً كبيراً في العملية التربوية، وإذا تأملنا طبيعة أي خطأ وجدنا أن أصوله تعتمد على ثلاثة أشياء، فإما أن يكون سببه فكرياً، أي: أن الطفل لا يملك فكرة صحيحة عن الشيء، فتصرَّف من عنده فأخطأ، وإما أن يكون السبب عملياً، أي: أن الطفل لا يستطيع أن يتقن عملاً ما، ولم تدرب أصابعه على العمل فأخطأ، وإما أن يكون السبب ذات الطفل، وتعمده الخطأ، أو من ذوي الطبائع العنيدة؛ لذلك يصر على الخطأ؛ لهذا فإن

---

(١) «سياسة الصبيان وتدبيرهم» (ص١٣٤) تحقيق د. محمد الحبيب السهيلة، طبع الدار التونسية بتونس، وهو موجود في مكتبة الدار الوطنية بحلب الشهباء، حفظها الله تعالى، وسائر بلاد المسلمين.

تحديد أصل الخطأ يسهل كثيراً في تلافيه.

أولاً ـ التصحيح الفكري لخطأ الطفل:

إن الطفل كأي كائن حي يجهل أكثر مما يعلم، فإذا علم فعل الصواب سار سيراً محموداً، وحيث إن الإنسان عدو ما يجهل؛ لذلك تكون مرحلة تعليمه الصحيح من السقيم أولى الخطوات في تقويمه، وإن النبي ﷺ كان يُصحِّح البُنى الفكرية للطفل إذا أخطأ، وكان يتبع في ذلك شتى الأساليب المحببة التي تمتاز بالرفق واللين، وذلك لتصحيح فكر الطفل، وإليك بيان ذلك:

روى أبو داود عن عبد الرحمن بن أبي عقبة ـ رحمه الله ـ عن أبيه، وكان مولى من أهل فارس، قال: شهدتُ مع النبي ﷺ أحداً، فضربتُ رجلاً من المشركين، فقلت: خذها وأنا الغلام الفارسي، فالتفت إليَّ رسول الله ﷺ فقال: «هلا قلت: وأنا الغلام الأنصاري؟! ابن أخت القوم منهم».

فما أروع هذا التعليم في وسط المعركة؟! ثم ماذا؟ التعليم بوضع قاعدة له يسير عليها في حياته: «ابن أخت القوم منهم» وكيف كان العلاج؟ إنه اللطف، والرفق، ولين الجناح: «هلا قلت» يا لروعة التواضع في التعليم!.. الرسول ﷺ يقول لغلام بهذه الصيغة: «هلا». فصلى الله عليك يا سيدي، ومرشدي، ومعلمي، وقدوتي.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرةً من تمر الصدقة، فجعلها في فيه، فقال رسول الله ﷺ «كخْ.. كخْ.. ارْمِ بها، أما علمتَ أنّا لا نأكل الصدقة؟!».

قال النووي رحمه الله(1): وقوله «كخْ، كخْ» يقال بإسكان الخاء، ويقال بكسرها مع التنوين، وهي كلمةُ زجر الصبي عن المستقذرات، وكان الحسن رضي الله عنه صبياً.

ففي هذا الحديث زيادة لطيفة، وهي طريقة الزجر بهذه الكلمة: «كخْ..

---

(1) في رياض الصالحين.

كخْ» ثم ما لبث رسول الله ﷺ أن علّل لهذا الطفل سبب عدم الأكل، وعدم حلّه له؛ لتكون له قاعدة فكرية عامة في حياته كلها: «أما علمت أنّا لا تحل لنا الصدقة» وذلك بصيغة رائعة: «أما علمت؟!» وذلك ليكون وقعها على نفسه أقوى تأثيراً.

وهذا حديث ثالث يخاطب فيها الغلام بلغة رقيقة عذبة، وبلفظ: «رويدك»؟ أخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وغلام أسودُ، يقال له: أنجشة يحدو[1]، فقال له رسول الله ﷺ: «ويحك يا أنجشة! رويدك سوْقَك بالقوارير، قال أبو قلابة: يعني النساء». وهذا تصحيحٌ رابع في موقف عرفة قول النبي ﷺ لابن عباس: «مه يا غلام! فإن هذا يوم من حفظ فيه بصره غُفِر له، يعني: يوم عرفة» رواه الطيالسي. وهذا تصحيحٌ مع مناداة الاسم:

روى الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: رأى رسول الله ﷺ غلاماً لنا، يقال له: أفلح، إذا سجد نفخ، فقال: «يا أفلح ترّب وجهك».

اقتداء الصحابة في تصحيح الأفكار للطفل:

عن أبي الحكم الغِفَاري قال: حدثتني جَدّتي عن عمٍّ أبي رافع بن عمرو قال: كنتُ وأنا غلام؛ أرمي بنخلِ الأنصار، فقيل للنبي ﷺ: إن هَا هُنا غُلامٌ يرمي نخلنا؛ أو يرمي النخل، فأُتي بيَ النبيّ ﷺ فقال: «يا غلام! لم ترمِ النخلَ؟» فقلتُ: آكلُ. فقال: «لا تَرْمِ النخلَ، وكلْ مما سقطَ في أسفلِها» قال: ثم مسح رأسي، وقال: «اللهم أشبع بطنه». رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال (١/٤١٦) قال محققه: قال الترمذي: حديث حسن غريب صحيح، وقال: أخرجه أبو داود وابن ماجه وأحمد والبيهقي في السنن الكبرى.

فترى مع التصحيح الفكري للطفل، طريقة تعرّفه للوصول إلى غرضه، فهو يريد أن يأكل من التمر، فدله الرسول ﷺ على طريقة شرعية صحيحة،

---

(١) «يحدو»: أي: ينشد الأشعار، ليسير الجمل بسرعة ومتعة، فلا يشعر بالتعب.

وهي أن يأكل مما سقط من الشجرة على الأرض، بدلاً من ضرب الأشجار، وإسقاط التمر من على الشجرة بغير إذن صاحبها، ثم أتبع النبي ﷺ ذلك التعليم بالمسح على رأسه، والدعاء له، فهذا أسلوب فريد، خرج من مشكاة النبوة.

ونرى في هذا الإسناد لطائف: وهي تحديث الجدّة عن العم للسبط، فهذا دليل ما أكدناه في السابق، من تفاعل الأسرة المسلمة كلها، ومشاركتها في تربية الأحفاد والأسباط، وابن الأخ وابن الأخت، وهذا طريق حفظ العلم، فالراوي أحد الأحفاد للجدة، فروى الحديث عنها، فكان الخير كل الخير للمشتركين في التحديث عن رسول الله ﷺ.

وهذا أنس يُصحِّح لابنته فكرتها:

أخرج البخاري والنسائي عن ثابت البناني رحمه الله قال: كنت عند أنس وعنده بنتٌ له، فقال أنس: جاءت امرأةٌ إلى النبي ﷺ تعرض عليه نَفْسَها، فقالت: يا رسول الله! ألك بي حاجة؟ فقالت بنت أنس: ما أقلَّ حياءها! واسوأتاه! واسوأتاه!. فقال أنس: هي خيرٌ منكِ، رغبت في النبي ﷺ فعرضتْ نفسَها عليه.

وهذا تطبيق عملي من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للحديث السابق:

فعن سِنان بن سلمة أنه حدّث بالبحرين فقال: كنتُ في غلمة بالمدينة، نلتقط البَلَحَ، فأبْصرَنا عمرُ، وسعى الغلمان (أي هربوا) وقمتُ (أي وقفت ولم أهربِ) فقلت: يا أمير المؤمنين! إنما هو ما ألقتِ الريحُ، قال: أرني أنظرْ، فلما أريتُهُ، قال: انطلق.

قال: قلتُ: يا أمير المؤمنين! وَلّ هؤلاء الغلمان، إنك لو تواريتَ انتزعوا ما معي، قال: فمشى معي؛ حتى بلغتُ مأمني. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال (١/ ٤١٨).

فهاهنا نرى اهتمام خليفة المسلمين بالأطفال، وتحرّيه معهم، وحرصه على معرفة الحقيقة، واستجوابه للطفل بلين وحكمة، ونرى فقه الغلام، مما

دل على أن الآباء بلّغوا أبناءهم حكم رسول الله ﷺ في جواز التقاط البلح الساقط من الشجر على الأرض.

ثم جرأة الطفل في طلب المعونة من أمير المؤمنين للوصول إلى بيته بأمان، حتى يتخلص منّ إيذاء رفقائه وأصحابه.

وهذا ابن عمر يصحح للأطفال خطأهم، فيبلغهم حديث رسول الله ﷺ:

ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه مرَّ بفتيان من قريش قد نصبوا طيراً، وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحب الطير كلَّ خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرّقوا، فقال ابنُ عمر: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، وإن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه روح غرضاً.

وهذا صحابيٌّ آخر ينتبه لصلاة طفله، ويُصحِّحها له:

روى الترمذي عن عبد الله بن مغفل ـ رحمه الله ـ قال: سمعني أبي، وأنا أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: أي بني، محدث. إياك والحدث! قال: ولم أرَ أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ كان أبغض إليه الحدثُ في الإسلام، يعني: منه، قال: وقد صليت مع النبي ﷺ ومع أبي بكر ومع عمر ومع عثمان، فلم أسمع أحداً منهم يقولها، فلا تقلها إذا أنت صليت، فقل: (الحمد لله رب العالمين).

وقد تقدم في أدب الطعام كيف صحّح النبي ﷺ طريقة طعام الغلام بالتوجيه الفكري، وهكذا وجدنا أن التصحيح الفكري، وتعليم الطفل، والحوار معه، والشرح له، وتعليل الأمور له، ركن قوي في تقليل الخطأ، وتصحيح مسار الطفل.

ثانياً ـ التصحيح العملي في الواقع الميداني لخطأ الطفل:

كثيراً ما يُطلب من الطفل القيام بأعمال لم يسبق له عملها، أو شاهد من عملها؛ لذلك يبقى في جهل، فإذا طلب منه العمل وقع في أخطاء تحتاج إلى تصحيح، فإذا عُوقِب على خطئه هذا كان ظلماً، وحيفاً.

وإن رسول الله ﷺ عندما يتعرض لمثل هذه المشاهد، لا يلبث أن يفهمَ

الطفل بالطريقة العملية، فيشمِّر عن يديه، ويُري الطفل كيف يحسن العمل، وفي هذا تعليم للوالدين، والمربين، وأي تعليم.

روى أبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ مَرَّ بغلام يسلخ شاة **وما يُحسن،** فقال له رسول الله ﷺ: «تنحّ حتى أريك» فأدخل يده بين الجلد واللحم، فدَحَسَ بها، حتى دخلت إلى الإبط، ثم مضى، فصلى للناس، ولم يتوضأ.

فليكن شعار المربين والوالدين في تعاملهم مع أطفالهم:

«تَنَحَّ حتى أُرِيَكَ».

فإنه أدعى للعلم الصحيح، والعمل البناء الموجه، والطريقة السليمة في العملية التربوية.

وسار الصحابة رضوان الله عليهم بعد ذلك؛ يعلمون الكبار والصغار، والرجال والنساء، بالتدريب العملي الواقعي، والمشاهدة الحسية.

روى الإمام أحمد وابن أبي شيبة عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه قال: يا معشر الأشعريين! اجتمعوا؛ واجمعوا نساءكم؛ **وأبناءكم، حتى أُريكم صلاة رسول الله ﷺ،** فاجتمعوا، وجمعوا أبناءهم؛ ونساءهم، ثم توضأ؛ وأراهم كيف يتوضأ، ثم تقدم؛ فصفَّ الرجالَ، ثم أتى الصف، وصفَّ الولدان خلفهم، وصف النساء خلف الصبيان».

وهكذا تنطبع الصورة الصحيحة في ذهن الطفل بتعريفه عملياً الأحكام، وخاصة مما هو أصله عمل حسي، مثل الصلاة والحج والعمرة والصوم، وغيرها.

الأساس الثالث ـ التدرج في تأديب الطفل:

فإذا لم يصلح الطفل التصحيح الفكري والعملي، وأصرّ على ارتكاب الخطأ، كان التأديب حقاً لازماً عليه، ويُتَّبَعُ معه العقوبات بالخطوات التالية:

المرحلة الأولى ـ رؤية الأطفال للسوط، والخوف منه:

كثير من الأطفال يردعهم رؤية السوط، وأداة العقوبة، فبمجرد إظهارها

لهم يسارعون إلى التصحيح، ويتسابقون إلى الالتزام، وتتقوّم أخلاقهم، وسلوكهم.

فقد روى البخاري في «الأدب» عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ أمر بتعليق السوط في البيت[1].

وروى عبد الرزاق والطبراني عن ابن عباس مرفوعاً: «علقوا السوط حيث يراه أهل البيت، فإنه آدب لهم»[2].

وفي رواية الطبراني: «فإنه لهم أدب».

وقد أوصى النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه فيما أخرجه الإمام أحمد، وابن ماجه، والبخاري في «الأدب المفرد»: «ولا ترفع عنهم عصاك أدباً».

وروى ابن عمر مرفوعاً: «علقوا السوط حيث يراه أهل البيت» أخرجه الضياء[3].

فلا بُدّ من وجود السوط أو العصا في البيت؛ ليخاف الطفل من أن يتعمد الخطأ، والمعاندة.

المرحلة الثانية ـ شدّ الأذن:

وهي أولُ عقوبةٍ جسدية للطفل... إذ بهذه المرحلة يتعرف على ألم المخالفة، وعذاب الفعل الشنيع الذي ارتكبه، واستحق عليه شدّ أذنه، فقد أورد النووي في «الأذكار» فقال: روينا في كتاب ابن السني عن عبد الله بن بُسرْ المازني الصحابي رضي الله عنه قال: بعثتني أمي إلى رسول الله ﷺ بقطف من عنب، فأكلت منه قبل أن أبلغه إياه، فلما جئت أخذ بأذني وقال: «يا غُدر!».

---

(١) «الأدب المفرد» (٢/٦٥٦) ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال (١/٤٩٤).
(٢) حسن. انظر صحيح الجامع رقم (٤٠٢٢).
(٣) صحيح. انظر صحيح الجامع رقم (٤٠٢١).

المرحلة الثالثة ـ الضرب وقواعده:

وإذا لم يُجْدِ مشاهدة العصا، ولم يُجْدِ شد الأذن مع الطفل، وما زال مصراً على المشاكسة، والعناد، كانت المرحلة الثالثة هذه كفيلة بكسر هذا العناد، ولكن هل الضرب يمشي هكذا بلا ضوابط، وحسبما تهوى أنفس الوالدين والمربين؟ أم له قواعد تتبع لكي يسير في مساره الصحيح القويم. فما هي هذه القواعد؟

القاعدة الأولى ـ ابتداء الضرب من سن العاشرة:

انطلاقاً من الحديث الذي رواه أبو داود بإسناد حسن: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر»، فإن ابتداء الضرب يكون في سن العاشرة؛ وذلك لأنه التقصير في عمود الدين، وركنه الأساسي، والذي يحاسب فيه المرء يوم القيامة أولاً بعد العقيدة، فإن النبي ﷺ لم يأذن بضرب الطفل على التقصير به قبل سن العاشرة، فمن الأولى في باقي الأمور الحياتية، والسلوكية، والتربوية التي لا تساوي مكانة الصلاة أهمية، ومنزلة عند الله تعالى.

أما ما قبل العاشرة فتتبع المراحل السابقة بكل دقة، وأناة، وصبر، وحلم على الطفل، وفي هذا لفتة نبوية رائعة في تقرير سنِّ الضرب.

قال إسماعيل بن سعيد: سألتُ أحمد عما يجوز فيه ضرب الصبي على الصلاة، قال: إذا بلغ عشراً، وقال: إن أبا عبد الله قال: اليتيمُ يُؤَدَّب، ويُضرب ضرباً خفيفاً.

وقال الأثرم: سُئِل أبو عبد الله عن ضرب المعلم الصبيان، فقال: على قدر ذنوبهم، ويتوقى بجهده الضرب، وإن كان صغيراً لا يعقل فلا يضربه[1].

لهذا فإن الوالدين والمربين مدعوون إلى استخدام الفكر والروية في معالجة تصرفات الطفل، وإذا علمنا أن الطفل ما زال في مرحلة نموه

(١) عن «الآداب الشرعية والمنح المرعية» تأليف محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي (١/٥٠٦).

الجسمي والعقلي، فإن كثرة الضرب قد تؤذي أحد أعضائه.. وأحياناً تؤدي إلى إيذاء نفسي وفكري، أي: يمكن القول إن الضرب للتأديب، كالملح للطعام، فكما أن الملح يوضع بشكل قليل، فيغير من طعم الطعام، ويحسنه... فكذلك الضرب القليل المفيد المثمر هو المطلوب في العملية التربوية؛ لأن الهدف كما ذكرنا أن الضرب ضرورة تربوية، وليست انتقامية، أو لتفريغ شحنة غضب الوالدين، أو المربِّين.

ولا ننسى أن كثرة الضرب، واستخدامه تقلل من هيبته، وتفقده مفعوله، بالإضافة لما يولده من آثار سلبية في النمو النفسي، والفكري للطفل.

وإذا علمنا رواية الدارقطني (١/ ٢٣١) عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مروهم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لثلاث عشرة» فإن هذا يعني أن فترة عدم الضرب قد تمتد إلى الثلاث عشرة سنة من عمر الطفل؛ مما يؤكد ضرورة التروي، والهدوء في عملية الضرب، والتقليل منه ما أمكن.

القاعدة الثانية ـ أقصى الضربات للتأديب ثلاثة، وللقصاص عشرة:

إن أقصى عدد الضربات لا يتجاوز في أي حال من الأحوال في العملية التربوية عن عشر ضربات، وذلك لما أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «لا يُجلد فوق عشر جَلدات إلا في حدٍّ من حدود».

وفي مصنف[1] عبد الرزاق: «لا عقوبة فوق عشرة أسواط، إلا أن يكون في حدّ من حدود الله».

وقد عنون البخاري للحديث «التعزير والأدب» فقال الحافظ ابن حجر معلقاً، وشارحاً: «والمراد بالأدب في الترجمة التأديب، وعطفه على التعزير؛ لأن التعزير يكون بسبب المعصية، والتأديب أعمّ، ومنه تأديب الولد، وتأديب المعلم»[2].

---

(١) (٧/ ٤١٣).

(٢) «فتح الباري» (١٥/ ١٩١).

فإذاً حدّد الحديث عدم جواز زيادة الضرب على عشر، إلا في ثبوت حدٍّ من حدود الله تعالى. ولما كان الطفل لم يدخل سن الاحتلام والتكليف، فإن معاصيه يعزّر فيها ويؤدَّب، والله أعلم. ورأى القاضي شريح ألا يضرب الصبي على القرآن إلا ثلاثاً، كما غطَّ جبريل عليه السلام محمداً ﷺ ثلاثاً[1].

وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يكتب إلى الأمصار: لا يَقْرِنُ المعلمُ فوق ثلاث، فإنها مخافة للغلام[2].

وعن الضحاك قال: ما ضربَ المعلمُ غُلاماً فوق ثلاث فهو قصاص[3].

ولا بد من العدل في الضرب بين الصبيان، فعن الحسن قال: إذا لم يعدل المعلمُ بين الصبيان كُتب من الظلمة[4].

فاتضح لدينا أن تأديب الطفل يكون بثلاث ضربات وأقل، والقصاص أكثر من الثلاث إلى العشر. وما فوق العشر ففي الحدود.

وهنا لا بد من وقفة في أن نستعرض تصرفات بعض الحمقى في عملية الضرب، واستخدامهم له بكثرة بلا رحمة، أو شفقة، فلنستمع لفضيلة الشيخ محمد الخضر حسين، وهو يروي لنا مشاهدته، فقال رحمه الله تعالى:

«ذهبت إلى الجامع الأزهر لأذان العصر، وانتدبت للتحية مكاناً بين مجمعين لتعليم القرآن، فانشق صدري أسفاً لأحد المعلمين؛ إذ كان لا يضع العصا من يده، ولا يفتر أن يقرع بها جنوب الأطفال، وظهورهم بما ملكت يده من القوة، وربما قفز الصبي آبقاً من وجع الضرب؛ الذي لا يستطيع له صبراً، فيثب في أثره بخطوات سريعة، ويجلده بالمقرعة جلداً قاسياً، حتى قلت لأزهري كان بجنبي: من جلس إزاء هذه المزعجات فقد ظلم نفسه،

---

(١) الروض الأنف (١/ ٢٧٢) والغطّ بمعنى: الخنق، والضمّ.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب (العيال) (١/ ٥٣١).

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

وذكرت أني كنت ألقيت خطبة في أدب تعليم الصبيان ببلد بنزرت لما كنت قاضياً بها، وأدرجت فيها ما قرره صاحب «المدخل» من الرفق بالصبي، وعدم زيادة المعلم إن اضطر إلى ضربه على ثلاثة أسواط، وتحذيره من اتخاذ آلة الضرب مثل عصا اللوز اليابس، والفلقة، ولما خطبت في هذه الآداب أرسل لي بعض المعلمين كتاباً على طريق البريد يعترض فيه على نشر هذه الآداب، ويقول: إن هذا مما ينبه قلوب التلامذة للجسارة علينا»[1].

فجهل المربي والوالدين بكيفية الضرب ومواصفات أداته، ومكان الضرب، وطريقة الضرب يجعل منه وسيلة للتشفي، والانتقام، لا للتربية، والتقويم، والبناء؛ لهذا نحن بحاجة إلى هذه المواصفات.

القاعدة الثالثة ـ الالتزام بمواصفات أداة الضرب وطريقته ومكانه:

إن الالتزام بمواصفات أداة الضرب، ومكانه، وطريقته، يجعل منه ضابطاً لحماقة بعض الوالدين والمربين، ويضعهم في مواجهة الحقيقة مع أنفسهم عندما لا يلتزمون بها، فإن هذا يعني منهم الانتقام لا التربية، والغضب لا الرحمة والتأني، وسنتعرف إلى هذه المواصفات من خلال معرفة مواصفات إقامة حد من حدود الله.

وبالتالي فإن عملية التأديب والتربية تكون أخفّ بكثير من مواصفات إقامة الحد الشرعي.

ويمكن القول ـ وهذا ما ستراه ـ: إن كثيراً من الآباء والمربين يقومون بضرب الأطفال بشكل أعنف، وأقسى من إقامة حد من حدود الله؛ لهذا وجبت علينا المعرفة والبيان، لنرى أين نحن من تربية الإسلام.

أولاً ـ مواصفات أداة الضرب [السوط أو العصا]:

يقول أبو الأعلى المودوي في «نوعية السوط في حدّ الزنى»[2]:

---

(١) «كتاب الرحلات» (ص٥١) تأليف الشيخ محمد الخضر حسين، جمع وتحقيق: علي الرضا التونسي ط دار التعاونية.

(٢) «تفسير سورة النور» للمودوي (ص٧٣).

«أول إشارة عن كيفية ضرب السوط تتضمنها حكمة (فاجلدوا) من آية القرآن نفسه، فإن الجَلد مأخوذ من الجِلْد، وهو ظاهرُ البشرة من جسد الإنسان، ومن ثم قد اتفق أصحاب المعاجم، وعلماء التفسير على أن الضرب بالسوط ينبغي أن يصيب الجلد فقط، ولا يعدوه إلى اللحم، فكلّ ضرب يقطع اللحم، أو ينزع الجلد، ويجرح اللحم مخالف لحكم القرآن.

ويجب ألا يكون كل سوط أو عصا يستعمل للضرب شديداً جداً، ولا رقيقاً ليناً جداً، بل يجب أن يكون بين اللين والشدة والغلظة والدقة، فقد روى مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم: أن رجلاً اعترف بنفسه بالزنى على عهد رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ بسوط، فأتي بسوط مكسور فقال: «فوق ذلك» فأتي بسوط جديد لم تقطع ثمرته فقال: «بين هذين» فأتي بسوط قد لان، ورُكب به، فأمر به فجلد»[1].

وروى أبو عثمان النهدي عن عمر أنه أُتي بسوط فيه شدة، فقال: أريد ألين من هذا، فأتي بسوط فيه لين، فقال: أريد أشدّ من هذا، فأتي بسوط بين السوطين فقال: اضرب[2]، وكذلك لا يجوز أن يستعمل في الضرب سوط فيه العقد، أو له فرعان، أو ثلاثة فروع».

وقد لخص الشيخ الفقيه شمس الدين الإنباني مواصفات أداة تأديب الأطفال، فقال: «ويجب في السوط:

١ـ أن يكون معتدل الحجم، فيكون بين القضيب والعصا.

٢ـ وأن يكون معتدل الرطوبة، فلا يكون رطباً يشق الجلد لثقله، ولا شديد اليبوسة، فلا يؤلم لخفته.

٣ـ ولا يتعين لذلك نوع، بل يجوز بسوط (وهو سيور)، وبعود، وخشبة، ونعل، وطرف ثوب بعد فتله حتى يشتد»[3].

---

(١) ورواه عبد الرزاق في المصنف (٧/ ٣٦٩).

(٢) أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٣٢٢) ومصنف عبد الرزاق (٧/ ٣٦٩) وفيه زيادة «وأعط كل حقه» وأخرجه البيهقي (٨/ ٣٢٨).

(٣) «التربية في الإسلام» (ص١٣٥).

ثانياً ـ مواصفات طريقة الضرب:

«وكذلك يجب أن يكون الضرب بين الضربين، وقد كان عمر يقول للضارب: «لا ترفع إبطك»[1] أي: لا تضرب بكل قوة يدك، والفقهاء متفقون على أن الضرب لا ينبغي أن يكون مبرحاً، أي: موجعاً»[2].

ولخص الشيخ الفقيه «شمس الدين الإنباني» طريقة ضرب تأديب الطفل في كتابه: «رسالة رياضة الصبيان» فقال في كيفية ضرب الصبي:

«١ـ أن يكون مفرقاً لا مجموعاً في محل واحد.

٢ـ أن يكن بين الضربتين زمن يخف به ألم الأول.

٣ـ ألا يرفع الضارب ذراعه لينقل السوط لأعضده حتى يرى بياض إبطه، فلا يرفعه لئلا يعظم ألمه»[3].

فأنت تلاحظ أن هذه الضوابط لكي يؤتي الضرب ثمراته التربوية في التأديب والتهذيب، فيتقدم الطفل نحو الأحسن لا الأسوأ، ونحو الأعلى لا الأسفل، ونحو الكمال لا النقصان، ونحو القمة الأخلاقية والسلوكية لا الحضيض.

ثالثاً ـ مواصفات مكان الضرب:

«ولا ينبغي أن يكون في موضع واحد من الجسد، بل ينبغي أن يفرق على الجسد كله، حيث يأخذ كل عضو من أعضائه حقه إلا الوجه والفرج ـ والرأس أيضاً عند الحنفية ـ فإنها لا يجوز ضربها. عن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه أتي برجل سكران، أو في حدّ، فقال: اضرب وأعط كل عضو حقه، واتق الوجه والمذاكير»[4].

وعن النبي ﷺ أنه قال: «إذا ضرب أحدكم فليتق الوجه» رواه أبو داود[5].

---

(١) «تفسير سورة النور» لأبي الأعلى المودوي.

(٢) «التربية في الإسلام» ص(١٣٥).

(٣) أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٣٢٢) وأحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٨٤).

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٣٢٢).

(٥) المصدر السابق.

ويفضّل ابن سحنون الضرب على الرجلين كما نقل القابسي عنه في رسالته: «أحوال المتعلمين، وأحكام المعلمين والمتعلمين» فيقول:

«وليتجنب أن يضرب: رأس الصبي أو وجهه، فإن سحنون قال فيه: لا يجوز له أن يضربه، وضرر الضرب فيهما بيّن قد يوهن الدماغ، أو تطرف العين، أو يؤثر أثراً قبيحاً، فليجتنبا، فالضرب في الرجلين آمن، وأحمل للألم في سلامة»[١].

ويضيف «شمس الدين الإنباني» فيقول: «وأن يكون في غير وجه ومقتل».

وعن علي بن أبي جملة قال: كان سليمان بن سعد يُؤدّب الوليدَ وسليمان (أي: ابنا عبد الملك) فقال له عبد الملك (خليفة المسلمين): يا سليمان! لا تضرب وجوهَ بَنِيَّ. وكان في خُلُقِ سليمانَ شِدَّة[٢].

وعن مروان بن شجاع قال: كان إبراهيمُ بنُ أبي عَبْلَةَ يُؤدبُ ولدَ الوليد بن عبد الملك، فخرج عليه الوليدُ يوماً، وقد حملَ جاريةً على ظهر غلام، وهو يضربها، فقال له: مَهْ يا إبراهيم فإن الجواري (أي البنات) لا يُضربْنَ على أعجازهِنَّ، ولكن عليكَ بالقدم والكَفِّ[٣].

ومن خلال ما تقدم نجد أفضل مكان للتأثير: اليدين والرجلين.

القاعدة الرابعة ـ لا ضرب مع الغضب:

أوصى النبيُّ ﷺ المسلمَ بعدم الغضب، والابتعاد عنه ما أمكن إلى ذلك سبيلاً، وذلك عندما سأله رجل: أوصني، فقال: «لا تغضب»[٤] وأعادها عليه ثلاثاً.

---

(١) «التربية في الإسلام» (ص٢٧٠).
(٢) كتاب (العيال) لابن أبي الدنيا (١/٥٢٦).
(٣) المصدر السابق.
(٤) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه. وفي رواية أحمد بسند صحيح: «اجتنب الغضب».

وإن علامة الغضب بذاءة اللسان في السب، والشتم، وتقبيح الطفل؛ ولهذا أوصى القابسي في رسالته[1] بالابتعاد عن ذلك، فقال عندما يكثر خطأ الطفل: «ولم يغنِ فيه العزل، والتقريع بالكلام الذي فيه القواعد من غير شتم، ولا سب لعرضي، كقول من لا يعرف لأطفال المؤمنين حقاً، فيقول: يا مسخ! يا قرد!

فاستغفر الله منها، ولتنته عن معاودتها، وإنما تجري الألفاظ القبيحة من لسان تمكن الغضب من نفسه، وليس هذا مكان الغضب، وقد نهى الرسولُ ﷺ أن يقضي القاضي وهو غضبان[2]، وأمر عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه بضرب إنسان، فلما أقيم للضرب قال: اتركوه، فقيل له في ذلك، فقال: وجدت في نفسي عليه غضباً، فكرهت أن أضربه وأنا غضبان، قال أبو الحسن: كذا ينبغي لمعلم الأطفال أن يراعي منهم، حتى يخلص أدبهم لمنافعهم، وليس لمعلمهم في ذلك شفاء من غضبه، ولا شيء يريح قلبه من غيظه، فإن ذلك إن أصابه، فإنما ضربِ أولاد المسلمين لراحة نفسه، وهذا ليس من العدل»[3].

القاعدة الخامسة ـ ارفع يدك عن الضرب إذا ذكر الطفل الله تعالى:

وأنت تضرب طفلك وتؤدبه، وهو يتألم، فإذا استجار بالله تعالى فيدعوك رسول الله ﷺ أن تقف عن الضرب، وترفع يدك، وتترك الطفل. وفي هذا لفتة رائعة؛ فإن هذا الطفل وصل إلى قناعة بخطئه، وسيصلحه، أو وصل إلى مرحلة الألم التي لم يعد يتحمّلها، أو وصل إلى مرحلة الانهيار النفسي، أو الخوف الشديد.

وإن الاستمرار في الضرب وحالة الطفل هذه تُعَدُّ جريمة في حق تربية الطفل، وهو دليلٌ على حب الانتقام والتشفي من هذا الطفل المسكين؛ الذي وقع في الظلم، وأحضان الوالد الظالم.

---

(١) «التربية في الإسلام» (ص٢٧٠).

(٢) حديث: «لا يقضين حاكم بين اثنين وهو غضبان» رواه الجماعة عن أبي بكر رضي الله عنه. ولفظ البخاري: «لا يقضي القاضي وهو غضبان» ورواه مسلم.

(٣) «التربية في الإسلام» (ص٢٧٠).

روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ضرب أحدُكم خادمَه فذكر الله، فارفعوا أيديكم».

وقد يقول قائل: إن الطفل إذا علم بهذا قد يتخذها وسيلة في التهرب من العقوبة، والمعاودة على الخطأ، أو يتخذها حيلة للتخلص من الضرب، ويعاود إلى فعله!.

فالجواب على ذلك: الاقتداء بحديث رسول الله ﷺ؛ لما فيه من تعظيم الله تعالى في نفس الطفل، وهو كذلك علاج للضارب من أن حالته الغضبية كبيرة جداً؛ مما استدعى من الطفل ذكر الله تعالى، والاستغاثة به.

ولن نتكلم مع ضعاف الإيمان الذين إذا سمعوا مثل هذه الاستغاثات، ازدادوا حمقاً، وتعسفاً، وعقوبة، وضرباً. فهؤلاء بحاجة أن يذكروا ذنوبهم، وتقصيرهم مع ربهم، وحلم الله تعالى عليهم، مع قدرته عليهم في كل آن.

اللهم وفقنا لتأديب أولادنا على النحو الذي ترضاه.

وبعد أن انتهينا من قسم التهيئة والإعداد لكل من المربين والوالدين، نبدأ بالتعرف إلى كيفية بناء شخصية الطفل الإسلامية، على ضوء الأحاديث النبوية بذلك.

☆ ☆ ☆

القسم الثاني

بناء شخصية الطفل الإسلامية

تمهيـــد

أولاً ـ البناء العَقَدي للطفل .

ثانياً ـ البناء العبادي

ثالثاً ـ البناء الاجتماعي

رابعاً ـ البناء الأخلاقي

خامساً ـ البناء العاطفي

سادساً ـ البناء العلمي

سابعاً ـ البناء الجسمي

ثامناً ـ البناء الصحي

تاسعاً ـ تهذيب الدافع الجسمي

أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة، فأبواه يُهودانه أو يُنصِّرانه أو يُمجسانه؛ كما تُنتج البهيمةُ بهيمة جمعاء، هل تُحسون فيها من جدعاء؟» ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا قول الله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠].

تمهيـــد:

الشخصية المتزنة ذات أثر فعال في حياة الأفراد والجماعات، ولا تتكامل إلا عندما تكون قد وُجِّهت من كل جوانبها، وربيت من كافة أقطارها، وهُذبت من كل أطرافها.

وإذا تأملنا حركة التاريخ؛ وجدنا أهمية بناء وتكوين الشخصية القوية، فلا تغيير للواقع الفاسد؛ المنحرف عن منهج الله؛ من غير قوة، ولا قوة من غير بناء، ولا بناء من غير إعداد، وتكوين، وتربية.

وإنَّ أخصب مجالٍ للبناء التربوي مرحلة الطفولة، التي هي أطول فترة من بين الكائنات الحية، وتتميز الطفولة البشرية كذلك بالمرونة، والصفاء، والفطرية، وهي تمتد زمناً طويلاً: يستطيع المربي خلال هذه الفترة الطويلة؛ أن يغرس في نفس الطفل ما يريد، وأن يوجهه حسبما يرسم له من خطة، ويتعرف إلى إمكاناته، ويتنبأ بمستقبله بقدر المستطاع، وكلما تدعم بناء الطفولة بالرعاية، والإشراف، والتوجيه، كلما كانت أثبت، وأرسخ؛ أمام الهزات المستقبلية؛ التي ستعترض الطفل في مستقبل شبابه.

لذلك فإن عمل الوالد الفعّال يبدأ من هذا الفصل، الذي تم التوسع في شرحه، وضرب الأمثلة النموذجية؛ لكل فكرة؛ لتكون ذخراً للمربين، وتغذية للأطفال. وقد تم الابتعاد ـ في العرض ـ عن الفلسفة؛ وحشو الكلام؛ بقدر المستطاع؛ لتكون النماذج الحية؛ خير وسيلة للعبرة والقدوة، كما أن تقديمها للطفل، وحسن عرضها عليه؛ يعطي النتائج الطيبة إن شاء الله.

ولهذا قال ابن سينا في كتابه «السياسة» باب: سياسة الرجل ولده ـ فترة بداية التربية على حدّ تعبيره ـ:

«فإذا فطم يبدأ بتأديبه، ورياضة أخلاقه، قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللئيمة».

وبالتالي فإن فكرة استصغار الطفل، وإهمال توجيهه، تعتبر باطلة، وإنما من

بداية الفطام يبدأ التوجيه والإرشاد؛ والأمر والنهي، والترغيب والترهيب، والتحبيب والتقبيح، وهكذا.

والآن سنبدأ بالتعرف على أسس بناء شخصية الطفل، وفي مقدمتها البناء العَقَدي.

☆ ☆ ☆

أولاً ـ البناء العقدي

أسس البناء العقَدي:

الأساس الأول: تلقين الطفل كلمة التوحيد.

الأساس الثاني: حب الله تعالى؛ ومراقبته، والاستعانة به؛ والإيمان بالقضاء والقدر.

الأساس الثالث: حب النبي ﷺ وآل بيته الأطهار، وصحابته الكرام.

الأساس الرابع: تعليم الطفل القرآن الكريم.

الأساس الخامس: تربية الثبات على العقيدة، والتضحية من أجلها.

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف: ٧/ ١٧٢ـ١٧٤].

الباب الأول ـ البناء العَقدي

تمهيـد:

تتميز العقيدة الإسلامية ـ الإيمان بالله؛ وملائكته؛ وكتبه؛ ورسله؛ واليوم الآخر؛ وبالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى ـ بأنها كلها غيب، يحار المرء كيف يقدمها للطفل، وكيف سيتعامل معها هذا الطفل؟ وكيف يمكن تبسيطها؟ وكيف يعرضها؟ أمام كل هذه الأسئلة وغيرها، تأخذ الوالدين الحيرة والاستفسار عن هذه الكيفيات، ولكن من خلال تعامل الرسول ﷺ مع الأطفال، نجد خمسة أركان أساسية في تثبيت هذه العقيدة.

الأساس الأول: تلقين الطفل كلمة التوحيد.

الأساس الثاني: ترسيخ حب الله تعالى.

الأساس الثالث: ترسيخ حب النبي ﷺ وآل بيته الأطهار، وصحابته الكرام.

الأساس الرابع: تعليم الطفل القرآن الكريم.

الأساس الخامس: ثبات الطفل على العقيدة والتضحية لها.

وقد حث الإمام الغزالي على الاهتمام بعقيدة الطفل وتلقينها منذ صغره لينشأ عليها، فيقول:

«اعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة؛ ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوئه، ليحفظه حفظاً؛ ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئاً فشيئاً، فابتداؤه الحفظ؛ ثم الفهم؛ ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به، وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان، فمن فضل الله سبحانه على قلب الإنسان أن شرحه في أول

نشوئه للإيمان، من غير حاجة إلى حجة أو برهان»(١). ثم يدلنا على الطريقة في ترسيخ العقيدة، فيقول: «وليس الطريق في تقويته وإثباته أن يعلم صنعة الجدل والكلام، بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره؛ وقراءة الحديث ومعانيه، ويشتغل بوظائف العبادات، فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخاً بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه، وبما يَرِدُ عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها، وبما يسطع عليه من أنوار العبادات، ووظائفها».

وذلك لأن كل مولود يولد على الفطرة الإيمانية، كيف لا؟ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٧/ ١٧٢].

والحديث القدسي يشرح هذا، ويبينه أحسن بيان ـ فيما رواه مسلم ـ يقول الله تعالى: «إني خلقت عبادي حنفاء؛ فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم».

قال الشيخ الملا علي القاري في شرحه على مسند أبي حنيفة، عندما ساق حديث: «كل مولود يولد على الفطرة» قال رحمه الله(٢):

«أي فطرة الإسلام من التوحيد والعرفان، والمعنى: أنه لو خُلِّيَ وطبعه؛ لما اختار إلا طريق الإيمان، على وجه الإحسان، لما جُبِلَ عليه من الطبع المتهيء لقبول الشرع، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها، ولم يفارقها مائلاً إلى غيرها.

وقيل: معناه: كل مولود يولد على معرفة الله تعالى، والإقرار به، فلا تجد أحداً إلا وهو يقرُّ بأن الله صانع، وهذا يوافق قول أبي حنيفة: من أنه يجب على كل مكلف أن يعرف الله بمجرد عقله، مع عدم علمه ببعثة الرسل».

وإذا تأملنا صفحات القرآن؛ نجد أن الرسل والأنبياء يعنون عناية كبيرة بسلامة عقيدة أبنائهم، فمن ذلك: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) الإحياء (١/ ٩٤).

(٢) شرح مسند أبي حنيفة (ص٢٢٥).

ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢/ ١٣٢].

وهذا لقمان يرعى ابنه فيوصيه: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾ [لقمان: ٣١/ ١٦].

ونلاحظ أن سورة الإخلاص التي تمثل الاعتقاد العقلي، وسورة الكافرون التي تمثل الاعتقاد العملي، هما من قصار السور القرآنية؛ التي تبحث في ميدان العقيدة، وما ذلك إلا إشارة إلى سهولة حفظهما على الأطفال؛ الذين يتميز نَفَسهُم بالقِصَر، وذاكرتهم بالنشأة الأولى، وإن من اهتمام النبي ﷺ بالأطفال أن يدعوهم إلى الإسلام دائماً، حتى شق طريقه في بناء جيل، ضمّ علي بن أبي طالب الذي آمن بدعوة النبي ﷺ ولم يتجاوز سن العاشرة، وحتى إنه في زيارته ﷺ وعيادته للأطفال المرضى، كان يدعوهم إلى الإسلام، وبحضور آبائهم:

روى الإمام عبد الرزاق في مصنفه (٦/ ٣٤) أن النبي ﷺ كان له جار يهودي لا بأس في خُلُقه، فمرض، فعاده رسول الله ﷺ بأصحابه فقال: «أتشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟» فنظر إلى أبيه، فسكت أبوه، وسكت الفتى، ثم الثانية، ثم الثالثة، فقال أبوه في الثالثة: قل ما قال لكْ، ففعل، فمات؛ فأرادت اليهود أن تليه، فقال رسول الله ﷺ: «نحن أولى به منكم» فغسله رسول الله ﷺ وكفَّنه، وحنَّطه، وصلى عليه.

وتابع السلف الصالح الاهتمام بدعوة الأطفال إلى الإسلام، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يدع يهودياً، ولا نصرانياً يُنصِّر ولده، ولا يهوِّده في مِلْك العرب[1].

وقَدِمَ على عمر رضي الله عنه رجل من تغلب، فقال له عمر: إنه كان لكم في

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٦/ ٤٨).

الجاهلية نصيب، فخذوا نصيبكم من الإسلام، فصالحه على أن أضعف عليهم الجزية، ولا ينصِّروا الأبناء[1].

وقد فعل عمر هذا اقتداء برسول الله ﷺ فعن علي بن أبي طالب قال: شهدت رسول الله ﷺ حين صالح نصارى بني تغلب على ألا يُنصروا الأبناء، فإن فعلوا فلا عهد لهم، قال علي: لو فرغت لقاتلتهم[2].

وهذا مجاهد يقول لغلام له نصراني: يا جرير! أسلم، ثم قال: هكذا كان يقال لهم[3].

وما هذا الذي تقدم معنا إلا تنبيه للأجيال القادمة؛ وقادتها وعلمائها؛ أن تهتم بالأطفال، ولا يتركونهم هملاً؛ تعصف بهم الرياح، وتحتصنهم رجالات الكفر، ودعاته.

الأساس العَقَدي الأول: تلقين الطفل كلمة التوحيد:

روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «افتحوا على صبيانكم أول كلمة لا إله إلا الله، ولقنوهم عند الموت لا إله إلا الله» وروى عبد الرزاق «أنه كانوا يستحبون؛ أول ما يفصح؛ أن يعلموه؛ لا إله إلا الله سبع مرات، فيكون ذلك؛ أول ما يتكلم به».

قال ابن القيم رحمه الله في أحكام المولود: «فإذا كان وقت نطقهم؛ فليلقنوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وليكن أول ما يقرع مسامعهم معرفة الله سبحانه، وتوحيده، وأنه سبحانه فوق عرشه ينظر إليهم ويسمع كلامهم، وهو معهم أينما كانوا، وكان بنو إسرائيل كثيراً ما يُسمعون أولادهم ـ عمانويل ـ ومعنى هذه الكلمة: إلهنا معنا، ولهذا كان أحب الأسماء إلى الله: عبد الله؛ وعبد الرحمن، بحيث إذا وعى الطفل؛ وعقل على أنه: عبد الله، وأن الله سيده ومولاه».

---

(١) المصدر السابق (٦/ ٥٠).

(٢) المصدر السابق (٦/ ١٢٣).

(٣) المصدر السابق (٦/ ١٢٣).

وروى عبد الرزاق في مصنفه (٤/ ٣٣٤) عن عبد الكريم بن أبي أمية قال: كان رسول الله ﷺ يُعلم الغلام من بني هاشم إذا أفصح سبع مرات: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١٧/ ١١١].

ومما رواه ابن ظفر المكي قصة لطيفة في حب تكرار الطفل الشهادتين، فقال[1]:

«بلغني أن أبا سليمان داود بن نصير الطائي رحمه الله، لما بلغ من العمر خمس سنوات؛ أسلمه أبوه إلى المؤدِّب، فابتدأ بتلقين القرآن، وكان لَقِناً، فلما تعلم سورة ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ٧٦/ ١] وحفظها رأته أمه يوم الجمعة مقبلاً على الحائط، مفكراً يشير بيده، فخافت على عقله، فنادته: قم يا داود! فالعب مع الصبيان، فلم يجبها، فضمته إليها، ودعت بالويل، فقال: مالَكِ يا أماه! أبكِ بأس؟ قالت: أين ذهنك؟ قال: مع عباد الله، قالت: أين هم؟ قال: في الجنة، قالت: ما يصنعون؟ قال: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: ٧٦/ ١٣] ثم مر في السورة وهو شاخص، كأنه يتأمل شيئاً، حتى بلغ قوله: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ قال: يا أماه! ما كان سعيهم؟ فلم تدر ما تجيبه، فقال لها: قومي عني؛ حتى أتنزه عندهم ساعة، فقامت عنه، فأرسلت إلى أبيه؛ فأعلمته شأن ولده، فقال له أبوه: يا داود! كان سعيهم أن قالوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فكان يقولها في أكثر أوقاته.

ولذلك كانت وصية النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه فيما رواه أحمد وابن ماجه والبخاري في الأدب المفرد قوله ﷺ «وأنفق على عيالك من طَوْلك، ولا ترفع عنهم عصاك أدباً، وأخفهم في الله» ولم يلبث رسول الله ﷺ عندما أنزلت عليه الرسالة أن يُبْعد الأطفال عن الإيمان بدعوته؛ بل تجاوز الأفق الضيق؛ في الدعوات الحزبية، وانطلق إلى علي بن أبي طالب[2] ـ وعمره لم يتجاوز

(١) كتاب «أنباء نجباء الأبناء» لابن ظفر المكي (ص١٦٠).

(٢) قال ابن الصلاح في مقدمته (ص١٥٠): «والأورع أن يقال: أول من أسلم من =

العاشرة ـ ودعاه إلى الإيمان؛ فآمن به، ولازمه في الخروج إلى الصلاة؛ مستخفياً في شعاب مكة، حتى عن أهله وأبيه.

ولقد وجدهما مرة أبوه يصليان، فكلم رسول الله ﷺ: يا بن أخي! ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ فأجابه: أي عَمّ! هذا دين الله؛ ودين ملائكته؛ ودين رسله؛ ودين أبينا إبراهيم، بعثني الله رسولاً إلى العباد، وأنت أحق من بذلتُ له النصيحة؛ ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه، وأعانني عليه»[1].

أما أول[2] من أسلم من الموالي فهو «زيد بن حارثة»؛ الذي كان قد جاء به ضمن الأسرى من الشام، عمُّ السيدة خديجة؛ حكيم بن حزام، فاختارته غلاماً لها، وطلبه رسول الله ﷺ فأعتقه، وتبناه؛ ورباه بينهم[3].

وهكذا بدأ رسول الله ﷺ دعوته الجديدة؛ في إقامة المجتمع الإسلامي الجديد، مركزاً اهتمامه على الأطفال، بالرعاية والدعوة والدعاء، حتى نال عليٌّ كرم الله وجهه شرف الدفاع عن رسول الله ﷺ بنومه في بيت الرسول ﷺ ليلة الهجرة. إنها تربية النبوة للأطفال الناشئين، ليكونوا قادة المستقبل، ومؤسسي المجتمع الإسلامي الوليد الجديد، فهلا نصحو لنقطة البداية في الانطلاقة الجديدة في القرن الخامس عشر الهجري؟!! اللهم نعم.

الأساس العَقَدي الثاني: حب الله تعالى؛ والاستعانة به؛ ومراقبة الله؛ والإيمان بالقضاء والقدر:

لكل طفل مشكلاته الخاصة به، سواء منها النفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والمدرسية، وتختلف هذه المشكلات بين طفل وآخر، في حدّتها وشدّتها، وطراوتها.. وقد يعبر الطفل عن مشكلاته بشكل شعوري أو

= الرجال الأحرار أبو بكر، ومن الصبيان أو الأحداث علي، ومن النساء السيدة خديجة، ومن الموالي زيد بن حارثة، ومن العبيد بلال».

(١) المصدر السابق.

(٢) سيرة نبي الهدى والرحمة ـ تأليف عبد السلام هاشم حافظ ـ (ص٨١) طبع رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.

(٣) المصدر السابق.

لا شعوري، فبأي وسيلة يمكن معالجته من الداخل؟ وبأي طريقة يستطيع الطفل؛ أن يخفّف من آلامه ـ إن وجدت ـ ويخلصه من مشكلاته إن حصلت؟

إنها بترسيخ حب الله تعالى؛ والاستعانة به؛ ومراقبته؛ وبالإيمان بالقضاء والقدر، وهذا أسلوب رسول الله ﷺ وليس ابتكاراً من أحد غيره.

فبتعميق هذا الحب والاستعانة في نفسه، وتأصيل هذه المراقبة في قلبه، وغرس الإيمان بالقضاء والقدر في لبه وفؤاده، يستطيع الطفل مواجهة حياته الطفلية الآن، ومستقبل رجوليته ـ أو: أموميته ـ فيما بعد:

١ ـ ما ورد في حضّ الأطفال على ذلك:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ترفع العصا على أهلك، **وأخفهم في الله عز وجل**» رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وإسناده جيد، كذا قاله الهيثمي في المجمع (٨/ ١٠٦).

وأخرج الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: «يا غلام! إني أعلمك كلمات:

احفظ الله يحفظك، احفظ الله تَجِدْه تُجَاهَكَ. إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله. واعلم؛ أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء؛ لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء؛ لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام؛ وجفت الصحف».

وفي رواية غير الترمذي زيادة:

«احفظ الله تجده أمامك، تَعَرَّفْ إلى الله في الرخاء، يعرفك في الشدة. واعلم أن ما أخطأكَ لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك. واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً»(١).

فإذا ما حفظ الطفل هذا الحديث، وفهمه جيداً، لم تقف أمامه عثرة، ولم

---

(١) صحيح ورواه أحمد، والحاكم، والطبراني، وابن السني، والآجري، والضياء. انظر صحيح الجامع رقم (٧٩٥٧).

يعقه شيء؛ في مسيرة حياته كلها. فأي تربية هذه ـ قديمة وحديثة ـ تستطيع أن تبلغ من نفس الطفل كما بلغها هذا الحديث؟!

إن لهذا الحديث قوة كبيرة على حلّ مشاكل الطفل، بفضل تأثيره، وروحانيته، وله القدرة في دفع الطفل نحو الأمام؛ بفضل استعانته بالله؛ ومراقبته له؛ وإيمانه بالقضاء والقدر، وإن أطفال الصحابة تلقوا هذا التوجيه النبوي، فهم يستعينون بالله على ما أصابهم من قدره، ويسألون الله عندما تنزل بهم المصائب، ويعتقدون بأن لا حول ولا قوة إلا بالله، ويؤمنون بأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً.

وإليك بيان ذلك عملياً لا بالكلام النظري.

أورد ابن رجب الحنبلي في كتابه ـ جامع العلوم والحكم[(١)] ـ عن آدم بن أبي إياس في تفسيره عن محمد بن إسحاق[(٢)] قال: جاء مالك الأشجعي إلى النبي ﷺ فقال: أُسِرَ ابني عوف، فقال له: «أرسل إليه: أن رسول الله ﷺ يأمرك أن تكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله» فأتاه الرسول فأخبره، فأكبَّ عوف يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وكانوا قد شدوه بالقِدِّ؛ فسقط القِدّ عنه، فخرج، فإذا هو بناقة لهم، فركبها، فإذا هو بسرح القوم الذين كانوا شدوه؛ فصاح بها، فأتبع آخرها أولها، فلم يفجأ أبويه إلا وهو ينادي بالباب، فقال أبوه: عوف وربِّ الكعبة! فقالت أمه: واسَوْأتاه! عوف كئيب بألم ما فيه من القد، فاستبق الأب والخادم إليه، فإذا عوف قد ملأ الفناء إبلاً، فقصّ على أبيه أمْره، وأمْرَ الإبل، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل، فقال رسول الله ﷺ: «اصنع بها ما أحببت، وما كنت صانعاً بإبلك». ونزل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٦٥/ ٢ـ٣].

وعن سهل بن سعد: أن فتى من الأنصار دخلته خشية من النار، فكان يبكي عند ذكر النار، حتى حبسه ذلك في البيت، فذُكر ذلك للنبي ﷺ، فجاءه في

---

(١) ص (١٨٧) وذكره ابن كثير في تفسيره وقال: رواه ابن أبي حاتم.

(٢) وهو ثقة عند الحنفية، وانظر دراسة توثيقه في مقدمة السيرة لمحمد بن إسحاق، تحقيق الدكتور محمد حميد الله.

البيت؛ فلما دخل عليه اعتنقه الفتى، وخرَّ ميتاً، فقال النبي ﷺ: «جهِّزوا صاحبكم؛ فإن الفَرَقَ فَلَذَ كبده». رواه الحاكم في مستدركه (٢/ ٤٩٤) وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح. ورواه ابن أبي الدنيا.

وهذا نموذج آخر في اهتمام السلف الصالح بترسيخ الإيمان وحلاوته، وأن الطريق إلى ذلك الوصول إلى درجة اليقين بالقضاء والقدر، ونلحظ حرص السلف الصالح، وهم في أحرج الأوقات قبل الموت، على توجيه أولادهم وإرشادهم:

روى الإمام أحمد عن الوليد بن عبادة قال: «دخلت على عبادة وهو مريض، أتخايل فيه الموت، فقلت: يا أبتاه! أوصني؛ واجْتهد لي، فقال: أجلسوني، فلما أجلسوه قال: يا بني! إنك لم تَطْعم الإيمان؛ ولن تبلغ حقّ حقيقة العلم بالله؛ حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، قلت: يا أبتاه! وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم؛ ثم قال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة» يا بني! إن متَّ ولستَ على ذلك دخلتَ النار» ورواه أيضاً الترمذي، وقال: حسن صحيح غريب.

نماذج تطبيقية من حياة السلف الصالح:

١ ـ كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسير في الطريق؛ وهو أمير المؤمنين، وكان مجموعة من الأطفال يلعبون في الطريق، فلما رأوه هربوا منه إلا واحداً ـ هو عبد الله بن الزبير ـ فتعجب عمر منه، وسأله عن سبب عدم هربه، فأجابه: لم أكن مذنباً فأهرب منك، ولم أكن لأخافك فأوسع لك الطريق[١].

٢ ـ وكان ابن عمر في سفر؛ فرأى غلاماً يرعى غنماً، فقال له: تبيع من هذه الغنم واحدة؟ فقال: إنها ليست لي، فقال: قل لصاحبها: إن الذئب أخذ منها

(١) كتاب: «تذكرة الآباء وتسلية الأبناء» لابن العديم المتوفى سنة (٦٦٠هـ). (ص٦١).

واحدة؛ فقال العبد: فأين الله!! فكان ابن عمر يقول بعد ذلك إلى مدة؛ مقالة ذلك العبد: فأين الله؟!([1]).

٣ـ وكان لبعض المشايخ تلامذة، فكان يخص واحداً منهم؛ بإقباله عليه أكثر مما يقبل على غيره، فقالوا له في ذلك، فقال: أبيّن لكم، فدفع إلى كل واحد من تلامذته طائراً، وقال له: اذبحه بحيث لا يراك أحد، ودفع إلى هذا أيضاً؛ فمضوا؛ ورجع كل منهم؛ وقد ذبح طائره، وجاء هذا بالطائر حياً، فقال: هلا ذبحته؟ فقال: أمرتني أن أذبحه بحيث لا يراه أحد، ولم أجد موضعاً لا يراه فيه أحد، فقال: لهذا أخصه بإقبالي عليه([2]).

٤ـ وأورد الإمام الغزالي في «إحيائه»([3]) قصة لطيفة، فقال:
قال سهل بن عبد الله التستري: كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل، فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار، فقال لي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك، فقلت: كيف أذكره؟ فقال: قل بقلبك عند تقلبك بثيابك؛ ثلاث مرات؛ من غير أن تحرك به لسانك: الله معي؛ الله ناظري؛ الله شاهدي، فقلت ذلك ليالي؛ ثم أعلمته، فقال: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلته، فوقع في قلبي حلاوته، فلما كان بعد سنة، قال لي خالي: احفظ ما علمتك، وَدُمْ عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لذلك حلاوة في سري، ثم قال لي خالي يوماً: يا سهل! من كان الله معه؛ وناظراً إليه؛ وشاهده؛ أيعصيه؟ إياك والمعصية، فكنت أخلو بنفسي، فبعثوا بي إلى المكتب، فقلت: إني لأخشى أن يتفرق علي همي، ولكن شارطوا المعلم أني أذهب إليه ساعة، فأتعلم ثم أرجع، فمضيت إلى الكُتَّاب، فتعلمت القرآن، وحفظته([4])، وأنا ابن ست سنين، أو سبع سنين، وكنت

---

(١) الرسالة القشيرية (ص١٤٧).
(٢) المصدر السابق.
(٣) وانظر كتاب: «أنباء نجباء الأبناء» (ص١٤٤) لابن ظفر المكي.
(٤) وهذا من بركة ذكر الله تعالى، ومراقبته.

أصوم الدهر، وقوتي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة.

٥ـ وأورد ابن ظفر المكي كتابه «أنباء نجباء الأبناء» (ص١٤٨): «إن الحارث المحاسبي ـ وهو صبي ـ مر بصبيان، وهم يلعبون على باب رجل تمّار، فوقف الحارث ينظر إلى لعبهم، وخرج صاحب الدار ومعه تمرات، فقال للحارث: كل هذه التمرات، قال الحارث: ما خبرك فيها؟ قال: إني بعت الساعة تمراً من رجل، فسقطت من تمره، فقال: أتعرفه؟ فقال: نعم، فالتفت الحارث إلى الصبيان يلعبون، وقال: أهذا الشيخ مسلم؟ قالوا: نعم، فمرّ وتركه، فتبعه التمّار؛ حتى قبض عليه، وقال له: والله ما تَنْفلت من يدي حتى تقول لي ما في نفسك مني، فقال: يا شيخ! إن كنت مسلماً، فاطلب صاحب التمرات؛ حتى تتخلص من تبعته، كما تطلب الماء إذا كنت عطشان شديد العطش، يا شيخ! تُطْعم أولاد المسلمين السحت ـ أي: الحرام ـ وأنت مسلم؟ فقال الشيخ: والله لا اتّجرت للدنيا أبداً.

٦ـ ومما أورده كذلك[1]: «بلغني أن أبا الحسين أحمد بن محمد النوري، لما قرأ القرآن، ألزمه أن يكون معه في الدكان، فكان إذا أصبح أخذ روزمانجاً؛ ودواة؛ وذهب يسأل عن علم ما جهل من كتاب الله تعالى، ويكتب ما يقال له؛ ثم يأتي أباه؛ فيزجره عن غيابه؛ ويتهدده، وربما ضربه، وإذا بعثه في حاجة أخذ ألواحه معه، فيسأل من مَرَّ به من أهل العلم، وربما ضربه أبوه على ذلك أحياناً، فقال له أبوه يوماً: ليت شعري؛ ما تريد بعلمك هذا؟ قال: أريد أن أعرف الله تعالى؛ وأتعرف إليه؛ فقال: كيف تعرفه؟ قال: أعرفه بتفهم أمره ونهيه! قال: وكيف تتعرف إليه؟ قال: أتعرف إليه بالعمل بما علمني، قال له أبوه: لا أعرض لك في أمرك ما بقيت.

٧ـ ونختم هذه النماذج بورع الإمام أحمد بن حنبل في طفولته:

كان عمه يرسل إلى بعض الولاة بأحوال بغداد، ليُعلم بها الخليفة، وقد أرسلها مرة مع ابن أخيه أحمد بن حنبل؛ فتورع عن ذلك، ورمى بها الماء؛ تأثماً

(١) ص (١٥٦) كتاب: «أنباء نجباء الأبناء» لابن ظفر.

من الوشاية؛ والتسبب؛ لما عسى أن يكون فيه ضرر بالمسلمين، وقد لفتت هذه النجابة كثيراً من أهل العلم والفراسات، حتى قال الهيثم بن حنبل: «إن عاش هذا الفتى فسيكون حجة على أهل زمانه»(١).

الأساس العَقَدي الثالث: ترسيخ حب النبي ﷺ وآل بيته الأطهار، وأصحابه الكرام:

وبها يتحقّق الشطر الثاني من الشهادة، شهادة أن لا إله إلا الله؛ وأن محمداً رسول الله. وقد سار السلف الصالح وخلفهم في تركيزها، وتثبيتها في نفس الطفل، إذ بها تتحرك مشاعر الطفل، وأحاسيسه، وتزيد حرارة الشعور الإسلامي، وتدفع به إلى كل خير، وتحلّ له مشكلاته كلها، وتهوّن عليه كلّ مصيبة.

ومن الملاحظ على النفس البشرية عامة، أنها في مرحلة بنائها تحاول أن تتشبه بأقوى شخصية حولها، وذلك لتقتدي بها، وتسير على هداها، وتقلدها في كل حركاتها. والتربية الإسلامية طلبت أن يشد الطفل الصغير والرجل الكبير إلى شخص الرسول ﷺ إذ هو القدوة الثابتة الراسخة، التي لا تتبدل، وهو أكمل البشر على الإطلاق، وهو أفضل رسل الله أجمعين.

وما العذاب الذي تصاب به النفس البشرية، وما الأمراض النفسية والعصبية المنتشرة هنا وهناك، إلا أثر من آثار البعد عن القدوة الصحيحة، وعدم التشبه برسول الله ﷺ وإنما نلاحظ من الأجيال المنحرفة أنها تعيش في فراغ في الشخصية؛ تلهث وراء الموضات المتغيرة بين فصل وآخر من فصول السنة، وتركض وراء الممثلين المائعين المنحرفين البعيدين كل البعد عن المنهج الرباني، وتهرول خلف بعض من يُسَمّون أنفسهم مفكري العصر، ورواده المثقفين الذين ينفخ الشيطان في رؤوسهم، فيحسبونه فكراً نيراً، وهكذا نجد

---

(١) عن: «رجال الفكر والدعوة» لأبي الحسن الندوي (ص١٠٥). وقد كان كذلك بفضل السلوك العملي، لا بالكلام والثرثرة. وفقني الله وإياك إلى العمل الصالح. =

أهمية شخصية حية يقتدي بها الطفل الناشيء، وهل هناك أفضل من الاقتداء برسول الله ﷺ؟!

١ ـ ما ورد في ترسيخ محبة الرسول ﷺ وآله الأطهار:

أخرج الطبراني وابن النجار والديلمي عن علي رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب آل بيته؛ وتلاوة القرآن» وقال المناوي عن سنده: ضعيف.

وروى الإمام أحمد والشيخان عن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ متى الساعة؟ فقال رسول الله ﷺ: «وما أعددتَ لها؟» فقال: لا شيء؛ إلا أني أحب الله ورسوله، فقال ﷺ: «أنتَ مع من أحببت». قال أنس: «فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر؛ وعمر، فأرجو أن أكون معهم، بحبي إياهم» ومعلوم أن أنساً خدم النبي ﷺ وهو طفل صغير عمره عشر سنين ولمدة عشر سنين.

٢ ـ كيف ترسخ محبة النبي ﷺ في الأطفال؟

إذا تأملنا في حياة أولاد الصحابة رضوان الله عليهم وكيف اكتسبوا محبة النبي ﷺ وكيف أصبح رسولهم أول شيء في حياتهم، وأغلى من كل شيء في الوجود، نلاحظ أنهم اتصفوا بما يلي:

(١) السرعة في الاستجابة لندائه، وتنفيذ أوامره:

إن ازدياد سرعة الاستجابة يزيد من المحبة، وهي برهان هذا الحب، فهذا علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ يسارع في تلبية دعوة النبي ﷺ إلى الإسلام، دون استشارة أحد من الناس؛ لأن الأمر أمر عقيدة ومبدأ، ولكل وجهة هو موليها، ولكل امرىء عقيدته التي يختارها، وكذلك يعايش رضي الله عنه ـ وهو في الثامنة من عمره ـ الدعوة الإسلامية الأولى في مرحلتيها: السرية والعلنية، دون خوف، أو وجل، ويصلي مع النبي ﷺ وزوجته خديجة في شعاب مكة سرّاً، فيراه أبوه أبو طالب، فإذا بعلي لا يخاف، ولا يتلجلج.

ثم هذا أنس رضي الله عنه، وهو الطفل الصغير الذي قام على خدمة النبي

ﷺ عشر سنين يتخلى عن أحب شيء لدى الأطفال، ويستجيب للنداء، ويسارع لتنفيذ الأمر النبوي، فيترك اللعب؛ وينصاع للأمر، فقد أخرج أحمد والبخاري ومسلم عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: أتى عليَّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان، فسلّم علينا، فبعثني في حاجته.. الحديث.

بل إن الأمر ليتعدى انتظار الأوامر، وينتقل أطفال الصحابة إلى مرحلة أعلى في الحب الصادق، وذلك بترقب حاجيات حبيبهم ﷺ، ليسارعوا إلى وضعها أمامه، دون أن يتكلم، أو يسمع أمراً، وهذا من قيم الحب الخالدة.

أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل الخلاء، قال: فوضعتُ له وَضُوءاً، فقال: «من وضع هذا»؟ فأُخبر، فقال ﷺ: «اللهم فقهه في الدين».

وروى الشيخان والبيهقي عن عطاء بن أبي ميمونة قال: سمعت أنساً يقول: كان رسول الله ﷺ يأتي الخلاء، فأتبعه أنا وغلام من الأنصار؛ بإداوة من ماء؛ فيستنجي بها.

ومن أنواع السرعة في الاستجابة: مبايعة أطفال الصحابة للرسول ﷺ:

أخرج مسلم عن عروة بن الزبير، وفاطمة بنت المنذر بن الزبير، أنهما قالا: خرجت أسماء بنت أبي بكر، حين هاجرت؛ وهي حُبلى بعبد الله بن الزبير، فقدمتْ قُباء؛ فنفست بعبد الله بقباء، ثم خرجت حين نُفست إلى رسول الله ﷺ ليُحنكه، فأخذه رسول الله ﷺ منها، فوضعه في حجره، ثم دعا بتمرة، قال: قالت عائشة: فمكثنا ساعة نلتمسها قبل أن نجدها. فمضغها، ثم بصقها في فمه، فإن أول شيء دخل بطنه؛ لريق رسول الله ﷺ ثم قالت أسماء: ثم مسحه؛ وصلّى عليه؛ وسماه: عبد الله، ثم جاء ابنَ سبع سنين أو ثمان ليبايع رسول الله ﷺ وأمره الزبير بذلك، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآه مقبلاً إليه، ثم بايعه.

هكذا نشأ أطفال الصحابة على محبة رسولهم ﷺ، يدفعهم إلى ذلك الآباء والأمهات، ومن شبّ على شيء شاب عليه.

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ معلقاً على هذا الحديث:

«هذه بيعة تبريك؛ وتشريف، لا بيعة تكليف، فإنه دون سن التكليف»[1].

وروي أن رسول الله ﷺ لم يبايع صبياً إلا الحسن؛ والحسين؛ وعبد الله بن عباس؛ وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم[2].

(٢) قتال الأطفال لمن يؤذي النبي ﷺ:

يحدثنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، فيما يرويه البخاري ـ في صحيحه ـ وهو في قلب معركة بدر، فيقول: وقف غلام على يميني يسألني: يا عمّ! دلّني على أبي جهل، فيقول له: وما لكَ يا بُنيّ من أبي جهل؟ فيقول له: والله! إن رأيته لن أفلته، لقد كان يؤذي رسول الله ﷺ ثم غلام على يساري، فسألني مثل الأول، ثم تحتدم المعركة، ويشتدّ بأسها، فيلتفت عبد الرحمن بن عوف إلى الغلامين ويقول لهما: ذاك الذي تبغيان، ذلك أبو جهل، فينطلقان مسرعين بسيوفهما الصغيرة، كل منهما يريد أن ينال شرف السبق؛ في طعن عدو الله ورسوله، فيضربانه ضربة قوية، فيسقط أبو جهل على الأرض، فيتسابقان إلى زفّ البشارة إلى رسول الله ﷺ ويقول كل واحد منهما: أنا الذي قتلته يا رسول الله! فيقول لهما ﷺ: «أرياني سيوفكما» فيرى عليهما آثار الدماء، فيقول لهما: «كلاكما قتله».

ومن هذا المنطلق انطلق أطفال السلف الصالح في مقاتلة من يؤذي رسول الله ﷺ سواء بالإشارة، أو العبارة، أو النيل من رسول الله ﷺ.

فقد روى شهاب الدين الأبشيهي في كتابه «المستطرف في كل فن مستظرف» قصة لطيفة في معناها ومبناها، وهي: أن غلماناً من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصوالجة، وأسقف البحرين قاعد، فوقعت الكرة على صدره، فأخذها، فجعلوا يطلبونها منه، فأبى، فقال غلامهم: سألتك بحقّ محمد ﷺ إلا رَدَدْتها علينا، فأبى ـ لعنه الله ـ وسبَّ الرسولَ ﷺ فأقبلوا عليه بصواليجهم، فما زالوا

(١) شرح صحيح مسلم، باب: استحباب تحنيك المولود عند ولادته.
(٢) كتاب: «أنباء نجباء الأبناء» لابن ظفر المكي (ص٨١).

يخبطونه حتى مات ـ لعنه الله ـ فرفع ذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فوالله! ما فرح بفتح؛ ولا غنيمة، كفرحته بقتل الغلمان لذلك الأسقف، وقال: الآن عزّ الإسلام، إن أطفالاً صغاراً شُتم نبيهم، فَغَضِبوا له؛ وانتصروا، فأهدرَ دمَ الأسقف، والله سبحانه وتعالى أعلم(١).

وإذا لم يستطع الطفل المسلم أن ينتقم من الرجال الذين يسيئون إلى رسول الله ﷺ فإنه ينقل الخبر الذي سمعه من كلام الفساق والمنافقين إلى رسول الله ﷺ وإلى المؤمنين من بعده.

فأوردت كتب التفسير سبب نزول الآية: ﴿ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ [المنافقون: ٨/٦٣] فقالت: يقول ابن سعد وابن إسحاق: فبينا(٢) رسول الله ﷺ على ذلك الماء، وردت واردة الناس، ومع عمر بن الخطاب أجير له من غفار، يقال له: جهجاه بن مسعود، يقود فرسه، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على الماء، فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار! وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين! فغضب عبد الله بن أُبيّ ابن سلول(٣)، وعنده رهط من قومه، فيهم زيد بن أرقم، غلامٌ حَدَثٌ، فقال: أَوَقَدْ فعلوها؟ قد ثاورونا، يعني: مهاجري المسلمين من مكة، وكاثرونا في بلادنا، والله! ما أعدُّنا وجلابيبَ قريش هذه، إلا كما قال الأول: سمّن كلبك يأكلك، أما والله! لئن رجعنا إلى المدينة؛ لَيُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلّ، ثم أقبل على من حوله من قومه من المدينة، وقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله! لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم؛ لتحولوا إلى غير داركم، فسمع ذلك زيد بن أرقم، فمشى إلى رسول الله ﷺ وذلك عند فراغ

---

(١) (٣٤/٢) وراجع حاشية ابن عابدين (٢١٣/٤) (ط٢) مطلب في حكم سب الذمي النبي ﷺ.

(٢) بعد الانتهاء من غزوة بني المصطلق والتهيؤ للعودة للمدينة المنورة.

(٣) رأس وزعيم المنافقين في عهد الرسول ﷺ، ومع كل ما فعله من إفك، وفتنة، وتخلف عن الجهاد، لم يأمر الرسول ﷺ بقتله، ألا ليت الشباب المسلم المتحمس يدرس ذلك، ويعتبر به.

رسول الله ﷺ من عدوه، وأخبره الخبر... الحديث».

(٣) حب أطفال الصحابة لما يحب النبي ﷺ وكراهيتهم للجاهلية:

أخرج الخمسة[1]، وهذا لفظ البخاري، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلت مع النبي ﷺ على غلام خياط، فقدّم إليه قصعة فيها ثريد، وعليه دُبّاء، قال: وأقبل على عمله ـ يعني الغلام ـ قال: فجعل النبي ﷺ يتتبع الدُبّاء ـ القرع ـ قال أنس: فجعلت أتتبعه؛ وأضعه بين يديه، قال: وما زلْتُ بعد أحبُّ الدبّاء.

(٤) حفظ أطفال الصحابة والسلف للأحاديث النبوية:

أخرج البخاري عن محمود بن الربيع رضي الله عنه قال: عَقلْتُ ـ أي: حفظت ـ من النبي ﷺ مَجّةً مجّها في وجهي؛ وأنا ابن خمس سنين؛ من دَلْوٍ.

وأخرج الترمذي عن أبي الحوراء السعدي ربيعة بن شيبان قال: قلت للحسن ابن علي رضي الله عنهما ما حفظتَ من رسول الله ﷺ؟ قال: حفظتُ منه: «دَعْ ما يَرِيبُكَ إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة؛ والكذب ريبة» ورواه النسائي وأحمد وغيره، وإسناده صحيح[2].

وعن محمد بن أبي بكر الثقفي قال: سألتُ أنساً؛ ونحن غاديان من مِنىً إلى عرفات عن التلبية؛ كيف كنتم تصنعون مع النبي ﷺ؟ قال: كان يُلبي الملبّي؛ لا يُنْكِرُ عليه، ويُكبّرُ المكبرُ فلا يُنكر عليه. متفق عليه.

وأخرج البخاري ومسلم عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: لقد كنتُ على عهد رسول الله ﷺ غلاماً، فكنت أحفظ عنه، فما يمنعني من القول؛ إلا ها هنا رجالاً؛ هم أسنّ مني.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بِتُّ عند خالتي ميمونة رضي الله عنها،

---

(١) البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود.

(٢) انظر جامع الأصول (٦/ ٤٤٣) ت الأرناؤوط. ورواه الحاكم في مستدركه (٢/ ١٣ـ٤/ ٩٩) بلفظ: «فإن الشر ريبة والخير طمأنينة» وقال الذهبي: صحيح، ورواه ابن خزيمة في صحيحه (٣/ ١٠٣).

فأتاه المؤذن؛ فخرج أي: النبي ﷺ إلى الصلاة وهو يقول:

«اللهم اجْعل في قلبي نوراً، واجْعل في لساني نوراً، واجعل في سمعي نوراً، واجعل في بصري نوراً، واجعل خلفي نوراً، ومن أمامي نوراً، واجعل من فوقي نوراً، ومن تحتي نوراً، اللهم أعظم لي نوراً». رواه ابن خزيمة في صحيحه (١/ ٢٢٩) بسندين أحدهما صحيح.

وعن أبي جُحيفة رضي الله عنه ـ وكان من صغار الصحابة، كان مراهقاً لما توفي النبي ﷺ ـ قال: أتيت النبي ﷺ بمكة؛ وهو بالأبطح؛ في قُبّة له حمراءَ من أدَم، قال: فخرج بلال بوضوئه؛ فبين نائل وناضح، قال: فخرج رسول الله ﷺ في حلة حمراء، كأني أنظر إلى بياض ساقيه، قال: فتوضأ، وأذّن بلال، قال: فجعلتُ أتتبعُ ها هنا وها هنا، يقول: يميناً وشمالاً، يقول: حي على الصلاة؛ حي على الفلاح، ثم رُكِزَتْ له عَنَزَةٌ[1]؛ فقام؛ فصلى العصر رَكعتين[2]، ثم يمر بين يديه الحمار؛ والكلب؛ لا يمنع، ثم لم يزل يصلي ركعتين؛ حتى رجع إلى المدينة.

رواه أبو يعلى في مسنده (٢/ ١٨٨) بإسناد صحيح؛ ورواه مسلم؛ وصححه ابن حبان؛ ورواه أحمد والبخاري.

وفي رواية: «أن أبا جُحيفة حدث أنه رأى النبي ﷺ توضأ بالهاجرة، فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه، ثم صلى الظهر ركعتين، والعصر ركعتين، وبين يديه عَنَزَةٌ».

والآن مع قصة عجيبة، وذاكرة عظيمة، حباها الله للغلام الصاعد، والعلامة القائد، والمجاهد الكبير، أحمد بن تيمية[3] رحمه الله، فيقول الحافظ محمد بن

---

(١) «العنزة»: أي: شيء يضعه المصلي أمامه لكيلا يمر أحد من مكان سجوده، وإنما يمر من خلف العنزة.

(٢) أي: يقصر الصلاة من أربع ركعات إلى ركعتين، أي: اعتبر النبي ﷺ نفسه مسافراً، حيث تحول موطنه الأصلي من مكة إلى المدينة.

(٣) عن مقدمة تحقيق كتاب ـ اقتضاء الصراط المستقيم ـ لابن تيمية تحقيق محمد حامد الفقي.

أحمد عبد الهادي في: «العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية»:

«انبهر أهل دمشق من فرط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوة حافظته، وسرعة إدراكه، واتفق أن بعض مشايخ العلماء بحلب[1] قدم إلى دمشق، وقال: سمعت في البلاد بصبي يقال له: أحمد بن تيمية، وإنه سريع الحفظ، وقد جئت قاصداً لعلّي أراه، فقال له خياط: هذه طريق كُتَّابه، وهو إلى الآن ما جاءنا، فاقعد عندنا الساعة يجيء؛ يَعبُر علينا ذاهباً إلى الكتّاب، فجلس الشيخ الحلبي قليلاً، فمر صبيان، فقال الخياط: ها ذاك الصبي؛ الذي معه اللوح الكبير؛ هو أحمد بن تيمية. فناداه الشيخ، فتناول الشيخ اللوح منه، فنظر فيه، ثم قال له: امسح يا ولدي هذا؛ حتى أملي عليك شيئاً تكتبه، ففعل، فأملى عليه من متون الأحاديث أحد عشر، أو ثلاثة عشر حديثاً، وقال له: اقرأ عليّ هذا، فلم يزد على أن تأمله مرة بعد كتابته إياه، ثم دفعه إليه، وقال: اسمعه علي، فقرأه عليه عرضاً؛ كأحسن ما أنت سامع، فقال له: يا ولدي امسح هذا، ففعل، فأملى عليه عدة أسانيد انتخبها، ثم قال: اقرأ هذا، فنظر فيه كما فعل أول مرة، ثم أسمعه إياه كالأول، فقام الشيخ؛ وهو يقول: إن عاش هذا الصبي؛ ليكونن له شأن عظيم، فإن هذا لم يُرَ مثله».

أ ـ مكافآت على حفظ الأطفال للأحاديث النبوية:

ذكر الخطيب البغدادي في كتابه «شرف أصحاب الحديث» (ص ١٠):

روى[2] النضر بن الحارث قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: قال لي أبي: يا بني! اطلب الحديث، فكلما سمعتَ حديثاً، وحفظتَه، فلكَ درهم[3]، فطلبتُ الحديث على هذا.

ب ـ خدمة أطفال السلف الصالح للعلماء؛ لقاء تلقي الحديث الشريف عنهم:

ذكر صاحب «المحدّث الفاصل»: روى سفيان بن عيينة قال:

---

(١) وهي مدينة كاتب هذه السطور، حفظها الله وسائر بلاد المسلمين.
(٢) عن أصول الحديث (ص١٠٠) د. عجاج الخطيب.
(٣) كان والدي ـ حفظه الله ـ يعطيني عشرة قروش سورية على حفظ الحديث من الأربعين النووية، متبعاً هذا المنهج، فجزاه الله خير الجزاء.

كان أبي صَيرفياً بالكوفة، فركبه الدَّيْن، فحملنا إلى مكة، ورجعنا إلى المسجد لصلاة الظهر، وصرت إلى باب المسجد، إذا شيخ على حمار، فقال لي: يا غلام! أمسك علي هذا الحمار؛ حتى أدخل المسجد فأركع، فقلت: ما أنا بفاعل أو تُحدثني، قال: وما تصنع أنتَ بالحديث؟ واستصغرني، فقلت: حدّثني، فقال: حدّثني جابر عن عبد الله، وحدثنا ابن عباس، فحدّثني بثمانية أحاديث، فأمسكتُ حماره، وجعلتُ أتحَفَّظُ[1] ما حدثني به، فلما صلى وخرج، قال: ما نفعكَ ما حدثتكَ به إذ حبستني، فقلتُ: حدثتني بكذا، وحدثتني بكذا، فرددتُ عليه جميع ما حدثني به، فقال: باركَ الله فيكَ، تعالَ غداً إلى المجلس، فإذا هو عمرو بن دينار[2].

جـ ـ هجرة أطفال السلف الصالح ورحلتهم في طلب الحديث:

ذكر الخطيب البغدادي عن طلب والد علي بن عاصم قال: «دفع إليّ أبي مئة ألف وقال: اذهب فلا أرى لك وجهاً؛ إلا بمئة ألف حديث»[3].

وشرح علي بن عاصم رحلته في طلب الحديث فقال[4]:

خرجتُ من واسط إلى الكوفة؛ أنا وهشيم؛ لنلقى منصوراً؛ فلما خرجتُ من واسط؛ سرت فراسخ، لقيني إما معاوية وإما غيره، فقلت: أين تريد؟ قال: أسعى في دَيْنٍ عليّ، قال: فقلتُ: ارجعْ معي، فإني عندي أربعة آلاف درهم أعطيك منها، فرجعتُ فأعطيتُه ألفين، ثم خرجت، فدخل هشيم الكوفة بالغداة، ودخلتها بالعشي، فذهب هشيم فسمع من منصور أربعين حديثاً، ودخلت أنا الحمام، فلما أصبحتُ؛ مضيتُ؛ فأتيتُ باب المنصور؛ فإذا جنازة، فقلت: ما هذه؟ قالوا: جنازة منصور، فقعدت أبكي، فقال لي شيخ هناك: يا فتى

---

(١) أي: أكرر ما حفظته، وهذه هي طريقة تثبيت المحفوظ بالتكرار، ودوام المراجعة.

(٢) عن أصول الحديث، لعجاج الخطيب (ص١٦).

(٣) في كتابه ـ الرحلة في طلب الحديث ـ تحقيق الدكتور نور الدين عتر (ط١).

(٤) المصدر السابق (ص ١٧٢).

ما يبكيك؟ قال: قلت: قدمتُ على أن أسمع من هذا الشيخ؛ وقد مات. قال: فأدلّك على من شهد عرس أمّ هذا؟ قلت: نعم، قال: اكتب: حدثني عكرمة عن ابن عباس، قال: فجعلتُ أكتب عنه شهراً، فقلت له: من أنتَ رحمك الله؟ قال: أنت تكتب عني منذ شهر ولم تعرفني؟ أنا حصين بن عبد الرحمن، وما كان بيني وبين أن ألقى ابن عباس؛ إلا سبعة دراهم، أو تسعة دراهم، فكان عكرمة يسمع منه، ثم يجيء؛ فيحدثني.

فانظر رعاك الله، إلى تضحية هذا الفتى؛ الذي بذل نصف ماله؛ وأضاع من وقته، وهجر الأوطان، فتأخر عن لقاء الشيخ منصور، فهيأ الله تعالى له شيخاً هو شيخ المشايخ، وأستاذهم آنذاك: حصين بن عبد الرحمن، وما ذاك إلا دليل على شدة الإخلاص في طلب العلم، وصدق المحبة لرسول الله ﷺ.

د ـ كتابة الأحاديث النبوية، والتأكد من صحة الكتابة:

عن هشام بن عروة قال: قال لي أبي: كتبتَ؟ قال: قلت: نعم، قال: عارَضْتَ؟ قال: لا، قال: لم تكتب. رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٩/ ١١١).

وهذا المنهج العلمي في عرض الكتابة على الأصل، والتأكد من سلامة وصحة الكتابة، يؤكد الحرص الكبير على جلالة قدر تراثنا العظيم، ويقظة وانتباه الآباء والعلماء إلى المنهج العلمي القويم، وتعويد الصغير عليه ليشبّ معه بكل ثقة، واعتزاز.

هـ ـ حفظ البنات للأحاديث النبوية:

قال الزبيدي[1]: كانت لمالك بن أنس ابنة؛ تحفظ علمه، يعني: الموطأ، وكانت تقف خلف الباب، فإذا أخطأ التلميذُ نَقَرَت البابَ، فيفطنُ مالك؛ فيردّ عليه.

---

(١) عن كتاب: «الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب» لابن فرحون المالكي، تحقيق الدكتور محمود الأحمدي.

و ـ الأطفال يهتمون بروايات الحديث وفقهه:

أورد الخطيب البغدادي[1]: أن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت لابن أختها عروة بن الزبير: يا بُنَيّ! بلغني أنك تكتب عني الحديث؛ ثم تعود فتكتبه، فقال: أسمعه منك على شيء، ثم أعود فأسمعه على غيره، فقالت: هل تسمع في المعنى خلافاً؟ قال: لا، قالت: لا بأس بذلك[2].

(٥) دراسة الأطفال للسيرة النبوية، ومدى تأثيرها فيهم:

حرص الصحابة والسلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ على دراسة سيرة النبي ﷺ وتلقينها لأطفالهم، حتى إنهم ليقرئونها مع تعليم القرآن؛ لأنها الترجمان لمعاني القرآن، مع ما فيها من إثارة العاطفة، ومشاهدة الواقع الإسلامي، وتأثير عجيب في النفس، ولما تحمل في طياتها من معاني الحب؛ والجهاد في إنقاذ البشرية؛ من الضلال إلى الهدى؛ ومن الباطل إلى الحق؛ ومن ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام.

فعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما، قال: كان أبي يُعلِّمنا المغازي والسرايا، ويقول: يا بني! إنها شرف آبائكم، فلا تضيعوا ذكرها[3].

وقال زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم: كنا نُعلَّم مغازي رسول الله ﷺ ـ كما نُعلَّم السور من القرآن[4]. وقال السمعاني: يجب على الآباء تعليم أولادهم أن النبي ﷺ بعث بمكة إلى كافة الثقلين، ودفن بالمدينة، وأنه واجب الطاعة والمحبة (فيض القدير للمناوي ١/ ٢٢٦).

والآن نسير مع الداعية المتواضع أبي الحسن علي الندوي، وهو يقصّ لنا في كتابه: الطريق إلى المدينة، تحت عنوان: ـ الكتاب الذي لا أنسى فضله ـ رحلة

---

(١) في كتاب: «الكفاية في علم الرواية» (ص٢٠٥).

(٢) عن أصول الحديث لعجاج الخطيب (ص١٦٢/ ١/ ٨٦).

(٣) عن كتاب: ـ محمد رسول الله ـ تأليف الشيخ محمد رضا (ص١٥١).

(٤) المصدر السابق.

مع السيرة؛ أيام طفولتي، وكيف كانت تهتز نفسه البريئة بحوادث السيرة، وكيف أن كتاباً في السيرة النبوية، صنع هذا العالِم الكبير؛ والداعية المجاهد:

«أتحدث اليوم؛ عن كتاب كانت مِنَّتَه ـ ولا تزال ـ عظيمة عليّ، وإني دائم الترحّم على صاحبه العظيم، الذي أتحفني عن طريق هذا الكتاب، بمنحة هي أغلى شيء عندي؛ بعد الإيمان، بل هو جزء من أجزاء الإيمان، وهو كتاب ـ سيرة رحمة العالمين ـ لمؤلفه القاضي محمد سليمان المنصور فوري رحمة الله عليه، ولهذا الكتاب قصة عجيبة.

لقد كان أخي الأكبر ـ رحمه الله ـ وهو الذي تولى تربيتي، وتثقيفي بعد وفاة أبي وقد توفي وأنا في التاسعة من عمري، موفقاً كل التوفيق؛ في اختيار الكتب التي كان يحب أن أطالعها في صغري، فقد قدَّم إليّ في أول ما قدَّم كتاب ـ سيرة خير البشر ـ لمؤلف هندي، وكان حريصاً على أن أكثر من مطالعة كتب السيرة النبوية؛ على صاحبها الصلاة والسلام؛ لأنه يعرف أنها المؤثر الأكبر؛ في تكوين السيرة؛ والعقيدة؛ والخُلُق، وغرس الإيمان، وقد نشأت لذلك على حب كتب السير، والحرص على اقتنائها ومطالعتها، فوقع بصري مرة على كتاب ـ رحمة العالمين ـ وكنت كثير النظر في الفهارس؛ وإعلانات الكتب، وأرسلت طلباً لهذا الكتاب، وكان قد طبع منه جزءان، تقصر ميزانيتي الصغيرة ـ وأنا في العاشرة، أو الحادية عشرة من عمري ـ عن شرائه، ولكن الصغار ـ خصوصاً في العصر الذي أتحدث عنه ـ لا يخضعون لقوانين الميزانيات؛ وعلم الاقتصاد، إنما ينساقون مع الغرائز والعواطف، وجاء ساعي البريد، وهو يحمل هذا الكتاب فيما يحمله من بريد قريتنا الصغيرة، ورأيت فلا أملك ما أتسلم به هذا الكتاب، وأدفع ثمنه، واعتذرتْ أمي ـ رحمها الله ـ مع حرصها على إرضاء طفلها اليتيم عن دفع النقود، لأنها لم تكن تملكها في ذلك الحين، ورأيت فلم أر لي مساعداً وشفيعاً في هذه المهمة؛ إلا الشفيع الذي لجأ إليه سيدنا عُمير بن أبي وقاص الصغير، فَقَبِلَ رسول الله ﷺ شفاعته، وأجازه للقتال في بدر، ذلك شفيع الدموع، والبكاء البريء، الذي لم يزل وجيهاً مسموعاً عند الله، وعند عباده الصالحين، وكذلك

كان، فقد رقَّ لذلك قلب أمي الحنون، واجتهدتْ في دفع ثمن الكتاب، والحصول عليه، وأخذتُ الكتاب.

بدأت أقرأ الكتاب، وبدأ الكتاب يهزّ قلبي، وليست بهزة عنيفة مزعجة، إنما هي هزة رقيقة، وقلبي يهتز له، ويطرب، كما اهتز تحت البارد الغصن الرطب، وهذا هو الفارق بين الكتب التي ألفت في حياة الأبطال، والفاتحين الكبار، وبين الكتب التي ألفت في سيرة الرسول ﷺ فالأولى تُغِيرُ على القلب، وتزعجه، وللثانية هزّة تنبعث من النفس، وتريحها.

وبدأتْ تتجاوبُ نفسي لهذا الكتاب، وتسيغه كأنما كانت منه على ميعاد، وشعرت في أثناء قراءتي لهذا الكتاب بلذة غريبة، إنها لذّة تختلف عن جميع اللذات؛ التي عرفتها في صغري. ولم أزل مرهف الحس، قوي الشعور، فلا هي لذة الطعام الشهي في يوم الجوع، ولا هي لذة العطلة والفراغ بعد الدراسة المضنية، والاشتغال المرهق، ولا هي لذة اللباس الجديد في يوم العيد، ولا هي لذة اللعب في حين الشوق إليها، ولا هي لذة الانتظار والظفر في المباراة، ولا هي لذة زيارة صديق قديم؛ أو زائر كريم، إنها لا تشبه لذة من هذه اللذات، إنها لذة أعرف طعمها، ولا أستطيع وصفها، وأعترف أني لا أستطيع حتى اليوم أن أصفها بدقة، ولا أعبّر عنها بكلمة، إن غاية ما أستطيع أن أقول: إنها لذة الروح، وهل الأطفال لا يحملون الأرواح، ولا يشعرون باللذة الروحية؟! بلى والله، إن الأطفال أشفّ روحاً، وأصحّ شعوراً، وإنْ عجزوا عن التعبير.

كنت أقرأ في هذا الكتاب المعجِب المطرب؛ خبر من كان يسلم من قريش، فتنهال عليه أنواع العذاب، فكان يتحمل كل ذلك في ثبات وصبر، بل ولذّة وسرور، فكنت أشعر بأن هناك لذة لا يعرفها كثير من الأغنياء والأقوياء، وكثير ممن يعدون في الحياة سعداء، وهو أن تضرب على الحق، وتضطهد في عقيدة، وتهان في سبيل الدعوة، وأن هذه اللذة؛ لا تعدلها لذة القوة والظفر، ورأيت أن نفسي تتمنى أن تسعد بهذه اللذة، وبهذه الكرامة ولو مرة في العمر.

وقرأت قصة الهجرة النبوية، قصة لا أعرف أني قرأت قصة أكثر تأثيراً؛ وأجمل تصويراً، من هذه القصة، التي يحكيها المؤلف في صدق وبساطة،

يدخل رسول الله ﷺ المدينة؛ وقد تعلقت به القلوب؛ وطمحت إليه الأبصار، وتتقدم قبيلة قبيلة، وتقول في صدق وإخلاص: يا رسول الله! هلمّ إلينا، إلى العدد، والعدة، والمنّة، فيقول ـ فداه أبي وأمي ـ: «خلوا سبيلها[1] فإنها مأمورة» ثم تبرك على باب مسجده اليوم، وتأبى أن تقوم، ويأبى الله أن يكون هذا الشرف؛ الذي ليس فوقه شرف؛ إلا لأبي أيوب الأنصاري، فيتحمل أبو أيوب رحله، فيضعه في بيته، وأقرأ سرور أبي أيوب بهذه الكرامة؛ التي ساقها الله إليه، وإخلاصه في ضيافته، أقرأ كل هذا، وأجد قلبي قد فارقني، ورافق ناقة رسول الله ﷺ فيدخل في ركابه المدينة، وأجد مني كأني أشاهد كل ذلك بعيني.

وأجد ما قرأت أو سمعت من دخول الملوك؛ والفاتحين؛ والعظماء؛ والأغنياء؛ قد تضاءل واضمحلّ، وأنّ كل ما عرفته من حب وإخلاص؛ من رجل لرجل؛ قد ذاب وغاب؛ وارتسم هذا المنظر في نفسي، وفي ذاكرتي.

وقرأت قصة أُحُد، قصة لم يعرف التاريخ أعظم منها، وأغرب منها؛ وأجمل منها في الوفاء؛ والإخلاص؛ والبطولة؛ والإيمان؛ واليقين؛ والخلق الكريم، وقد هزني قول أنس بن النضر رضي الله عنه؛ للذين جلسوا؛ وألقوا بأيديهم، وقالوا: قُتِل رسول الله ﷺ قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ موتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ، وقول القائل: إني لأجد ريح الجنة من دون أُحُد، والذي كانت أمنيته الأخيرة أن يصل بين قدمي رسول الله ﷺ وهو في آخر عهده بالدنيا، فحملوه إليه؛ وهو يجود بنفسه، ولفظ نَفَسَه الأخير بين قدمي رسول الله ﷺ، وكيف تَرَّسَ أبو دجانة رضي الله عنه بنفسه دون رسول الله ﷺ، يقع النبل في ظهره، وهو منحنٍ عليه، إلى غير ذلك من أحاديث الحب؛ والتفاني، أتابع قراءتي لهذا الكتاب، وقد يغلبني البكاء فأبكي، وقد يملكني السرور والطرب فأطرب[2].

---

(١) أي: سبيل الناقة التي كان يركبها رسول الله ﷺ عندما دخل المدينة، فبركت الناقة أمام بيت أبي أيوب الأنصاري، ويُدعى خالد بن زيد، وكان له شرف ضيافة رسول الله ﷺ.

(٢) صدرت للداعية أبي الحسن الندوي سلسلة ـ قصص النبيين للأطفال ـ وكتاب: في السيرة النبوية، فانظرها فإنها مفيدة.

(٦) **حرص الأمهات على آثار الرسول ﷺ ليكون بركة على أطفالهم:**

روى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سليم، فينام على فراشها[١] وليست فيه، قال: فجاء ذات يوم؛ فنام في فراشها، فأتت فقيل لها: هذا النبي ﷺ نام في بيتك على فراشك، قال: فجاءت وقد عرق؛ واستنقع عرقه ﷺ على قطعة أديم على الفراش، ففتحت أم سليم عتيدتها ـ وهو كالصندوق الصغير تجعل المرأة فيها ما يعزّ عليها من متاعها ـ فجعلت تنشف ذلك العرق، فتعصره في قواريرها، ففزع ـ أي: استيقظ من نومه ﷺ ـ فقال: «ما تصنعين يا أم سليم»؟ فقالت: يا رسول الله! نرجو بركته لصبياننا، فقال: «أصبت».

بهذه الروح الطيبة، وبهذا الحب السامي لرسول الله ﷺ وهذا التعلق الشديد به، وهذا الحرص الصادق تتسارع الأم العاقلة؛ لتفيد صغيرها بآثار الرسول ﷺ وهذا تقرير أيضاً منه بقوله: «أصبت» فيقرّها على عملها.

الأساس العَقَدي الرابع: تعليم الطفل القرآن الكريم:

«ينبغي لولي الصغير والصغيرة أن يبدأ بتعليمهما القرآن، منذ الصغر، وذلك ليتوجّها إلى اعتقاد أن الله تعالى هو ربهم، وأن هذا كلامه تعالى، وتسري روح القرآن في قلوبهم، ونوره في أفكارهم؛ ومداركهم؛ وحواسهم؛ وليتلقيا عقائد القرآن منذ الصغر؛ وأن ينشأا ويشبّا على محبة القرآن؛ والتعلق به؛ والائتمار بأوامره، والانتهاء عن مناهيه، والتخلق بأخلاقه، والسير على منهاجه.

قال الحافظ السيوطي: تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام؛ فينشؤون على الفطرة، ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل تمكن الأهواء منها؛ وسوادها بأكدار المعصية والضلال»[٢].

وأكد ابن خلدون[٣] هذا المفهوم بقوله: تعليم الوالدين للقرآن شعار من

---

(١) وكانت محرماً له ﷺ، وهي خالته من الرضاع.

(٢) نقلاً عن: «تلاوة القرآن المجيد» للشيخ عبد الله سراج الدين.

(٣) في مقدمته ص٣٩٧.

شعائر الدين؛ أخذ به أهلُ الملّة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم؛ لما يسبق إلى القلوب من رسوخ الإيمان، وعقائده؛ بسبب آيات القرآن؛ ومتون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم؛ الذي ينبني عليه؛ ما يحصل بعد من المَلَكَات.

كذلك قال ابن سينا(١): «فإذا تهيأ الصبي للتلقين؛ ووعي سمعه، أخذ في تعليم القرآن، وصُورت له حروف الهجاء، ولُقن معالم الدين».

١ـ ما ورد في تعليم الأطفال القرآن:

أخرج الطبراني وابن النجار عن علي كرم الله وجهه، أن النبي ﷺ قال: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن؛ فإن حملة القرآن في ظل عرش الله؛ يوم لا ظل إلا ظله؛ مع أنبيائه وأصفيائه»(٢).

وذكر الحافظ ابن عساكر وأسنده ـ كما في تفسير ابن كثير ـ إلى أبي ظبية قال: مرض عبد الله (بن مسعود) رضي الله عنه؛ مرضه الذي توفي فيه، فعاده عثمان بن عفان فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا آمر لك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني، قال: ألا آمر لك بعطاء؟ قال: لا حاجة لي فيه، قال: يكون لبناتك من بعدك، قال: أتخشى على بناتي الفقر؟ إني أمرت بناتي يقرأن كل ليلة سورة الواقعة، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً»(٣).

وكان من حرص الصحابة رضوان الله عليهم في توجيه أبنائهم دقة الملاحظة في مراقبة أفعال أطفالهم مع القرآن، وحكاية ذلك للنبي ﷺ؛ للتعرف على ما ينفع أطفالهم:

أخرج أحمد عن عبد الله بن عمرو: أنَّ رجلاً جاء بابن له فقال: يا رسول الله!

---

(١) في كتاب: (السياسة) باب: سياسة الرجل ولده.

(٢) ورمز السيوطي لضعفه في الجامع الصغير، انظر فيض القدير للمناوي (١/ ٢٢٥).

(٣) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة برقم ٦٨٥.

إن ابني يقرأ المصحف بالنهار؛ ويبيت الليل، فقال رسول الله ﷺ: «ما تنقم إن ابنك يظل ذاكراً، ويبيت سالماً»(١).

وانطلق الصحابة رضوان الله عليهم يعلِّمون أبناءهم القرآن، استجابة لتوجيهات النبي ﷺ: فعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «خياركم من تعلم القرآن وعلمه» قال: وأخذ بيدي فأقعدني مقعدي هذا أقرأ. رواه أبو يعلى في مسنده (٢/ ١٣٦) بسند ضعيف؛ إلا أن متن الحديث صحيح، رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه والدارمي.

ونرى نصح الصحابة للناس بهذا القرآن، وتنشئة أطفالهم على حبه وتلاوته، فقد ذكر ابن كثير في تفسيره؛ أن ابن عباس رضي الله عنهما قال لرجل: ألا أتحفك بحديث تفرح به؟ قال: بلى، قال: اقرأ «تبارك الذي بيده الملك» وعلمها أهلك؛ وجميع ولدك، وصبيان بيتك، وجيرانك، فإنها المنجية؛ والمجادلة؛ تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها، وتطلب له أن ينجيه من عذاب النار؛ وينجو بها صاحبها من عذاب القبر، قال رسول الله ﷺ: «لوددتُ أنها في قلب كل إنسان من أمتي»(٢).

ومن شدة حرص الصحابة على ارتباط أطفالهم بالقرآن، وحصول بركة القرآن لأولادهم: تحين أوقات نزول هذه البركات القرآنية؛ ليحضرها أطفالهم. روى الطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه كان إذا ختم القرآن، جمع أهله؛ وولده؛ فدعا لهم(٣).

وهذا ابن عباس رضي الله عنهما يتفاخر أنه قرأ المحكم؛ على عهد

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٧٠): وفيه ابن لهيعة، وفيه كلام.
(٢) وروى أبو الشيخ بإسناد حسن مرفوعاً: «سورة تبارك هي المانع من عذاب القبر» وفي رواية الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح: «هي المانعة، هي المنجية تنجيه من عذاب القبر». انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١١٤٠).
(٣) ورجال الحديث ثقات، قاله الهيثمي في المجمع (٧/ ١٧٢).

رسول الله ﷺ؛ وهو طفل صغير، فقد ذكر ابن كثير في فضائل القرآن، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين؛ وقد قرأت المحكم.

وإن قراءة الأطفال للقرآن سبب في رفع البلاء والعذاب عن الأسرة؛ والمجتمع، فعن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب؛ حكماً مقضياً، فيقرأ الصبي من صبيانهم في المكتب «الحمد لله رب العالمين»، فيسمعه الله تعالى؛ فيرفع عنهم بسببه العذاب أربعين سنة»[1].

وأما السلف الصالح رضوان الله عليهم، فقد ساروا المسار نفسه، ومشوا الطريق نفسه، فقد جاء في مقدمة كتاب المعلمين لابن سحنون: أن القاضي الورع عيسى بن مسكين كان يقرىء بناته وحفيداته.. قال عياض: فإذا كان بعد العصر دعا ابنتيه وبنات أخيه ليعلمهن القرآن والعلم. وكذلك كان يفعل قبله فاتح صقلية ـ أسد بن الفرات ـ بابنته أسماء التي نالت من العلم درجة كبيرة[2].

٢ـ أجر الوالدين في تعليم الطفل القرآن:

روى الحاكم من رواية بريدة قوله ﷺ: «من قرأ القرآن، وتعلّمه، وعمل به، ألبس والداه يوم القيامة تاجاً من نور، ضوؤه مثل الشمس، ويكسى والداه حليتين؛ لا تقوم لهما الدنيا، فيقولان: بم كسبنا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن». وأخرج أبو داود عن سهل بن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ القرآن؛ وعمل به؛ ألبس الله والديه تاجاً يوم القيامة، ضوؤه أحسن من ضوء الشمس»[3]. وفقني الله وإياك إلى الحرص على التاج ولبسه يوم القيامة، وإلباسه لوالدينا.

٣ـ فهم الطفل للقرآن:

لا بد للمربي ـ أو الوالدين ـ أن يهتما أثناء تلاوة الطفل؛ بشرح موجز بسيط

---

(١) التفسير الكبير للرازي (١/ ١٧٨).

(٢) من تربية الأولاد (ط٢/ ١٦٧).

(٣) رواه أحمد (٣/ ٤٤٠) من طريق حسن، ورواه أبو يعلى (٣/ ٦٥) بسند ضعيف.

للقرآن؛ حتى تفتح معاني القرآن قلب وعقل الصغير، ولا يظن أحد أن الطفل صغير، فهذا الطفل الذي يعده كثير من الناس لا يستحق الشرح لصغره، ولا يستحق الاهتمام بعقله لطفولته، هذا الطفل العجيب يستطيع أن يخزن من المعلومات ما يخزنه حاسب آلي عصري، وإليك الدليل على ذلك:

أخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سلوني عن سورة النساء؛ فإني قرأت وأنا صغير، ثم قال: هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وروى ابن جرير، وأسنده: سأل فتى من قريش سعيد بن جبير قال: أخبرنا يا أبا عبد الله كيف هذا الحرف؟ فإني إذا أتيت عليه، تمنيت ألّا أقرأ هذه السورة: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا ﴾ [يوسف: ١٢/ ١١٠] قال: نعم، حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يصدقوهم، وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا[(١)].

وروى ابن عبد البر[(٢)] عن معاوية رضي الله عنه قال: إن أغوى الضلالة؛ لرجل يقرأ القرآن فلا يفقه فيه، فيعلمه الصبي؛ والعبد؛ والمرأة؛ والأمة؛ فيجادلون به أهل العلم[(٣)].

وروى أبو يعلى في مسنده (٢/ ٦٣) بسند حسن عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما: قال: «قلت لأبي: يا أبتاه! أرأيت قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴾ [الماعون: ١٠٧/ ٦] أينا لا يسهو؟ أينا لا يُحدِّثُ نفسَه؟ قال: ليس ذاك؛ إنما هو إضاعة الوقت، يلهو حتى يضيع الوقتُ».

وإليك نموذجاً عن دقة فهم الأطفال للقرآن، وحرصهم على فهمه، فيما روي أن المأمون كان يقرأ القرآن وهو صغير؛ على أستاذه الكسائي، وكان من عادة الكسائي أن يطرق إذا قرأ المأمون، فإذا أخطأ رفع رأسه ناظراً إليه؛ فيرجع إلى الصواب، فقرأ يوماً المأمون سورة الصف، ولما وصل إلى قوله تعالى:

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٩٧).
(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٩٤).
(٣) عن حياة الصحابة (٣/ ٢٠٦).

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٦١/ ٢] فرفع الكسائي رأسه، فنظر المأمون إليه، وكرر الآية، وهو يفتش عن خطئه، فوجدها صحيحة، فمضى في قراءته. ولما انصرف الكسائي، دخل المأمون على أبيه قائلاً: هل وعدتَ الكسائي بشيء؟ قال: كيف علمت بذلك يا بني؟ فأخبره بالأمر، فسرّ الرشيد لفطنة ابنه، وشدة ذكائه.

٤ـ كيف يؤثر القرآن في نفس الطفل:

للقرآن تأثير كبير على النفس البشرية عامة، يهزها؛ ويجذبها؛ ويضرب على أوتارها، وكلما اشتدت النفس صفاء؛ كلما ازدادت تأثراً، والطفل أقوى الناس صفاء، وفطرته ما زالت نقية، والشيطان ما زال في كبوته تجاهها، وإذا تأملنا الآيات المكية، وجدناها قصيرة، تتناسب مع نَفَسِه القصير، بالإضافة إلى قصار السور؛ التي تقدم للطفل موضوعاً متكاملاً بكلمات قليلة، سهلة الحفظ قوية التأثير، والكاتب الأديب مصطفى صادق الرافعي رحمه الله، فصّل هذا البيان بشكل أوسع فقال[1]: إن لهذه السور القصار لأمراً، وإن لها في القرآن لحكمة، هي من أعجب ما ينتهي إليه التأمل، حتى لا يقع من النفس؛ إلا موقع الأدلة الإلهية المعجزة، فهي لم تنزل متتابعة، في نسق واحد؛ على هذا الترتيب؛ الذي تراه في المصحف إذ لم يكن أول ما نزل من القرآن ولا آخره ـ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ ـ [الناس: ١١٤/ ١] ثم هي بجملتها، وعلى إحصائها، لا تبلغ من القرآن أكثر من جزء واحد، والقرآن كله ثلاثون جُزءاً، وهو يتسع من بعدها قليلاً وكثيراً، حتى ينتهي إلى الطول، فقد علم الله أن كتابه سيثبت الدهر؛ على هذا الترتيب المتداول للحفظ، بأسباب أظهرها في المنفعة؛ وأولها في المنزلة، هذه السور القصار التي تخرج من الكلمات المعدودة، إلى الآيات القليلة، والتي هي مع ذلك أكثر ما تجيء آياتها على فاصلة قليلة، مع قصر ما بين الفاصلة والفاصلة، فكل آية في وصفها؛ كأنها سورة من كلمات قليلة:

ـ لا يضيق بها نَفَسُ الطفل الصغير.

---

(١) في كتابه: تاريخ آداب العرب (٢/ ٢٠٦).

ـ وهي تتماثل في ذاكرته، بهذه الفواصل؛ التي تأتي على حرف واحد؛ أو حرفين أو حروف قليلة متقاربة.

ـ فلا يستظهر الطفل بعض هذه السور، حتى يلتئم نظم القرآن على لسانه، ويثبت أثره في نفسه، فلا يكون بعد إلا أن يمر فيه مراً.

ـ وهو كلما تقدم؛ وجده أسهل عليه، ووجد له خصائص، تعينه على الحفظ، وعلى إثبات ما يحفظ، فهذا المعنى من قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ١٧/ ٨٢].

وهي لعمر الله رحمة وأي رحمة، وإذا أردتَ أن تبلغ عجباً من هذا المعنى؛ فتأمل سورة في القرآن، وأول ما يحفظه الأطفال وهي سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١١٤/ ١] وانظر كيف جاءت في نظمها:

كيف تكررت الفاصلة؛ وهي لفظة الناس؟!

وكيف لا ترى في فواصلها؛ إلا هذا الحرف: السين؟! الذي هو أشد الحروف صفيراً، وأطربها موقعاً من سمع الطفل الصغير؛ وأبعثها لنشاطه واجتماعه.

وكيف تناسبت مقاطع السورة، عند النطق بها، مع تردد النَّفَس في أصغر طفل؛ يقوى على الكلام، حتى كأنها تجري معه، وكأنها فصلت على مقداره؟!

وكيف تطابق الأمر كله؛ من جميع جهاته؛ في أحرفها؛ ونظمها؛ ومعانيها؟!

ثم انظر؛ كيف يجيء ما فوقها على الوجه الذي أشرنا إليه؟!

وكيف تمت الحكمة في هذ الترتيب العجيب؟! كل ذلك يحصل للطفل وأكثر من ذلك، ومن تعامل مع الأطفال عند حفظهم لقصار السور، يرى ذلك بنفسه، ويلمس ذلك بيديه.

وهذا نموذج عملي من تأثر الأطفال بالقرآن:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦٦/ ٦] تلاها رسول الله ﷺ على أصحابه ذات ليلة أو قال يوم، فخرَّ فتى مغشياً عليه، فوضع النبي ﷺ يده

على فؤاده، فإذا هو يتحرك فقال: «يا فتى! قل لا إله إلا الله» فقالها، فبشره بالجنة، فقال أصحابه: يا رسول الله! أَمِنْ بيننا؟ فقال رسول الله ﷺ: «أما سمعتم قول الله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤/ ١٤] رواه الحاكم في مستدركه (٢/ ٣٥١) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقرّه الذهبي.

ومن تأثيرات القرآن في نفس الطفل، حينما يعايشه؛ ترتيلاً؛ وفهماً، يستطيع هذا الطفل أن يحل كثيراً من مشاكله الاعتقادية والنفسية، وأن يقوِّم سلوكه، وأن يهدىء من انفعالاته العصبية، وأن يوسع من ذاكرته؛ وعلى سبيل الذكر نذكر هذه القصة اللطيفة في بابها للعلامة الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله[١] فقال:

كان صورة ما وقع لي وأنا صغير، أني تفكرت يوماً في الله عز وجل، فقسته على ما أتعقله، ثم صرفته بـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ٤٢/ ١١].

٥ـ نماذج من حفظة القرآن من الأطفال:

هذه نماذج؛ نضعها بيدي الوالدين؛ لتكون وسيلة في استنهاض الهمم، وشحن النفوس، نحو الاهتمام بحفظ كتاب الله، ولتكون أداة فعالة؛ في تنشيط العقول، وتحريكها، للتغذي بهذا المنهل العذب[٢].

١ـ يقول الشافعي ـ رحمه الله ـ: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر[٣].

٢ـ ويقول سهل بن عبد الله التستري: فمضيت إلى الكتاب فتعلمت القرآن وحفظته وأن ابن ست سنين أو سبع سنين[٤].

---

(١) في كتابه: «المنن الكبرى».
(٢) للاستزادة راجع: الإهداء في التصوير الفني في القرآن، ومشاهد القيامة في القرآن؛ للشهيد سيد قطب، رحمه الله.
(٣) طبقات الحفاظ للسيوطي (ص١٥٤).
(٤) الإحياء للإمام الغزالي (٣/ ٧٢).

٣ـ أما ابن سينا فلما بلغ عشر سنين من عمره، كان قد أتقن القرآن العزيز[١].

٤ـ وأما الإمام النووي رحمه الله، فيقول الشيخ ياسين بن يوسف المراكشي عنه: رأيت الشيخ وهو ابن عشر سنين؛ بنوى، والصبيان يكرهونه على اللعب معهم؛ وهو يهرب منهم، ويبكي لإكراههم، ويقرأ القرآن في تلك الحال، فوقع في قلبي محبته، وكان قد جعله أبوه في دكان، فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن، فأتيت معلمه، فوصيته به، وقلت له: إنه يرجى أن يكون أعلم أهل زمانه؛ وأزهدهم، وينتفع به الناس، فقال لي: أمنجم أنت؟ فقلت: لا، وإنما أنطقني الله بذلك، فذكر ذلك لوالده، فحرص عليه، إلى أن ختم القرآن، وقد ناهز الحلم[٢].

٥ـ والآن مع ابن سبعة عشر عاماً حفظ القراءات السبع: ذكر الدكتور عبد الحي الفرماوي في مقدمة تحقيقه لكتاب منجد المقرئين ومرشد الطالبين، تأليف محمد بن الجزري، عن حياة المؤلف فقال:

يحدثنا التاريخ أن أباه كان تاجراً، وقد حرص بعد أن استجاب الله لدعائه، على تربية ابنه تربية دينية، وعلى تنشئته نشأة صالحة، ولذا نشأ ابن الجزري في بيت يقدر العلم، وأهله، مما ساعده على أن يتم حفظ القرآن؛ وله من العمر ثلاثة عشر عاماً، وأن يسمع الحديث؛ ويفرد القراءات، بل يجمع قراءات الأئمة السّبعة، وأيضاً يجمع القراءات على أعلم بلاد الشام بالقراءات، وهو الشيخ ابن اللبان، كان ذلك وهو لم يزل في عامه السابع عشر[٣]!

«وهذا نموذج آخر في طلب الأطفال للقراءات من العلماء المتأخرين، فيقول الشيخ محمد علاء الدين عابدين رحمه الله عن حياة والده الشيخ الجليل محمد أمين الشهير بابن عابدين ـ صاحب الحاشية في الفقه الحنفي ـ:

وحفظ القرآن العظيم عن ظهر قلب، وهو صغير جداً، وجلس في محل

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان، نقلاً عن: صفحات من صبر العلماء (١/ ١٥٢)
(٢) الطبقات الكبرى لابن السبكي (٨/ ٣٩٦).
(٣) طبقات القراء (٢/ ٢٤٧).

تجارة والده، ليألف التجارة، ويتعلم البيع والشراء، فجلس مرة يقرأ القرآن العظيم، فمرّ رجل لا يعرفه، فسمعه وهو يقرأ؛ فزجره، وأنكر قراءته، وقال له: لا يجوز لك أن تقرأ هذه القراءة.

أولاً: لأن هذا المحل محل التجارة، والناس لا يستمعون قراءتك؛ فيرتكبون الإثم بسببك، وأنت أيضاً آثم.

وثانياً: قراءتك ملحونة، فقام من ساعته، وسأل عن أقرأ أهل العصر في زمنه، فدله واحد على شيخ القراء في عصره، وهو الشيخ سعيد الحموي، فذهب لحجرته، وطلب منه أن يعلمه أحكام القراءة والتجويد، وكان وقتئذ لم يبلغ الحلم، فحفظ الميدانية، والجزرية؛ والشاطبية؛ وقرأها قراءة إتقان، وإمعان، حتى أتقن فن القراءة بطرقها، وأوجهها»[١].

٦ـ طفولة عجيبة في حفظ القرآن:

قال إبراهيم بن سعيد الجوهري: رأيت صبياً ابن أربع سنين قد حمل إلى المأمون، قد قرأ القرآن، ونظر في الرأي، غير أنه إذا جاع يبكي[٢].

وقال أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأصبهاني[٣]: حفظت القرآن ولي خمس سنين، وحملت إلى أبي بكر المقرىء؛ لأسمع؛ ولي أربع سنين، فقال بعض الحاضرين: لا تسمعوا له فيما قرأ، فإنه صغير، فقال لي ابن المقرىء: اقرأ سورة التكوير، فقرأتها، فقال لي غيره: اقرأ سورة والمرسلات، فقرأتها، ولم أغلط فيها، فقال ابن المقرىء: اسمعوا له؛ والعهدة عليّ.

٧ـ متى يبدأ الطفل بتعلم القرآن:

قال أبو عاصم[٤]: ذهبت بابني إلى ابن جريج، وهو ابن أقل من ثلاث سنين، يحدثه بهذا الحديث، والقرآن وقال أبو عاصم: لا بأس أن يعلم الصبي

---

(١) حاشية ابن عابدين (ط٢) (ص٧).
(٢) الكفاية في علم الرواية؛ للخطيب البغدادي (ص١١٦ـ١١٧) طبع مصر.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.

الحديث؛ والقرآن، وهو في هذه السن، ونحوه.

٨ـ مكافأة للمقرىء والطفل:

حين حذق حماد بن أبي حنيفة رضي الله عنه سورة الفاتحة، وهب أبو حنيفة خمسمئة درهم ـ وكان الكبش يُشترى بدرهم ـ واستكثر المعلم هذا السخاء، إذ لم يعلمه إلا الفاتحة، فقال أبو حنيفة: لا تستحقر ما علمت ولدي، ولو كان معنا أكثر من ذلك لدفعناه إليك، تعظيماً للقرآن(١).

أما مكافأة الطفل فهذا القائد المجاهد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى وهو في خضم المعركة، يتجول في المعسكر، فيجتاز على صغير بين يدي أبيه؛ وهو يقرأ القرآن، فاستحسن قراءته فقربه، وجعل له حظاً من خاص طعامه، ووقف عليه، وعلى أبيه جُزءاً من مزرعته(٢).

٩ ـ المدارس القرآنية في البلاد الإسلامية:

أ ـ إقبال الأطفال على المدارس القرآنية:

«ضاقت المساجد بالصبيان، حتى اضطر الضحاك بن مزاحم ـ معلم الصبيان ومؤدبهم ـ إلى أن يطوف على حمار؛ ليشرف على طلاب مكتبه؛ الذين بلغ عددهم ثلاثة آلاف صبي، وكان لا يأخذ أجراً على عمله»(٣).

ب ـ هل يتعلم الطفل علماً آخر مع القرآن؟

اختلفت مذاهب الأمصار الإسلامية في ذلك، كما يقول ابن خلدون(٤)، فمن البلاد من تشارك في تعليم القرآن علماً آخر، ومنهم من يشارك، على اعتبار العلوم الأخرى فرعية، ومنهم من يشارك بالتساوي، فيقول عن كل بلد.

(١) أهل المغرب: فمذهبهم في الولدان، الاقتصار على تعليم القرآن فقط، مع العناية برسمه، واختلاف حملة القرآن فيه، ولا يخلطون ذلك بسواه في

---

(١) فتح باب العناية (ص١٩).

(٢) النوادر السلطانية (ص٩).

(٣) عن أصول الحديث، لعجاج الخطيب (ص١٤٥).

(٤) في مقدمته (ص٣٩٧). وانظر تاريخ التربية د. شلبي.

مجالس تعليمهم، لا من حديث؛ ولا من فقه؛ ولا من شعر؛ ولا من كلام العرب.

(٢) أهل إفريقية: يخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب، ومدارسة قوانين العلوم ـ أي العلوم الدينية ـ وتلقين بعض مسائلها، إلا أن عنايتهم بالقرآن، واستظهار الولدان إياه، ووقوفهم على اختلاف رواياته؛ وقراءته أكثر، وعنايتهم بالخط تبع لذلك.

(٣) أهل الأندلس: مذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم، فلا يقتصرون على القرآن، بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر، والترسل؛ وأخذهم بقوانين العربية؛ وتجويد الخط؛ ولا تختص عنايتهم في التعليم بالقرآن دون هذه؛ بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها.

(٤) أهل المشرق: يخلطون في التعليم كذلك.

وإذا تأملنا واقعنا الحالي الذي نعيشه الآن نرى ـ والله أعلم ـ أنه لا بأس بجمع تعليم القرآن والعلوم الأخرى، إذ الذاكرة العقلية تتلقح من جميع العلوم، فتساعدها على التفتح؛ والتركيز؛ والفهم؛ وهذا لطالب العلوم غير الشرعية، أما طالب العلم الشرعي؛ فأول ما يبدأ بحفظه كتاب الله تعالى؛ ليكون مغذياً لروحه؛ وعقله؛ وبصيرته؛ والله أعلم.

الأساس العَقَدي الخامس ـ تربية الثبات على العقيدة والتضحية من أجلها:

العقيدة تعلو بالتضحية لها، وكلما اتسعت دائرة التضحية؛ كلما قويت النفس على الثبات، ودل ذلك على الصدق، وهو عين الاستقامة.

والطفل المسلم اليوم؛ في مواجهته للتحديات المعاصرة الكثيرة، وللخطط والمؤامرات؛ والدراسات التي تدبر ضده؛ لكي تحرفه عن دين الله ومنهجه، يحتاج في مواجهة ذلك إلى التضحية في سبيل الله، والثبات على منهجه، فعند ذلك يتذوق حلاوة الإيمان، وترتفع درجة قوته في النفس، ويتعرف على تضحية المؤمنين من القرآن ومن سيرة رسول الله ﷺ، حتى إذا وصلت التضحية إليه بذل نفسه في سبيل الله، كما تعلم ذلك من القرآن وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام.

الطفل المسلم اليوم فيما قصه له الرسول ﷺ عن طفولة المؤمنين وتضحيتهم لدين الله أسوة وقدوة، ولما بذله أطفال الصحابة قدوة، يسير على درب الإيمان؛ لا يخاف في الله لومة لائم.

١ـ غلام الأخدود قدوة للأطفال :

روى مسلم عن صهيب ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال الملك: إني قد كبرت، فابعث إليّ غلاماً؛ أعلمه السحر، فبعث إليه، وسمع كلامه؛ فأعجبه، وكان إذا أتى الساحر مرّ إلى راهب، فقال: إذا خشيت الساحر، فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو على ذلك، إذ أتى على دابة عظيمة[١] قد حبست الناس، فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر؛ فاقتل هذه الدابة؛ حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس[٢]، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أيّ بُنيّ أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت، فلا تدل عليّ.

وكان الغلام يُبرىء الأكمه ـ من ولد أعمى ـ والأبرص ـ من بجسمه بياض ـ ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك، وكان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما ها هنا لك أجمع، إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله تعالى، فإن آمنت بالله تعالى دعوت الله فشفاك، فآمن بالله تعالى، فشفاه الله تعالى، فأتى الملك؛ فجلس إليه، كما كان يجلس، فقال له الملك: من ردّ عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: أولكَ رب غيري؟ قال: ربي؛ وربك الله؛ فأخذه؛ فلم يزل يعذبه؛ حتى دل على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرىء الأكمه؛ والأبرص؛ وتفعل وتفعل! فقال: إني لا أشفي أحداً؛ إنما يشفي الله تعالى، فأخذه؛ فلم يزل يعذبه؛ حتى دلّ على الراهب، فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى

---

(١) في رواية عبد الرزاق: أسد.

(٢) في رواية عبد الرزاق: فقال الناس: قد علم هذا الغلام علماً لم يعلمه أحد.

فدعا بالمنشار، فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه؛ حتى وقع شقاه.

ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه؛ فشقه بها؛ حتى وقع شقاه؛ ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى؛ فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته؛ فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف الجبل، فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به، فاحملوه في قُرقُور، وتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه؛ وإلا فاقذفوه، فذهبوا به، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة، فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال له: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: بسم الله؛ رب هذا الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني.

فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهماً من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: بسم الله؛ رب الغلام، ثم رماه؛ فوقع السهم في صدغه ـ أي ما بين العين إلى شحمة الأذن ـ فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، فأُتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟! قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود بأفواه السكك ـ الطرق ـ فخدّت ـ شقت ـ وأضرم فيها النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها، أو قيل له: اقتحم، ففعلوا.

حتى جاءت امرأة؛ ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أماه! اصبري، فإنك على الحق[1]. وفي رواية عبد الرزاق قال: فذلك

---

(١) علق لي على موقف الأم هذه فضيلة الشيخ عبد العزيز عيون السود شيخ القراء، رحمه الله تعالى، عندما قدمت إليه البحث لينظر فيه، فوضع على الهامش: (تقديم أمر الله على رحمة الولد). قال حبيب الرحمن الأعظمي معلقاً على =

قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ حتى بلغ ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾[البروج: ٨٥/ ٤ـ٨] قال: فأما الغلام فإنه دفن. قال: فيذكر أنه أخرج في زمن عمر بن الخطاب، وأصبعه على صدغه، كما كان وضعها.

٢ـ نماذج من تضحية وجهاد أطفال الصحابة والسلف الصالح:

١ـ الأمهات يشجعن أطفالهن على الجهاد:

روى ابن أبي شيبة عن الشعبي: أن امرأة دفعت إلى ابنها يوم أحد السيف فلم يطق حمله، فشدته على ساعده بنسعة[(١)]، ثم أتت به النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله هذا ابني يقاتل عنك، فقال النبي ﷺ: «أي بُني احمل ها هنا، أي بني احمل ها هنا» فأصابته جراحة، فصُرِعَ، فأتى به النبي ﷺ فقال: «أي بني لعلك جزعت» قال: لا يا رسول الله! . كذا في كنز العمال (٥/ ٢٧٧).

٢ـ الأمهات يفرحن باستشهاد أطفالهن:

أخرج أحمد والبخاري عن أنس رضي الله عنه أن حارثة بن الربيع، جاء يوم بدر نظاراً، وكان غلاماً، فجاء سهم غرب، فوقع في ثغرة نحره؛ فقتله، فجاءت أمه الربيع فقالت: يا رسول الله! قد علمتَ مكانة حارثة مني، فإن كان من أهل الجنة فسأصبر، وإلا فسيرى الله ما أصنع، فقال: «يا أم حارثة! إنها ليست بجنة واحدة، ولكنها جنان كثيرة، وإنه في الفردوس الأعلى»[(٢)].

٣ـ الأطفال يقتلون الطغاة أعداء رسول الله ﷺ:

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: إني لواقف يوم بدر في الصف، نظرتُ عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين؛ حديثةٍ أسنانُهما؛ من الأنصار، فتمنيت أن أكون بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما، فقال: يا عمِّ! هل تعرفُ أبا جهل؟ قال: قلت: نعم، وما حاجتُك إليه يا بن أخي؟ قال: إني خُبرتُ أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لو رأيته؛ لا يُفارق سوادي سواده؛

= مصنف عبد الرزاق: وأخرجه الترمذي وأحمد ومسلم.

(١) سَير أو حبل عريض طويل، تشدّ به الرحال.

(٢) رواه ابن سعد وابن خزيمة والطبراني، انظر صحيح الجامع رقم (٧٨٥٣).

حتى يموت الأعجلُ، قال: فتعجبتُ من ذلك، فغمزني الآخرُ؛ فقال لي مثلها، فلم أَنْشَبْ أن نظرتُ إلى أبي جهل يزول في الناس، فقلت لهما: ألا تريان؟ هذا صاحِبُكما الذي تسألان عنه، فابتدراه، فضرباه بسيفهما؛ حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ، فأخبراه، فقال: «أيكما قتله؟» قال كل واحد منهما: أنا قتلته، قال: «مسحتما سيفيكما؟» قالا: لا، فنظر في السيفين، قال: «كلاكما قتله» فقضى بسَلَبِه لمعاذ بن عمرو بن الجموح، واسم الآخر معاذ بن عفراء، رواه البخاري ومسلم وأبو يعلى في مسنده (٢/ ١٧٠) بسند صحيح.

٤ـ الأطفال يبكون ويتوارون حتى يخرجوا للجهاد:

روى ابن عساكر عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال:

رَدَّ رسول الله ﷺ عُمير بن أبي وقاص عن مخرجه إلى بدر؛ واستصغره، فبكى عمير رضي الله عنه فأجازه، قال سعد: فعقدت عليه حمالة سيفه، ولقد شهدت بدراً، وما في وجهي إلا شعرة واحدة أمسحها بيدي[١].

وروى ابن سعد عن سعد رضي الله عنه قال:

رأيت أخي عمير بن أبي وقاص رضي الله عنه قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ يوم بدر يتوارى، فقلت: ما لك يا أخي؟ قال: إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيستصغرني؛ فيردني، وأنا أحب الخروج؛ لعل الله أن يرزقني الشهادة، فكان سعد رضي الله عنه يقول: فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره، فقتل وهو ابن ست عشرة سنة[٢].

وعن زيد بن حارثة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ استصغر ناساً يوم أحد منهم: زيد بن حارثة ـ يعني نفسه ـ والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم وسعد وأبو سعيد الخدري وعبد الله بن عمر وذكر جابر بن عبد الله.

رواه الحاكم في مستدركه (٢/ ٥٩) وقال: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي.

---

(١) كنز العمال (٥/ ٢٧٠) والحاكم (٣/٨٨).
(٢) الإصابة (١٣٥).

٥ـ الأطفال يطلبون تجهيزهم للجهاد:

أخرج مسلم وأبو داود عن أنس رضي الله عنه أن فتى من أسلم قال: يا رسول الله ـ ﷺ ـ إني أريد الغزو، وليس معي ما أتجهز به؟ قال: «إِئت فلاناً قد كان تجهز فمرض» فأتاه، فقال: إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام ويقول: أعطني الذي تجهزت به، فقال: يا فلانة! أعطيه الذي تجهزت به؛ ولا تحبسي منه شيئاً، فوالله لا تحبسين شيئاً فيبارك لنا فيه.

وعن سمرة بن جندب قال: «كان رسول الله ﷺ يعرض علينا من الأنصار؛ فيلحق من أدرك منهم، فَعُرِضت عاماً؛ فألحق غلاماً وردني، فقلت: يا رسول الله! لقد ألحقته ورددتني، ولو صارعته لصرعته، قال: فصارعته فصرعته فألحقني» رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد[١].

٦ـ الآباء يصحبون أطفالهم في المعارك:

أخرج البخاري عن عروة بن الزبير رحمه الله قال: كانت في الزبير ثلاث ضربات إحداهن في عاتقه، إن كنتُ لأوغل أصابعي فيها، ألعب بها؛ وأنا صغير، قال له أصحاب رسول الله ﷺ يوم اليرموك: ألا تشد فنشد معك؟ قال: إن شددتُ كذبتم، قالوا: لا نفعل، فحمل عليهم؛ حتى شق صفوفهم، فجاوزهم، وما معه أحد، ثم رجع مقبلاً ـ فأخذ بلجامه ـ فضربوه ضربتين على عاتقه، بينهما ضربة ضُربها يوم بدر، قال عروة: وكان معه عبد الله بن الزبير يوم اليرموك؛ وهو ابن عشر سنين؛ فحمله على فرس، ووكل به رجلاً.

وروى ابن جرير في تهذيب الآثار (١/ ٩٤) بسنده عن عبد الله بن الزبير قال: كنت أنا وعمر بن أبي سلمة في الأطم يوم الخندق، فكان يطأطيء فأنظر إلى القتال، وأطأطيء له فينظر إلى القتال. فرأيت أبي يجول في السبخة، يكرّ على هؤلاء مرة؛ فقلت له يا أبت: قد رأيتك تكر في السبخة على هؤلاء مرة؛ وعلى هؤلاء مرة، فقال: قد جمع لي رسول الله ﷺ اليوم أبويه[٢].

---

(١) انظر عقود الجواهر المنيفة (٢/ ٩٧).

(٢) البخاري فضائل باب (١٣) ومسلم (٤/ ١٨٨٠) ومسند أحمد (١/ ١٦٤) مع =

وفي رواية له: قال: هل رأيتنى أي بني؟! قال: نعم، قال: كان رسول الله ﷺ يجمع حينئذ لأبيك أبويه يقول: «احمل، فداك أبي وأمي».

بمثل هذا الجهاد ربى الصحابة أطفالهم، لا يعرفون تكاسلاً ولا تثاقلاً إلى الأرض، وإنما يستخدمون شتى الأساليب لكيلا يستصغرهم النبي ﷺ فيردهم، فتارة يبكون، وأخرى يتوارون؛ وثالثة يقفون على رؤوس أصابعهم، كل ذلك ليخرجوا إلى الجهاد في سبيل الله، وينالوا شهادة أخروية، لا يعدلها أي شهادة في الدنيا على الإطلاق، وبنوا مستقبلاً حقيقياً زاهراً مشرقاً خالداً أبدياً في جنات عرضها السموات والأرض.

ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

☆ ☆ ☆

= اختلاف في اللفظ، وانظر طبقات ابن سعد (٣/١٠٦) والبداية (٤/١٠٧).
ورواه أبو يعلى في مسنده (٢/٣٥) بسند صحيح.

الباب الثاني

«البناء العبادي»

● تمهيد :

الأساس الأول ـ الصلاة :

١ـ مرحلة الأمر بالصلاة .

٢ـ مرحلة تعليم الطفل الصلاة .

٣ـ مرحلة الأمر بالصلاة والضرب عليها .

٤ـ تدريب الأطفال على حضور صلاة الجماعة .

٥ـ نموذج للأطفال في قيام الليل .

٦ـ تعويد الطفل على صلاة الاستخارة .

٧ـ اصطحاب الأطفال لصلاة العيد .

الأساس الثاني ـ الطفل والمسجد .

١ـ أخذ الطفل إلى المسجد .

٢ـ ربط الطفل بالمسجد .

الأساس الثالث ـ الصوم .

الأساس الرابع ـ الحج .

الأساس الخامس ـ الزكاة .

قال تعالى:

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾

[طه: ٢٠/ ١٣٢].

بناء العبادة يعد مكملاً لبناء العقيدة، إذ العبادة تغذي العقيدة بروحها، كما أنها المنعكس الذي يعكس صورة العقيدة ويجسمها، والطفل عندما يتوجه لنداء ربه، ويستجيب لأوامره؛ فإنما هو يلبي غريزة فطرية في نفسه؛ فيشبعها ويرويها.

وإلى هذا أشار الدكتور سعيد رمضان البوطي بقوله: ولكن لا بد لكي يظل غرس العقيدة قوياً في النفس، من أن يسقى بماء العبادة؛ بمختلف صورها؛ وأشكالها؛ فبذلك تنمو العقيدة في الفؤاد، وتترعرع، وتثبت أمام عواصف الحياة وزعازعها[(١)].

والطفولة ليست مرحلة تكليف، وإنما هي مرحلة إعداد وتدريب وتعويد؛ للوصول إلى مرحلة التكليف عند البلوغ؛ ليسهل عليه أداء الواجبات والفرائض، وليكون على أتم الاستعداد لخوض غمار الحياة؛ بكل ثقة وانطلاق، والعبادة لله تعالى تفعل في نفس الطفل فعلاً عجيباً، فهي تشعره بالاتصال بالله جلّ وعلا، وهي تهدىء من ثوراته النفسية، وهي تلجم انفعالاته الغضبية، فتجعله سوياً مستقيماً، إذ كثافة الشهوات ضعيفة في تلك الفترة، مما يجعل روحه تتجاوب أكثر فأكثر بمناجاة الله، ويأخذ الخشوع المساحة الكبرى من جسده، وهو يرتل آية أو يسمعها، أو هو واقف في الصلاة أو ساجد فيها، وهو يسمع أذان الإفطار ليبدأ بالطعام والشراب؛ بعد أن صام يومه، وهناك أسرار كثيرة للعبادة لا تعد ولا تحصى، تؤثر في الطفل مما يزيد قوته ونشاطه، وبذلك تفضل التربية النبوية عن أي تربية كانت.

وإن رسول الله ﷺ ليبشر الأطفال الذين نشؤوا على عبادة الله عز وجل، بشارة عظيمة، فمما رواه الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ناشىء ينشأ في العبادة حتى يدركه الموت، إلا أعطاه الله أجر تسعة وتسعين صديقاً». وروى ابن عبد البر في التمهيد بسنده أن عمر بن

---

(١) في كتابه: تجربة التربية الإسلامية (ص٤٠).

الخطاب رضي الله عنه قال: تكتب للصبي حسناته؛ ولا تكتب عليه سيئاته[1].

ونلاحظ من توجيهات النبي ﷺ أنه ركز على ستة أسس، وهي:

الأساس العبادي الأول ـ الصلاة:

وتمر بمراحل:

١ـ مرحلة الأمر بالصلاة:

يبدأ الوالدان بتوجيه الأوامر للطفل، بأن يقف معهما في الصلاة، وذلك في بداية وعيه؛ وإدراكه يمينه من يساره. لما روى الطبراني عن عبد الله بن حبيب أن النبي ﷺ قال: «إذا عرف الغلام يمينه من شماله فمروه بالصلاة».

وأخرج أبو داود عن معاذ عن عبد الله بن حبيب الجهني قال: ـ راويه هشام ابن سعد ـ: دخلنا عليه فقال لامرأته: متى يصلي الصبي؟ قالت: نعم كان رجل منا يذكر عن رسول الله ﷺ أنه سئل عن ذلك؟ فقال: «إذا عرف يمينه من شماله فمروه بالصلاة»[2].

٢ـ مرحلة تعليم الطفل الصلاة:

حيث يبدأ الوالدان بتعليم أركان الصلاة وواجباتها ومفسداتها، وقد حدد النبي ﷺ سن السابعة بداية مرحلة التعليم:

فقد روى أبو داود عن سبرة بن معبد الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها».

وفي رواية الترمذي قال: «علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر»[3].

---

(١) فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك لابن فرحون المالكي (١/ ٨٨).

(٢) ضعيف، انظر ضعيف الجامع رقم (٦٩٣) للألباني.

(٣) أبو داود برقم (٤٩٤) والترمذي برقم (٤٠٧) وإسناده حسن. انظر جامع الأصول (٥/ ١٨٧) ت الأرناؤوط. ورواه البيهقي في سننه (٣/ ٨٤) ورواه الحاكم في مستدركه

وفي رواية أحمد (٣/ ٤٠٤)، «إذا بلغ الغلام سبع سنين؛ أُمر بالصلاة، فإذا بلغ عشراً ضُرب عليها».

وفي رواية الدارقطني (١/ ٢٣٠): «مُروا صبيانكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر».

وكان رسول الله ﷺ يباشر بنفسه تعليم الأطفال ما يحتاجونه في الصلاة: أخرج أبو داود والترمذي والنسائي عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر: «اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شرّ ما قضيت، فإنك تقضي بالحق ولا يُقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت»[١].

ويصحح ﷺ لهم أخطائهم:

روى الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: رأى رسول الله ﷺ غلاماً لنا يقال له: أفلح، إذا سجد نفخ، فقال: «يا أفلح! ترّب وجهك»[٢].

ويعلمهم الأذان كذلك:

قال أبو محذورة[٣]: خرجت في عشرة فتيان مع النبي ﷺ وهو أبغض الناس إلينا، فأذّنوا؛ فقمنا نؤذن نستهزىء بهم، فقال النبي ﷺ: «ائتوني بهؤلاء الفتيان»، فقال: أذِّنوا فأذّنوا، فكنت أحدهم، فقال النبي ﷺ: «نعم هذا الذي سمعت صوته، اذهب فأذِّن لأهل مكة»، فمسح على ناصيته وقال: «قل:

= (١/ ٢٥٨) وقال: صحيح على شرط مسلم، ورواه ابن خزيمة في صحيحه (٢/ ١٠٢).

(١) ورواه ابن خزيمة في صحيحه (٢/ ١٥٢) قال المحقق مصطفى الأعظمي: إسناده صحيح، ورواه أحمد (١/ ٢٠٠) من طريق شعبة.

(٢) إسناده ضعيف، انظر جامع الأصول ت الأرناؤوط (٥/ ٥٠١).

(٣) رواية حديث أبي محذورة رويت بعدة روايات مختلفة، اخترنا ما هو الأنسب للتوجيه التربوي، حيث الأحكام الفقهية تتلقى من كتب الفقه الإسلامي. فالحديث قد يكون منسوخاً من ناحية الأحكام الفقهية، إلا أنه ليس منسوخاً من الناحية التربوية.

ـ الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر

ـ أشهد أن لا إله إلا الله مرتين.

ـ وأشهد أن محمداً رسول الله مرتين.

ـ حي على الصلاة حي على الصلاة.

ـ حي على الفلاح حي على الفلاح مرتين.

ـ الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله.

ـ وإذا أذنت بالأول في الصبح فقل: الصلاة خير من النوم، الصلاة خير من النوم.

ـ وإذا أقمت فقلها مرتين قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة، أسمعت» قال: وكان أبو محذورة لا يجز ناصيته؛ ولا يفرقها؛ لأن رسول الله ﷺ مسح عليها. رواه الدارقطني (١/ ٢٣٥) ورواه أحمد (٣/ ٤٠٨). ورواه مسلم وأصحاب السنن الأربعة.

وكان ﷺ يوجه خطاباً قبل كل صلاة يصفّ الأطفال في الصف الأخير، روى مسلم عن أبي مسعود قال: كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: «استووا؛ ولا تختلفوا؛ فتختلف قلوبكم، ليليني منكم أولو الأحلام والنُّهَى ـ هم الرجال البالغون ـ ثم الذين يلونهم؛ ثم الذين يلونهم».

ويوجه ﷺ نداء للأطفال بعدم الالتفات يمنة ويسرة أثناء الصلاة، وما هذا إلا دليل الاهتمام بتعليم الطفل كيفية الصلاة: أخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا بني! إياك والالتفات في الصلاة، فإن الالتفات في الصلاة هلكة، فإن كان ولا بدّ ففي التطوع؛ لا في الفريضة»(١). وبذلك يعلم الرسول ﷺ الطفل أحكام الفريضة والتطوع.

وسار الصحابة على منهج النبوة، فبدؤوا بتعليم أطفالهم بأنفسهم، فهذا

---

(١) رواه الترمذي برقم (٥٨٩) في الصلاة، وفيه علي بن زيد بن جدعان ضعيف. انظر جامع الأصول (٥/ ٤٩٧) ت الأرناؤوط. وانظر شرح السنة (٣/ ٢٥٣).

علي كرم الله وجهه يدعو الحسين؛ فيعلمه كيفية الوضوء، ويجيبه على استفساراته فيه:

أخرج أبو داود عن الحسين بن علي رضي الله عنهما قال: دعاني أبي عليٌّ بوضوء؛ فقربته له، فبدأ فغسل كفّيه ثلاث مرات؛ قبل أن يدخلهما في وضوئه، ثم مضمض ثلاثاً، واستنشق ثلاثاً، ثم غسل وجهه ثلاث مرات، ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثاً، ثم اليسرى كذلك، ثم مسح برأسه مسحة واحدة، ثم غسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثلاثاً، ثم اليسرى كذلك، ثم قام قائماً فقال: ناولني فناولته الإناء الذي فيه فضل وضوئه، ثم شرب من فضل وضوئه قائماً، فعجبت، فلما رآني قال: لا تعجب؛ فإني رأيت أباك النبي ﷺ يصنع مثل ما رأيتني صنعت، يقوم لوضوئه هذا، وشرب فضل وضوئه قائماً.

إن رؤية الطفل لوضوء الكبير، له كبير الأثر في تعليمه؛ وتطبيقه له؛ بشكل عملي صحيح: فقد أخرج عبد الرزاق في مصنفه[1] عن مالك عن نافع قال: رأيت صفية بنت أبي عبيد توضأت، وأنا غلام، فإذا أرادت أن تمسح رأسها سلخت الخمار.

وهذا سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ يعلِّم أولاده الأدعية المأثورة كما يروي ذلك ابنه مصعب فيقول: كان سعد يعلمنا خمساً يَذْكُرهن عن النبي ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجُبْن، وأعوذ بك أن أُردّ إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر». رواه أبو يعلى في مسنده (٢/ ٧٢) بسند صحيح.

ونختم هذه المرحلة بنصيحة الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود إلى الآباء والأمهات حيث قال فيما أخرجه الطبراني:

«حافظوا على أبنائكم في الصلاة، وعودوهم الخير، فإن الخير عادة». ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٨٤).

---

(١) المصنف (١/ ١٨).

٣ـ مرحلة الأمر بالصلاة والضرب على تركها:

وتبدأ في سن العاشرة من عمر الطفل، فإذا قصر في صلاته؛ أو تهاون؛ أو تكاسل في أدائها، فعند ذلك يجوز للوالدين استخدام الضرب، تأديباً له على ما فرط في حق نفسه، وعلى ظلمه لها باتباع سبل الشيطان، لأن الأصل في هذه المرحلة، أن ينصاع لأمر الله، حيث هو ما زال في مرحلة الفطرية، والشيطان ما زال تأثيره عليه ضعيفاً. فعدم صلاته دليل على تمكن الشيطان منه شيئاً فشيئاً، لذلك فهو بحاجة إلى العلاج النبوي وهو الضرب، ولا بأس بإفهام الطفل سبب الضرب، وتلاوة حديث رسول الله ﷺ عليه:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع». رواه أبو داود[(١)]، والحاكم.

ويعلق الشيخ ولي الله الدهلوي على الحديث فيقول:

بلوغ الصبي على وجهين: بلوغ صلاحية السقم والصحة النفسانيتين، ويتحقق بالعقل فقط. وأمارة ظهور العقل سبع، فابن سبع ينتقل فيها لا محالة، من حالة إلى حالة، انتقالاً ظاهراً، وأمارة تمامه العشر، فابن العشر عند سلامة المزاج يكون عاقلاً، يعرف نفعه من ضرره، ويحذق في التجارة وما يشبهها، وبلوغه في صلاحية الجهاد؛ والحدود؛ والمؤاخذة عليه؛ وأن يصير من الرجال؛ الذين يعانون ـ أي: يقاسون ـ المكائد، ويعد حالهم في السياسات المدنية والملية، ويجبرون قسراً على الصراط المستقيم، ويعتمد على تمام العقل؛ وتمام الجثة، وذلك بخمس عشرة سنة في الأكثر، ومن علامات هذا البلوغ: الاحتلام، وإنبات العانة.

والصلاة لها اعتباران: فباعتبار كونها وسيلة؛ فيما بينه وبين مولاه، منقذة عن التردي في أسفل السافلين، أمر بها عند البلوغ الأول، وباعتبار كونها من

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٥ و٤٩٦) في الصلاة، وإسناده حسن. انظر جامع الأصول (١٨٧/٥).

شعائر الإسلام؛ يؤاخذون بها، ويجبرون عليها، أشاؤوا أم أبَوا، حكمها حكم سائر الأمور، ولما كان سن العشر برزخاً بين الحدين؛ جامعاً بين الجهتين؛ جعل له نصيباً منهما[(١)].

٤ـ تدريب الأطفال على حضور صلاة الجمعة:

عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فعليه الجمعة؛ إلا مسافراً؛ أو مملوكاً؛ أو صبياً؛ أو امرأة؛ أو مريضاً، فمن استغنى عنها بلهوٍ أو تجارة، استغنى الله عنه، والله غني حميد»[(٢)].

ثم علق الإمام الكاساني في «البدائع» على الحديث بقوله: «فصلاة الصبي تكون تطوعاً»[(٣)].

وبتدريب الصبي على صلاة الجمعة تحصل له عدة فوائد جمة، منها:

١ـ عندما يبلغ يكون معتاداً على إقامتها.

٢ـ تأثره بسماع الخطبة، إذ فطرته تكون حسّاسة لالتقاط أحاديث الإيمان، وسيرة الرسول ﷺ، كما هي تدريب له لسماع العلم.

٣ـ يألف تجمعات المسلمين، ويشعر بدخوله للمجتمع، إذ لا بد أن يتعرف على من يعرفهم والده.

٤ـ على رأي من قال: بأن الساعة المستجابة في يوم الجمعة؛ هي لحظة الخطبة؛ فيكون من الحاضرين لهذه الساعة المستجابة؛ التي حدث عنها الرسول ﷺ.

٥ـ تكون تغذية إيمانية، وشحناً روحياً؛ على إقامة الصلوات الخمس، وطاعة الله بين الجمعة والجمعة.

٦ـ يتعرف بها على علماء الأمة ودعاتها، مما له كبير الأثر في كبره، فضلاً عن صغره.

---

(١) حجة الله البالغة، للدهلوي (١/ ١٨٦).

(٢) الحديث رواه أبو داود عن طارق بن شهاب قال: قال رسول الله ﷺ: «الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا على أربعة: عبد مملوك أو امرأة أو صبي أو مريض» ورواه الدارقطني (٢/ ٣).

(٣) بدائع الصنائع (١/ ٢٥٩).

٧ـ بصلاة الجمعة يحصل له بناء شخصية بكامل عناصرها: العقدية؛ والعبادية؛ والاجتماعية؛ والعاطفية؛ والعلمية؛ والجسمية؛ والصحية؛ والتهذيب الجنسي. والله أعلم.

٥ـ نموذج للأطفال في قيام الليل:

لم يكتف أطفال الصحابة بالمحافظة على الصلوات الخمس، إنما تعدوها إلى النوافل؛ في قيام الليل، كما فعل ابن عباس رضي الله عنهما، فقد أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: بِتُّ في بيت خالتي ميمونة بنت الحارث؛ زوج النبي ﷺ؛ وكان النبي ﷺ عندها في ليلتها، فصلى النبي ﷺ العشاء؛ ثم جاء إلى منزله؛ فصلى أربع ركعات، ثم نام، ثم قام؛ ثم قال: «نام الغليم» أو كلمة تشبهها، ثم قام، فقمتُ عن يساره، فجعلني عن يمينه، فصلى خمس ركعات، ثم صلى ركعتين، ثم نام حتى سمعت غطيطه أو خطيطه، ثم خرج إلى الصلاة».

وفي رواية ابن خزيمة في صحيحه (٣/ ١٧): عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

بتُّ في بيت خالتي ميمونة، فتتبعتُ كيف يصلي رسول الله ﷺ، ثم قام يصلي؛ فجئت؛ فقمت إلى جنبه، فقمت عن يساره، وقال: فأخذني؛ فأقامني عن يمينه، قال المحقق مصطفى الأعظمي: ورواه مسلم من طريق بندار.

أرأيت إلى هذه الطفولة التي تهتم بحركات حبيبها ﷺ، وأن تصلي معه بعد النوم من الليل؟! ثم إلى هذا الاهتمام من الرسول ﷺ بصلاة الطفل الصغير معه، فيصحح له، ويجعله عن يمينه، بل هكذا كان شأنه ﷺ، أن يصلي مع الكبار والصغار، والرجال والنساء، ويُدخل الفرح إلى البيوت المسلمة:

فقد أخرج الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه أنه كان هو ورسول الله ﷺ وأمه وخالته، فصلى بهم، فجعل أنساً عن يمينه، وأمه وخالته خلفهما. ورواه الشافعي في مسنده.

ومن القصص الطريفة اللطيفة، التي يقف الإنسان أمامها متعجباً، لنباهة

صاحبها، المحاورة التالية، بين الطفل أبي يزيد طيفور بن عيسى البسطامي وأبيه:

قال الشيخ ابن ظفر المكي[1]: بلغني أن أبا يزيد طيفور بن عيسى البسطامي رضي الله عنه لما حفظ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل: ٧٣/ ١ـ٢] قال لأبيه: يا أبت! من الذي يقول الله تعالى له هذا؟ قال: يا بني ذلك النبي محمد ﷺ، قال: يا أبت! ما لك، لا تصنع كما صنع ﷺ، قال: يا بني! إن قيام الليل خصص به ﷺ، وبافتراضه دون أمته، فسكت عنه، فلما حفظ قوله سبحانه وتعالى: ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ [المزمل: ٧٣/ ٢٠] قال: يا أبت! إني أسمع أن طائفة كانوا يقومون الليل؛ فمن هذه الطائفة؟ قال: يا بني! أولئك الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، قال: يا أبت! فأي خير في ترك ما عمله النبي ﷺ وأصحابه؟! قال: صدقتَ يا بني! فكان أبوه بعد ذلك؛ يقوم من الليل ويصلي، فاستيقظ أبو يزيد ليلةً، فإذا أبوه يصلي، فقال: يا أبت! علمني كيف أتطهر وأصلي معك، فقال أبوه: يا بني! ارقد فإنك صغيرٌ بعدُ، قال: يا أبت! إذا كان يوم يصدرُ الناس أشتاتاً؛ ليُرَوْا أعمالهم، أقول لربي: إني قلت لأبي كيف أتطهر؛ لأصلي معك؛ فأبى، وقال لي: ارقد، فإنك صغير بعد، أتحب هذا؟ فقال له أبوه: لا والله يا بني! ما أحب هذا، وعلَّمه، فكان يصلي معه.

٦ـ تعويد الطفل على صلاة الاستخارة:

روى ابن السني[2] أن النبي ﷺ قال: «يا أنس! إذا هممتَ بأمر، فاستخرْ ربكَ فيه سبع مرات، ثم انظر إلى الذي يسبق إلى قلبك، فإن الخير فيه».

٧ـ اصطحاب الأطفال لصلاة العيد:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ كان يخرج في العيدين مع الفضل بن العباس؛ وعبد الله بن عباس، والعباس؛ وعلي؛ وجعفر؛ والحسن؛ والحسين؛ وأسامة بن زيد؛ وزيد بن حارثة، وأيمن بن أم أيمن، رافعاً

(١) في كتابه: أنباء نجباء الأبناء (ص١٥٠).
(٢) رقم (٦٠٣) كتاب «عمل اليوم والليلة» لابن السني.

صوته بالتهليل والتكبير، فيأخذ طريق الحدادين حتى يأتي المصلى، فإذا فرغ رجع على الحذائين حتى يأتي منزله. رواه ابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٣٤٣) قال المحقق مصطفى الأعظمي: إسناده ضعيف.

الأساس العبادي الثاني ـ الطفل والمسجد:

١ ـ أخذ الطفل إلى المسجد:

المسجد هو الصرح الذي يبني الأجيال تلو الأجيال، ولقد كان وما زال، هو المصدّر لأجيال باعوا أنفسهم لله، وساروا على منهجه، واقتدوا برسولهم، لهذا عني أطفال الصحابة بالصلاة مع رسول الله ﷺ في المسجد، فهذا جابر بن سمرة يحدثنا عن طفولته وصحبته لرسول الله ﷺ.

روى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى يعني صلاة الظهر؛ ثم خرج إلى أهله؛ وخرجت معه، فاستقبله ولدان ـ أي: صبيان ـ فجعل ﷺ يمسح خدَّي أحدهم؛ واحداً واحداً، قال جابر: وأما أنا فمسح خدي، فوجدت ليده برداً؛ وريحاً؛ كأنما أخرجها من جُونة عطّار».

ويكون أخذ الطفل للمسجد، عندما يستطيع الطفل قضاء حاجته بنفسه، ويصبح نظيفاً؛ فلا يتبول؛ ولا يتغوط تحته، وإنما يذهب إلى بيت الخلاء بنفسه، ويكون قد تعلم آداب المسجد: من دخول بهدوء؛ ووضع الحذاء في مكانه المخصص، وطيّه على بعض في أثناء السير، وعدم الركض في المسجد، والابتعاد عن مزاحمة الكبار، والانتباه واليقظة للخطبة، والدرس؛ والصلاة، وعدم العبث.. الخ.

وقد سئل الإمام مالك رضي الله عنه، عن رجل يأتي بالصبي إلى المسجد، أيستحبُّ ذلك؟ قال: إن كان قد بلغ موضع الأدب، وعرف ذلك، ولا يعبث، فلا أرى بأساً، وإن كان صغيراً لا يقر فيه، ويعبث فلا أحب ذلك[1].

وقد طلب الرسول ﷺ من أئمة المساجد أن يخففوا من الصلاة رأفة بالأطفال، الأمر الذي دل على جواز صلاة الأطفال، وأخذهم إلى المسجد.

---

(١) انظر: التربية في الإسلام، تحقيق د. أحمد الأهواني (ص٢٨٢).

أخرج البخاري ومسلم عن عقبة بن عمرو البدري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح؛ من أجل فلان، مما يطيل بنا، فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قطّ؛ أشد مما غضب يومئذ، فقال: «يا أيها الناس! إن منكم منفرون، فأيكم أمّ الناسَ فليوجز، فإن من ورائه الكبير؛ والصغير؛ وذا الحاجة».

وبحضور الطفل الصلاة في المسجد، فإنه يشارك المسلمين في حفظ عدد الركعات:

فعن إبراهيم بن سويد قال: صلى بنا علقمة الظهر، فصلى خمساً، فلما سلم، قال القوم: يا أبا شبل! قد صليت خمساً، قال: كلا، ما فعلتُ، قالوا: بلى! قال: فكنتُ في ناحية القوم؛ وأنا غلام، فقلت: بلى قد صليت خمساً، قال لي: وأنت أيضاً يا أعور! تقول ذلك؟ قلت: نعم، فأقبل فسجد سجدتين ثم سلم، ثم قال عبد الله: صلى بنا رسول الله ﷺ خمساً، فلما انفتل توسوس القوم بينهم، فقال: «ما شأنكم؟ قالوا: يا رسول الله! هل زيد في الصلاة؟ قال: «لا»، قالوا: فإنك قد صليت خمساً، فانفتل؛ فسجد سجدتين، ثم سلم، ثم قال: «إنما أنا بشر أنسى كما تنسون». رواه ابن خزيمة في صحيحه (٢/ ١٣٣) قال المحقق مصطفى الأعظمي: ورواه مسلم(١).

كيف يصف الأطفال مع الرجال في صلاة الجماعة؟

عن عبد الله بن غنم عن أبي مالك الأشعري عن رسول الله ﷺ أنه كان يُسوي بين الأربع ركعات: في القراءة؛ والقيام، ويجعل الركعة الأولى هي أطولهن؛ لكي يثوب الناس، ويجعل الرجال قدّام الغلمان، والغلمان خلفهم، والنساء خلف الغلمان. رواه أحمد.

ولأبي داود عنه قال: ألا أحدثكم بصلاة النبي ﷺ؟! قال: فأقام الصلاة، وصف الرجال، وصف خلفهم الغلمان؛ ثم صلى لهم، فذكر صلاته.

---

(١) ورواه ابن خزيمة في صحيحه (٣/ ١٩).

وعن أنس قال: صليتُ أنا واليتيم في بيتنا خلف النبي ﷺ، وأمي خلفنا، وأم سليم. رواه البخاري[1].

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ليليني منكم أولو الأحلام والنهى؛ ثم الذين يلونهم؛ ثم الذين يلونهم، ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، وإياكم وهيشات الأسواق» رواه الحاكم في مستدركه (٢/ ٨) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجه البخاري وأقره الذهبي. ورواه ابن خزيمة في صحيحه (٣/ ٣٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «صليت إلى جنب النبي ﷺ، وعائشة خلفنا معنا، وأنا إلى جنب النبي ﷺ أصلي معه».

رواه ابن خزيمة في صحيحه (٣/ ٦٧) بسند حسن.

٢ـ ربط الطفل بالمسجد:

نظرة[2] ربط الطفل بالمسجد نظرة صحيحة، لا معدل عنها، إنقاذاً لهذه البراعم من المفسدة.

وربطاً بالتاريخ نذكر أن تونس وبقية الشمال الإفريقي، قد مرت بها محنة الأفكار الحاكمية، التي ادعى فيها صاحبها الألوهية، مما لو تم له؛ لأصبحت ديار الإسلام خراباً، فقد وفق الله لدفع هذه المحنة؛ المربي الصالح: محرز بن خلف الصديقي المتوفى سنة ٤١٣، فأخذ يعلم الأطفال في بعض المساجد، لا كتعلم المؤدبين؛ الذين ليست غايتهم إصلاحية، وإنما هو تعليم مرب صالح، ينظر نظرة بعيدة؛ لا مرمى لها إلا تكوين الطفل التكوين الإسلامي، وقد أشار إلى هذا المعنى هو: **تحبيب الإسلام إلى قلوب الأطفال**، أبو عبد الله محمد بن أبي زيد القيرواني في رسالته الشهيرة، رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١/ ٢٣) التي نفع

---

(١) نؤكد مرة ثانية أن الاستشهاد بالحديث الشريف في هذا الكتاب هو للجانب التربوي، وليس الجانب الفقهي.

(٢) من كلمة الشيخ محمد الشاذلي في مؤتمر رسالة المسجد بمكة (١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م) عن كتاب: مؤتمر بحوث: رسالة المسجد (ص٤٤٦).

الله بها الإسلام، النفع العام التام، فقال في طالعتها:

وبعد: أعاننا الله وإياك، على رعاية ودائعه، وحفظ ما أودعنا من شرائعه، فإنك سألتني: أن أكتب لك جملة مختصرة؛ من واجب أمور الديانة، مما تنطق به الألسنة، وتعتقده القلوب، وتعمله الجوارح، وما يتصل بالواجب من ذلك، لما رغبت فيه، من تعليم ذلك للولدان، كما تعلمهم حروف القرآن، ليسبق إلى قلوبهم من دين الله وشرائعه، ما تُرجى لهم بركته، وتحمد عاقبته، فأجبتك إلى ذلك، لما رجوته لنفسي ولك من ثواب تعليم دين الله، والدعوة إليه.

واعلم أن خير القلوب؛ وأوعاها للخير؛ وأرجى القلوب للخير؛ ما لم يسبق الشر إليه، وأولى ما عني به الناصحون، ورغب في أجره الراغبون: إيصال الخير إلى قلوب أولاد المؤمنين، لكي يرسخ فيها، وتنبيههم على معالم الديانة، وحدود الشريعة، لكي يراضوا عليها» انتهى.

وإذا علمنا أنه يجوز تعليم الأطفال[1] إذا لم يأخذ عليه أجراً، كما قال الشيخ أنور الكشميري[2]: قلنا: إن المسجد الذي خرّج أطفال الصحابة، والسلف الصالح، قادر أن يخرج أمثالهم، إذا وجه الآباء والأمهات أطفالهم نحو المسجد، ترغيباً لا تنفيراً، وتحبيباً لا تقبيحاً، وتشجيعاً لا تخذيلاً.

كذلك إذا وعى الكبار دورهم في المسجد، نحو الأطفال الذين يردون المسجد، فواجبهم النصح اللطيف، والموعظة الحسنة، والرفق واللين، وبسط الجناح، والتواضع، وإشعارهم بالعطف والحنان، وذلك ليعيد الطفل زيارته للمسجد والصلاة، وحضور الدرس فيه، وكم رأينا كباراً في السن منفرين، فكانوا سبباً لانحراف كثير من الأطفال، بالصراخ عليهم؛ وطردهم من المساجد، وهذا من مصائب الأمة، تحتاج من إمام المسجد نصح هؤلاء وتنبيههم.

---

(١) أي: في المسجد.

(٢) فيض الباري على شرح صحيح البخاري (١/ ٢٣٠).

الأساس العبادي الثالث ـ الصوم:

عبادة الصوم روحية جسدية، يتعلم منها الطفل الإخلاص الحقيقي لله تعالى، ومراقبته له في السر، وتتربى إرادة الطفل بالبعد عن الطعام رغم الجوع، والبعد عن الماء رغم العطش.

كما يقوى على كبح جماح رغباته، ويتعود فيه الطفل الصبر والجلد، وقد ربى الصحابة أطفالهم على عبادة الصيام، فعَنْوَنَ الإمام البخاري في صحيحه ـ باب: صوم الصبيان ـ وأورد حديث عمر حيث قال عمر لنشوان وقد أفطر في رمضان: ويلك وصبياننا صيام! فضربه.

قال الحافظ ابن حجر معلقاً على الحديث:

قوله: باب: صيام الصبيان؛ أي: هل يشرع أم لا؟ والجمهور على أنه لا يجب على من دون البلوغ، واستحب جماعة من السلف؛ منهم ابن سيرين والزهري، وقال به الشافعي، أنهم يؤمرون به؛ للتمرين عليه؛ إذا أطاقوه، وحدّه بالسبع؛ والعشر كالصلاة، وحدّه إسحاق باثنتي عشر سنة، وأحمد في رواية بعشر سنين، وقال الأوزاعي: إذا أطاق صوم ثلاثة أيام تباعاً؛ لا يضعف فيهن حمل على الصوم، والأول قول الجمهور، والمشهور عند المالكية أنه لا يشرع في حق الصبيان، ولقد تلطف المصنف ـ أي: الإمام البخاري ـ في التعقيب عليه بإيراد أثر عمر؛ في صدر الترجمة، لأن أقصى ما يعتمد في معارضة الأحاديث، دعوى عمل أهل المدينة على خلافها، ولا عمل يستند إليه أقوى من العمل في عهد عمر، مع شدة تحريه، ووفور الصحابة في زمانه، وقد قال للذي أفطر في رمضان؛ موبخاً له: كيف تفطر وصبياننا صيام؟ وأغرب ابن الماجشون من المالكية فقال: إذا أطاق الصبيان الصيام ألزموه، فإذا أفطروا لغير عذر؛ فعليهم القضاء»[1].

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري (٥/١٠٣).

ومن اهتمام الصحابة بصيام أطفالهم، أنهم يهيئون لهم اللعب أثناء الصيام، ليتسلوا بها؛ فلا يشعرون بطول النهار:

أخرج البخاري ومسلم عن الرُّبَيِّع بنتِ مُعَوِّذ قالت: أرسل رسول الله ﷺ صبيحة يوم عاشوراء، إلى قرى الأنصار: «من كان أصبح صائماً؛ فليتم صومه، ومن كان أصبح مفطراً فليصم بقية يومه»، فكنا نصومه بعد ذلك، ونُصَوِّم صبياننا الصغار منهم، ونذهب إلى المسجد؛ فنجعل لهم اللعبة من العهن ـ أي الصوف ـ فإذا بكى أحدهم من الطعام، أعطيناه إياه، حتى يكون عند الإفطار.

قال الحافظ ابن حجر[1] معلقاً: «وفي الحديث حجة على مشروعية تمرين الصبيان على الصيام. كما تقدم، لأن من كان في مثل السن الذي ذكر في هذا الحديث، فهو غير مكلف، وإنما صنع لهم ذلك للتمرين».

وكان الصحابة رضوان الله علهيم يجمعون أطفالهم، ويدعون الله عزّ وجلّ لحظة الإفطار، رجاء استجابة الدعاء؛ في تلك اللحظة المباركة:

روى أبو داود الطيالسي عن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «للصائم عند إفطاره دعوة مستجابة»[2]، فكان عبد الله بن عمر إذا أفطر، دعا أهله؛ وولده؛ ودعا» ولا بأس باعتكاف الصبي العاقل في العشر الأواخر من رمضان حيث إن البلوغ ليس شرطاً لصحة الاعتكاف، فيصح من الصبي العاقل، لأنه من أهل العبادة، كما يصح منه صوم التطوع، كما قال الكاساني في البدائع[3].

الأساس العبادي الرابع ـ الحج:

قال الحافظ ابن حجر: قال ابن بطال: أجمع أئمة الفتوى على سقوط

---

(١) المصدر السابق (٥/ ١٠٤ـ١٠٥).

(٢) ورواه البيهقي في شعب الإيمان، وهو حديث ضعيف. انظر ضعيف الجامع رقم (٤٧٥٠) ت الألباني.

(٣) البدائع (٢/ ٤٤٢) وانظر المستدرك (١/ ٤٨١).

الفرض عن الصبي حتى يبلغ، إلا أنه إذا حُجَّ به؛ كان له تطوعاً عند الجمهور[1].

وحيث الحج مثل الصوم والصلاة يعود الطفل على هذه العبادات؛ ليعتاد الصلة بالله تعالى، ومناجاته، والاستجابة لأوامره، وليتهيأ للتكليف الذي ينتظر عند بلوغه، فلا يجده صعباً؛ وشاقاً عليه، وإنما مألوفاً لديه.

والحج ـ كما هو معروف ـ يجمع مشقات العبادات كلها، بالإضافة إلى أنه يجمع لذتها جميعاً، فإذا ما حجَّ الصبي، فهذه بشارة على سلوك الطاعة لله في المستقبل إن شاء الله.

أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أقبلتُ راكباً على حمار أتانٍ، وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام، ورسول الله ﷺ يصلي بالناس بمنى إلى غير جدارٍ، فمررتُ بين يدي بعض الصف، فنزلتُ؛ وأرسلتُ الأتان ترتع ودخلتُ في الصف؛ فلم ينكر ذلك عليَّ أحدٌ. قال ابن حجر في الفتح (٢/ ٢٧٦): «ناهزَ الاحتلام: أي قاربه».

وعن أسامة بن زيد قال: كنت ردف النبي ﷺ بعرفة. رواه الحاكم في مستدركه (٣/ ٥٩٧) وسكت عنه.

وإذا بلغ الأطفال الحلم، فعليهم حجة الإسلام، لأنه لا حج على الصبي لكونه غير مخاطب، وما فعله قبل البلوغ؛ يكون تطوعاً، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أيما صبي؛ حج عشر حجج؛ ثم بلغ، فعليه حجة الإسلام»[2].

وروى الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إذا حجَّ الصبي؛ فهي له حجةٌ حتى يعقل، وإذا عقل فعليه حجة أخرى» وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي على التصحيح.

وروى الخطيب في التاريخ والضياء المقدسي في المختارة عن ابن عباس

---

(١) الفتح (٤/ ٤٤٢) وانظر بذل المجهود (٨/ ٣١٩).
(٢) بدائع الصنائع للكاساني (٢/ ١٢٠).

رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أيما صبي حجّ، ثم بلغ الحِنْثَ، فعليه أن يَحُجَّ حجة أخرى»[1].

وروى ابن عدي في الكامل والبيهقي في جمع الجوامع عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لو حج صغير حجة، كانت عليه حجةٌ إذا بلغ؛ إن استطاع إليه سبيلاً»[2].

وإن النبي ﷺ لينبه الأطفال، ويعلمهم، ويرشدهم، أثناء الحج إلى أهمية يوم عرفة، وهم يقومون بأداء مناسك الحج، كل ذلك بخطاب عاطفي مؤثر:

روى الإمام أحمد في مسنده، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «ابن أخي! إن هذا اليوم من مَلَكَ فيه سمعهُ؛ وبصرهُ؛ ولسانهُ؛ غُفر له، يعني: يوم عرفة»[3].

وفي رواية البيهقي في «شعب الإيمان»: «يا بن أخي! إن هذا يومٌ، من ملك فيه بصره؛ إلا من حقٍّ، وسمعه؛ إلا من حقٍّ، ولسانه؛ إلا من حق، غُفر له، يعني: يوم عرفة»[4].

لطيفة فقهية:

١ ـ قال الإمام الكاساني ـ الحنفي ـ في البدائع:

ولو أحرم الصبي، ثم بلغ قبل الوقوف بعرفة، فإن مضى على إحرامه يكون حجة تطوعاً. عندنا، وعند الشافعي يكون عن حجة الإسلام؛ إذا وقف بعرفة وهو بالغ، وهذا بناء على أن من عليه حجة الإسلام، إذا نوى النفل يقع عن النفل عندنا، وعنده يقع عن الفرض.

---

(١) كنز العمال (٥/ ٩٩). حديث صحيح. انظر صحيح الجامع رقم (٢٧٢٩) ت الألباني.
(٢) الكنز (٥/ ٤٥).
(٣) الكنز (٥/ ٦٨).
(٤) المصدر السابق.

ولو جدد الإحرام؛ بأن لبى أو نوى حجة الإسلام، ووقف بعرفة، وطاف طواف الزيارة، يكون عن حجة الإسلام بلا خلاف(١).

٢ـ قال الإمام الشافعي في مناسك الحج:

«إن الله عزّ وجلّ بفضل نعمته؛ أثاب الناس على الأعمال أضعافها، ومنّ على المؤمنين، بأن ألحق بهم ذرياتهم، ووفر عليهم أعمالهم، فقال: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الطور: ٥٢/ ٢١] فلما منَّ على الذراري بإدخالهم جنته بلا عمل، كان أن مَنّ الله عليهم؛ بأن يكتب عمل البر في الحج، وإن لم يجب عليهم في ذلك المعنى»(٢).

ما ورد في حج أطفال الصحابة:

روى مسلم ومالك وأبو داود والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لقي ركباً بالرَّوْحَاء(٣) فقال: «مَن القوم؟» قالوا: المسلمون، فقالوا: من أنت؟ قال: «رسول الله» فرفعت امرأة صبياً، فقالت: ألهذا حج؟ قال: «نعم، ولك أجر».

وروى أحمد والبخاري والترمذي وصححه عن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: حُجَّ بي مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع؛ وأنا ابن سبع سنين.

وروى النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «جهاد الكبير؛ والصغير؛ والضعيف؛ والمرأة: الحج والعمرة».

وروى ابن السني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جاء غلام إلى النبي ﷺ فقال: إني أريد الحج، فمشى معه رسول الله ﷺ فقال: «يا غلام! زودك الله التقوى، ووجهك في الخير، وكفاك الهَمّ» فلما رجع الغلام على النبي ﷺ فقال: «يا غلام! قبل الله حجك، وغفر ذنبك، وأخلف نفقتك».

---

(١) البدائع (٢/ ١٢١).

(٢) انظر كتاب الاعتقاد للبيهقي (ص٧٦).

(٣) مكان بقرب المدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام.

وهذا إن دلّ فإنما يدل على اهتمام الرسول ﷺ بهذا الركن العبادي بالنسبة للأطفال، فيمشي معهم، ويدعو لهم، في الذهاب والإياب.

بقي سؤال أخير: هل إذا أخطأ الصبي في أعمال الحج عليه كفّارات؟

قال يحيى بن محمد: معنى قول أبي حنيفة على ما ذكره أصحابه، أنه لا يصح صحة يتعلق بها وجوب الكفارات عليه؛ إذا فعل محظورات الإحرام، زيادة في الرفق، لا أنه يخرجه من ثواب الحج(١).

الأساس العبادي الخامس ـ الزكاة(٢):

أخرج أبو داود عن عمرو بن شعيب رحمه الله عن أبيه عن جده: أن امرأة أتت رسول الله ﷺ ومعها ابنة لها، وفي يد ابنتها مَسكتان غليظتان من ذهب، فقال لها: «أتعطين زكاة هذا؟» قالت: لا، قال: «أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟» فخلعتهما؛ فألقتهما إلى النبي ﷺ وقالت: هما لله ولرسوله.

وأما عن زكاة الفطر:

أخرج البخاري ومسلم ومالك والنسائي وأبو داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر، صاعاً من تمر؛ أو صاعاً من شعير؛ على كل عبد؛ وحُرٍّ، صغيرٍ أو كبير(٣).

ونلاحظ أن هذه العبادة فرض وليست نفلاً، ومن هنا نلاحظ حرص الإسلام على بقاء الأموال طاهرة مزكاة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ٩/ ١٠٣].

☆ ☆ ☆

---

(١) بذل المجهود (٨/ ٣١٩).

(٢) الشافعية قالوا بفرض الزكاة على الأطفال، والحنفية قالوا بعدم فرضيتها. انظر بدائع الصنائع (٢/ ٤ـ٥).

(٣) ورواه الدارقطني عن ابن عباس (٢/ ١٥٠) وعن جابر (٢/ ١٥١).

الباب الثالث

«البناء الاجتماعي»

أخرج البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه:

«أنه مرّ على صبيان فسلم عليهم وقال: «كان رسول الله ﷺ يفعله».

تمهيد:

أسس البناء الاجتماعي:

الأساس الأول: اصطحاب الطفل لمجالس الكبار.

الأساس الثاني: إرسال الطفل لقضاء الحاجات.

الأساس الثالث: تعويد الطفل سنة السلام.

الأساس الرابع: عيادة الطفل إذا مرض.

الأساس الخامس: اتخاذ الطفل أصدقاء من الأطفال.

الأساس السادس: تعويد الطفل البيع والشراء.

الأساس السابع: حضور الأطفال للحفلات المشروعة.

الأساس الثامن: مبيت الطفل عند أقربائه الصالحين.

خاتمة: نموذج عملي من اجتماعية الرسول ﷺ مع الأطفال.

تمهيد:

ونقصد ببناء الطفل اجتماعياً: أن يكون متكيفاً مع وسطه الاجتماعي، سواء مع الكبار؛ أو مع الأصدقاء ومن هم في سنه، وليكون فعّالاً إيجابياً، بعيداً كل البعد عن الانطواء؛ والخجل المقيت، يأخذ ويعطي بأدب واحترام، ويبيع ويشتري، ويخالط ويعاشر، ومن خلال التأمل في الأحاديث النبوية نجد هناك أموراً خصها الرسول ﷺ في تكوين الطفل اجتماعياً، وهي:

الأساس الاجتماعي الأول ـ اصطحاب الطفل إلى مجالس الكبار:

كان الأطفال يحضرون مجالس النبي ﷺ، وكان آباؤهم يأخذونهم إلى تلك المجالس؛ الطيبة الطاهرة، فهذا عمر يصحب ابنه إلى مجلس رسول الله ﷺ:

أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أخبروني بشجرة، مَثَلها مثل المسلم؛ تؤتي أكلها كل حين، بإذن ربها، ولا تحتّ ورقها» فوقع في نفسي النخلة، فكرهت أن أتكلم؛ وثَم أبو بكر؛ وعمر، فلما لم يتكلما، قال النبي ﷺ: «هي النخلة» فلما خرجتُ مع أبي، قلت: يا أبتاه! وقع في نفسي النخلة قال: ما منعك أن تقولها؟ لو كنتَ قلتها؛ كان أحبّ إليّ من كذا وكذا، قال: ما منعني إلا أني لم أرَكَ؛ ولا أبا بكر؛ تكلمتما، فكرهتُ. وفي رواية: فإذا أنا أصغر القوم، فسكتُّ.

وكان ﷺ يعاشر ويخالط الأطفال: فعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يخالطنا، حتى يقول لأخ لي صغير: «يا أبا عمير! ما فعل النُّغَير؟!» طائر كان يلعب به، ونُضِح بساط لنا، قال: فصلى عليه، وصففنا خلفه. رواه أحمد (٣/ ١١٩).

ففي أخذ الطفل إلى مجالس الكبار تظهر نواقصه واحتياجاته التربوية، فيستطيع المربي عند ذلك توجيهه نحو الكمال، ويشجعه على الجواب، عندما يُطرح سؤال، فيتكلم بعد استئذان، بكل أدب ووقار، فينمو عقله، وتتهذب نفسه، وينطلق لسانه، ويتعرف إلى أحاديث الكبار شيئاً فشيئاً، فيتهيأ لدخول

المجتمع، وهكذا يتدرج رويداً رويداً، بتدريب والده له، وما قلناه عن الصبي مع والده، يقال عن البنت مع أمها.

وروى ابن سعد وابن جرير وابن المنذر والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر، فقال له عبد الرحمن بن عوف: لِمَ تُدخل هذا الفتى معنا؟ ولنا أبناء مثله؟!

فقال: إنه ممن قد علمتهم، فدعاهم ذات يوم، ودعاني، وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١١٠/ ١] حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا الله أن نحمده؛ ونستغفره إذا جاء نصر الله، وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، وبعضهم لم يقل شيئاً، فقال لي: يا بن عباس! أكذلك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أَجَلُ رسول الله ﷺ، أعلمه الله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ والفتح: فتح مكة، فذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١١٠/ ١ـ٣] فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم.

وفي رواية الحاكم في مستدركه (٣/ ٥٤٠) قال المهاجرون لعمر بن الخطاب: «ادعُ أبناءنا؛ كما تدعو ابن عباس، قال: ذاكم فتى الكهول، إن له لساناً سؤولاً، وقلباً عقولاً».

وعن أبي جُحيفة رضي الله عنه ـ وهو من صغار الصحابة ـ قال: كنت عند النبي ﷺ، فقال لرجل عنده: «لا آكلُ متكئاً». رواه البخاري وأحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذي وأبو يعلى في مسنده (٣/ ١٨٦) بسند صحيح. هكذا حضر الطفل الصحابي مجلس رسول الله ﷺ ثم روى الحديث عنه.

وإن رسول الله ﷺ ليصحب الأطفال معه في الطريق، ويركب معهم على الدابة، دون تأفف أو ازدراء، وإنما بمحبة ورحمة، وما حديث ابن عباس رضي الله عنهما حينما قال: كنتُ خلف النبي ﷺ يوماً فقال: يا غلام... الحديث، إلا دليل أكيد لما تقدم.

ويحدث النبي ﷺ عن حضوره مجالس الكبار؛ واجتماعاتهم، وهو غلام فيقول: «شهدتُ وأنا غلام حِلفاً، مع عمومتي المطيبين، فما أُحب أن لي حمر النعم[1]، وأني أنكُثه». رواه أبو يعلى بسند صحيح في مسنده (٢/ ١٥٧) ورواه أحمد (١/ ١٩٠).

وإنّ رسول الله ﷺ لينبه الرجال إلى أدب المجلس؛ عندما يحضره الأطفال، روى الطبراني عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُجلس بين الرجل وابنه في المجلس».

ومن صور اختلاط الطفل بالكبار، ودخوله مجالسهم، ويستوي في ذلك الصبي والبنت، أنّ عمر رضي الله عنه؛ ينبّه إلى فائدته في الكبر، فيعرف الناس أن فلاناً لديه بنت للزواج، وهو يعرفها في صغرها، فيرغب في تزويجها لولده، فيتقدم للخطبة، أو أن الصبي وقعت في نفسه تلك الفتاة، فيجهز نفسه في الكبر لزواجه منها:

فقد روى الإمام عبد الرزاق في مصنفه[2] عن ابن جريج قال: أخبرت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أبرزوا الجارية التي لم تبلغ، لعل بني عمها أن يرغبوا فيها.

ومن صور اجتماعية الأطفال مع الكبار، أن يجلس الكبار معهم، فيحدثونهم، وينصحونهم، ويوجهونهم، وينقلون إليهم توجيهات ولي أمر المسلمين:

روى عبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٨٤) أنّ ابن سيرين قال: «جلس إلينا رجل؛ ونحن غلمان، فقال: كتب إلينا عمر بن الخطاب زمن كذا وكذا: أن اتّزروا، وارتدوا، وانتعلوا، وقابلوا النعال[3]، وعليكم بعيش معدّ، وذروا

(١) «حمر النعم»: هي الإبل الحمراء، تكون باهظة الثمن لندرتها؛ لذا يضرب بها المثل.
(٢) المصنف (٦/ ١٥٦) باب: إبراز الجواري والنظر عند النكاح.
(٣) أي: اعملوا لها قبالاً، والقبال: زمام النعال وهو السير الذي يكون بين الإصبعين.

التنعم؛ وزيّ الأعاجم». هكذا جلس السلف الصالح مع الأطفال، ينقلون إليهم التوجيهات العمرية المفيدة، ليكونوا شخصية فذة؛ في مستقبل حياتهم.

الأساس الاجتماعي الثاني ـ إرسال الطفل لقضاء الحاجات:

وهذا عامل هام في نشوء الطفل اجتماعياً، إذ أن قضاء الحاجات للمنزل؛ أو لأحد الوالدين، ذو أثر فعال؛ وإيجابي، في حياة الطفل، فعال في طفولته، إذ هو يتعرف على مجاهيل الحياة، فيشعر بفرح، ونشوة المعرفة، وثقة في مواجهة الأمور، وفعال في مستقبله، إذ يكون قد اكتسب مهارة؛ وخبرة في طفولته؛ التي تمكنه من متابعة حياته، بخطى ثابتة، مركزة بدون خلل؛ أو اضطراب.

أخرج الإمام أحمد والبخاري ومسلم واللفظ لأحمد(١) عن ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه قال: خدمت رسول الله ﷺ يوماً، حتى إذا رأيت أني قد فرغت من خدمتي، قلت: يُقيل ـ أي: ينام بعد الظهر ـ رسول الله ﷺ فخرجت إلى صبيان يلعبون، قال: فجئت أنظر إلى لعبهم، قال: فجاء رسول الله ﷺ فسلم على الصبيان يلعبون، قال: فدعاني رسول الله ﷺ، فبعثني إلى حاجة له، فذهبت فيها، وجلس رسول الله ﷺ في فيء؛ حتى أتيته، واحتبستُ عن أمي، عن الإتيان الذي كنت آتيها فيه، فلما أتيتها، قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ في حاجة له، قالت: وما هي؟ قلت: هو سر لرسول الله ﷺ قالت: فاحفظ على رسول الله ﷺ سره، قال ثابت: قال لي أنس: لو حدثتُ به أحداً من الناس؛ أو لو كنت محدثاً به، لحدثتك به يا ثابت.

ومن الخدمة التي يتدرب الطفل على فعلها وضع مائدة الطعام، وذلك ليشارك الأسرة في العمل، ويساهم في الإعداد، ويتعرف إلى أماكن الأشياء ومسمياتها:

روى النسائي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ـ وذلك عند السحور ـ: «يا أنس! إني أريد الصيام؛ فأطعمني شيئاً» فأتيته بتمر وإناء فيه ماء، وذلك بعدما أذّن بلال، (أي: الأذان الأول للفجر) قال: «يا أنس! انظر رجلاً

(١) أثبت هذه الرواية لما فيها من زيادات مفيدة.

يأكل معي» فدعوت زيد بن ثابت فجاء، فقال: إني أريد شربة سويق، وأنا أريد الصيام، فقال رسول الله ﷺ : «وأنا أريد الصيامَ» فتسحر معه، ثم أقام؛ فصلى ركعتين؛ ثم خرج إلى الصلاة.

تلك التربية العملية التي تجعل الطفل لا ينسى، ويحدّث بها في كبره، وتزاد إلى رصيد خبرته، وتتكون شخصيته الاجتماعية، بالتفاعل مع الحياة والناس، ولا ينتابه الخجل المقيت، والتقوقع على نفسه، بل ترفده خبرته مع والديه، مما يجعله واثقاً من نفسه، لا تهزه المواقف الاجتماعية مهما اختلفت حدتها وقسوتها.

الأساس الاجتماعي الثالث ـ تعويد الطفل سنة السلام:

السلام هو التحية الإسلامية بين المسلمين، والطفل يتعرض للقاء الناس على اختلاف مستوياتهم، فهو يحتاج ليتعرف على مفتاح الكلام معهم.

ونلاحظ أسلوباً لطيفاً من الرسول ﷺ، وصحابته، في غرس سنة السلام؛ في نفس الطفل، وهو بدء الكبير بالسلام على الأطفال، حتى إذا عرفوا ذلك، فإنك تراهم يبدؤون بالسلام:

أخرج البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أنه مرّ على صبيان؛ فسلم عليهم، وقال: كان رسول الله ﷺ يفعله.

وقد تقدم قبل قليل حديث أنس رضي الله عنه فكان مما قال: فجاء رسول الله ﷺ فسلم على الصبيان وهم يلعبون.

قال الحافظ ابن حجر[1] معلقاً:

وأخرج النسائي حديث الباب من طريق جعفر بن سليمان، عن ثابت، بأتم من سياقه ولفظه: كان رسول الله ﷺ يزور الأنصار، فيسلم على صبيانهم، ويمسح رؤوسهم، ويدعو لهم[2]، وهو مشعر بوقوع ذلك منه، غير مرّة، بخلاف سياق الباب، حيث قال: مرّ على صبيان، فسلم عليهم، فإنها تدل على أنها

---

(١) في الفتح (١٣/ ٢٧٠).

(٢) صحيح. انظر صحيح الجامع رقم (٤٩٤٧) ورواه ابن حبان في صحيحه، وأبو نعيم في الحلية، والخطيب في التاريخ.

واقعة حال، ولم أقف على أسماء الصبيان المذكورين، وأخرجه مسلم والنسائي وأبو داود من طريق سليمان بن المغيرة عن ثابت بلفظ: غلمان بدل صبيان، ووقع لابن السني وأبي نعيم في عمل اليوم والليلة، من طريق عثمان بن مطر عن ثابت بلفظ، فقال: «السلام عليكم يا صبيان»، وعثمان واه، ولأبي داود من طريق حميد عن أنس: «انتهى إلينا النبي ﷺ وأنا غلام في صبيان، فسلم علينا، وأرسلني في حاجة، وجلس في الطريق؛ ينتظر حتى رجعت، قال ابن بطال: في السلام على الصبيان تدريبهم على آداب الشريعة، وفي طرح الأكابر رداء الكبر، وسلوك التواضع، ولين الجانب. ثم قال الحافظ: ويُستثنى من السلام على الصبي، ما لو كان وضيئاً؛ وخشي من السلام عليه الافتتان، فلا يشرع، ولا سيما إن كان مراهقاً منفرداً» اهـ.

وأما سلام الطفل على والديه أو الكبار فإنه يعود أن يبدأ هو بالسلام، وبخاصة عندما يدخل البيت:

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير»، وفي رواية البخاري: «والصغير على الكبير».

وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا بُنيّ إذا دخلتَ على أهلك فسلم، يكن بركة عليك؛ وعلى أهل بيتك» وقال: حديث حسن صحيح.

الأساس الاجتماعي الرابع ـ عيادة الطفل إذا مرض:

مما يساعد على بناء الروابط الاجتماعية للأطفال: عيادتهم إذا مرضوا، فعندما يرى الطفل؛ وهو ما زال في مرحلة الفطرة والصفاء؛ أن الناس الكبار يأتون إليه، فإنه يتعود هذه العادة الحسنة، كما أنها تخفف من آلامه وأسقامه، وإذا دعمت هذه الزيارة بدعوة الطفل للإسلام، وتثبيته على الإيمان، والتوبة والمغفرة إلى الله، فإن العيادة تؤتي أكلها كاملة مثمرة، مضاعفة الأجر، وهذا ما فعله ﷺ وإليك البيان:

أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ، فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «أسلم» فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار».

وهكذا تجد منه ﷺ استغلال كل فرصة؛ ليغرس شيئاً في نفس الطفل، وفي كل لقاء؛ يعلمه علماً نافعاً، وفي كل مشاهدة؛ يعوده على الخير.

الأساس الاجتماعي الخامس ـ اختيار الطفل أصدقاء له من الأطفال:

من السنن الاجتماعية الثابتة بين الناس: الصحبة والصداقة، فمن طبيعة النفس البشرية أن تخالط الناس، وتتعرف عليهم، وتتخذ من بينهم ثلة، تقترب منهم، وتعيش معهم؛ حياة الأخوة والمحبة.

فإذا أحسن الوالدان اختيار الصديق الصالح لطفلهم، فقد فتحا باباً تربوياً؛ في إصلاح هذا الطفل، وتنميته، وإذا علمنا أن الطفل سيختار طفلاً ما صديقاً، لأننا لا نستطيع أن نعاكس الفطرة، فإذاً كان من الأولى بذل المساعدة لهذا الطفل؛ في عملية اختيار الطفل؛ والصديق الصالح، الذي سيساعده على طاعة الله، وزيادة السلوك الإسلامي الصحيح، لهذا وجدنا رسول الله ﷺ يلعب في طفولته مع الأطفال، ويمر عليهم وهو الرسول القائد، وهم يلعبون، فيسلم عليهم، ولا يعنف عليهم، وهو يراهم يلعبون بشكل جماعي، ولا يطردهم، بل يدعو لهم، بأن ينزل عليهم سلام من الله ورحمة، كما مرّ في حديث أنس، فجاء رسول الله ﷺ: «فسلم على الصبيان؛ وهم يلعبون» وهذا إن دلّ على شيء؛ فإنما يدل على اهتمام الرسول ﷺ، وحرصه أن ينشأ الطفل في جو جماعي بين الأطفال؛ بعيداً عن الانزواء والعزلة.

الأساس الاجتماعي السادس ـ تعويد الطفل البيع والشراء:

إن اهتمام الرسول ﷺ بتكوين الطفل اجتماعياً واقتصادياً، يتجلى في توجيهه لكل ميادين الحياة، ليتفاعل الطفل مع الواقع الجديد؛ والمجتمع الجديد، الذي ينشأ فيه، فعملية البيع والشراء تكسبه حركة اجتماعية قوية، إذ يتعامل مع أطفال

مثله، ويتعود كيفية النشوء في هذه الحياة، ويستفيد من وقته في شيء مفيد، كما أنها تكسبه الثقة النفسية الاجتماعية، ويتحول إلى إنسان سويّ. يتعلم الجد في الحياة شيئاً فشيئاً، بعيداً عن الهزل، ويتعود الأخذ والعطاء، ويفهم الحياة، فهماً جيداً؛ صحيحاً؛ بعيداً عن الدلال المفرط، المقيت، الذي يقتل الأطفال أينما وجدوا.

بل إن رسول الله ﷺ ليدعو لهذا الطفل؛ بأن يبارك الله له تجربته، وفي صفقته: روى أبو يعلى والطبراني عن عمرو بن حريث أن رسول الله ﷺ مرّ بعبد الله بن جعفر، وهو يبيع؛ بيع الغلمان؛ أو الصبيان، قال: «اللهم بارك له في بيعه أو قال: في صفقته»، هذا الطفل الشريف بن الشريف ابن عم الرسول ﷺ يبيع ويشتري، ولم يخجل من فعله رسول الله ﷺ، بل دعا له، ألا ليت قومي يعلمون.

الأساس الاجتماعي السابع ـ حضور الأطفال الحفلات المشروعة والأعراس:

وهذا مكان تجمع آخر؛ يذهب إليه الأطفال، فيتعارفون فيه؛ على هذا الحفل الكريم، الذي سيكونون يوماً ما أحد أعضائه الأساسيين، فيشاهدون الكبار والصغار، ويسمعون الأحاديث الودية، والأفراح الجميلة، فتبتهج نفوسهم، وتتحرك مشاعرهم، وتصقل اجتماعيتهم.

فهذا رسول الله ﷺ يشاهد الصبيان في حفل الزفاف، فيقرهم على مجيئهم، وإقبالهم على الحضور، ولا ينكر عليهم، ويدعو للحاضرين جميعاً. فتشمل دعوته هؤلاء الأطفال.

أخرج الإمام أحمد[1] عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى الصبيان والنساء مقبلين، قال عبد العزيز: حسبت أنه قال: من عرس، فقام النبي ﷺ مُمْتَناً فقال: «اللهم أنتم من أحب الناس إليّ، اللهم أنتم من أحب الناس إلي، اللهم أنتم من أحب الناس إلي» يعني الأنصار، وبهذا تلاحظ اهتمام الرسول ﷺ في تكوين الطفل اجتماعياً، وأخذه إلى المجتمعات

---

(١) ورواه البخاري في كتاب النكاح، باب: ذهاب النساء والصبيان إلى العرس.

الصغيرة والكبيرة، وإلى المجالس العامة والخاصة، وإلى أماكن الأفراح.

الأساس الاجتماعي الثامن ـ مبيت الطفل عند أقربائه الصالحين:

إن خروج الطفل من بيته، إلى بيت أحد أقربائه الصالحين، ونومه عندهم، فيه تدريب له؛ على رؤية أسرة ثانية، فيتدرب على التعامل مع أقربائه، ويستفيد منهم علماً؛ وفهماً؛ وعبادة؛ وصلاحاً، كما فيه تدريب على صلة الأرحام، وزيادة أواصر المحبة مع أقربائه، بالإضافة إلى ترك أثر طيب في كبره، عندما يتذكر مبيته؛ وزيارته الطفولية؛ فيرويها؛ ويعتز بها، كما فيها تدعيم لحسن العلاقة الاجتماعية، وإذا نَبّهَ الوالدان الطفل؛ إلى الاستفادة من مبيته؛ عند أقربائه؛ من علمهم وتقواهم، كان خيراً على خير.

فهذا ابن عباس رضي الله عنهما، يعلم الأطفال جميعاً الحرص على زيارة الأقرباء الصالحين، والاستفادة منهم.

أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بتُّ في بيت خالتي ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ، وفي رواية غير البخاري: لأرقب صلاة رسول الله ﷺ... الحديث.

وفي رواية ابن خزيمة في صحيحه (٣/ ٨٩):

أنه بات عند ميمونة أم المؤمنين وهي خالته، فاضطجعت في عرض الوسادة، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها، فنام حتى انتصف الليل؛ أو قبله بقليل؛ أو بعده بقليل، استيقظ رسول الله ﷺ؛ فجلس يمسح وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران، ثم قام إلى شَنّ معلقة، فتوضأ منها، فأحسن وضوءه، ثم قام يصلي، قال ابن عباس: فقمتُ إلى جنبه، فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي، وأخذ بأذني اليمنى، ففتلها، وصلى ركعتين، ثم ركعتين خفيفتين، ثم خرج فصلى الصبح».

خاتمة ـ نموذج عملي من اجتماعية الرسول ﷺ مع الأطفال:

والآن وفي نهاية هذا الباب نضع بين يديك النموذج العملي، والقدوة الحسنة، من اجتماعية رسول الله ﷺ مع الأطفال، ليكون الختام في هذا المقام.

أخرج البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ يقال له: أبو عُمير ـ وهو فطيم ـ كان إذا جاءنا قال: «يا أبا عُمير! ما فعل النُّغَير؟» لنغرٍ كان يلعب به، وربما حضرت الصلاة وهو في بيتنا، فيأمر بالبساط الذي تحته، فيكنس؛ ثم ينفخ، ثم يقوم ونقوم خلفه، فيصلي بنا «النغير: تصغير النغر، وهو طائر صغير كالعصفور».

وإليك ـ عزيزي القارئ ـ شرحاً نفيساً، وتعليقاً لطيفاً، لأحد كبار شراح الحديث هو ابن حجر العسقلاني وهو يقف على هذا الحديث وقفة رائعة تفصيلية، لترى أن التربية النبوية للأطفال، تستطيع أن تستخلص منها الشيء العجاب، وأن الأمة الإسلامية انتكست في أصول تربيتها، عندما بدأت تصدق جورج وأنطون، وابتعدت عن محمد بن عبد الله ﷺ، قال الحافظ ابن حجر(١):

«في هذا الحديث عدة فوائد، جمعها أبو العباس أحمد بن أبي أحمد الطبري؛ المعروف بابن القاص، الفقيه الشافعي، صاحب التصانيف في جزء مفرد، وذكر ابن القاص في أول كتابه: أن بعض الناس عاب على أهل الحديث أنهم يروون أشياء لا فائدة فيها، ومثّل ذلك الحديث بحديث أبي عمير هذا، قال: وما درى أن في هذا الحديث من وجوه الفقه، وفنون الأدب، والفائدة ستين وجهاً ثم ساقها مبسوطة، فلخصتها، مستوفياً مقاصده، ثم أتبعته بما تيسر من الزوائد عليه، فقال(٢):

١ـ فيه مشروعية المصافحة لقول أنس فيه: ما مسستُ كفّاً ألين من كف رسول الله ﷺ، وتخصيص ذلك بالرجل دون المرأة.

٢ـ فيه جواز الممازحة، وتكرير المزاح، وأنها إباحة سنة، لا رخصة، وأن ممازحة الصبي الذي لم يميز جائزة، وتكرير زيارة الممزوح معه.

---

(١) الفتح (١٣/ ٢٠٥ـ٢٠٨).

(٢) نذكر هنا فقط الفوائد التربوية.

٣ـ وفيه ترك التكبر، والترفع؛ والفرق بين كون الكبير في الطريق؛ فيتواقر، أو في البيت فيمزح.

٤ـ وفيه التلطف بالصديق، صغيراً كان أو كبيراً، والسؤال عن حاله، وأن الخبر الوارد في الزجر عن بكاء الصبي، محمول على ما إذا بكى عن سبب عامداً، ومن أذى بغير حق.

٥ـ وفيه جواز تكنية من لم يولد له.

٦ـ وجواز لعب الصغير بالطير.

٧ـ وجواز ترك الأبوين ولدهما الصغير؛ بما أبيح اللعب به.

٨ـ وجواز إنفاق المال فيما يُتَلهى به من المباحات.

٩ـ وجواز إمساك الطير في القفص ونحوه، وقص جناح الطير، إذ لا يخلو حال طير أبي عمير من واحد منهما، وأيهما كان الواقع، التحق به الآخر في الحكم.

١٠ـ وجواز مواجهة الصغير بالخطاب، خلافاً لمن قال: الحكيم لا يواجه بالخطاب؛ إلا من يعقل ويفهم.

١١ـ وفيه جواز تصغير الاسم، ولو كان لحيوان.

١٢ـ وفيه معاشرة الناس على قدر عقولهم.

١٣ـ وفيه أن الكبير إذا زار قوماً واسى بينهم، فإنه صافح أنساً، ومازح أبا عمير، على فراش أم سليم، وصلى بهم في بيتهم، حتى نالوا كلهم من بركته.

(وذكر ابن بطال من فوائد هذا الحديث ـ كذلك نذكر الفوائد التربوية، ونتابع الترقيم ـ).

١٤ـ فيه مسح رأس الصغير للملاطفة.

١٥ـ فيه دعاء الشخص بتصغير اسمه؛ عند عدم الإيذاء.

١٦ـ فيه جواز السؤال؛ عما السائل به عالم، لقوله: «ما فَعَلَ النُّغَيْرُ؟» بعد علمه بأنه مات.

ويتابع ابن حجر قوله: وقد نوزع ابن القاص، في الاستدلال به على إطلاق جواز لعب الصغير بالطير، فقال أبو عبد الملك: يجوز أن يكون ذلك منسوخاً عن تعذيب الحيوانات، وقال القرطبي: الحق أن لا نسخ، بل الذي رخص فيه

للصبي: إمساك الطير؛ ليلتهي به، وأما تمكينه من تعذيبه؛ ولا سيما حتى يموت؛ فلم يبح قط.

ويتابع ابن حجر: ومن الفوائد التي لم يذكرها ابن القاص؛ ولا غيره؛ في قصة أبي عمير، أن عند أحمد في رواية عمارة بن زاذان عن ثابت عن أنس - فمرض الصبي فهلك[1] - فذكر الحديث في قصة موته، وما وقع لأم سليم من كتمان ذلك عن أبي طلحة، حتى نام معها، ثم أخبرته لما أصبح، فأخبر النبي ﷺ بذلك، فدعا لهما، فحملت ثم وضعت غلاماً، فأحضره أنس إلى النبي ﷺ فحنكه، وسماه عبد الله.

وهكذا وجدنا أن عملية البناء الاجتماعي للطفل، ركن هام في بناء شخصيته، وتقويمها؛ وتهذيبها، واستقامتها، وأنها تحقق الثقة النفسية الاجتماعية للطفل.

☆ ☆ ☆

---

(١) أي: مات.

الباب الرابع

«البناء الأخلاقي»

«من أحسن أدب ولده أرغم أنف عدوه»[1]

[حكمة]

تمهيـــد:

● الأساس الأول ـ خلق الأدب:

ـ ما ورد في غرس الأدب في الأطفال.

ـ نماذج من حياة السلف الصالح.

ـ أنواع الآداب النبوية للأطفال.

١ـ الأدب مع الوالدين.

ـ أدب خطاب الوالدين وندائهما.

ـ أدب النظر إلى الوالدين.

٢ـ الأدب مع العلماء.

ـ ما ورد في الأدب مع العلماء.

ـ نماذج من أدب أطفال السلف الصالح مع العلماء.

٣ـ أدب الاحترام والتوقير.

٤ـ أدب الأخوة.

---

(١) «نصيحة الملوك» (ص١٧٢).

٥ـ أدب الجار .

٦ـ أدب الاستئذان .

٧ـ أدب الطعام .

٨ـ أدب مظهر الطفل (أدب الشعر والحلاقة ـ أدب اللباس) .

٩ـ أدب استماع القرآن .

- **الأساس الثاني ـ** خُلُق الصدق .
- **الأساس الثالث ـ** خُلُق كتم الأسرار .
- **الأساس الرابع ـ** خلق الأمانة .
- **الأساس الخامس ـ** خلق سلامة الصدر من الأحقاد .

خاتمة : مثال عملي من خلق الرسول ﷺ مع الأطفال .

تمهيـــد:

الخلُقُ بضم اللام وسكونها: السجية والطبع، كذا في الصحاح، وذكر القرطبي في تفسيره: الخُلق في اللغة: هو ما أخذ الإنسان به نفسه من الأدب، لأنه يصير كالخلقة فيه، فأما ما طُبع عليه من الأدب فهو الخِيم، وهو بالكسر: السجية؛ والطبيعة، لا واحد له من لفظه، فيكون الخُلُق: الطبع المتكلف، والخِيم: الطبع الغريزي(١).

وبناء على تعريف القرطبي للخلق، فإن الطفل يحتاج لهذا البناء الأخلاقي، وذلك لتكون حركة الطفل الاجتماعية ـ السابق ذكرها في الباب الثالث ـ سليمة، وهذا الجهد لا بد منه، لأن عملية الانتقال من الطبع المتكلف؛ إلى الطبع الغريزي صعبة، وزمنها يمتد حتى عمر الإنسان، وهو يقوّم أخلاقه، وبالتالي فإن جهد الوالدين والمربين يكون لازماً في هذه المرحلة الطفلية، التي ذكرنا أنها تتميز بالفطرية، والصفاء؛ وسرعة التلقي، والاستجابة.

وقد أشار إلى هذا المعنى كبار العلماء، منهم أبو حامد الغزالي كما تقدم ذكره في بداية الكتاب، ومنهم ابن القيم في كتابه ـ أحكام المولود ـ حيث قال:

«ومما يحتاج إليه الطفل؛ أشد الاحتياج، الاعتناء بأمر خُلُقه، فإنه ينشأ على ما عوّده المربي في صغره: من حَرَدٍ(٢)؛ وغضب؛ ولجاج؛ وعجلة؛ وخفة مع هواه، وطيش؛ وحدّة؛ وجشع، فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك. وتصير هذه الأخلاق؛ صفات، وهيئات، راسخة له، فإن لم يتحرز منها؛ غاية التحرز؛ فضَحَتْهُ لا بد يوماً ما، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة

---

(١) عن فتح الغفار بشرح المنار (١/٧) لابن نجيم الحنفي، وهو كتاب أصول فقه في المذهب الحنفي.

(٢) «الحرد»: الاعتزال والتنحي، يقال: حرد يحرد حروداً: إذا غضب، فهو: حارد، وحرود، وحردان.

أخلاقهم، وذلك من قبل التربية التي نشأ عليها».

وقد حض العلامة الشيخ محمد الخضر حسين ـ شيخ الأزهر سابقاً ـ رحمه الله على أهمية استغلال فترة الطفولة في غرس الأدب، والخلق الحسن، فقال:

«إن الصبي يولد على الفطرة الخالصة، والطبع البسيط، فإذا قوبلت نفسه الساذجة، بخلق من الأخلاق، نُقشت صورته في لوحها، ثم لم تزل تلك الصورة، تمتد شيئاً فشيئاً إلى أن تأخذ بجميع أطراف النفس، وتصير كيفية راسخة فيها، حائلة لها عن الانفعال بضدها، يؤيد هذا أنّا إذا رأينا في الغرباء من هو لطيف الخطاب، جميل اللقاء، مهذب الألمعية، لا نرتاب في دعوى؛ أنه ممن أنبته الله في البيوت الفاضلة، نباتاً حسناً»(١).

وبقي السؤال: ما هي عناصر البناء الأخلاقي للأطفال؟ وما هي أركان هذا البناء الشامخ؟ من خلال التصفح في الأحاديث النبوية، وتصنيفها، نجد أنها ترتكز على خمسة أركان نأتي عليها بالتفصيل.

الأساس الخُلُقي الأول ـ خلق الأدب:

قال الحافظ ابن حجر: والأدب: استعمال ما يُحمد قولاً وفعلاً، وعُبِّر عنه: بأخذ مكارم الأخلاق، وقيل: الوقوف مع المستحسنات، وقيل: هو تعظيم من فوقك؛ والرفق بمن دونك، وقيل: إنه مأخوذ من المأدبة؛ وهي الدعوة إلى الطعام، سمي بذلك لأنه يدعى إليه(٢).

وقد سئل الجنيد رحمه الله تعالى عن الأدب(٣) فقال: «إنه حسن العشرة». لذا تبرز أهمية الأدب في المعاملة والعشرة حتى إنه المظهر الخارجي الذي يعبر عن الصغير والكبير، لذلك حَمْل الطفل عليه، وقَصْره على ارتداء ثوب الأدب، كان من أولويات التربية الخلقية.

---

(١) في كتابه السعادة العظمى (ص٦٠).
(٢) فتح الباري (١٣/ ٣).
(٣) عن تنبيه المغترين، للإمام الشعراني (ص٤١).

وكما قال الشاعر صالح بن عبد القدوس(١):

وإن مَن أدَّبتَه في زمن الصبا كالعود يسقى الماء في غرسه
حتى تراه مورقاً ناضراً بعد الذي أبصرت من يبسه
والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه
إذا ارعوى، عاد إلى جهله كذا الضنا عاد إلى نكسه

١ـ ما ورد في غرس الأدب في الأطفال:

تتجلى أهمية الأدب وغرسه، ونحله للطفل، أكثر فأكثر؛ عندما نرى أن الرسول ﷺ أعطاه أهمية عظمى، في البناء الأخلاقي، حتى جعل غرسه في الطفل، وتعويده عليه، ليصبح طبيعة من طبائعه الخلقية، وسجية من سجاياه الطبيعية، أفضل من عملية الصدقة التي تطفىء الخطيئة، مع ما في الصدقة من أهمية في الإسلام. روى الترمذي عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يؤدب الرجل ولده، خير من أن يتصدق بصاع»(٢).

وإن رسول الله ﷺ يبين للوالدين أن أعظم هدية للطفل هي الأدب، وأفضل توريث له هو الأدب الحسن:

روى الترمذي عن سعيد بن العاص رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال: «ما نحل والد ولداً من نَحْلٍ، أفضل من أدب حسن»(٣) لذلك كان علي

---

(١) عن جامع بيان العلم وفضله (١/ ٨٦) لابن عبد البرّ.

(٢) ضعيف. انظر ضعيف الجامع رقم (٤٦٤٥) والأحاديث الضعيفة (١٨٨٧) للألباني. وهو عند الترمذي برقم (١٩٥٢) في البر والصلة، وقال: هذا حديث غريب، وناصح بن علاء الكوفي أحد رواته ليس عند أهل الحديث بالقوي، ولا يعرف هذا الحديث إلا من هذا الوجه. انظر جامع الأصول (١/ ٤١٦) ت. الأرناؤوط.

(٣) في سنده مجهول وضعيف، وصححه الحاكم، ورده الذهبي عليه بقوله: بل مرسل ضعيف، وقال الترمذي: غريب مرسل، أي: لأن عمرو بن سعيد بن العاص لم يدرك النبي ﷺ فهو تابعي. انظر جامع الأصول (١/ ٤١٦) ت. الأرناؤوط.

المديني رحمه الله يقول: «توريث الأولاد الأدب، خير لهم من توريث المال، الأدب يكسبهم المال، والجاه، والمحبة للإخوان؛ ويجمع لهم بين خيري الدنيا والآخرة»[1].

ولعل البعض يغفل عن أهمية الأدب، ويعده من الأمور البسيطة، يمكن التساهل فيها، أو يجوز تناسيها، وما يدري هذا أنه يهيىء ولده للعقوق، وما علم هذا المسكين أن غرس الأدب حق الولد على أبيه، كواجب حق الطعام والشراب:

روى ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «أكرموا أولادكم، وأحسنوا أدبهم». وفي رواية ابن أبي الدنيا: «أحبوا أولادكم، وأكرموا أدبهم». وفي سنده ضعف، كذا قال د. نجم محقق كتاب (العيال).

ووعى السلف الصالح أهمية الأدب، ومقداره؛ وسمو رفعته، فأيقظوا أطفالهم عليه، وشبوا على ذلك، ونصحوا الأمة به، فهذا الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما[2] يوجه نداءه للوالدين، بخطاب رقيق، يضع لهم معادلة رياضية، ومساواة حسابية، فيقول: «أَدِّبْ ابنك فإنك مسؤول عنه، ماذا أدبته؟ وماذا علمته؟ وهو مسؤول عن برِّك، وطواعيته لك».

أما لماذا كان هذا الاهتمام الكبير بالأدب، وأن يصبح سجية طبيعية في نفس الطفل فلأنه:

«**يُكْتَسَبُ من الأدب الصالح**: العقل النافذ، ومن العقل النافذ؛ حسن العادة؛ ومن حسن العادة، الطباع المحمودة، ومن الطباع المحمودة؛ العمل الصالح، ومن العمل الصالح؛ رضا الرب، ومن رضا الرب؛ الملك الدائم. **ويكتسب من الأدب السوء**: فساد العقل، ومن فساد العقل؛ سوء العادة، ومن

---

(١) عن تنبيه المغترين (ص٤١) للإمام الشعراني.
(٢) عن أحكام المولود (ص٢٢٥).

العادة السيئة؛ رداءة الطبع، ومن الطباع الرديئة سوء العمل، ومن العمل السيء؛ سوء القالة وغضب الله، ومن غضب الله وسخطه؛ الذل الدائم»[1].

وهكذا سار السلف الصالح يوجهون أطفالهم إلى أهمية الأدب، ويورثونه لهم، فإلى حياة هؤلاء، هلمّ سوياً، نصغي ونستمع ونتعلم.

٢ـ نماذج من حياة السلف الصالح:

قال رُوَيْم بن أحمد البغدادي لابنه: «يا بني اجعل عملك مِلْحاً، وأدبك دقيقاً، أي: استكثر من الأدب؛ حتى تكون نسبته في سلوكك، من حيث الكثرة كنسبة الدقيق إلى الملح، الذي يوضع فيه، وكثير من الأدب مع قليل من العمل الصالح، خير من كثير من العمل مع قلة الأدب». ذكره الإمام القرافي في كتابه الفروق (٣/ ٩٦)[2].

قال إبراهيم بن الحبيب بن الشهيد قال لي أبي: ائت الفقهاء، والعلماء، وتعلم منهم، وخذ من أدبهم؛ وأخلاقهم؛ وهديهم، فإن ذاك أحب إليّ من كثير من الحديث[3]. وذلك حتى يتعلم الابن الأدب مع الحديث، قبل أن يتعلم الحديث بلا أدب، فيؤدي به إلى عدم التأدب مع حديث الرسول ﷺ مما يورث في قلبه الضلال.

قال بعض السلف لابنه: «يا بني لأن تتعلم باباً من الأدب، أحب إليّ من أن تتعلم سبعين باباً من أبواب العلم» وقال أبو زكريا العنبري[4]: «عِلْم بلا أدب كنارٍ بلا حطب، وأدب بلا علم، كروح بلا جسم».

ولكن ما هي أهم الصفات الأدبية التي خصها رسول الله ﷺ في توجيه الأطفال نحوها، وغرسها فيهم، ونَحْلِيهم إياها؟ من خلال الاستقراء في

---

(١) نصيحة الملوك (ص١٧٣) للماوردي.
(٢) عن رسالة المسترشدين، للمحاسبي، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبي غدة (ص٣١) (ط٢).
(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي (ص١٧/ ١).
(٤) عن أدب الإملاء والاستملاء، للإمام السمعاني، وكتاب الجامع ـ للخطيب البغدادي (١/ ١٧).

الأحاديث الشريفة، تم الحصول على تسعة آداب وهي:

٣ـ أنواع الآداب النبوية للأطفال[(١)]:

١ـ الأدب الأول ـ مع الوالدين:

أورد النووي رحمه الله في الأذكار، باب: نهي الولد والمتعلم والتلميذ أن ينادي أباه ومعلمه وشيخه باسمه:

روينا في كتاب ابن السني عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى رجلاً معه غلام، فقال للغلام: «من هذا؟» قال: أبي، قال: «فلا تمش أمامه ، ولا تستسب له» أي: لا تفعل فعلاً يتعرض فيه لأن يسبك أبوك زاجراً لك، وتأديباً على فعلك القبيح ـ وهذا شرح النووي ـ ولا تجلس قبله، ولا تدعه باسمه.

وفي مجمع الزوائد (٨/ ١٣٦) أورد ابن حجر الهيثمي قصة مشابهة لهذا الحديث، لكنها موقوفة على أبي هريرة، فيها فوائد طيبة نذكرها للفائدة: فعن أبي غسان الضبي قال: خرجت أمشي مع أبي، بظهر الحرة، فلقيني أبو هريرة رضي الله عنه، فقال: من هذا؟ قلت: أبي، قال: لا تمش بين يدي أبيك، ولكن امش خلفه، أو إلى جانبه، ولا تَدَعْ أحداً يحول بينك وبينه، ولا تمش فوق إجّار ـ أي: سطح ـ أبيك تُخِفْهُ، ولا تأكل عِرْقاً ـ بسكون الراء: العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم ـ قد نظر أبوك إليه لعله قد اشتهاه».

أ ـ أدب خطاب الوالدين:

أورد القرطبي في تفسيره: قال أبو البدّاح التجيبي: قلت لسعيد بن المسيب: كل ما في القرآن من برّ الوالدين قد عرفته، إلا قوله: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ١٧/ ٢٣] ما هذا القول الكريم؟ قال ابن المسيب:

---

(١) يذكر الإمام النووي رحمه الله في كتابه ـ رياض الصالحين ـ فصلاً خاصاً سماه: كتاب الأدب، فيذكر آداباً كثيرة بحاجة إليها الفرد المسلم، ونظراً لكون بحثنا عن الأطفال وتوجيهات الرسول ﷺ لهم، اقتصرت على ما ورد بشأنهم، ليكون هو الأساس في هذه المرحلة.

قول العبد المذنب، للسيد الفظ، الغليظ[١]. وقد فسّر عمر بن الخطاب القول الكريم، فقال: هو أن يقول له: يا أبتاه! يا أماه[٢].

وقال تاج الدين السبكي: كنت جالساً بدهليز دارنا فأقبل كلب، فقلت: اخسأ، كلب بن كلب، فزجرني الوالد من داخل البيت، فقلت: أليس هو كلب ابن كلب؟ قال: شرط الجواز؛ عدم التحقير، فقلت: هذه فائدة[٣].

فليكن شعار الأبناء عندما يتعلمون شيئاً من الوالدين، أو يستفيدون منهم، أن يقولوا ـ هذه فائدة ـ لإدخال المسرة إلى قلوبهم، وتعويد النفس على التواضع، وفقني الله وإياك لذلك.

ب ـ أدب النظر إلى الوالدين:

روى الطبراني أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا نظر الوالد إلى ولده فَسَرَّه، كان للولد عِتق نسمة» قيل: يا رسول الله! وإن نظر ثلاثمئة وستين نظرة؟ قال: «الله أكبر»[٤].

وأورد المناوي في (فيض القدير) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما من رجل ينظر إلى وجه والديه، نظر رحمة؛ إلا كتب الله له بها حجة؛ مقبولة؛ مبرورة»[٥].

وأخيراً نوجه هذ النداء لأحد العلماء الصالحين، وهو يضع طريقة واضحة، لإكساب الطفل معاني الأدب، وهو سلوك الوالدين الأدبي معه:

فقد روى البخاري في الأدب المفرد[٦] عن الوليد بن نمير أنه سمع أباه

---

(١) تفسير القرطبي (١٠/ ٣٤٣) (ط٣) وتفسير الرازي (٢٠/ ١٩٠).

(٢) تفسير الرازي (٢٠/ ١٩٠).

(٣) عن رسالة المسترشدين (ص١٢٥) (ط٢) تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبي غدة. انظر التحقيق.

(٤) إسناده حسن قاله الهيثمي (٨/ ١٥٦).

(٥) (٥/ ٤٨٣).

(٦) (١/ ٧٣١).

يقول: «كانوا يقولون: الصلاح من الله، والأدب من الآباء».

ولكي يزداد الطفل أدباً ورفعة، فإنه سبق أن ذكرنا نصيحة الآباء، في توصية أطفالهم؛ بالتزام العلماء الصالحين، واكتساب الأدب منهم، قبل تلقي العلم عنهم، فحتى تتم الفائدة، بشكل جيد؛ يحتاج الطفل أن يتعلم الأدب مع العلماء.

٢ـ الأدب الثاني ـ مع العلماء:

ذكرنا استنتاج الإمام النووي رحمه الله، للحديث الذي رواه ابن السني، حيث عنون له في كتاب الأذكار: «باب نهي الولد والمتعلم والتلميذ أن ينادي أباه ومعلمه وشيخه باسمه» فقال: «وإن مما ذكرناه عن الأدب مع الوالدين، يماثله الأدب مع العلماء، بل ويزيد؛ لأن العلماء ورثة الأنبياء، فاحترامهم؛ وتوقيرهم؛ وخفض الجناح لهم؛ والمسارعة في خدمتهم؛ وعدم رفع الصوت في مجالسهم، واللطف في معاشرتهم، ولين الجانب لهم، كل ذلك يحتاج لأن يتعوده الطفل».

وأورد الإمام الغزالي[١] رحمه الله تعالى، قول يحيى بن معاذ في فضل العلماء: «العلماء أرحم بأمة محمد ﷺ من آبائهم وأمهاتهم، قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأن آباءهم؛ وأمهاتهم؛ يحفظونهم من نار الدنيا، وهم يحفظونهم من نار الآخرة».

وهكذا تجد أهمية الأدب في حضرة العلماء وتوقيرهم، وقد أُلِّفَتْ كتبٌ بهذا الشأن، منها ـ أدب الإملاء والاستملاء ـ للإمام السمعاني، ومنها: أدب العالم والمتعلم لابن قتيبة، وغيرهما كثير.

أ ـ ما ورد في الأدب مع العلماء:

روى الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لقمان قال لابنه: يا بني! عليك بمجالسة العلماء، واسمع كلام الحكماء، فإن الله يحيي القلب الميت، بنور الحكمة، كما يحيي الأرض الميتة؛ بوابل

---

(١) الإحياء (١/ ١١).

المطر. وروى الإمام أحمد والطبراني عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «ليس من أمتي من لم يجلّ كبيرنا؛ ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه».

وروى الطبراني عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافق: ذو الشيبة في الإسلام، وذو العلم، وإمام مقسط».

ب ـ نماذج من أدب أطفال السلف الصالح مع العلماء:

كان سعيد بن المسيب يركع ركعتين ثم يجلس، فيجتمع إليه أبناء أصحاب رسول الله ﷺ، من المهاجرين والأنصار، فلا يجترىء أحد منهم أن يسأله شيئاً؛ إلا أن يبتدئهم بحديث، أو يجيئه سائل فيستمعون[1]. وقد تقدم حديث ابن عمر وسكوته في مجلس رسول الله ﷺ عندما وجه الرسول ﷺ سؤالاً، فلم يُجب، لحضور أبي بكر وعمر رضي الله عنهم.

وهذا نموذج لحبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما كيف كان أدبه في طفولته، عندما طلب العلم من الصحابة: روى ابن كثير عن البيهقي بسنده إلى عكرمة قال: قال ابن عباس: لما قبض رسول الله ﷺ[2] قلت لرجل من الأنصار: هَلُمَّ فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم اليوم كثير، فقال: يا عجباً لك يا بن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك، وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم؟ قال: فترك ذاك، وأقبلتُ أنا أسأل أصحاب رسول الله ﷺ، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل، فآتي بابه، وهو قائل[3]، فأتوسد ردائي على بابه، يسفي الريح علي من التراب، فيخرج فيراني، فيقول: يا بن عم رسول الله ﷺ ما جاء بك؟ هلا أرسلتَ إليّ فآتيك، فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك، قال: فأسأله عن الحديث، قال: فعاش هذا الرجل الأنصاري، حتى رآني، وقد اجتمع حولي الناس يسألونني، فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني»[4].

---

(١) أدب الإملاء والاستملاء (ص٣٦).

(٢) تقدم قول ابن عباس بأن عمره عشر سنين لما قبض رسول الله ﷺ.

(٣) أي: نائم نومة القيلولة بين الظهر والعصر.

(٤) صفحات من صبر العلماء (ط٢) (ص٣٧).

وهذا الحسن البصري رضي الله عنه يوجه ابنه لأدب مجالس العلماء، فيقول: «يا بني! إذا جالست العلماء، فكن على أن تسمع؛ أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع، كما تتعلم حسن الكلام، ولا تقطع على أحد حديثاً؛ وإن طال حتى يمسك».

وفي ختام المطاف نورد أدب الطفل الصحابي سمرة بن جندب في حضرة رسول الله ﷺ وأدبه في مجلسه: أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: «لقد كنتُ على عهد رسول الله ﷺ غلاماً، فكنت أحفظ عنه، فما يمنعني من القول؛ إلا أن ها هنا رجالاً؛ هم أسن مني».

٣ـ الأدب الثالث ـ أدب الاحترام والتوقير:

أخرج الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء شيخ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم أن يوسعوا له، فقال النبي ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا»(١).

وفي رواية أحمد والترمذي والحاكم عن ابن عمر مرفوعاً: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا»(٢).

وفي رواية أحمد والحاكم عن عبادة بن الصامت مرفوعاً: «ليس منا من لم يُجلّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه»(٣).

وروى أبو داود عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من إجلال الله تعالى؛ إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن؛ غير المغالي فيه؛ والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط».

---

(١) صحيح. انظر صحيح الجامع رقم (٥٤٤٥) ورواه أحمد والطبراني عن ابن عباس.

(٢) صحيح. انظر صحيح الجامع رقم (٥٤٤٤).

(٣) حسن. انظر صحيح الجامع رقم (٥٤٤٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أراني في المنام، أتسوك بسواك، فجاءني رجلان، أحدهما أكبر من الآخر، فناولت السواك الأصغر، فقيل لي: كَبِّر، فدفعته إلى الأكبر منهما». رواه مسلم مسنداً والبخاري تعليقاً، وروى الشيخان عن أبي يحيى الأنصاري قال: انطلق عبد الله بن سهل، ومحيصة بن مسعود إلى خيبر وهي يومئذ صلح، فتفرقا، فأتى محيصة إلى عبد الله، وهو يتشحط في دمه قتيلاً، ثم قدم المدينة، فانطلق عبد الرحمن بن سهل وحويصة ابنا مسعود إلى النبي ﷺ فذهب عبد الرحمن يتكلم، فقال عليه الصلاة والسلام»: «كبّر كبّر». أي: ليتكلم الأكبر سناً، وهو أحدث القوم، أي: عبد الرحمن.

وهكذا وجدنا يا أخي ويا أختي، أهمية أدب الاحترام والتوقير، للكبار وللعلماء، وتقديم الكبير للكلام، إلا إذا طلب من الصغير الكلام، أو كان المقام مقام سؤال.

٤ـ الأدب الرابع ـ أدب الأخوة:

تقدم أدب احترام الصغير للكبير وتوقيره، ورحمة الكبير للصغير، وهذا رسول الله ﷺ لا يسمح لأي أخ، سواء كان صغيراً أم كبيراً، أن يشهر أي نوع من السلاح لتخويف أخيه، وإلقاء الرعب في قلبه:

أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه؛ حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه».

ويؤكد ﷺ للأبناء، أن الأخ الكبير له منزلة خصوصية في الإسلام، وما ذاك إلا لتحمله أعباء الأسرة، ومسؤولية تربية إخوته الصغار، ورعايته لهم:

روى الطبراني عن كليب الجهني رضي الله عنه، وكانت له صحبة قال: قال رسول الله ﷺ: «الأكبر من الإخوة بمنزلة الأب»[1] فإذا ما غرس الوالدان

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه الواقدي، وهو ضعيف. انظر المجمع (١٤٩/٨).

في نفس الابن الكبير: العطف والحب لإخوته الصغار، وغرسا في نفس الصغير الاحترام والتقدير للأخ الكبير، فإنه بذلك تسير الأسرة سيراً متوازناً، كل يعرف واجبه نحو الآخر؛ قبل أن يعرف حقه عليه.

٥ـ الأدب الخامس ـ أدب الجار:

الجار له حقوق كبيرة في الشريعة الإسلامية، وما ذلك إلا لتقوية روابط المجتمع المسلم، وقد كان للطفل آداب مع أطفال جيرانه، ندب إليها الرسول ﷺ الآباء؛ لتعويد أطفالهم عليها، من حسن التحسس بآلامه، وعدم إيذائه، بأي طريقة من طرق الإيذاء، وفي مقدمتها عدم خروج الطفل، وبيده شيء من الطعام يأكل منه، أو فاكهة يتناولها، ليغيظ بها ولد الجار، الذي قد لا يملك والداه أن يشتريا له، أو أن يكون الجار في ضائقة مالية، لا تمكنه من الشراء الفوري، وبذلك يتعود الطفل ألا يأكل في الطريق، وإنما بالبيت، ليكون ذلك أدعى إلى الالتزام بالآداب العامة، فمما رواه الخرائطي والطبراني عن عمرو بن شعيب قوله ﷺ: «وإن اشتريت فاكهةً فأَهْدِ له، فإن لم تفعل؛ فأدخلها سراً، ولا يخرج ولدك ليغيظ بها ولده». فعدم إغاظة الطفل لجيرانه من الأطفال مطلب نبوي لكل طفل مسلم يحب رسول الله ﷺ، ولكل أب وأم في أن يغرسا ذلك في قلوب أطفالهم.

ما أعظم الإسلام بهذه الآداب، عندما يلتزم بها المسلمون، ويتعاملون بها، وفقني الله وإياك لذلك. ومن عظمة هذه التوجيهات النبوية في معاملة الجيران، ما أخبرني به أحد الشباب الذين أسلموا عن سبب إسلامه قوله لي: معاملة جيراننا المسلمين لنا، المعاملة الحسنة الكريمة، وكأنني واحد من أسرتهم، عشت مع أطفالهم أثناء طفولتي.

٦ـ الأدب السادس ـ أدب الاستئذان:

أدب الاستئذان واجب الكبير والصغير، وله مكانة خاصة في التشريع الإسلامي حتى خصه الله تعالى؛ بآيات تتلى على مر الأجيال، وتعاقب الزمان، وله أهمية كبرى في الحياة الاجتماعية والأسرية، لذلك كان يعرفه صغار الصحابة مثل أبي سعيد الخدري فضلاً عن كبارهم رضي الله عنهم.

روى البخاري في الأدب المفرد عن عبيد بن عمير أن أبا موسى الأشعري استأذن على عمر بن الخطاب فلم يؤذن له، وكأنه (أي عمر) كان مشغولاً، فرجع أبو موسى، ففرغ عمر فقال: ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس؟ ائذنوا له قيل: قد رجع، فدعاه فقال: كنا نؤمر بذلك، فقال: تأتيني على ذلك بالبينة، فانطلق إلى مجلس الأنصار، فسألهم فقالوا: لا يشهد لك على هذا إلا أصغرنا أبو سعيد الخدري، فذهب بأبي سعيد، فقال عمر: أخفي علي من أمْر رسول الله ﷺ، ألهاني الصفق بالأسواق، يعني الخروج إلى التجارة.

فنسي عمر أمير المؤمنين، أنه عندما لا يؤذن للشخص بالدخول، فعليه الرجوع من حيث أتى، دون غضب أو سخط، فكان الشاهد المذكر على سنة رسول الله ﷺ أبو سعيد الخدري رضي الله عنهم أجمعين.

وقد درّب القرآن الكريم الطفل على الاستئذان، فأمر الوالدين بتعليم الطفل الاستئذان، وتدرج في أحكام الاستئذان، فقبل الاحتلام: يستأذن الطفل في ثلاث أوقات حرجة في حياة الوالدين الزوجية، وهي: قبل الفجر؛ وعند الظهيرة؛ وبعد العشاء، أي: في الأوقات التي يخلو فيها الوالدان إلى النوم، حيث يكون كل من الوالدين في لباس خاص فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور: ٥٨/٢٤] حتى إذا بلغ الطفل الحلم، وقرب منه، ودخل سن التكليف، أُمر بالاستئذان في كل آن، في البيت وغيره، وكلما وجد أمامه الباب مغلقاً، وإلى هذا أشارت الآية ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور: ٥٩/٢٤].

كيف كان رسول الله ﷺ يستأذن؟

يتساءل المرء: ما هي وضعية الإنسان عندما يدق باب الآخرين يستأذن عليهم، هل يواجه الباب بوجهه، أم بظهره، أم بنصفه؟.

وللإجابة على هذا السؤال، نورد الحديث التالي: أخرج الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن بسر أن النبي ﷺ إذا أتى باباً؛ يريد أن يستأذن لم يستقبله، جاء يميناً وشمالاً، فإن أذن له، وإلا انصرف.

الرسول القدوة يستأذن الأطفال:

إن الحق حق؛ لا يعرف كبيراً ولا صغيراً، واتباع السنة واجب على الجميع، مهما علت درجاتهم، وبلغت منازلهم، فهذا رسول الله ﷺ وهو قائد الأمة ومعلمها، يرشد الكبار والصغار في الأمة كلها، ويعرفها حق الطفل: أخرج البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتي بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟» فقال الغلام[1]: لا والله يا رسول الله! لا أوثر بنصيبي منك أحداً، فتلّه ـ أي: وضعه ـ رسول الله ﷺ في يده.

٧ـ الأدب السابع ـ أدب الطعام:

أخرج البخاري ومسلم ومالك وأبو داود والترمذي عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ فكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام! سَمِّ الله تعالى، وكل بيمينك، وكل مما يليك[2]. فما زالت طعمتي بعد».

---

(١) في رواية أخرى ورد أنه: ابن عباس، وكان عن يساره أبو بكر رضي الله عنهم أجمعين.

(٢) الأكل مما يلي الإنسان، هذا إذا كان الطعام مرقاً، أما إذا كان عدداً نحو الفاكهة وغيرها، فيجوز للإنسان أخذ ما ليس يليه؛ لأنه قد تكون أمامه حبة كبيرة وهو يريد الصغيرة، أو تكون أمامه تفاحة وهو يريد برتقالة، فلا ضير في الانتقاء إذا كان الطعام جافاً وعددياً، والله أعلم.

وروى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: بعثت معي أم سليم بمكتل، فيه رطب، إلى رسول الله ﷺ، فلم أجده، وخرج قريباً إلى مولى له، دعاه صنع له طعاماً، قال: فأتيته فإذا هو يأكل، فدعاني لآكل معه، قال: وصنع له ثريداً بلحم وقرع، قال: وإذا هو يعجبه القرع، فجعلت أجمعه وأُدْنيه منه، قال: فلما طعم، رجع إلى منزله، قال: ووضعتُ المكتل بين يديه، قال: فجعل يأكل، ويقسم حتى فرغ من آخره.

وماذا تفعل إذا دخل عليك طفل وأنت تأكل؟

روى الطبراني عن إسحاق بن يحيى بن طلحة قال: كنت مع عيسى بن طلحة في المسجد، فدخل السائب بن يزيد، فبعثني إليه فقال: اذهب إلى ذلك الشيخ، فقل له: يقول لك عمي ابن طلحة: هل رأيت رسول الله ﷺ؟ فذهبت إليه، فقلت: هل رأيت رسول الله ﷺ؟ فقال: نعم، رأيت رسول الله ﷺ، ودخلت عليه أنا وغلمة معي، فوجدناه يأكل تمراً في قناع، ومعه ناس من أصحابه، فقبض لنا من ذلك قبضة قبضة، ومسح على رؤوسنا.

وقد نبه الإمام الغزالي في الإحياء في الجزء الثالث إلى آداب الطعام؛ التي يحتاج إليها الطفل، استوحاها من جملة الآداب الإسلامية، نضعها بين يديك:

أول ما يغلب عليه ـ أي الطفل ـ من الصفات شدة الطعام، فينبغي أن يؤدب فيه مثل:

١ ـ ألا يأخذ الطعام إلا بيمينه، ويقول بسم الله.
٢ ـ ويأكل مما يليه.
٣ ـ ولا يبادر إلى الطعام قبل غيره.
٤ ـ ولا يُحدق إلى الطعام وإلى من يأكل.
٥ ـ ولا يُسرع في الأكل.
٦ ـ ويمضغ الطعام مضغاً جيداً.
٧ ـ ولا يوالي بين اللقم.
٨ ـ ولا يلطخ ثوبه ولا يديه.

٩ـ ويُعود الخيار والقفار في بعض الأوقات، بحيث لا يرى الإدام حتماً.
١٠ـ ويقبح عنده كثرة الأكل، بأن يشبه من يكثر الأكل بالبهائم.
١١ـ وأن يذم بين يديه بكثرة الأكل، ويمدح الصبي المتأدب؛ القليل الأكل، ويحبب إليه الإيثار بالطعام، وقلة المبالاة به.
١٢ـ والقناعة بالطعام الخشن.

٨ـ الأدب الثامن ـ أدب مظهر الطفل:

هناك اهتمام من الرسول ﷺ بمظهر الطفل، سواء كان في شعره وحلاقته، أو في لون لباسه؛ وخروجه به؛ في الطريق.

١ـ أدب الشعر والحلاقة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رأى رسول الله ﷺ صبياً قد حلق بعض شعر رأسه، وترك بعضه، فنهاهم عن ذلك، وقال: «احلقوه كلَّه؛ أو اتركوه كلَّه». رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم. وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ عن القَزَع[١]. علق ابن القيم في أحكام المولود على الحديث بقوله: أن يحلق بعض رأس الصبي ويدع بعضه، والقزع أربعة أنواع:

أحدها: أن يحلق من رأسه مواضع؛ من ها هنا وها هنا، مأخوذ من تَقَزُّعِ السحاب، وهو تقطعه.

الثاني: أن يحلق وسطه، ويترك جوانبه، كما يفعله شمامسة النصارى.
الثالث: أن يحلق جوانبه؛ ويترك وسطه، كما يفعله كثير من الأوباش والسُّفَّل.
الرابع: أن يحلق مقدمه؛ ويترك مؤخره، وهذا كله من القزع، والله أعلم.

وقد أشرف ﷺ على حلاقة بعض الأطفال شخصياً:

عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ أمهل آل جعفر ثلاثاً[٢]،

---

(١) ورواه أبو حنيفة وأخرجه الستة إلا الترمذي. قاله الزبيدي في كتاب «عقود الجواهر المنيفة» (٢/ ١٥٦).
(٢) أي: بعد استشهاد ابن عمه جعفر بن أبي طالب في غزوة مؤتة، فأراد ﷺ أن =

ثم أتاهم، فقال: «لا تبكوا على أخي بعد اليوم»، ثم قال: «ادعوا لي بني أخي» فجيء بنا، كأننا أفراخ، فقال: «ادعوا لي الحلاق»، فأمره، فحلق رؤوسنا. رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم.

أما شعر البنت فقد كان لها منه ﷺ نصيب في التوجيه:

ففي الصحيحين عن أسماء رضي الله عنها، أن امرأة سألت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله! إن ابنتي أصابتها الحصبة، فتمزق شعرها، وإني زوجتها، أفأصل فيه؟ قال: «لعن الله الواصلة والموصولة»(١). الواصلة: التي تصل شعرها، أو شعر غيرها بشعر آخر، والموصولة: التي يوصل شعرها.

وهكذا تجد شعر الطفل المسلم متميزاً، عن باقي الأطفال، فلا يلهث وراء الموضات المتغيرة، ولا وراء الممثلين الفارغين، مبتعداً عن أي توجيه يخالف حبيبه ورسوله ﷺ.

٢ـ أدب لون اللباس:

روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: رأى النبي ﷺ عليّ ثوبين معصفرين، فقال: «أمك أمرتك بهذا؟» قلت: أغسِلْهُما، قال: «بل احرقهما»، وفي رواية: «إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها».

ومما قاله الإمام الغزالي في الإحياء الجزء الثالث، حول أدب لبس ثياب الصبي، توجيهات طيبة فقال:

«يحبب للصبيان الثياب البيض دون الملون والإبريسم، ويقرر عنده (أي: عند الصبي) أن ذلك شأن النساء والمخنثين، وأن الرجال يستنكفون منه، ويكره عليهم ذلك، ومهما رؤي على صبي ثوب من إبريسم أو ملون، فينبغي أن يستنكر، ويذم ذلك.

= يفك حزن الأطفال على أبيهم، بعد مرور ثلاثة أيام، وأن ينبههم للعودة إلى الحياة الطبيعية بالحلاقة وغيرها. والله أعلم.

(١) أما الوصل بشعر اصطناعي، أي: من غير كائن حي، فجائز، كما في حاشية ابن عابدين الحنفي.

ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التنعم؛ والترفه؛ ولبس الثياب الفاخرة.

تحريم لبس الحرير على الذكور:

وبناء على القاعدة التي وضعها رسول الله ﷺ في عدم متابعة الكفار في اللباس كما في الحديث السابق «إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها»، منذ أن يفتح الطفل عينيه، فيعود سنة رسول الله ﷺ ويبعد عن الألبسة المحرمة، وهذا ما فعله الصحابي الجليل بكل جد وصرامة:

فقد روى الطبراني عن عبد الله بن يزيد قال: كنا عند عبد الله يعني ابن مسعود فجاء ابن له، عليه قميص من حرير، قال: مَنْ كساك؟ قال: أمي، قال: فشقه، قال: قل لأمك تكسوك غير هذا[1].

وقال الإمام الكاساني في بدائع الصنائع[2] وهو يتكلم عن تحريم لبس الحرير على الرجال، قال رحمه الله:

«ولا فرق بين الكبير والصغير في الحرمة، بعد أن كان ذكراً، لأن النبي ﷺ أراد هذا الحكم على الذكورة، بقوله عليه الصلاة والسلام: «هذان حرامان على ذكور أمتي» إلا أن اللابس إذا كان صغيراً؛ فالإثم على من ألبسه؛ لا عليه، لأنه ليس من أهل التحريم عليه، كما إذا سقي خمراً، فشربها، كان الإثم على الساقي، لا عليه، كذا هنا».

وقال ابن القيم رحمه الله: «يحرم على الولي أن يُلبسه الصبي»؛ لما ينشأ عليه من صفات أهل التأنيث.

٩ـ الأدب التاسع ـ أدب الإنصات أثناء تلاوة القرآن:

روى ابن جبير وأسنده إلى الزهري كما ذكر ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٨٠)

---

(١) رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح. قاله الهيثمي في المجمع (٥/ ١٤٤).

(٢) بدائع الصنائع (٥/ ١٣١).

قال: نزلت هذه الآية في فتى من الأنصار كان رسول الله ﷺ كلما قرأ شيئاً قرأه، فنزلت: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٧/ ٢٠٤].

الأساس الخلقي الثاني: خُلق الصدق:

خلق الصدق أصل هام من أصول الأخلاق الإسلامية، والتي تحتاج إلى جهد لتركيزها وتثبيتها، ورسول الله ﷺ اهتم بتثبيت هذا الخلق في الطفل، وهو يراقب تصرفات الوالدين مع الطفل، وذلك لتجنب وقوع الوالدين في رذيلة الكذب على الطفل، ويضع قاعدة عامة: أن الطفل إنسان، له حقوقه في التعامل الإنساني، ولا يجوز للوالدين خداعه بأية وسيلة كانت؛ واللامبالاة في التعامل معه.

أخرج أبو داود عن عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي يوماً؛ ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: تعال أعطك، فقال لها رسول الله ﷺ: «ما أردت أن تعطيه؟» قالت: أردت أن أعطيه تمراً، فقال لها: «أما إنك لو لم تعطه شيئاً، كُتبت عليك كذبة».

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قال لصبي تعال؛ هاك؛ أعطك، ولم يُعْطه، كُتبت كذبة». وأخرج الترمذي عن أبي الحوراء السّعدي ربيعَة بن شيبان، قال: قلت للحسين بن علي رضي الله عنهما: ما حفظتَ من رسول الله ﷺ؟ قال: حفظت منه: «دع ما يَريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة؛ والكذب ريبة».

وقد اهتم السلف الصالح بتركيز هذا الخلق، الذي يتفرع عنه الصدق في الموعد، سواء وَعْدُ الكبار للصغار، أو وعد الأطفال لبعضهم البعض:

روى الإمام السمعاني[1] عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: «إياكم والزّوايا، روايا الكذب، فإن الكذب لا يَصْلح بالجِدِّ والهَزْل، ولا يعدُ أحدكم صبيه؛ ثم لا يُنجز له».

---

(١) أدب الإملاء والاستملاء (ص٤٠).

وروى كذلك عن يحيى: قال سليمان بن داود لابنه: يا بني إذا وعدت فلا تخلف، فتستبدل بالمودة بغضاً.

الأساس الخلقي الثالث ـ خلق حفظ الأسرار:

عني رسول الله ﷺ بتنشئة الأطفال على خلق كتم الأسرار؛ لأنه يمثل صلاح الطفل في حاله ومستقبله، وسلامة الأسرة وانطلاقها، والمحافظة على المجتمع وبنائه.

إن الطفل الذي يتعود كتم الأسرار، ينشأ قوي الإرادة، رابط الجأش، ضابط اللسان، فتنشأ عن ذلك الثقة الاجتماعية بين الناس، بحفظ أسرار بعضهم البعض.

فقد أخرج مسلم عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: «أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه، فأسرَّ إلي؛ لا أحدث به أحداً من الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته: هدف؛ أو حائش نخل».

وقد تقدم معنا حديث أنس رضي الله عنه وخدمته للنبي ﷺ وتأخره على أمه فقالت: ما أبطأك؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ في حاجة، قالت: ما هي؟ قلت: إنها سرّ، فقالت المؤمنة الواعية، الذكية، البصيرة، لتعطي درساً للأمهات في تعليم الطفل حفظ الأسرار، قالت له: لا تُخبرن بسرِّ رسول الله ﷺ أحداً.

الأساس الخلقي الرابع ـ خلق الأمانة:

الأمانة خلق أصيل، اتصف به سيدنا محمد ﷺ من عهد الطفولة إلى عهد الرسالة، حتى وصفه المشركون: بـ«الصادق الأمين» وفي ذلك عبرة للطفل المسلم، أن يقتدي برسول الله ﷺ، لتساعده فيما بعد على الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى. وقد حدد ﷺ مسؤولية الولد في مال أبيه، فيكون أميناً على القيام به، بلا إسراف ولا تبذير، كما في الصحيح: «والولد راع في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته»[1].

ونلحظ اهتمام الرسول ﷺ بخلق الأمانة، وتأصيله في الطفل، أنه لم يرض من الطفل خطأه في هذا الركن، وإنما عاقبه؛ عندما أخلّ به، وشد أذن الطفل.

---

(١) انظر السياسة الشرعية لابن تيمية رحمه الله.

قال النووي في الأذكار: روينا في كتاب ابن السني عن عبد الله بن بسر الصحابي رضي الله عنه قال: بعثتني أمي إلى رسول الله ﷺ بقطف من عنب، فأكلت منه؛ قبل أن أبلغه إياه، فلما جئت به، أخذ بأذني، وقال: «يا غُدَر!».

الأساس الخلقي الخامس ـ خلق سلامة الصدر من الأحقاد:

إن سلامة الصدر من الأحقاد، تحقق توازناً نفسياً لدى الإنسان، وتعوده على حب الخير للمجتمع، وتطلق عنان قوة الخير للنفس البشرية، إلى أعلى قممها.

وقد وجه النبي ﷺ نداءً للطفل الناشىء؛ أنس بن مالك، أن يغسل أدران نفسه؛ صباحاً ومساءً، فيسامح من أساء إليه، ويفرغ قلبه من أيّ بقايا من وساوس الشيطان ونفثه، في الرؤوس والنفوس، فلنسمع سوياً إلى هذا النداء العجيب العظيم.

أخرج الترمذي وقال: حديث حسن غريب عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لي: «يا بُني إن قَدَرْتَ أن تُصبح وتمسي؛ وليس في قلبك غِشٌّ لأحد، فافعل، ثم قال: يا بُنيّ وذلك من سنتي، ومن أحيا سنتي فقد أحياني، ومن أحياني؛ كان معي في الجنة». فالجنة والصحبة مع رسول الله ﷺ، لمن استطاع أن يكون قلبه سليماً من الغش؛ والحقد؛ والحسد؛ واللؤم.

خاتمة ـ مثال عملي من خلق رسول الله ﷺ مع الأطفال:

في ختام هذا المطاف نضع بين يديك نموذج رسول الله ﷺ القائد القدوة للأمة كلها، وكيف كان يتعامل مع الأطفال، يأمرهم؛ وينهاهم، يمازحهم، ويلحق بهم، يقف خلف الطفل ويبتسم له، لا يغضب في وجههم، ولا يعاتبهم، يرسخ عقيدة القضاء والقدر عملياً في نفوسهم، ونأتي على رواية الحديث بشتى طرقه، لما يتمتع في كل منها من زيادة نافعة.

فقد أخرج الإمام أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خدمت النبي ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي أُفٍّ قط، ولا قال لشيء لِمَ فعلت كذا، وهلا فعلت كذا.

وفي رواية مسلم: «كان النبي ﷺ من أحسن الناس خُلقاً، فأرسلني يوماً

لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب؛ لما أمرني به نبي الله ﷺ، فخرجت حتى أمرّ على الصبيان؛ وهم يلعبون في السوق، فإذا برسول الله ﷺ بقفاي من ورائي، فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: «أنس! ذهبتَ حيث أمرتك؟» قال: قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله! قال أنس: والله لقد خدمته تسع سنين، ما علمته قال لشيء صنعتُه: لِمَ فعلت كذا وكذا، أو لشيء تركته: هلا فعلت كذا وكذا».

وفي رواية أحمد قال أنس: خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما أمرني بأمر فتوانيت عنه، أو ضيعته؛ فلامني، فإن لامني أحدٌ من أهل بيته إلا قال: «دعوه، فلو قُدر؛ أو قال: لو قُضِي، أن يكون كان».

وهذا إن دلّ فإنما يدل على اهتمامه ﷺ ببناء أخلاق الأطفال عملياً، وبالقدوة الحسنة لهم، فينشؤون أرسخ خلقاً، وأثبت عوداً؛ أمام التحديات المادية؛ التي تنتظرهم في واقع المجتمع؛ وفي حياة الناس، فلا يفرطون بأخلاقهم الإسلامية، أمام عواصف التيارات المنحرفة؛ التي يمارسها المجتمع الجاهلي على النفوس المؤمنة في عصرنا الحاضر.

وفقني الله وإياك إلى الخلق الحسن، والصبر الجميل، والحلم الكبير، والنفس السمحاء، إنه سميع مجيب.

☆ ☆ ☆

الباب الخامس

«البناء العاطفي والنفسي»

تمهيـد :

أسس البناء العاطفي :

الأساس الأول ـ القُبْلة والرأفة والرحمة بالأطفال .

الأساس الثاني ـ المداعبة والممازحة مع الأطفال .

الأساس الثالث ـ الهدايا والعطايا للأطفال .

الأساس الرابع ـ مسح رأس الطفل .

الأساس الخامس ـ حسن استقبال الطفل .

الأساس السادس ـ تفقد حال الطفل والسؤال عنه .

الأساس السابع ـ الرعاية الخاصة بالبنت واليتيم .

١ ـ تربية البنت :

القاعدة الأولى ـ النهي عن كراهية البنات .

القاعدة الثانية ـ المساواة بين الذكر والأنثى وعدم المفاضلة بينهما .

القاعدة الثالثة ـ أجر التربية ؛ والإحسان ؛ والصبر على البنات ؛ وتزويجهن .

٢ـ تربية اليتيم واليتيمة:

القاعدة الأولى ـ أجر رعاية اليتيم وتربيته.

القاعدة الثانية ـ حفظ مال اليتيم والتجارة له.

القاعدة الثالثة ـ أجر الأم التي تربي أيتامها ولا تتزوج.

القاعدة الرابعة ـ معاملة اليتيم مثل الابن في التربية والتعليم والتأديب.

الأساس الثامن ـ التوازن في حب الطفل بلا إفراط ولا تفريط:

القاعدة الأولى: أن تلزم نفسك وولدك شرع الله تعالى.

القاعدة الثانية: أن تكون مضيافاً كريماً.

القاعدة الثالثة: الصبر على مرض ووفاة الطفل واحتساب الأجر عند الله تعالى.

تمهيـــد:

تشكل العاطفة مساحة واسعة في نفس الطفل الناشيء، وهي تكوّن نفسه، وتبني شخصيته، فإن أخذها بشكل متوازن، كان إنساناً سوياً، في مستقبله؛ وفي حياته كلها، وإن أخذها بغير ذلك، سواء بالزيادة أو النقصان، تشكلت لديه عقد، لا تُحمد عُقْباها، فالزيادة تجعله مدللاً، لا يقوم بتكاليف الحياة بجد ونشاط، ونقصانها يجعله إنساناً قاسياً عنيفاً على كل من حوله، لذلك فإن البناء العاطفي، له أهمية خاصة في بناء نفس الطفل وتكوينه، وهذا البناء يلعب فيه الدور الأكبر الوالدان، إذ هما المصدر الأساسي لأشعة العاطفة التي تبني نفسه، وهما الركن الرشيد، الذي يأوي إليه الطفل، لينعم بحرارة العاطفة، ونعمة الأبوة والأمومة، لذلك نجد في نهاية هذا الفصل، اهتماماً كبيراً لصنفين من الأطفال، يقلل الوالدان، أو أحدهما، العطف عليه، وهما البنت واليتيم، ونظراً لاهتمام الرسولﷺ بالأطفال، فإنه عني بهما عناية خاصة، ومنزلة خاصة، فحبذا المجتمع المسلم يقوم بدور الأب، لهذا اليتيم، وحبذا الوالدان يهتمان بتربية البنت، ورعايتها؛ ومساواتها مع أخيها الذكر.

وبقي السؤال: كيف نبني عاطفة الطفل، ونؤدي له حقه، ليكون إنساناً سوياً في حياته؟ للجواب عن هذا السؤال، كانت هذه الجولة في الأحاديث النبوية الشريفة، واستنباط هذه الأسس، التي بتطبيقها نسير على هدى ونور بَيّنين.

الأساس العاطفي الأول ـ القُبْلة؛ والرأفة؛ والرحمة للأطفال:

إن للقُبْلة دوراً فعالاً في تحريك مشاعر الطفل وعاطفته، كما أن لها دوراً كبيراً في تسكين ثورانه وغضبه، بالإضافة إلى الشعور بالارتباط الوثيق في تشييد علاقة الحب بين الكبير والصغير، وهي دليل رحمة القلب والفؤاد لهذا الطفل الناشيء، وهي برهان على تواضع الكبير للصغير، وهي النور الساطع الذي يبهر فؤاد الطفل، ويشرح نفسه، ويزيد من تفاعله مع من حوله، ثم هي أولاً وأخيراً السنة الثابتة عن المصطفى ﷺ مع الأطفال.

أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم ناس من

الأعراب على رسول الله ﷺ، فقالوا: أتقبلون صبيانكم؟ فقال: «نعم» قالوا: لكنا والله لا نقبل، فقال رسول الله ﷺ: «أَوَ أملِك إن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة»[١].

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَبّلَ النبي ﷺ الحسنَ بن علي رضي الله عنهما، فقال الأقرع بن حابس: إن لي عشرة من الولد، ما قبلت منهم أحداً، فقال رسول الله ﷺ: «من لا يرحم لا يُرحم» وروى ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه قال: كان ﷺ أرحم الناس بالصبيان والعيال[٢].

وإن الرحمة بالأطفال، والشفقة عليهم، صفة من صفات النبوة المحمدية، وهي طريق لدخول الجنة، والفوز برضوان الله تعالى:

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى عائشة رضي الله عنها، فأعطتها ثلاث تمرات، فأعطتْ كلَّ صبي لها تمرة، وأمسكت لنفسها تمرة، فأكل الصبيان التمرتين، ونظرا إلى أمهما، فعمدت الأم إلى التمرة، فشقتها، فأعطت كل صبي نصف تمرة، فجاء النبي ﷺ، فأخبرته عائشة، فقال ﷺ: «وما يعجبك من ذلك؛ لقد رحمها الله، برحمتها صبيّيْها».

ومن صور رحمة الرسول ﷺ بالأطفال: ما أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه: «إني لأدخل في الصلاة، وأنا أريد أن أطيلها، فأسمع بكاء صبي، فأتجوز في صلاتي؛ لما أعلم من وَجْدِ أمه من بكائه» رواه الخمسة إلا أبا داود.

وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يصلي بالناس؛ وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها». أخرجه الستة إلا الترمذي[٣].

وإن القلب ليعجب عندما يرى أو يسمع الصغار يُعلمون الآباء الرحمة

---

(١) ورواه أحمد في المسند (٦/ ٧٠).
(٢) صحيح. انظر صحيح الجامع رقم (٤٧٩٧) ورواه مسلم وأبو الشيخ.
(٣) ورواه ابن خزيمة في صحيحه (١/ ٣٨٣ و٢/ ٤١).

بالحيوان، ويذكرونهم برحمة الله بهم، فقد ذكر الفخر الرازي في تفسيره[1] أن صياداً كان يصيد السمك، فصاد سمكة، وكان له ابنة، فأخذتها ابنته؛ فطرحتها في الماء، وقالت: إنها ما وقعت في الشبكة إلا لغفلتها. قال الفخر الرازي معلقاً:

إلهنا تلك الصبية رحمت غفلة هاتيك السمكة، وكانت تلقيها مرة أخرى في البحر، ونحن قد اصطادتنا وسوسة إبليس، وأخرجتنا من بحر رحمتك، فارحمنا بفضلك، وخلصنا منها، وألقنا في بحار رحمتك مرة أخرى.

ومن صور شدة رحمة الأمهات بأطفالهن، ما أخبرنا بها رسول الله ﷺ، هذه الصورة العجيبة، التي لها دلالات؛ على تفجر الرحمة من قلب الأم على طفلها.

ألا ليت كل أم تغدق بمثل هذه الرحمة على وليدها:

أخرج الإمام أحمد والبخاري ومسلم في صحيحيهما والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما امرأتان، معهما ابنان لهما، إذ جاء الذئب، فأخذ أحد الابنين، فتحاكمتا إلى داود، فقضى به للكبرى، فخرجتا، فدعاهما سليمان، فقال: هاتوا السكين أشقه بينكما، فقالت الصغرى: يرحمك الله، هو ابنها لا تشقه، فقضى به للصغرى». وصدق الله العظيم الذي أخبر عن سليمان: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٣٨/ ٢٠].

ونلاحظ قسوة قلب الأم الكبرى في هذه القصة، فلقد سرق الذئب ابنها، ولم تظهر حزنها عليه، بل أظهرت قسوة لا يتصورها عقل رجل، فضلاً عن قلب امرأة، فلجأت إلى سرقة ابن زميلتها، لأنه لا يعقل أن يكونا متشابهين تشابهاً تماماً، كما لا يعقل ألا تميز الأم ابنها من بين طفلين، فالحديث دلّ على قسوة قلب الأم الكبرى، ورحمة قلب الصغرى.

الأساس العاطفي الثاني ـ المداعبة والممازحة مع الأطفال:

سنعيش سوياً مع طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة، نأخذ منها الدروس العملية؛ من رسول الله ﷺ؛ في مداعبة الأطفال؛ تارة بالركض، وأخرى بالحمل

---

(١) (١٣/٢٢).

وثالثة بتصغير الاسم، ورابعة بالمضاحكة، وإلى غير ذلك.

وهذه الأعمال إن لم يقم بها الوالدان لأنها واجب تربوي، فهم مطالبون بها للاقتداء برسول الله ﷺ: روى الطبراني عن جابر رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فدعينا إلى طعام، فإذا الحسين يلعب في الطريق مع صبيان، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم، ثم بسط يده، فجعل يفرّ ها هنا وهناك، فيضاحكه رسول الله ﷺ، حتى أخذه، فجعل إحدى يديه في ذقنه، والأخرى بين رأسه وأذنيه، ثم اعتنقه وقبله، ثم قال: «حسين مني، وأنا منه، أحب الله من أحبه، الحسن والحسين سبطان من الأسباط»(١).

وروى البخاري في الأدب المفرد والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت أذناي هاتان، وبصرت عيناي هاتان، رسول الله ﷺ؛ أخذ بيديه جميعاً؛ بكفيّ الحسن أو الحسين، وقدميه على قدم رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يقول: «ارْقَه» قال: فرقي الغلام، حتى وضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ، ثم قال رسول الله ﷺ: «افتح فاك؛ ثم قبله» ثم قال: «اللهم أحبه، فإني أحبه». وقد جاء في الإصابة وزاد: حزقة؛ حزقة، تَرقَّ عين بَقّة. وجاء في النهاية لابن الأثير، أنه عليه الصلاة والسلام كان يُرقص الحسن أو الحسين، ويقول: «حزقة؛ حزقة، ترق عين بقة» فيرقى الغلام، حتى وضع قدميه على صدره. الحزقة: الضعيف؛ المتقارب الخطو من ضعفه، وقيل: القصير العظيم البطن، فذكرها على سبيل المداعبة والتأنيس له، وترق: بمعنى اصعد، وعين بقة كناية عن صغر العين(٢).

وأخرج البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ، يقال له: أبو عمير ـ وهو فطيم ـ كان إذ جاءنا قال: «يا أبا عمير ما فعل النُّغَير؟!» لنغر كان يلعب به.

---

(١) حسن، ورواه البخاري في الأدب والترمذي وابن ماجه والحاكم. انظر صحيح الجامع رقم (٣١٤٦). ويطلق السبط على ولد البنت، والحفيد على ولد الابن.
(٢) انظر كتاب «سيدنا محمد رسول الله» للشيخ عبد الله سراج الدين (ص١٥٧).

وفي رواية لأحمد (٣/ ١٨٨ و٢٠١-٢١٢) عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ، كان يدخل على أم سليم، ولها ابن من أبي طلحة، يكنى أبا عمير، وكان يمازحه، فدخل عليه، فرآه حزيناً، فقال: «ما لي أرى أبا عمير حزيناً» فقالوا: مات نغره؛ الذي كان يلعب به، قال: فجعل يقول: «أبا عمير ما فعل النغير؟!».

وتقدم قول الحافظ ابن حجر في الفتح: أن هذا الحديث فيه: جواز الممازحة، وتكرير المزاح، وأنها إباحة سنة لا رخصة، وأن ممازحة الصبي الذي لم يميز جائزة، وتكرير زيارة الممزوح معه، وفيه ترك التكبر والترفع، والفرق بين كون الكبير في الطريق فيتواقر، أو في البيت فيمزح.

وأخرج الترمذي وأبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يا ذا الأذنين» يعني: يمازحه[١].

وروى الترمذي وقال: حديث غريب عن أنس رضي الله عنه أنه قال: كناني رسول الله ﷺ ببقلة، كنت أجتنيها[٢].

وأخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال: لما قدم رسول الله ﷺ مكة، استقبله أغيلمة بني المطلب، فحمل واحداً بين يديه، وآخر خلفه.

وأخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن أسامة كان ردف النبي ﷺ من عرفة إلى المزدلفة، ثم أردف الفضل من المزدلفة إلى منى، فكلاهما قال: لم يزل النبي ﷺ يلبي حتى رمى جمرة العقبة.

وعن عبد الله بن شداد قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي بالناس؛ إذ جاءه الحسين، فركب عنقه؛ وهو ساجد، فأطال السجود بالناس؛ حتى ظنوا أنه قد حدث أمر، فلما قضى صلاته، قالوا: قد أطلتَ السجود يا رسول الله! حتى ظننا أنه قد حدث أمر، فقال: «إن ابني قد ارتحلني، فكرهت أن أعجله، حتى يقضي حاجته».

---

(١) ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال (١/ ٣٧٣) بسند حسن، قاله محققه.

(٢) إسناده ضعيف. انظر جامع الأصول (٩/ ٩١) ت: الأرناؤوط.

قال العراقي[1]: رواه النسائي، ورواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

واقتدى الصحابة رضوان الله عليهم برسول الله ﷺ، فسارعوا إلى ممازحة ومداعبة أطفالهم، وكانوا ينزلون إلى منازلهم، ويتصابون لهم، ويلاعبونهم.

روى الديلمي وابن عساكر عن أبي سفيان قال: دخلت على معاوية، وهو مستلق على ظهره، وعلى صدره صبي أو صبية، تناغيه، فقلت: أمط عنك هذا يا أمير المؤمنين، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان له صبي؛ فليتصاب له»[2].

وقال عمر رضي الله عنه[3]: «ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالصبي ـ أي في الأنس والبشر وسهولة الخلق والمداعبة مع أولاده ـ فإذا التمس ما عنده وجد رجلاً».

وإن عمر رضي الله عنه ليعزل أحد عماله؛ عن الرئاسة؛ لأنه وجد منه دليلاً واضحاً على قسوة قلبه، تجاه أولاده: فعن محمد بن سلام قال: استعمل عمر بن الخطاب رجلاً على عملٍ، فرأى الرجل عمر يقبل صبياً له، فقال الرجل: تقبله وأنت أمير المؤمنين؟! لو كنت أنا؛ ما فعلته، قال عمر: فما ذنبي إن كان نزع من قلبك الرحمة! إن الله لا يرحم من عباده إلا الرحماء، ونزعه عن عمله، فقال: «أنت لا ترحم ولدك، فكيف ترحم الناس؟!»[4].

بهذه المداعبة والملاعبة والتصابي ومحاكاة الطفل، كان تعامل رسول الله ﷺ مع الأطفال، وهو يغذي نفوسهم بهذه العاطفة الصادقة الطيبة، بعيداً عن الجفاء والقسوة، وعدم إعطاء الطفل حقه.

---

(١) الإحياء (٢/٢١٨).
(٢) ضعيف. انظر ضعيف الجامع رقم (٥٨١٢).
(٣) كنز العمال (١٦/٥٧٣) رواه ابن أبي الدنيا والدينوري وعبد الرزاق في الجامع.
(٤) كنز العمال (١٦/٥٨٣). رواه الدينوري.

الأساس العاطفي الثالث ـ الهدايا والعطايا للأطفال:

للهدايا أثر طيب في النفس البشرية عامة، وفي نفوس الأطفال أكثر تأثيراً وأكبر وقعاً، وقد سن رسول الله ﷺ قاعدة للحب بين الناس، فنصح الأمة بقوله: «تَهَادَوا تَحَابّوا»[1] وهذا قانون عام.

والرسول ﷺ بَيّن لنا عملياً هذا الركن القوي؛ في بناء عاطفة الطفل، وتحريكها؛ وتوجيهها؛ وتهذيبها:

أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بأول الثمر فيقول: «اللهم بارك لنا في مدينتنا؛ وفي ثمارنا؛ وفي مُدِّنا؛ وفي صاعنا، بركةً مع بركة»، ثم يُعطيه أصغر من يحضره من الولدان.

وروى الطبراني عن إسحاق بن يحيى بن طلحة، قال: كنت مع عمي عيسى ابن طلحة في المسجد، فدخل السائب بن يزيد، فبعثني إليه فقال: اذهب إلى ذلك الشيخ، فقل له: يقول لك عمي عيسى بن طلحة: هل رأيتَ رسول الله ﷺ؟ فذهبت إليه، فقلت له: هل رأيت رسول الله ﷺ؟ فقال: نعم، رأيت رسول الله ﷺ؟ ودخلت عليه، أنا وغلمة معي، فوجدناه يأكل تمراً في قناع، ومعه ناس من أصحابه، فَقَبَضَ لنا من ذلك قبضة، ومسح على رؤوسنا.

وروى ابن أبي الدنيا عن الحسن أو جابر بن عبد الله قال: صليتُ مع رسول الله ﷺ الظهر أو العصر، فلما سلم قال لنا: «على أماكنكم» قال: جَرّةٌ فيها حلوى، فجعل يأتي على رجل رجلٍ فيلعقُه لعقةً لعقةً، حتى أتى عليَّ ـ وأنا غلام ـ فألعقني لعقةً، ثم قال: «أزيدك»؟ قلتُ: نعم، فألعقني لعقةً، ثم قال: «أزيدك»؟ قلتُ: نعم، فألعقني أخرى لصغري، فلم يزل كذلك حتى أتى على آخر القوم. حديث مرسل رجاله رجال الصحيح، قاله محققه، وقال: أخرجه أبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ» (ص ٢٣٥).

وروى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَدِمَت هدايا من النجاشي،

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط، والحربي في الهدايا، والعسكري في الأمثال. انظر المقاصد الحسنة رقم الحديث (٣٥٢).

فيها خاتم من ذهب، فيه فصٌّ حبشي، فأخذه رسول الله ﷺ بعود؛ أو ببعض أصابعه، معرضاً عنه، ثم دعا أمامة بنت أبي العاص من بنته زينب، فقال: «تحلَّيْ بهذا يا بنية!».

الأساس العاطفي الرابع ـ مسح رأس الطفل:

لاحظت الحديث قبل الأخير، كيف أن النبي ﷺ كان يداعب عواطف الأطفال، بمسح رؤوسهم، فيشعرون بلذة الرحمة، والحنان، والحب؛ والعطف، الأمر الذي يشعر الطفل بوجوده، وحب الكبار له، واهتمامهم به، ففي زوائد ابن حبان عن أنس رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يزور الأنصار، ويسلم على صبيانهم، ويمسح رؤوسهم[1].

عن مصعب بن عبد الله قال: عبد الله بن ثعلبة، ولد قبل الهجرة بأربع سنين، وحُمِلَ إلى رسول الله ﷺ، فمسح وجهه، وبَرّكَ عليه عام الفتح، وتوفي رسول الله ﷺ وهو ابن أربع عشرة. رواه الحاكم في مستدركه (٣/ ٣٧٩).

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: مسح رسول الله ﷺ بيده على رأسي، قال: أظنه قال ثلاثاً، فلما مسح؛ قال: «اللهم اخلف جعفراً في ولده». رواه الحاكم في مستدركه (١/ ٣٧٢) وسكت عنه.

ويضيف رسول الله ﷺ إلى مسح الرأس للطفل: القيام بمسح خدي الطفل، بيديه الشريفتين، وما ذلك إلا اهتماماً به، وإدخال السرور إلى قلب الطفل:

فقد روى مسلم عن جابر بن سمرة ـ وهو من أطفال الصحابة ـ قال: صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى، يعني صلاة الظهر، ثم خرج إلى أهله، وخرجت معه، فاستقبله ولدان ـ أي: صبيان ـ فجعل ﷺ يمسح خدّي أحدهم، واحداً واحداً، قال جابر: وأما أنا، فمسح خدّي، فوجدت ليده برداً، أو ريحاً، كأنما أخرجها من جُؤنَةِ عَطّار[2].

---

(١) صحيح ورواه النسائي. انظر صحيح الجامع رقم (٤٩٤٧).

(٢) «جؤنة عطار» بضم الجيم وهمزة بعدها، وقد تخفف بإبدالها واواً، وهي سُليلة مستديرة، مغشاة أدماً، كالسَّفَط، يجعل فيها العطار عطره.

ومن هذا نستدل على مسح خدود الأطفال، إذا كانوا أكثر من واحد، وعدله في معاملتهم جميعاً، وعدم التفرقة بينهم، وهذا من بدائع ملاحظته ﷺ في تعامله مع الأطفال بالتسوية بينهم في كل شيء.

الأساس العاطفي الخامس ـ حسن استقبال الطفل:

إن اللقاء مع الطفل لا بد منه، وأهم ما في اللقاء اللحظات الأولى، فإذا كان اللقاء طيباً، استطاع الطفل متابعة الحديث، وفتح الحوار، والتجاوب مع المتكلم، فيفتح قلبه له، وما يدور في خاطره، ويعرض مشاكله عليه، ويتحدث عن أمانيه له، كل هذا يحصل إذا أحسن استقبال الطفل، بفرح وحب ومداعبة وهذا ما وجه إليه ﷺ بفعله إلى الأمة:

روى ابن عساكر عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تلقى الصبيان من أهل بيته، وإنه جاء من سفر فسبق بي إليه، فحملني بين يديه، ثم جيء بأحد ابني فاطمة الحسن والحسين رضي الله عنهم، فأردفه خلفه، فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة[1].

الأساس العاطفي السادس ـ تفقد حال الطفل والسؤال عنه:

كثيراً ما يمشي الطفل وحده، فيضلّ الطريق، ويتيه في الشارع، فإذا كان الوالدان مهتمين بحال الطفل تنبها سريعاً لشروده، وتمّ تتبع أثر الطفل، والعثور عليه بأسرع ما يمكن، والعكس بالعكس، وهذه السرعة تلعبُ دوراً كبيراً في نفس الطفل، فالتأخير عليه يزيد من مخاوفه وآلامه وبكائه، ويشتد عذابه النفسي كلما زادت فترة تأخر وصول أحد والديه إليه؛ لهذا سارع رسول الله ﷺ وأمر أصحابه بمساعدته، والانتشار في الطرقات حتى يتم العثور على الحسن والحسين.

روى الطبراني عن سلمان رضي الله عنه قال: كنا حول رسول الله ﷺ فجاءت أم أيمن رضي الله عنها فقالت: يا رسول الله! لقد ضلَّ الحسن والحسين رضي الله عنهما، قال: وذاك وأد النهار ـ يقول: ارتفاع النهار ـ فقال النبي ﷺ: «قوموا

---

(١) صحيح ورواه أحمد ومسلم وأبو داود. انظر صحيح الجامع رقم (٤٧٦٥).

فاطلبوا ابني» وأخذ كل رجل وجهة، وأخذت نحو النبي ﷺ فلم يزل حتى أتى سفح جبل، وإذا الحسن والحسين رضي الله عنهما ملتزق كل واحد منهما صاحبه. وإذا شجاع ـ أي: الحية الذكر، وقيل: الحية مطلقاً ـ قائم على ذنبه، يخرج من فيه شرر النار، فأسرع إليه رسول الله ﷺ فالتفت مخاطباً لرسول الله ﷺ ثم انساب ـ أي: جرى ـ فدخل في بعض الأجحار، ثم أتاهما، فأفرق بينهما، ثم مسح وجوههما، وقال: «بأبي وأمي أنتما! ما أكرمكما على الله» ثم حمل أحدهما على عاتقه الأيمن، والآخر على عاتقه الأيسر، فقلت: طوبى لكما، نعم المطية مطيتكما، فقال رسول الله ﷺ: «ونعم الراكبان هما، وأبوهما خير منهما».

فأنت تلاحظ الخوف الذي حصل للحسن والحسين، حيث التزق كل واحد بالآخر خائفاً من الشجاع، ومسارعة الرسول ﷺ لفك هذا الخوف، ثم التفريق بينهما، ثم مسح وجههما، ثم دعا لهما، ثم أكرمهما بحملهما على عاتقه، ثم مدحهما بقوله: «ونعم الراكبان هما» وما ذلك إلا من شدة حرصه، واهتمامه بعاطفة الطفل أن تبقى سوية سليمة متوازنة.

الأساس العاطفي السابع ـ الرعاية الخاصة بالبنت واليتيم:

هذان النموذجان من الأطفال أشد حاجة من غيرهما إلى البناء العاطفي من رحمة ورأفة ورعاية، وذلك لما يتمتعان به من شعور بالضعف، وفقدان عناصر القوة؛ ولأنهما عند الناس أقلّ شأناً من غيرهما، وقد هضمت المجتمعاتُ الجاهلية حقوقهما قديماً وحديثاً. وحيثما ابتعدت أمة من الأمم، أو مجتمع من المجتمعات، أو أسرة من الأسر عن منهج الله وشريعته، تطبيقاً وعملاً، كان الظلم والحيف لهذين الضعيفين البنت واليتيم... والجاهلية هي الجاهلية تتكرر بمحاورها، وتتبدل بأثوابها، أما القديمة فقد رفعت لواء الظلم لهما جهاراً نهاراً، وأشهرته على الملأ جميعاً بلا حياء، ولا خجل، ولا مروءة، ولا شهامة.

وأما الحديثة فقد زيّنت ظلمها ببعض المواد الدستورية المهترئة، وفتحت لهما باب الحرية في التمتع بالرذيلة أياً كان نوعها، ودرجتها في الفجور.

وهكذا ضاع هذان الصنفان الضعيفان في مثل هذه المجتمعات والأسر، وبقي الإسلام وحده في الميدان المنقذ الوحيد لهما، يدافع عنهما، ويهاجم كل من يشير إليهما بأي ظلم أو حيف، حتى إذا ما وقع نوع من الظلم هدّد، وتوعد، واستنهض النفوس المؤمنة، واستجاشها، فأبكاها حتى يرتفع الظلم، ويحق العدل، ويكبو الحيف، وترتفع المساواة، ويزهق الباطل، ويثبت الحق.

وما هذا الحشد الهائل من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية بشأن هذين الطفلين الضعيفين، والذي سيأتي ذكره الآن، إلا دليل على ما ذكرناه، وبيان شافٍ على ما قدمناه؛ لأن الله تعالى خالق البشرية عالم بظلمها عندما لا تتقيد بشرعه، وأن القوي فيها يأكل الضعيف.

لهذا جاء التنبيه النبوي بشأن هذين الضعيفين قوله ﷺ:

«إني أُحرِّجُ عليكم حق الضعيفين: اليتيم والمرأة»(١). رواه الحاكم والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة، ورواه ابن ماجه والإمام أحمد وابن حبان في صحيحه.

وبقي أن نسأل: ما هي القواعد، والضوابط التي نحن مخاطبون بتطبيقها لإنصاف هذين الضعيفين؟

أولاً ـ رعاية تربية البنت:

«أهم الوسائل في إصلاح المنزل: ترقية تعليم المرأة عندنا، وتزويدها في المدارس بالقدر الوافر من الدين، والخلق، وإفساح المجال في مناهج دراسة البنات للبحوث البيتية، وتراجم فضليات النساء اللاتي كن مضرب المثل في الخلق الفاضل منهن، كنسيبة بنت كعب، وأسماء بنت أبي بكر، وصفية بنت عبد المطلب، وخولة بنت الأزور، وسكينة بنت الحسين، وغيرهن كثير، ولأن:

الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعباً طيبَ الأعراق

---

(١) حسن. انظر صحيح الجامع رقم (٢٤٤٧) ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال (٢/٦٦٨) بلفظ: «اللهم إني أحرج...».

أما أن تستمر مناهج البنات عندنا كما هي عليه الآن فتعنى بالكمالي والضار، وتترك الضروري والنافع؛ فهذا مما لا يبشر بحياة طيبة للنشء الإسلامي.

تدرس البنات في مدارسنا الموسيقا، واللغة الأجنبية، والهندسة الفراغية، والقانون الآن، ثم هي لا تعلم شيئاً عن تربية الأطفال، ولا تدبير الصحة، ولا علم النفس، ولا الدين، والخلق، ولا تدبير المنزل، فأي منهج هذا؟ وإلى أي غاية يوصل؟!

مَن لي بتربية البنات فإنها ... في الشرق علّة ذلك الإخفاق

والأم إذا صلحت فانتظر من ابنها أن يكون رجلاً بكل معنى الكلمة، وأنت إذا استقرأت تاريخ العلماء، وجدتَ أن السر في عظمة الكثيرين منهم ما بثته الأم من المبادىء الصالحة القويمة بحكم اللبان والتلقين، وما كان علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ في حبه للحق، وغَيْرته عليه، ومناصرته للرسول ﷺ ولا معاوية في حلمه ودهائه، ولا عبد الله بن الزبير في شجاعته، ولا الزبير نفسه في ذلك، إلا سرّاً من أسرار فاطمة بنت أسد، وصفية بنت عبد المطلب، وأسماء بنت أبي بكر، وهند بنت عتبة.

ولئن كان الولدُ سرَّ أبيه، فكل إناء بالذي فيه ينضح، وحريٌّ بمن كان يسمع في مهده لأول عهده بالحياة ترنيمة أمه وهي تحثّه على الشجاعة، والأخلاق الفاضلة، أن يكون سيداً تتفجر الحكمة من جنبيه، وتنطوي السيادة في برديه، كما كان عبد الله بن العباس بتأثير أمه: أم الفضل بنت الحارث الهلالية.

وحري بمن تطرق سمعه لأول مرة تلك الأغاني الخليعة، والترنيمات الغثة؛ التي يداعب بها أمهات هذا العصر أبناءهن أن ينشأ ماجناً خليعاً، فاتر الهمة، ضعيف النفس.

الأم أستاذة العالَم، والمرأة التي تهز المهد بيمينها تهز العالم بشمالها، فلأجل أن نصلح المنزل، يجب أن نصلح الأم التي هي روحه وقوامه»[1].

---

(١) رسالة: أنجع الوسائل.

وبعد هذا التمهيد بقي أن نعلم ما هي القواعد الأساسية في تربية البنت؟ هناك ثلاث قواعد:

القاعدة الأولى ـ النهي عن كراهة البنت:

صحح القرآن أولاً النظرة، والتصور عن البنات، والتي كانت ذائعة الصيت في المجتمعات الجاهلية، فوجّه العقول إلى تصحيح النظرة لها، وتعديل التصور عنها، وأنها مخلوقة، خلقها الله تعالى مكمّلة للرجل في حياته، فلها حقوقها، وعليها واجباتها.

وبتصحيح التصور هيأ النفس البشرية من بداية الطريق إلى معاملتها بالحسنى، والقيام بالواجب نحوها، ولهذا جاءت الآية تصور الرؤوس العفنة، والنفوس المريضة لتعالجها؛ الأمر الذي أدى إلى انقلاب جديد في الحياة البشرية النسائية، وبداية عصر النور لها. ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ١٦/٥٨ـ٥٩].

ثم هزّ النفس البشرية وسألها، وسأل ضميرها؛ لتستيقظ من جهلها: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨١/٨ـ٩].

وأما رسول الله ﷺ فقال: «إن الله كره لكم ثلاثاً: عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنع وهات»[1].

وروى البخاري[2] عن ابن عمر: أن رجلاً كان عنده بنات، فتمنّى موتهن، فغضب ابن عمر، فقال: أنت ترزقهن؟! وهذا خطاب نبوي إلى الوالدين في تصحيح التصور عن البنات، وعدم الكراهية لهن، والمؤانسة لهن؛ روى الإمام

---

(١) رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح عن معقل بن يسار، قاله الهيثمي في المجمع (٨/١٤٧).

(٢) الأدب المفرد (١/١٥٨).

أحمد، والطبراني عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكرهوا البنات، فإنهن المؤنسات الغاليات»[(١)].

وفي ختام هذه القاعدة نعيش مع تحليلات ابن القيم ـ رحمه الله ـ ليقدم لنا التفسير، والشرح، والبيان عن قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٢/ ٤٩ ـ ٥٠].

قال رحمه الله[(٢)]: فقسم الله سبحانه حال الزوجين إلى أربعة أقسام، اشتمل عليها الوجود، وأخبر أن ما قدره بينهما من الولد، فقد وهبهما إياه، وكفى بالعبد تعرّضاً لمقته أن يتسخّط ما وهبه. وبدأ سبحانه بذكر الإناث، فقيل: جبراً لهن لأجل استثقال الوالدين لمكانهن.

وقيل: ـ وهو أحسن ـ إنما قدمهن لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاء لا ما يشاء الأبوين، فإن الأبوين لا يريدان إلا الذكور غالباً، وهو سُبحانه قد أخبر أنه يخلق ما يشاء، فبدأ بذكر الصنف الذي يشاء، ولا يريده الأبوان.

وعندي وجه آخر ـ والكلام لابن القيم ـ: وهو أنه سبحانه قدّم ما كانت تؤخِّره الجاهلية من أمر البنات حتى كانوا يئدونهن، أي: هذا النوع المؤخَّر عندكم مقدّم عندي في الذِّكر، وتأمل كيف نكر الله سبحانه الإناث، وعرف الذكور، فجبر نقص الأنوثة بالتقديم، وجبر نقص التأخير بالتعريف، فإن التعريف تنويه.

كأنه قال: وَيَهَبُ لِمَن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم، ثم لما ذكر الضعيفين معاً، قدّم الذكور، إعطاء لكل من الجنسين حقه من التقديم والتأخير، والله أعلم بما أراد من ذلك.

ويتابعُ ابن القيم قوله: وقد قال الله تعالى في حق النساء: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٤/ ١٩].

---

(١) قال الهيثمي في المجمع (٨/ ١٥٦) وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وبقية رجاله ثقات.
(٢) أحكام المولود (ص٢٠).

وهكذا البنات قد يكون للعبد فيهن خير في الدنيا والآخرة، ويكفي في قبح كراهتهن أن يكره ما رضيه الله، وأعطاه عبده.

وقال صالح بن أحمد: كان أبي، إذا ولد له ابنة يقول: الأنبياء كانوا آباء بنات، ويقول: قد جاء في البنات ما قد علمت.

وقال يعقوب بن بختان: وُلد لي سبع بنات، فكنتُ كلما ولد لي ابنة، دخلت على أحمد بن حنبل، فيقول لي: يا أبا يوسف! الأنبياء آباء بنات، فكان يذهب قوله همي.

فإذاً القاعدة الأولى تتلخص: في إزالة التصور الفاسد عن البنات، وعدم الكراهية لهن، وإحلال الحب لما أحبه الله تعالى، ووهبه للوالدين، وأن الخير فيما يختاره الله للعبد، لا فيما يختاره العبد لنفسه.

القاعدة الثانية ـ المساواة بين الذكر والأنثى، وعدم المفاضلة بينهما:

حتى إذا رزق الله الوالدين أبناء من الذكور والإناث، جاء التصور الإسلامي يعلِّمهما طريقة التعامل معهما، وذلك بالمساواة بينهما، حتى جعله الرسول ﷺ أحد أسباب الدخول إلى الجنة، وذلك في عدم إيثار الصبي على البنت.. وإنما هم في الحب سواء، وفي العطاء سواء، وفي تقديم الهدايا والمال سواء، وفي التثقيف وطلب العلم سواء، وفي المعاملة سواء، حتى في القُبْلة سواء بسواء.

روى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له أنثى، فلم يئدها، ولم يهنها، ولم يؤثر ولده ـ يعني: الذكور عليها ـ أدخله الله الجنة».

وروى البزار عن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً كان عند النبي ﷺ فجاء ابنٌ له فقبَّله، وأجلسه على فخذه، وجاءت بنت له فأجلسها بين يديه، فقال رسول الله ﷺ: «ألا سويت بينهم»(١).

---

(١) قال الهيثمي في المجمع (٨/١٥٦): رواه البزار، فقال: حدثنا بعض أصحابنا، ولم يسمه، وبقية رجاله ثقات.

بهذه الدقة النبوية في التعامل مع الصبي والبنت، مما لا تعرفه جميع المجتمعات البشرية، ولا تعلمه الكتب الغربية في تربية الأطفال، ولا يخطر على عقول من يسمون أنفسهم: علماء النفس التربويين.

القاعدة الثالثة ـ أجر التربية، والإحسان، والصبر على البنات، وتزويجهن:

لم تقف الشريعة في مواجهة النفس البشرية لتعاكسها، وإنما لتهذِّبها، ففي مقابل تربية البنات كان الأجر الكبير، وفي مقابل الصبر عليهن الثواب العظيم، وذلك ليُسكِّن من ألم الوالدين، ويطيّب من خاطرهما، ويشعرهما بأهمية عملهما، ودورهما في هذه الرعاية، والعناية بهنَّ.

فقد روى مسلم عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من عال ـ أي: قام عليهما في المؤونة والتربية ـ جاريتين ـ أي: بنتين ـ حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين» وضمّ أصابعه.

وروى البخاري ومسلم والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلتْ عليّ امرأة ومعها ابنتان لها، تسأل، فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها، فَقَسَمَتْها بين ابنتيها، ولم تأكل منها، ثم قامت، فخرجت، فدخل النبي ﷺ علينا، فأخبرته، فقال: «من ابتلي من هذه البنات بشيء، فأحسن إليهن كن له ستراً من النار».

وفي رواية لمسلم قال: «إن الله قد أوجب لها الجنة، أو أعتقها بها من النار».

وروى أبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان له ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، أو بنتان، أو أختان، فأحسن صحبتهن، واتقى الله فيهن، فله الجنة».

وفي رواية أبي داود قال: «من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات، أو أختين أو بنتين، فأدبهن، وأحسن إليهن، وزوجهن، فله الجنة».

وفي رواية: «من كان له ثلاث بنات أو أخوات، أو بنتان أو أختان، فأحسن صحبتهن، وصبر عليهن، واتقى الله فيهن، دخل الجنة».

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال:

«من كان له ثلاث بنات، فصبر على لأوائهن، وعلى ضرائهن دخل الجنة». وفي رواية: فقال رجل: يا رسول الله! واثنتين؟ قال: «واثنتين» قال: يا رسول الله! وواحدة؟ قال: «وواحدة».

وروى الإمام أحمد عن عقبة بن عامر الجهني يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كانت له ثلاث بنات، فصبر عليهن، فأطعمهن، وسقاهن، وكساهن من جدته، كنّ له حجاباً من النار يوم القيامة»(١).

وقد تقدم أهمية دور تربية البنت لأنها أم المستقبل، ومؤسّسة المجتمع في الغد القريب، وصانعة الأبطال، ومهزّة التاريخ في القريب العاجل، فهل لك أن تساهم بإصلاح المجتمع؟ إنه تربية ابنتك وأختك.

ثانياً ـ تربية اليتيم واليتيمة:

يعرف النبي ﷺ مرحلة اليتيم بأنها دون سن الاحتلام، فإذا حصل الاحتلام، فعند ذلك انتفت عن الطفل صفة اليتم.

روى أبو حنيفة في مسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُتْمَ بعد حلم»(٢).

وروى أبو داود عن علي رضي الله عنه قال: حفظت عن رسول الله ﷺ: «لا يُتْمَ بعد احتلام»(٣).

وتتلخص تربية اليتيم في ثلاث قواعد:

القاعدة الأولى ـ أجر رعاية اليتيم، وتربيته، ومراضاته:

سنعيش مع طائفة من الأحاديث النبوية التي تستجيش النفوس، وتدعوها إلى الاهتمام برعاية اليتيم؛ الذي فقد أباه قبل سنّ الاحتلام، وذلك لقوله ﷺ

---

(١) صحيح، انظر صحيح الجامع رقم (٦٤٨٨) ورواه ابن ماجه.
(٢) انظر عقود الجواهر المنيفة (٢/ ٩٤) للزبيدي.
(٣) الحديث حسن بشواهده. قاله الأرناؤوط في جامع الأصول (١١/ ٦٤٢).

فيما رواه أبو داود: «لا يتم بعد الاحتلام» فهذا يستحق القيام برعايته؛ لأنه فَقَد أحد الأركان الأساسية للتلقي التربوي.

فقد أخرج البخاري عن سهل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل ـ القائم بأمور ـ اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما[1].

وروى البيهقي عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أحب بيوتكم إلى الله بيت فيه يتيم مكرم»[2].

وروى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم، يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه، أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين» يشير بأصبعيه.

ويضع ﷺ قاعدة إلى قساة القلوب، والتي لم تعدْ تشعر بنعمة الله عليها، دواء، وعلاجاً نافعاً، يهزها هزاً.

روى الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه أتى النبيَّ ﷺ رجل يشكو إليه قسوة قلبه، فقال له: «أتحب أن يلين قلبك، وتدرك حاجتك؟! ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك يلنْ قلبك، وتدرك حاجتك»[3].

وإن رسول الله ﷺ ليواسي الأطفال الذين استشهد آباؤهم، فأصبحوا أيتاماً؛ فعن أسماء بنت عميس قالت: لما أصيب جعفر وأصحابه، دخلت على رسول الله ﷺ، وقد دبغت أربعين منيئة، وعجنت عجينتين، وغسلت بني، ودهنتهم، ونظفتهم، فقال رسول الله ﷺ: «ائتيني ببني جعفر» قالت: فأتيته بهم، فشمّهم، وذرفت عيناه، فقلت: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي، ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء، قال: «نعم أصيبوا هذا اليوم». رواه أحمد (٦/ ٣٧٠).

---

(١) صحيح ورواه أحمد وأبو داود والترمذي.
(٢) ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال (٢/ ٨٠٩) بلفظ: «يكرم».
(٣) صحيح، انظر صحيح الجامع رقم (٨٠).

القاعدة الثانية ـ حفظ مال اليتيم والتجارة بماله:

عن أبي شريح خويلد بن عمرو الخزاعي رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «اللهم إني أُحرج حق الضعيفين: اليتيم والمرأة». حديث حسن رواه النسائي.

قال النووي رحمه الله: معنى أُحرج: ألحق الحرج، وهو الإثم لمن ضيّع حقهما، وأحذر من ذلك تحذيراً بليغاً، وأزجر عنه زجراً أكيداً.

وأخرج مسلم والبخاري والترمذي والنسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رجلاً كانت له يتيمة فنكحها، وكان له عذق نخل، فكانت شريكته فيه وماله، فكان يمسكها عليه ولم يكن له من نفسه شيء، فنزلت: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٤/ ٣].

وفي رواية أن عروة سألها عن قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ إلى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ فقالت: يا بن أختي! هذه اليتيمة تكون في حجر وليها، فيرغب في جمالها ومالها، ويريد أن ينتقص صداقها، فنهوا عن نكاحهن، إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق، وأمر بنكاح من سواهن. قالت عائشة: فاستفتى الناس رسول الله ﷺ بعد ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ إلى ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: ٤/ ١٢٧] فبين الله لهم أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال، رغبوا في نكاحها، ولم يلحقوها بسنتها في كمال الصداق، وإذا كانت مرغوباً عنها في قلة المال والجمال، تركوها، والتمسوا غيرها من النساء. قالت: فكما يتركونها حيث يرغبن عنها، فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها، إلا أن يقسطوا لها، ويعطوها حقها الأوفى من الصداق.

وروى البخاري ومسلم عنها أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٤/ ٦] إنما أنزلت في وليّ اليتيم إذا كان فقيراً أنه يأكل من المال، فكان عليه قيامه عليه بمعروف.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أنزل الله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الإسراء: ١٧/ ٣٤] و: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ

﴿ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ٤/ ١٠] قال: انطلق من كان عنده يتيم، فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضلُ الشيء من طعامه وشرابه، فيحبس حتى يأكله، أو يفسد، فاشتدَّ ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٢٠] فخلطوا طعامهم بطعامهم، وشرابهم بشرابهم. رواه الحاكم في مستدركه (٢/ ٣٠٣) وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وسكت الذهبي.

أما التجارة بمال اليتيم، فهذا التوجيه النبوي:

أخرج مالك في الموطأ عن مالك بن أنس رضي الله عنه: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: اتجروا في أموال اليتامى، لا تأكلها الصدقة.

وروى الترمذي عن عمرو بن شعيب رحمه الله، عن أبيه، عن جده: أن النبي ﷺ خطب الناس فقال: «ألا من وَلِيَ يتيماً له مال فليتجر فيه، ولا يتركه حتى تأكله الصدقة»[١].

القاعدة الثالثة ـ أجر الأم التي تربي أيتامها، ولا تتزوج:

روى أبو داود وأبو يعلى[٢] عن عوف بن مالك عن النبي ﷺ قال: «أنا وامرأة سفعَاء[٣] الخدّين، آمت[٤] من زوجها فصبرت على ولدها، كهاتين في الجنة». وزاد أبو داود: «ذات منصب وجمال، حَبَسَتْ نفسها على يتاماها حتى بانوا، أو ماتوا»[٥].

وهكذا وجدنا اهتمام رسول الله ﷺ بكل من الضعيفين البنت واليتيم، فوجّه

---

(١) ضعيف. انظر ضعيف الجامع رقم (٢١٧٨).

(٢) كما في الأدب المفرد (١/ ٢٢٨).

(٣) «السعفة»: سواد مع لون آخر تغير لونها لما تكابد من المشقة.

(٤) «آمت»: آمت المرأة من زوجها: إذا مات عنها زوجها، أو قتل، فأقامت لا تتزوج.

(٥) في سنده النهاس بن قهم وهو ضعيف. انظر جامع الأصول (١/ ٤١٤).

الأمة إلى زيادة الاهتمام بهما، والحرص عليهما، والإحسان لهما، وأنها مكرمة أي مكرمة!

الأساس العاطفي الثامن: التوازن في حب الطفل بلا إفراط أو تفريط:

أفاض الشيخ الجليل محمد الخضر حسين ـ رحمه الله تعالى، وهو ينبه إلى ضرورة التوازن في حب الطفل[1] فقال: من الناس من يدرك أن التقام الأطفال لثدي التربية مما يؤثر في نفوسهم إصلاحاً عظيماً، ولكن فرط الرأفة الذي ينشأ عن التغالي في حبهم، يكسر من صلابة الآباء شيئاً كثيراً، فيدفعهم عن مكافحة طباع أبنائهم الرديئة، ومقاومتها بالتأديب، وينفض بهم ذلك الإهمال إلى التنقل في مراتع الشهوات الزائفة، كلا، هذه رأفة غير ممزوجة بحكمة. مع أن التنقل في مراتع الشهوات تتولد عنه نتائج وخيمة، تثير بين الآباء والأبناء الفرقة والتباعد بمقدار ما كان بينهم من الحنان والمقاربة، وتصير بهم إلى أن تضرسهم أنياب الاضطهاد، وتدوسهم أقدام الامتهان.

لا نريد بكراهة هذه الرأفة المفرطة أن يفتك الصبي من إقدام سائر إرادته، وَيُسْلب منه جميع عزائمه، كما يفعله الجاهلون بأساليب الإصلاح والتهذيب، إن ذلك مما يحول بينه وبين عزة النفس، وما يتبعها من قوة الجأش، وأصالة الرأي، والإقدام على إرسال كلمة الحق عندما يقتضيها المقام، فيكون ألعوبة بين معاشريه كالكرة المطروحة بينهم يتلقفونه رِجْلاً رِجْلاً، أو آلة يستعملونها فيما يشتهون. . . التربية النافعة ما كانت أثراً لمحبة، يطفىء البأس شيئاً من حرارتها، وصرامة تلطف الشفقة من شدتها، وهي التي يستوجب الوالدان دعاء الولد بقوله: ﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ١٧/ ٢٤].

ويتابع قوله: ولم يفقه بعض أرباب البيوت، ومن يحاول اللحاق بهم أهمية التربية حتى الآن، فيفرطون في مجاراة الولد على جميع أهوائه، ويفوّضون له أن يقضي ما هو قاضٍ، وربما تغنوا بمديحه في المجامع الحاشدة، وأطروه بما لا تنطبق شهادة ثماره عليه، ولبئس ما كادوه به لو كانوا يعلمون، إنما نصبوا لهذا

---

(١) السعادة العظمى (ص١٠).

المسكين مكيدة تسد في وجهه أبواب الآداب الجميلة، وتجعل بينه وبين السعادة حجاباً مستوراً[1].

وهكذا تجد أن الرأفة، والحنان، والبناء العاطفي كلما كان متوازناً اقترب نحو البناء الذي يؤتي أكله كل حين بإذن ربه، وبإمكاننا تشبيه الرأفة، والحنان، والعطف مثل وجبة الطعام، فكما أن الإكثار من الطعام يؤدي إلى التخمة والأمراض، فزيادة الحنان تؤدي لمرض الدلال؛ الذي يؤدي إلى الميوعة، وعدم الجدّيّة.

ولكن يبقى السؤال الذي يطرح نفسه: ما هي الضوابط التي تجعل هذا الحب والعطف متوازناً؟

للإجابة نجد ثلاث قواعد:

القاعدة الأولى ـ أن تلزم نفسك وولدك شرع الله تعالى[2]:

إن حب الولد له حدود، وإن حب الولدين له حدود كذلك.

إن حب الله ورسوله ﷺ مُقدَّم على أي حب، ويضبط هذا الحب عندما يتعارض أمر الله ورسوله ﷺ مع رغبات الولد أو الوالدين، فهنا يسارع المؤمن إلى حب الله ورسوله ﷺ ويسارع لامتثال الأمر، والابتعاد عن النهي.

فقد أخرج البخاري ومسلم والنسائي عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده! لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».

وروى الترمذي عن سليمان بن عمرو بن الأحوص رحمه الله تعالى قال: حدثني أبي: أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ فحمد الله، وأثنى عليه، وذكر، ووعظ، ثم قال: «ولا يجني والد على ولده، ولا يجني ولد على والده».

وتعثّر الحسن رضي الله عنه والرسول ﷺ على منبره، فنزل، فحمله، وقرأ قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن: ٦٤/ ١٥]. أخرجه

---

(١) السعادة العظمى (ص١٠).

(٢) راجع الفصل الأول فقرة (٨). الأولاد زينة الحياة الدنيا وفتنتها.

أصحاب السنن من حديث بريدة في الحسن والحسين معاً يمشيان، ويعثران، قال الترمذي: حسن غريب.

وفي تقديم سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ لأمر الله بذبح ولده، وفي تنفيذ الابن قدوة وأسوة لمن يعتبر.

القاعدة الثانية ـ أن تكون مضيافاً، كريماً، شجاعاً، محباً للعلم:

روى الحاكم عن الأسود بن خلف، والطبراني عن خولة بن حكيم قال: أخذ النبيُّ ﷺ حسناً فقبّله، ثم قال: «إن الولد مبخلة مجبنة، مجهلة محزنة»[1].

وروى الإمام أحمد، والترمذي عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ خرج محتضناً أحد ابني ابنته، وهو يقول: «والله! إنكم لتبخلون، وتجبنون، وتجهلون، وإنكم لمن ريحان الله».

قال الزمخشري في الفائق (١٨٥): معناه: أن الولد يوقع أباه في البخل إبقاءً على ماله له، وفي الجهل شغلاً به عن طلب العلم، وفي الجبن خوفاً من أن يقتل فيضيع ولده بعده، وفي الحزن أنه يحزن لأمره وشأنه، وقوله: «وإنكم لمن ريحان الله، يعني: أنهم يشمون، ويقبلون، فهم من جملة الرياحين التي أنبتها الله»[2].

فما دام الولد مبخلة يورث في نفس الوالدين الشح والبخل، وذلك من شدة حبهما لأولادهما في تخزين المال لهم، فعلاج الأمر بإكرام الضيف، وذلك كما فعل الصحابة رضي الله عنهم، وفرح به رسول الله ﷺ وتعجب الله تعالى من ذلك الإكرام:

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مجهود، فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق! ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك، وقُلْن كلهُن مثل ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «من يضيفه يرحمه الله» فقام رجل من الأنصار، يقال له أبو طلحة، فقال: أنا يا رسول الله! فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته: هل

---

(١) صحيح: انظر صحيح الجامع رقم (١٩٠).

(٢) نقلاً عن كتاب: «العلماء العزاب».

عندك شيء؟ قالت: لا إلا قوت صبياني؛ قال: فعلّليهم بشيء، ونوّميهم، فإذا دخل ضيفُنا فأريه أنّا نأكل، فإذا أهوى بيده ليأكل، فقومي إلى السراج كي تصلحيه، فأطفئيه. ففعلت، فقعدوا، فأكل الضيف، وباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «لقد عجب الله، أو ضحك الله من فلان وفلانة» فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٥٩/٩] وفي رواية أخرى: «قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة».

أرأيت لهذا التوازن، وجمال هذ التخطيط في إكرام الضيف؟! رغم حاجة أولادهم إلى هذا الطعام، فأين التربية الغربية من هذا الجمال؟!.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ يوماً أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، فجئتُ بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» فقلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: «يا أبا بكر! ما أبقيت لأهلك؟» فقال: أبقيت لهم الله ورسوله، فقلت: لا أسابقك إلى شيء أبداً. رواه الحاكم في مستدركه (١/ ٤١٤) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

القاعدة الثالثة ـ الصبر على مرض ووفاة الطفل، واحتسابه عند الله تعالى:

١ـ الصبر على مرض الطفل:

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يزال البلاءُ ينزلُ بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة»[(١)].

وفي رواية لمالك: «ما يزال المؤمن يضارّ في ولده وحامته ـ أي: خاصته وقرابته ـ حتى يلقى الله، وليست له خطيئة».

وروى أبو داود عن محمد بن خالد السلمي ـ رحمه الله ـ عن أبيه عن جده، وكانت له صحبة، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن العبد إذا سبقت له من

(١) صحيح. انظر صحيح الجامع رقم (٥٨١٥)، ورواه أحمد، والحاكم، وابن أبي الدنيا، وأبو نعيم في «الحلية».

الله منزلة، فلم يبلغها، ابتلاه الله تعالى في جسده، أو في ماله، أو في ولده» زاد في رواية: «ثم صبّره على ذلك، حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل»[1].

٢ـ أجر الصبر على وفاة الطفل:

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۝٨٠ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ١٨/ ٨٠ـ٨١].

قال ابن كثير في التفسير أي: يحملهما حبُّه على متابعته على الكفر. وقال قتادة: قد فرح به أبواه حين ولد، وحزنا عليه حين قُتِل، ولو بقي لكان فيه هلاكهما، فليرض امرؤ بقضاء الله، فإن قضاءَ الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب.

وروى الترمذي[2]، وقال: حديث حسن، عن أبي موسى رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: فماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع ـ أي: قال: إنا لله وإنا إليه راجعون ـ فيقول الله تعالى: «ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة، وسمّوه بيت الحمد».

وروى البخاري ومسلم بعضَه عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ دخل على ابنه إبراهيم رضي الله عنه، وهو يجودُ بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ فقال: «يابن عوف إنها رحمةٌ» ثم أتبعها أخرى فقال: «إنَّ العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون».

قال الحافظ ابن حجر معلقاً على الحديث: قال ابنُ بطال وغيره: هذا الحديث يفسر البكاء المباح، والحزن الجائز، وهو ما كان بدمع العين، ورقة

---

(١) في سنده محمد بن خالد، وهو مجهول، ولكن يشهد لمعناه الحديث الذي قبله. انظر جامع الأصول (٩/ ٥٨٥) ت. الأرناؤوط.

(٢) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٠٤٨).

القلب، من غير سخط لأمر الله، وهو أبينُ شيء وقع في هذا المعنى، وفيه مشروعيةُ تقبيل الولد، وشمّه، ومشروعية الرضاع، وعيادة الصغير، والحضور عند المحتضر، ورحمة العيال، وجواز الإخبار عن الحزن، وإن كان الكتمان أولى، وفيه وقوع الخطاب للغير وإرادة غيره بذلك، وكل منهما مأخوذ من مخاطبة النبي ﷺ ولده، مع أنه في تلك الحالة لم يكن ممن يفهم الخطاب لوجهين، أحدهما: صغره، والثاني: نزاعه، وإنما أراد بالخطاب غيره من الحاضرين، إشارة إلى أن ذلك لم يدخلْ في نهيه السَّابق.

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يموت له ثلاثة، لم يبلغوا الحنث، إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم»(١).

وفي الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد، لا تمسّه النار إلا تحلة القسم». ومعنى ـ تحلة القسم ـ قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ ـ [مريم: ١٩/ ٧١] والورود هو: العبور على الصراط، وهو جسرٌ منصوب على ظهر جهنم.

قال الحافظ ابن حجر معلقاً على الحديثين(٢): والمعنى: لم يبلغوا الحلم، فتكتب عليهم الآثام، قال الخليل: بلغ الغلام الحنث: إذا جرى عليه القلم، والحنث: الذنب، قال الله تعالى: ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٥٦/ ٤٦] وقيل: المراد إذا بلغ إلى زمان يؤخذ بيمينه إذا حنث، وقال الراغب:

---

(١) الأحاديث الواردة في موت ثلاثة أولاد، أو ولدين، أو ولد واحد حجاب من النار. أخرجها البخاري كتاب (٣) الباب (٣٦) وكتاب (٢٣) باب (٩٢) وكتاب (٩٦) باب (٩) ومسلم كتاب (٤٥) حديث (١٥٠ـ١٥٦) والترمذي كتاب (٨) باب (٣٦) و(٦٤) والنسائي كتاب (٢١) باب (٢٤ـ٢٦) وابن ماجه كتاب (٦) باب (٥٦) والموطأ كتاب (١٦) حديث (٣٨ـ٤٠) وابن سعد جزء (٤) قسم (١) ص(٧٢)، وأحمد جزء (١/ ٣٧٥ و٤٤١ و٤٢٩ و٢١٥ و٢/ ٢٣٩ و٢٤٦ و٢٧٦). والطيالسي حديث (٨٠٨ و٢٦٢ و٢٣٠٤).

(٢) فتح الباري الجزء الثالث (٣٦٧).

عبّر بالحنث عن البلوغ لما كان الإنسان يُؤخذ بما يرتكبه فيه، بخلاف ما قبله، وخصّ الإثم بالذكر، لأنه الذي يحصل بالبلوغ؛ لأن الصبي قد يُثاب، وخصّ الصغير بذلك لأنّ الشَّفقَ عليه أعظم، والحب له أشد، والرحمة له أوفر، وعلى هذا فمن بلغ الحنث لا يحصل لمن فقده ما ذكر من هذا الثواب، وإن كان في فقد الولد أجر في الجملة، وإن أولاد المسلمين في الجنة؛ لأنه يبعد أن الله يغفر للآباء بفضل رحمتهم للأبناء، ولا يرحم الأبناء.

قال المهلب: وكون أولاد المسلمين في الجنة، قاله الجمهور، ووقفت طائفةٌ قليلة[1].

قال البيهقي في كتاب «الاعتقاد» فصل: الأطفال أنهم يولدون على فطرة الإسلام:

ثم أكرم الله تعالى أمته بإلحاق ذرية المؤمن به، وإن لم يعملوا عمله، فجاءت أخبارٌ بدخولهم الجنة، فعلمنا بها جريان القلم بسعادتهم، فمنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «صغارهم دعاميص الجنة».

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً عن النبي ﷺ: «أولادُ المسلمين في جبل في الجنة، يكفلهم إبراهيم، وسارة عليهما السلام، فإذا كان يوم القيامة دُفِعوا إلى آبائهم».

وفي حديث معاوية بن قرة عن أبيه عن النبي ﷺ في قصة الرجل الذي مات ابن له، قال: فعزّاه النبي ﷺ فقال: «يا فلان! أيما أحبّ إليك: أن تمتع به عمرك أو لا تأتي غداً باباً من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك؟» فقال: يا نبيَّ الله! لا، بل يسبقني إلى أبواب الجنة أحب إلي، قال: «فذاك لك». فقام رجل من الأنصار، فقال: يا نبيَّ الله! جعلني الله فداك، أهذا لهذا خاصة؟ أو من هلك له طفل من المسلمين كان ذاك له؟ قال: «من هلك له طفلٌ من المسلمين كان ذاك له».

---

(١) فتح الباري (٣/ ٤١٨).

وقال الشافعي - رحمه الله -: وقد جاءت الأحاديثُ في أطفال المسلمين أنهم يدخلون الجنة.

وعن أم حبيبة أنها كانت عند عائشة رضي الله عنها، فجاء النبي ﷺ حتى دخل عليها، فقال: «ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث، إلا جيء بهم يوم القيامة حتى يُوقَفُوا على باب الجنة، فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فيقولون: حتى يدخل آباؤنا، فيقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم».

رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن جيد.

وعن عقبة بن عامر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أثكل ثلاثة من صلبه، فاحتسبهم على الله في سبيل الله عز وجل، وجبت له الجنة» رواه أحمد والطبراني ورواته ثقات.

وفي الصحيحين عن أبي زيد أسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ وحِبّه وابنِ حِبّه رضي الله عنهما قال: أرسلت بنتُ النبي ﷺ أن ابني قد احتضر فاشهدنا، فأرسل يُقرئها السلام، ويقول: «إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مُسمّى، فَلْتصبر ولتحتسب» فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها، فقام ومعه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ورجال رضي الله عنهم، فرفع إلى رسول الله ﷺ الصبي، فأقعده في حجره، ونفسه تقعقع، ففاضتْ عيناه ﷺ فقال سعد: يا رسول الله! ما هذا؟ فقال: «هذه رحمةٌ، جعلها الله تعالى في قلوب عباده».

وفي رواية: «في قلوب من شاء من عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء».

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ امرأةً أتتِ النبيَّ ﷺ بصبي لها، فقالت: يا رسول الله! ادْعُ الله له، فقد دفنت ثلاثة، فقال: «لقد احتظرتِ بحظار شديد من النار، دعاميص الجنة، يلقى أحدهم أباه، فيأخذ بناحية ثوبه، فلا يفارقه حتى يدخل الجنة».

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاءت امرأةٌ إلى النبي ﷺ

فقالت: يا رسول الله! إنا لا نقدر عليك في مجلس، فواعدنا يوماً نسألك فيه، فقال: «موعدكن بيت فلان». فجاءهن بذلك الموعد، وكان فيما حدّثهن: «ما منكن امرأة يموت لها ثلاث من الولد، فتحتسبهم، إلا دخلت الجنة» فقالت امرأة: واثنان؟ قال: «واثنان».

وروى النسائي عن أم قيس بنت محصن رضي الله عنها قالت: توفي ابني، فجزعتُ عليه، فقلت للذي يغسله: لا تغسل ابني بالماء البارد فتقتله، فانطلق عكاشة بن محصن إلى رسول الله ﷺ فأخبره بقولها، فتبسم، ثم قال: «طال عمرها» فلا نعلم أنَّ امرأة عمَرت ما عُمّرت.

وروى مالك عن سعيد بن المسيب قال: صليتُ وراء أبي هريرة على صبي لم يعمل خطيئة قط، فسمعته يقول: اللهم أَعِذْه من عذاب القبر.

وروى البخاري عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال: يُقرأ على الطفل فاتحة الكتاب، ويقال: اللهم اجعلْه سلفاً، وفرطاً، وذخراً، وأجراً.

وروى عبد الرزاق في مصنفه (٦/ ١٥٩) عن مكحول قال: قال رسول الله ﷺ: «وإن ذراري المؤمنين في شجرة عماد الجنة، يكفلهم أبوهم إبراهيم عليه السلام».

وروى أيضاً (٦/ ١٦٠) عن محمد بن سيرين قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوا الحسناء العاقرة، وتزوجوا السوداء الولود، فإني أكاثر بكم الأمم يوم القيامة، حتى السِّقط[1] يظل محبنطئاً[2] فيقال: ادخل أنت وأبواك».

وروى أيضاً (٦/ ١٦٠) عن عبد الملك بن عمير وعاصم بن بهدلة: أن النبي

---

(١) السِّقط بكسر السين: الولد ذكراً كان أو أنثى، يسقط قبل تمامه، وهو مستبين الخلق، يقال: سقط الولد من بطن أمه سقوطاً، فهو سِقْط بالكسر، والتثليث لغة، ولا يقال: وقع. انظر الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد للشيخ أحمد البنا الساعاتي رحمه الله وولده (٧/ ٢٠٧).

(٢) أي: متغضباً، والمحبنطيء بالهمز: المتغضب المستبطيء للشيء، وقيل: هو الممتنع امتناع طلبة لا امتناع إباء، كذا في النهاية.

ﷺ قال: «وإن أطفال الأمم المسلمين يقال لهم يوم القيامة: ادخلوا الجنة، فيتعلقون بأحقاء آبائهم وأمهاتهم، فيقولون: ربنا آباءنا وأمهاتنا! قال: فيقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم وأمهاتكم، قال: ثم يجيء السِّقْطُ، فيقال له: ادخل الجنة، قال: فيظل محبنطئاً ـ أي: متقعساً ـ فيقول: أي رب أبي وأمي، حتى يلحق به أبوه وأمه».

وروى الإمام أحمد ومسلم عن أنس مرفوعاً: «إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الثدي، وإنه له ظئرين يُكملان رضاعه في الجنة».

وعن بعض أصحاب النبي ﷺ: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إنه يقال للوالدين يوم القيامة ادخلوا الجنة، قال: فيقولون: يا رب! حتى تُدْخل آباءنا وأمهاتنا، قال: فيأبون، قال: فيقول الله عز وجل: ما لي أراهم محبنطئين؟! ادخلوا الجنة، قال: فيقولون: يا رب! آباؤنا! فيقول: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم» رواه أحمد، ورجاله ثقات، كذا قاله الهيثمي في المجمع (٣/ ١١) و(١٠/ ٣٨٣).

وإن الزوجة الصالحة تلعب دوراً كبيراً في الصبر على وفاة الطفل، وتصبّر زوجها، وتنتصر على عاطفة الأمومة في مقابل إدخال السرور على قلب زوجها، وأمامنا حادثة تؤكد ذلك، وهي قدوة لكل زوجة صالحة بعدها:

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: مات ابنٌ لأبي طلحة، وأبو طلحة خارجٌ، فلما رأتِ امرأتُه أنه قد مات هيأت شيئاً، ونحّته في جانب البيت، فلما جاء أبو طلحة، قال: كيف الغلام؟ قالت: قد هدأتْ نفسه، وأرجو أن يكون قد استراح، فبات، فلما أصبح اغتسل، فلما أراد أن يخرجْ أعلمته أنه قد مات، فصلى مع النبي ﷺ ثم أخبره بما كان منهما، فقال رسول الله ﷺ: «لعل الله تعالى أن يبارك لكما في ليلتكما» قال رجل من الأنصار: فرأيت له تسعةَ أولاد، كلهم قد قرؤوا القرآن.

وفي رواية أحمد في مسنده (٣/ ٢٨٧) تفصيلٌ لطيفٌ، فعن أنس رضي الله عنه أن أبا طلحة مات له ابن، فقالت أم سليم: لا تخبروا أبا طلحة حتى أكون أنا الذي أخبره، فسجت عليه، فلما جاء أبو طلحة، وضعت بين يديه طعاماً، فأكل،

ثم تطيَّبت له، فأصاب منها، فعلقت بغلام، فقالت: يا أبا طلحة! إن آل فلان استعاروا من آل فلان عارية، فبعثوا إليهم: ابعثوا إلينا بعاريتنا، فأبوا أن يردوها، فقال أبو طلحة: ليس لهم ذلك، إن العارية مؤداةٌ إلى أهلها، قالت: فإن ابنك كان عارية من الله عز وجل، وإن الله عز وجل قد قبضه، فاسترجع (أي: أبو طلحة) قال أنس: فأخبر النبيّ ﷺ بذلك فقال: «بارك الله لهما في ليلتهما» قال: فعلقت بغلام. . . الحديث.

وأورد النووي رحمه الله في كتابه «بستان العارفين» حوادث لطيفة في تعزية الآباء على فقد أبنائهم، فقال رحمه الله:

قال الشافعي رضي الله عنه: مات ابنٌ للحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما، فلم يُرَ عليه كآبةٌ، فعوتب في ذلك، فقال: إنا أهل بيت نسأل الله تعالى فيعطينا، فإذا أراد ما نكره فيما يحبُّ رضينا.

قال: وكتب رجلٌ إلى بعض إخوانه يعزيه بابنه: أما بعد، فإن الولد على والده ما عاش حزن وفتنة، وإذا قدّمه فصلاة ورحمة، فلا تجزعْ على ما فاتك من حزنه وفتنته، ولا تضيع ما عوَّضك الله تعالى من صلاته ورحمته[١].

وهكذا وجدت يا أخي! أن الولد الصالح خير كله، سواء عاش بعد أبويه، فيرفع درجات والديه باستغفاره لهما، أو مات قبلهما كان سبباً في دخولهما الجنة، ولهذا قال ابن القيم عن الولد: إن عاش بعد أبويه نفعهما، وإن مات قبلهما نفعهما[٢].

☆ ☆ ☆

(١) بستان العارفين (ص٥٥ـ٥٦).

(٢) في أحكام المولود (ص١٤).

الباب السادس

«البناء الجسمي»

● **تمهيـــد**

☆ أسس البناء الجسمي:

■ **الأساس الأول**: حق الطفل في تعلم السباحة، والرماية، وركوب الخيل.

■ **الأساس الثاني**: إجراء المسابقات الرياضية بين الأطفال.

■ **الأساس الثالث**: لعب الكبار مع الأطفال.

■ **الأساس الرابع**: لعب الأطفال مع الأطفال.

☆ **خاتمة**: فوائد الرياضة للأطفال.

«أُمِرْنا أن نُعلِّم أولادنا الرمي،
والقرآن»[1]

خالد بن الوليد

(١) كنز العمال (١٦/ ٥٨٥) رواه الطبراني.

● تمهيـــد:

اللعب طبيعة فطرية في الطفل، جعلها الله غريزة في نفسه، وذلك لينمو جسمه نمواً طبيعياً بشكل قوي، وحيث إن الطفولة البشرية هي أطولُ الطفولات بين الكائنات الحية، وحيث إن نمو العضلات، ونمو الجسم كله يكون في هذه الفترة، إذ بعدها يصعب على الجسم أن ينمو أكثر، أو يقوى بشكل أجود، أو غير ذلك من أشكال النمو في العضلات، والعظام، والصدر، والرئة، وغيرها.

وإذا لاحظنا أنه لا يمكن للإنسان أن يصبح رياضياً بعد هذه الفترة بشكل فعال، ويقول: أريد أن أبني جسمي بعد مضي مرحلة الطفولة له بدون رياضة، فإن نسبة نجاح مقولته هذه ضعيفة، وبالتالي فإن البناء الجسمي للطفل لا بُدَّ أن يستوفي حقه في الطفولة، على خلاف الأبواب السابقة؛ التي إذا فقد فيها الوالدان، أو المربون، فإنه يمكنهم تداركها فيما بعد.

وقد عرف علماءُ السلف أهميةَ لعب الطفل، وبناء جسمه، فقال الإمام الغزالي:

وينبغي أن يؤذن له بعد الفراغ من المكتب ـ الكتاب القرآني ـ أن يلعب لعباً جميلاً، يستفرغ إليه تعب الكتّاب بحيث لا يتعب في اللعب، فإن مَنْعَ الصبي من اللعب وإرهاقه بالتعليم دائماً يميت القلب، ويبطل ذكاءه، وينغّص العيش عليه، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً(١).

لذلك؛ فإن عدم قيام الطفل بالرياضة يؤدي أحياناً إلى مخاطر جمة، لا تلبث أن تنمو، وتكبر، حتى تظهر في الحال، أو المستقبل في أي شكل من أشكال الهزال الجسمي، أو الانهيار الداخلي، والنفسي.

وإذا علمنا أن التكاليف الشرعية التي تنتظر الطفل عندما يدخلُ في سن الاحتلام، ويودع مرحلة الطفولة، ويستقبل مرحلة جديدة في حياته، يحاسب

---

(١) الإحياء، الجزء الثالث.

فيها على الكبيرة والصغيرة، ويبدأ القلم بالتسجيل عليه برصد أعماله، وأقواله... إذا علمنا أن هذه التكاليف تحتاجُ إلى البنية القوية، والجسم المتدرب الرياضي... وما الصلاة، والصيام، والحج، والجهاد إلا الدعائم الأساسية لهذا الدين، تحتاج إلى المؤمن القوي الفعال، عند ذلك وجب علينا أن نفكّر، ونسأل أنفسنا: ما هي السبل والقواعد التي نستطيع بها تكوين جسم الطفل؟ وما هي أركان هذا البناء؟

إن نظرة إلى الأحاديث النبوية، والسيرة الشريفة، وطريقة تعامله ﷺ مع الأطفال في توجيههم، وبناء أجسامهم، ترينا أربعة أركان، باتباعها نحصل على بنية جسمية قوية للطفل، فما هي هذه الأركان؟

الأساس الجسمي الأول ـ حق الطفل في تعلُّم السباحة، والرماية، وركوب الخيل:

روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: علّموا أولادكم السباحة، والرماية، وأن يثبوا على الخيل وثباً.

من هذا يتبين حقّ الطفل في تعليم رياضات معينة خصّها النبي ﷺ بالذكر دون غيرها، وهذا يدلّ على أن لها دوراً خاصاً في حياة الطفل الحالية والمستقبلية، وأن لها دوراً كبيراً في إكساب الثقة في نفسه بتعلم هذه الرياضات؛ لما تحمل في طياتها من مخاوف نفسية عندما يكبر الطفل وهو لا يتقن هذه الرياضات، على خلاف باقي الرياضات التي يستطيع في كبره أن يتعلمها، ويتقنها نوعاً ما إذا مرت طفولته بدون تعلّمها.

وهذا إن دل على شيء، فإنما يدلُّ على حرص رسول الله ﷺ في رياضة الطفل لأنه ﷺ سبح وهو صغيرٌ في بستان أخواله بني النجار، ولعب مع الصبيان[1].

ومن ذلك أيضاً تشجيعه ﷺ للأطفال على الرمي:

روى ابن جرير في كتابه «الآثار»[2] بسنده عن علي رضي الله عنه قال:

---

(١) رواه أحمد عن أنس، ثم ساق أنس حادثة شقّ صدر النبي ﷺ في طفولته.

(٢) (١/ ٩٢) وهو في سنن الترمذي (٥/ ٣١٤) ومنتخب كنز العمال (٥/ ٧٢).

ما جمع النبي ﷺ أبويه إلا لسعد قال: «ارمِ، فداكَ أبي وأمي! أيها الغلام الحزور».

وعن أبي العالية: أن رسول الله ﷺ مرّ بفتية يرمون، فقال رسول الله ﷺ: «ارموا يا بني إسماعيل! فإنَّ أباكم كان رامياً» رواه سعيد بن منصور[1].

قال المحقق حبيب الرحمن: ورواه البخاري من حديث سلمة بن الأكوع.

الأساس الجسمي الثاني ـ إجراء المسابقات الرياضية بين الأطفال:

وهو أساسٌ فعّال في تكوين جسم الطفل، ويساعده على الاهتمام بالرياضة واللعب، وزيادة اعتنائه بجسمه، فقد أجرى ﷺ مسابقة الجري بين الأطفال من بني عمه العباس، ويستقبل الفائز بصدره، ثم الآخر، وهكذا.

أخرج أحمد عن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصف عبد الله، وعبيد الله، وكثير من بني العباس رضي الله عنهم، ثم يقول: «من سبق إلي فله كذا وكذا» قال: فيسبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره، فيقبّلهم، ويلتزمهم.

وأنت تلاحظ أنه يوزع حبه عليهم جميعاً، فيقبّلهم جميعاً، ولا يقتصر على الفائز منهم فقط، وإنما يرعاهم جميعاً؛ خشية دخول الغيرة، والحسد بينهم، وأن يكون البناء لهم جميعاً دون استثناء.

الأساس الجسمي الثالث ـ لعب الكبار مع الصغار والأطفال:

سنعيش الآن مع طائفة من الأحاديث تُرينا لعب النبي ﷺ وهو الرسول القائد للأمة يلعب مع الأطفال.. وما هذا إلا ليربي الوالدين والكبار، وليقتدوا به ويلعبوا مع أطفالهم: روى الطبراني عن أبي أيوب الأنصاري قال: دخلت على رسول الله ﷺ والحسن والحسين رضي الله عنهما يلعبان بين يديه أو في حجره فقلت: يا رسول الله أتحبهما؟ فقال: «وكيف لا أحبهما؟! وهما ريحانتاي من الدنيا أشمهما».

(١) (٢/ ٥٩) وهو صحيح. انظر صحيح الجامع رقم (٣٥٢٠).

وروى البزار عن سعد بن أبي وقاص قال: دخلت على رسول الله ﷺ والحسن والحسين يلعبان على بطنه، فقلت: يا رسول الله أتحبهما؟ فقال: «ومالي لا أحبهما؟! وهما ريحانتاي».

وروى أبو يعلى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: رأيت الحسن والحسين رضي الله عنهما على عاتقي النبي ﷺ فقلت: نعم الفرس تحتكما، فقال ﷺ: «ونِعْمَ الفارسان هما» كذا في الكنز (٧/ ١٠٦) والمجمع (٩/ ١٨٢)، ورجاله رجال الصحيح، كما في مجمع الزوائد، وقال: رواه البزار بإسناد ضعيف، وأخرجه ابن شاهين كما في الكنز.

وروى الطبراني عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُصلِّي، فجاء الحسن والحسين، أو أحدهما رضي الله عنهما، فركب على ظهره، فكان إذا رفع رأسه قال بيده، فأمسكه، أو أمسكهما، قال: «نعم المطية مطيتكما». قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٨٢): وإسناده حسن.

وعنده أيضاً عن جابر رضي الله عنه قال: دخلتُ على النبي ﷺ وهو يمشي على أربع، وعلى ظهره الحسن والحسين رضي الله عنهما، وهو يقول: «نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان أنتما».

وروى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: لقد رأيتُ رسول الله ﷺ يسترني بردائه، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد، حتى أكون أنا التي أسأمه، فاقدروا قَدْر الجارية الحديثة السن، الحريصة على اللهو.

وللنسائي في أخرى عنها: قالت: وجاءت السودان يلعبون بين يدي رسول الله ﷺ في يوم عيد، فدعاني رسول الله ﷺ فكنت أطلعُ عليهم من فوق عاتقه، حتى كنت أنا التي انصرفت.

فأنت شاهدت أنواعاً مختلفة من لعبه ﷺ مع الحسن والحسين، وما ذلك إلا ليدلك النبي ﷺ إلى فكرة التنوُّع في اللعب مع الأطفال، وأنت لاحظت أيضاً ثناءه، ومدحه لهما في اللعب، وذلك ليزيد من نشاطهما النفسي في اللعب،

فيستمران بلا كلل، ولا تعب، ويتابعان اللعب بحب وشغف، وذلك ليكون غذاءً جسمياً ونفسياً في آن واحد.

الأساس الجسمي الرابع ـ لعب الأطفال مع الأطفال:

كثيراً ما يكون الوالدان مشغولين بالأعمال المختلفة، عند ذلك يتيحان للطفل أن يلعب مع إخوته، أو أبناء جيرانه، أو أولاد حيّه، أو أبناء أقاربه. ويختار الوالدان أن يلعب طفلهما مع أولاد مهذّبين، مؤدبين، خشية أن يتعلم طفلهم بذاءة اللسان، أو منكر الأخلاق من غضب، وانفعالات في أثناء اللعب.

وقد شاهد رسول الله ﷺ في عدة مواطن لعب الأطفال، ولم ينكر عليهم.

روى الطبراني عن جابر رضي الله عنه قال:

كنا مع رسول الله ﷺ فدعينا إلى طعام، فإذا الحسين يلعبُ في الطريق مع صبيان، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم، ثم بسط يده، فجعل يفرّ ها هنا وها هنا، فيضاحكه رسول الله ﷺ حتى أخذه، فجعل إحدى يديه في ذقنه، والأخرى بين رأسه وأذنيه، ثم اعتنقه، وقبّله، ثم قال: «حسين مني وأنا منه، أحبَّ الله من أحبهما، الحسن والحسين سبطان من الأسباط».

وقد تقدم حديث الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: بينما كنت ألعب مع الغلمان، فجاء رسول الله ﷺ وأرسلني في حاجة.. الحديث.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: مرّ بي رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان، فاختبأت منه خلف باب، فدعاني، فحطأني حطأة، ثم بعثني إلى معاوية، فرجعت إليه فقلت: هو يأكل. رواه أحمد في مسنده (١/ ٣٣٨).

وقد لعب النبي ﷺ في طفولته مع الصبيان، وأتاه جبريل وهو يلعب مع الصبيان، فأخذه وشق صدره... الحديث. رواه أحمد في مسنده (٣/ ٢٨٨).

وقد شاهد ﷺ مصارعة الغلامين قبيل غزوة أحد، عندما اعترض أحدهما على الآخر لرسول الله ﷺ لقبوله بالاشتراك في المعركة، وعدم قبول المعترض، وكان فيما قال: يا رسول الله! كيف تقبله وأنا إن صارعتُه صرعته؟! فتصارعا

أمامه، وغلبه كما قال، فَقَبِلَهما رسول الله ﷺ في دخول المعركة.

أما لعب البنات فقد يختلف عن لعب الصبيان، حيث أجاز العلماء لعب البنت باللعب المجسمة، وذلك استناداً للحديث التالي:

روى أبو داود ـ وإسناده صحيح ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، أو حنين، وفي سهوتها ستر، فهبت ريح، فكشفتْ ناحية الستر عن بنات لعائشة ـ لعب ـ فقال: «ما هذا يا عائشة؟» قالت: بناتي، ورأى بينهن فرساً له جناحان من رقاع، فقال: «ما هذا الذي أرى وسطهن؟» قالت: فرس، قال: «وما الذي عليه؟» قالت: جناحان، قال: «فرس له جناحان!» قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة؟! قالت: فضحك حتى رأيتُ نواجذَه.

وروى الشيخان وأبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت ألعبُ بالبنات عند رسول الله ﷺ وكانت تأتيني صواحبي، فينقمعن من رسول الله ﷺ وكان يُسَرِّبُهنَّ إليّ فيلعبن معي.

البنات: هي التماثيل التي تلعب بها البنات الصغيرات، الانقماع: الاستتار والتعب، ويسرِّبهن: أي يردّهن إلي.

ومن الألعاب المنهي عنها:

*** اتخاذ الحيوان هدفاً:**

فعن سعيد بن جبير قال: مررت مع ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم في طريق من طرق المدينة، فإذا فتيةٌ قد نصبوا دجاجة يرمونها بسهم كلِّ خاطئة، قال: فغضب، وقال: من فعل هذا؟ قال: فتفرقوا، فقال ابن عمر: لعن رسول الله ﷺ من يمثل بالحيوان. رواه أحمد في مسنده والدارمي بلفظ: «فإذا أنا بغلمة».

تحذير وتنبيه:

ولا بد أن نذكر وننبه لضرورة دخول الأطفال لبيوتهم قبيل المغرب إيذاناً بانتهاء اللعب، وذلك لما ورد من الأحاديث النبوية التي تخبرنا بانتشار الشياطين

في الشوارع في ذلك الوقت، ولا بأس بتحفيظ الطفل هذه الأحاديث النبوية؛ ليعلم أن الأمر من الرسول ﷺ.

روى الحاكم عن جابر مرفوعاً: «احبسوا صبيانكم حتى تذهب فَوْعة العشاء، فإنها ساعة تخترق فيها الشياطين»(١).

وروى أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن جابر مرفوعاً: «إذا كان جنح الليل فكفّوا صبيانكم؛ فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم(٢)».

وفي رواية البخاري: «فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم».

خاتمة: فوائد الرياضة للطفل:

على الرغم من أن اللعب هو بالنسبة للراشد لملء وقت الفراغ، إلا أنه بالنسبة للطفل عبارة عن عمل هام جداً، ومن خلال انغماسه في اللعب يطوّر الطفل كلاًّ من عقله وجسده، ويحقق التكامل ما بين وظائفه الاجتماعية، والانفعالية، والعقلية التي تتضمن التفكير، والمحاكمات العقلية، وحلّ المشكلات، وسرعة التخيل، كما وتلعب البيئة الطبيعية، وتوجيه الآباء أدواراً حاسمة في تطوير الطفل من خلال اللعب.

إن فترة ما قبل المدرسة فترة مهمة جداً للنمو العقلي للطفل من خلال اللعب، حيث يصل الطفل إلى أقصى طاقات النضوج باللعب.

ومن خلال اللعب أيضاً يُكرِّر الطفل خبراته السابقة حتى يستطيع أن يستوعبها، وتصبح جزءاً من شخصيته، كما أن اللعب يهيّيء الطفل للتكيف في المستقبل من خلال الاستجابات الجديدة التي يقوم بها أثناء لعبه؛ ولذا لا ينظر إلى اللعب الآن على أساس أنه مضيعة للوقت، ولكن على أساس أنه ضروري

---

(١) صحيح انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٩٠٥) ورواه أحمد.
فوعة: أي: أول الليل، تخترق: أي: تمر بشكل عرضي في الطريق.
(٢) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٤٠).

لنمو الطفل، والآباء الذين يحرمون أطفالهم من اللعب في البيت، أو مع أولاد الجيران، إنما يحرمون الطفل من حاجاته الأساسية للنمو!!

وللعب عدد من الفوائد، والقيم:

(١) **القيمة الجسدية**: إن اللعب النشيط ضروري لنمو العضلات للطفل، فمن خلال اللعب يتعلم مهارات الاكتشاف وتجميع الأشياء.

(٢) **القيمة التربوية**: إن اللعب يفسح المجال أمام الطفل كي يتعلم الشيء الكثير من خلال أدوات اللعب المختلفة، كمعرفة الطفل للأشكال المختلفة، والألوان، والأحجام، والملابس... وفي كثير من الأحيان يحصل الطفل على معلومات من خلال اللعب، لا يستطيع الحصول عليها من مصادر أخرى.

(٣) **القيمة الاجتماعية**: يتعلم الطفل من خلال اللعب كيف يبني علاقات اجتماعية مع الآخرين، ويتعلم كيفية التعامل معهم بنجاح، كما أنه يتعلم من خلال اللعب التعاوني، واللعب مع الكبار الأخذ والعطاء.

(٤) **القيمة الخلقية**: يتعلم الطفل من خلال اللعب بدايات مفاهيم الخطأ والصواب، كما يتعلم بشكل مبدئي بعض المعايير الخلقية كالعدل، والصدق، والأمانة، وضبط النفس، والروح الرياضية.

(٥) **القيمة الإبداعية**: يستطيع الطفل عن طريق اللعب أن يعبر عن طاقاته الإبداعية[١]، وأن يجرب الأفكار التي يحملها.

(٦) **القيمة الذاتية**: يكتشف الطفل عن طريق اللعب الشيء الكثير من نفسه كمعرفة قدراته، ومهاراته من خلال تعامله مع زملائه، ومقارنة نفسه بهم، كما أنه يتعلم من مشاكله، وكيف يمكنه مواجهتها.

(٧) **القيمة العلاجية**: يصرف الطفل عن طريق اللعب التوتر الذي يتولد نتيجة

---

(١) أخطأ الكاتب فقال: الخلاقة، وهذا اصطلاح لا نوافق عليه؛ لذلك استبدلناها بـ ـ الإبداعية ـ.

القيود المختلفة التي تفرض عليه؛ ولذا نجد أن الأطفال الذين يأتون من بيوت تكثر فيها القيود، والأوامر، والنواهي يلعبون أكثر من غيرهم من الأطفال، كما أن اللعب وسيلة من أحسن الوسائل لتصريف العدوان المكبوت[1].

☆ ☆ ☆

(١) مجلة العربي عدد (٢٣٤) من مقالة الدكتور محيي الدين توق.

الباب السابع

البناء العلمي والفكري

«مُروا أولادكم بطلب العلم»[1].

علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ

☆ **تمهيـــد**.

☆ **أسس البناء العلمي والفكري**.

■ **الأساس الأول**: حق الطفل في التعلم وغرس حب العلم وآدابه في الطفل.

■ **الأساس الثاني**: حفظ الطفل لقسم من القرآن والسنة، وإخلاص النية بحفظهما.

■ **الأساس الثالث**: اختيار المدرِّس الصالح، والمَدْرسةِ الصالحة للطفل.

■ **الأساس الرابع**: إتقان الطفل للغة العربية.

■ **الأساس الخامس**: إتقان الطفل اللغة الأجنبية.

■ **الأساس السادس**: توجيه الطفل وفق ميوله العلمية.

■ **الأساس السابع**: المكتبة المنزلية الصالحة، وأثرها في بناء الطفل.

■ **الأساس الثامن**: رواية طفولة علماء السلف الصالح في طلب العلم أمام الأطفال.

---

(١) كنز العمال (٥٨٤/١٦).

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ١٦/ ٧٨].

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ:

«علموا؛

ويسّروا ولا تعسروا؛

وبشروا ولا تنفروا؛

وإذا غضب أحدكم فليسكت»[١].

(١) رواه البخاري في الأدب، وأحمد، وابن عدي، والقضاعي، وابن شاهين، والحديث صحيح بشواهده. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٣٧٥).

تمهيـــد:

لا يوجد في التاريخ دين مثل دين الإسلام، حرص على تعليم أبنائه، ولا توجد فكرة في العالم تحرص على تعليم تلامذتها مثل فكرة الإسلام، وهذا معترفٌ به من قبل أعداء الإسلام قبل غيرهم، فهذا الدكتور «أرثر رآربري» أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة كمبردج يقول(١):

للإسلام على الجنس البشري مآثر تدعو إلى الإعجاب، وتستدعي الشكران، ولدينا مؤلفات عدة تصف ما أسهم به المسلمون في ترقية الفنون، والآداب، والعلوم، والسياسة، ومن الواضح أن المسلمين ما كانوا يصلون إلى تحقيق هذه الأهداف العلمية الرفيعة، لولا حرصهم البالغ على التعلم والتعليم، ذلك الحرص الذي تميزت به الشعوب الإسلامية خلال تاريخها الطويل، فهبّ رجاله ونساؤه مستجيبين لدعوة الرسول ﷺ: «اطلبوا العلم ولو في الصين»(٢).

وفي عملية البناء العلمي والفكري لا بد من وضوح الأركان، والأسس التي يسير عليها الوالدان، لكي يَضْمَنَا لطفلهما البناء السليم، والعلم الغزير، والأفكار الصحيحة؛ لأن هذا البناء يُعَدُّ من أهم ما يُكوِّن الطفل؛ لأنه بناء العقل، فإذا كان سليماً كان الخير والبِشْر للوالدين، وإذا كان غير ذلك فقد أنجبا عدواً لهما يحاربهما من داخلهما، ويؤدي بهما إلى هاوية جهنم، والعياذ بالله تعالى.

ونلاحظ من هذه الأسس في البناء العلمي التي سنأتي على ذكرها بعون الله تعالى، أنها تعالج الطفل من داخله ليتجه نحو: العلم، والتعلم، وحب العلماء، كما تبين أهمية دور الوالدين في اختيار الأستاذ الناجح الصالح؛

---

(١) عن مقدمة كتاب: (تاريخ التربية الإسلامية) د. أحمد شلبي.

(٢) قال السخاوي في المقاصد الحسنة: رواه البيهقي في الشعب، والخطيب في الرحلة وغيرها، وابن عبد البر في جامع العلم، والديلمي. ثم قال: قال ابن حبان: إنه باطل لا أصل له، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات. والله أعلم.

الذي هو مرآة لقلب وعقل الطفل، فما يستحسنه الأستاذ يستحسنه الطفل؛ لذلك لا بد من معرفة هذه الأسس التي يحتاج إليها الوالدان، فما هي؟

الأساس العلمي الأول ـ حق الطفل في التعلم، وغرس حب العلم وآدابه في الطفل:

وضع النبي ﷺ قاعدة أصيلة بكسب مرحلة الطفولة في التعلم، وطلب العلم، تناقلتها الأجيال كلها جيلاً بعد جيل، فغدت تستنهضُ هممَ الآباء لحث أبنائهم على طلب العلم وحبه؛ لأن: طلب العلم فريضة على كل مسلم[1]، سواء كان صغيراً أم كبيراً، رجلاً أو امرأة، صبياً أم بنتاً، وهو أفضلُ العبادات التي يتقرب فيها العبد من ربه؛ لهذا كانت فترة الطفولة أخصب فترة في البناء العلمي، والفكري للطفل.

فقد روى الطبراني[2] عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل الذي يتعلم العلم في صغره كالنقش على الحجر، ومثل الذي يتعلم العلم في كبره كالذي يكتب على الماء».

ذكره ابنُ عابدين في حاشيته، ثم قال: ومما أنشد نِفْطوَيْه لنفسه[3]:

أراني نسيت ما تعلمت في الكبر ... ولست بناس ما تعلمت في الصغر
وما العلم إلا بالتعلم في الصبا ... وما الحلم إلا بالتحلم في الكبر
وما العلم بعد الشيب إلا تعسف ... غدا كُلَّ قلب المرء والسمع والبصر
ولو فلق القلب المعلم في الصبا ... لأبصَرَ فيه العلم كالنقش في الحجر

(١) رواه ابن ماجه عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً. انظر المقاصد الحسنة برقم (٦٦٠) حيث قال العراقي: صحح بعض الأئمة طرقه، وقال المزي: إن طرقه تبلغ به رتبة الحسن.

(٢) بسند ضعيف، قاله السخاوي في «المقاصد الحسنة». وانظر ضعيف الجامع بلفظ: «حفظ الغلام الصغير كالنقش في الحجر» برقم (٢٧٢٦) وأشار إلى ضعفه.

(٣) حاشية ابن عابدين (ط٢ ـ ١/ ١٥٧) وانظر المقاصد الحسنة (ص٤٦١).

وقد أورد السخاوي في «المقاصد الحسنة»[1] عدداً من الأحاديث التي تؤيد هذا المعنى، منها:

ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «من تعلم القرآن في شبيبته اختلط القرآن بلحمه ودمه، ومن تعلمه في كبره فهو يفلت منه ولا يتركه، فله أجر مرتين» رواه البيهقي، والديلمي، والحاكم.

وقال ابن عباس: «من قرأ القرآن قبل أن يحتلم، فهو ممن أوتي الحكم صبياً».

ولقد وعى الصحابة، والتابعون، وأصحاب الحديث أن تعلم الصغار له كبير الأثر في نشوء الطفل العلمي، ويجعله أقوى ثباتاً، وأرسخ في الذاكرة مما يتعلمه الإنسان وهو كبير.

وقد أورد الخطيب البغدادي[2] طائفة من حياة السلف الصالح، واهتمامهم بالأطفال، فهذا الحسن يقول: قَدِّموا إلينا أحداثكم، فإنهم أفرغ قلوباً، وأحفظ لما سمعوا.

وهذا سعيد بن رحمة الأصبحي يقول: كنت أسبقُ إلى مجلس عبد الله ابن المبارك بليل، معي أقراني لا يسبقني أحد، ويجيء هو مع الأشياخ، فقيل له: قد غلبنا عليك هؤلاء الصبيان، فقال: هؤلاء أرجى عندي منكم، أنتم كم تعيشون؟! وهؤلاء عسى الله أن يبلغ بهم. قال سعيد: فما بقيَ أحد غيري.

وهذا الأعمش يروي، فيقول: رأيتُ إسماعيل بن رجاء يأتي صبيان الكتاب، فيحدثهم لكي لا ينسى حديثه.

---

(١) رواه ابن ماجه عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً. انظر المقاصد الحسنة برقم (٦٦٠).

(٢) (١/ ٢٤٥) كتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق الدكتور محمد رأفت سعيد.

أما يحيى بن حميد الطويل، أو غيره فيقول: أتينا حماد بن سلمة وبين يديه صبيان يحدثهم، فجلسنا إليه حتى فرغ، فقلنا له: يا أبا سلمة! نحن مشايخُ أهلك قد جئناك، تركتنا، وأقبلت على هؤلاء الصبيان؟! قال: رأيت فيما يرى النائم كأني على شط نهر، ومعي دلّة أسقي فيها، فناولتها هؤلاء الصبيان. رواها ابن أبي الدنيا في كتاب العيال (٢/ ٨٠٤).

وكان يحيى بن يمان إذا جاء غلام أمرد؛ استقرأه رأس سبعين من الأعراف؛ ورأس سبعين من يُوسف، وأول الحديث، فإن قرأه حدّثه، وإلا لم يُحدثه[١].

وكان الحسن بن علي يقول لبنيه وبني أخته: تعلّموا فإنكم صغار قومٍ اليومَ؛ تكونون كبارهم غداً، فمن لم يحفظ منكم فليكتب[٢].

وكان عطاء بن أبي رباح يقول للغلمان: «اكتبوا؛ فمن كان لا يحسن كتبنا له، ومن لم يكن معه قرطاس؛ أعطيناه من عندنا»[٣].

وكتب بديع الزمان الهمذاني إلى ابن أخت له يحثه على الجد في طلب العلم، فقال: أنت ولدي ما دمت والعلم شأنك، والمدرسة مكانك، والقلم أليفك، والدفتر حليفك، فإن قصرت، وما إخالك، فغيري خالك، والسلام[٤].

وذكر ابن عبد البر في كتابه: جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٠٣):

قال لقمان لابنه: يا بني! ما بلغت من حكمتك؟ قال: لا أتكلّف ما لا يعنيني، قال: يا بني! إنه قد بقي شيء آخر جالس العلماء، وزاحمهم بركبتيك،

---

(١) المرجع السابق (١/ ٤٢).
(٢) عن (الكفاية في علم الرواية) للخطيب البغدادي (ص٢٩).
(٣) المحدث الفاصل (ص٣).
(٤) عن (الهداية الإسلامية) للشيخ محمد الخضر حسين (ص٢٢٨).

فإن الله يحيي القلوب الميتة بالحكمة، كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء[1]
يا بني! لا تتعلم العلم لثلاث، ولا تدعه لثلاث.

لا تتعلمه: لتماري به، ولا لتباهي به، ولا لترائي به.

ولا تدعه: زهادة فيه، ولا حياء من الناس، ولا رضا بالجهالة.

يا بني! لا تجادل العلماء فتهون عليهم، ويرفضوك، ولا تجادل السفهاء فيجهلوا عليك، ويشتموك، ولكن اصبز نفسك لمن هو فوقك في العلم، ولمن هو دونك؛ فإنما يلحق بالعلماء من صبر لهم، ولزمهم، واقتبس من علمهم في رفق.

يا بني! إن الحكمة أسكنت المساكين مجالس الملوك[2].

وقال يحيى بن خالد لابنه: عليك بكل نوع من العلم، فخذ منه، فإن المرء عدو ما جهل، وأنا أكره أن تكون عدو شيء من العلم، وأنشد:

تفنَّنْ وخذْ من كل علم، فإنَّما ... يفوقُ امرؤ في كل فنٍّ له علم
فأنت عدو للذي أنت جاهل ... وأنــت لمــا أتقنتــه أبــداً سِلْـم

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه[3]:

يا بني! تعلموا العلم، فإن كنتم وسطاً سدتم، وإن كنتم سوقة عشتم[4].

وراح بعد ذلك الأدباء، والكتاب، والحكماء، والعلماء، كلهم ينصحون الأبناء، ويوجّهون الأطفال إلى النهل من فترة الطفولة بالعلم، والمعرفة.

فهذا أحمد شوقي يدعو مربّي الأمة، ومصلحيها إلى الاهتمام بتعليم

---

(١) (رواه الإمام مالك في الموطأ (٢/ ١٦١) تنوير الحوالك بشرح موطأ مالك للسيوطي.
(٢) عن (اللب في الإسلام والطب) د. شوكت الشطي (ط١) جامعة دمشق (ص٣٨).
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.

الأطفال، والاعتناء بهم؛ لعل جيلاً منهم يفعل العجب العجاب، وينقذ الأمة من رقدتها:

فـربّ صغيـر قـومٍ علمـوه سما وحمى المسومة العرابا
وكـان لقـومـه نفعـاً وفخـراً ولـو تـركـوه كـان أذى وعـابـا
فعلِّـمْ مـا استطعـت لعـل جيـلاً سيأتي يحدث العجب العجابا

حتى إذا ترسّخ حبُّ العلم، وطلبه في نفس الطفل، وعقله، انطلق هو ذاتياً لطلبه، يتحمل الصعاب والمشقات في سبيله، وسهر الليالي في تحصيله، بدون إلحاح الوالدين.

الأساس العلمي الثاني ـ حفظ الطفل لقسم من القرآن والسنة، وإخلاص النية بحفظهما:

تقدّم معنا في البناء العقدي للطفل أهمية القرآن والسنة في تكوين عقلية الطفل، وهما مصدرا إشعاع العلوم، ينيران العقل، ويقوياه، فعلى أقل تقدير يحفظ الطفل من القرآن الكريم الجزء الثلاثين ـ جزء عم ـ وعلى أقل تقدير يحفظ من الأحاديث النبوية أربعين حديثاً. وقد جعلنا في خاتمة هذ الكتاب أربعين حديثاً تربوياً للطفل تنهاه، وتوجّهه، فلا بأس أن تدرس للأطفال، وتحفظ لهم.

وكان فعل الصحابة والسلف أن أول ما يلقنونه للطفل القرآن والسنة؛ لأنهما الركنان الأساسيان في بناء الطفل علمياً.

ولهذا قال ابن سينا في كتاب «السياسة»: فإذا تهيأ الصبي للتلقين، ووعي سمعه، أخذ في تعلم القرآن، وصُوّرت له حروف الهجاء، ولُقّن معالم الدين.

وإليك نموذجاً في حفظ الأطفال للحديث، واعتنائهم به كأساس علمي ينطلقون منه:

قال البخاري[1]: ألهمت حفظ الحديث، وأنا في الكتاب، قيل له: كم أتى

---

(١) انظر فيض الباري شرح صحيح البخاري، للعلامة الشيخ محمد أنور الكشميري رحمه الله تعالى (١/ ٣٣).

عليك إذ ذاك؟ فقال: عشر سنين، أو أقل، ثم خرجت من الكتاب، فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، فقال يوماً: فيما كان يقرأ للناس ـ سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم ـ فقلت: إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم فانتهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك، فدخل، فنظر فيه، ثم رجع فقال: كيف هو يا غلام؟ فقلت: هو الزبير، وهو ابن عدي عن إبراهيم، فأخذ القلم، وأصلح كتابه، وقال لي: صدقت.

وكان البخاري إذ ذاك ابن إحدى عشرة سنة، فلما طعن في سنه ست عشرة سنة حفظ كتاب ابن المبارك، ووكيع، وبعد ذلك بسنتين صنف كتاب: «قضايا الصحابة والتابعين» ثم صنف «التاريخ» في المدينة عند قبر الرسول ﷺ، قال حاشد بن إسماعيل:

كان البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة، وهو غلام، فلا يكتب، حتى أتى على ذلك أيام، فلمناه بعد ستة عشر يوماً، فقال: قد أكثرتم عليَّ، فاعْرضوا عليَّ ما كتبتم، فأخرجناه، فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر قلب، حتى جعلنا نُحْكِم كُتُبنا من حفظه.

الأساس العلمي الثالث ـ اختيار المُدَرِّسِ الصالح، والمَدْرَسَةِ الصالحة للطفل:

كان الصحابة والسلف حريصين كل الحرص على اختيار المدرس الصالح لأطفالهم، وكانوا يعنون به عناية فائقة، ولهم ولع شديد به؛ لأنه هو المرآة التي يراها الطفل، فتنطبع في نفسه وعقله، وهو مصدر التلقي للطفل.

ومن شدة اهتمامهم به أنهم ينصحون أبناءهم في أخذ الأدب قبل العلم، تقدم ذلك معنا في البناء الخلقي للطفل في ركن: أساس الأدب مع العلماء، وإذا ما تطلب الأمر الرحلة والسفر للوصول إلى المُدرِّس الصالح، فهذا حبيبٌ إلى قلوبهم، سهل على نفوسهم، يتلقونه بصدر رحب بلا مشقة، أو أي صعوبة، ومعلوم أن الرحلة والسفر لها أعباؤها المالية على الأبوين، ولكن في سبيل بناء الطفل العلمي بشكل سليم، يهون عليهم كل مال، وكل غال ونفيس؛ ولهذا قال ابن سينا في كتاب «السياسة» باب: سياسة الرجل ولده:

فينبغي أن يكون للصبي مؤدب عاقل، ذو دين، بصير برياضة الأخلاق، حاذق بتخريج الصبيان، وقور، رزين بعيد عن الخفة والسّخط، قليل التبذل والاسترسال بحضرة الصبي، غير كز[1] ولا جامد، وأن يكون حلواً، لبيباً، ذا مروءة، ونظافة، ونزاهة.

وإلى هذا ذهب أمراء المسلمين في الحصول على المُدرِّسِ الصالح لتعليم أولادهم.

قال أبو بكر بن جابر خادم أبي داود: كنت ببغداد، فصلينا المغرب، إذ قرع الباب، ففتحه، فإذا خادم يقول: هذا الأمير أبو أحمد الموفق يستأذن، فدخلت إلى أبي داود، فأخبرته بمكانه، فأذن له، فدخل، وقعد، ثم أقبل عليه أبو داود، وقال: ما جاء بالأمير في مثل هذا الوقت؟ قال: خلال ثلاث. قال: وما هي؟ قال: تنتقل إلى البصرة فتتخذها وطناً، لترحل إليك طلبة العلم من أقطار الأرض، قال: هذه واحدة، هات الثانية.

قال: تروي لأولادي كتاب السنن، قال: نعم.

هات الثالثة: قال: تفرد لهم الرواية، فإن أولاد الخلفاء لا يجلسون مع العامة، فقال: أما هذه فلا سبيل إليها؛ فإن الناس شريفهم ووضيعهم في العلم سواء.

قال جابر: فكانوا يحضرون بعد ذلك، ويقعدون، ويضرب بينهم وبين الناس ستراً، فيسمعون مع العامة[2].

وروي أنَ عتبة بن أبي سفيان قال لمؤدب ولده: يا عبد الصمد! ليكن أول ما تبدأ به إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحَسَنُ عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت، وعلمهم كتاب الله، ولا تستكرههم عليه فيملّوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، وروِّهم من الشعر أعفّه، ومن الحديث

---

(١) «الكز»: المنقبض واليابس، يقال: ذهب كزاً، أي: صلب جداً.
(٢) كتاب: الإمام أبو داود ومكانة كتابه السنن، تقي الدين الندوي.

أشرفه، ولا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلّة للفهم، وتهدّدهم بي، وأدّبهم دوني، وكن لهم كالطبيب الرفيق لا يضع الدواء إلا بعد معرفة الداء، وروّهم سير الملوك، وجنّبهم محادثة النساء، ولا تتّكلنَّ على عذر مني، فإني اتكلت على كفاية منك، واستزدني بزيادتك إياهم، أزدك إن شاء الله(١).

ثم يؤكد الماوردي ضرورة، وأهمية اختيار المعلم، فيقول(٢):

ثم يجب أن يجتهد في اختيار المعلم، والمؤدب له اجتهاده في اختيار الوالدة، والظئر، بل أشدّ منه؛ فإن الولد يأخذ من مؤدبه من الأخلاق، والشمائل، والآداب، والعادات أكثر مما يأخذ من والده؛ لأن مجالسته له أكثر، ومدارسته معه أطول، والولد قد أمر حيث سلم إليه بالاقتداء به جملة، والائتمار له دفعة، وإذا كان هكذا فيجب ألا يقتصر من المعلم والمؤدب، على أن يكون قارئاً للقرآن وحافظاً للغة، أو راوياً للشعر حتى يكون تقياً، ورعاً، عفيفاً، دَيِّناً، فاضل الأخلاق، أديب النفس، نقي الجيب، عالماً بأخلاق الملوك وآدابهم، عارفاً بجوامع أصول الدين والفقه، وافياً بما ذكرنا أنه يحتاج إلى أن يعمله على الترتيب، فإن فاته شيء مما ذكرنا، فلا يفوته التقى، والدين، والفقه.

وقال الترمذي الحكيم رحمه الله: «صلاح الصبيان في المكتب، وصلاح قطاع الطريق في السجن، وصلاح النساء في البيوت»(٣).

أما اليوم فقد شن أعداء الإسلام حملةً حاقدة، ورفعوا لواءً إلحادياً لئيماً في تدمير الطفل المسلم، فاختاروا له المعلم الكافر والفاسق، وهيؤوا له مدرسة عصرية تبعده عن منهج الله وشرعه، وما هذا إلا لجهل المسلمين، وهو دليل أكيد على غفلتهم، وهذا الذي نقوله ليس كلاماً جزافاً، وإنما الواقع الذي نعيشه

---

(١) نصيحة الملوك، للماوردي (ص١٧٢).
(٢) نصيحة الملوك، للماوردي (ص١٧٠).
(٣) الطبقات الكبرى للإمام الشعراني (ص٩١).

اليوم، وما صرح به أولئك الغزاة المعتدون الآثمون خير دليل، وإليك بعض خططهم:

فهذا القس «صموئيل زويمر» ينشر في كتابه «مهد الإسلام» خداعه للأطفال المسلمين، فيقول:

والتعليم المدرسي، والتربية الأخلاقية الغربية قد أسفرا عن نتائج جمة، وأثمرا ثمرات نافعة في الأطفال والمراهقين على السواء، لقد استطعت أن أجمع التلاميذ المسلمين مرة، وأضع بين أيديهم كرة تمثل الكرة الأرضية، ثم حولت عليها نوراً قوياً، وأقنعتهم بذلك أن الأمر بالصيام لشهر رمضان ليس آتياً من عند الله؛ لأنه يتعذر أداء هذه الفريضة في بعض البلاد[1].

ولم يكتف هذا المجرم الحاقد اللئيم ـ والأكثر إجراماً الآباء الذين يرسلون أطفالهم لمثل هؤلاء ـ بهذا، بل عقد مؤتمراً لمجموعة المبشرين المنتشرين في البلاد الإسلامية في مدينة القدس عام (١٩٣٥) في جبل الزيتون، فبعد أن استمع إلى مشاكلهم التي يلاقونها في البلاد الإسلامية، وصعوبة عملهم الشاق أمام العقيدة الإسلامية، وقف يبين لهم أهدافهم في تضليل عقل وفكر الطفل المسلم، فقال:

إنكم أعددتم نَشْئاً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراد له الاستعمار، لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همّه في دنياه إلا في الشهوات، فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات، وإنه يجود بكل شيء للوصول إلى الشهوات[2]، فإذا علمت أن كلام القس هذا في عام (١٩٣٥) فما بالك الآن بعد مضي خمسين سنة؟!

أما المستشرق الحاقد «جيب» الذي هو عضو في مجمع اللغة العربية في

---

(١) عن كتاب: الغارة على العالم الإسلامي.
(٢) جذور البلاء، لعبد الله التل (ص٢٧٥).

القاهرة، وهذا من عجائب البلاد الإسلامية الغافلة الجاهلة، فيقول في مقدمة كتاب: إلى أين يسير الإسلام؟:

لقد استطاع النشاط التعليمي، والثقافي عن طريق المدارس العصرية، والصحافة أن يترك في المسلمين ـ ولو من غير وعي منهم ـ أثراً جعلهم يبدون في مظهرهم العام لا دينيين إلى حد بعيد، ولا ريب أن ذلك خاصة هو اللبّ المثمر في كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الإسلامي على حضارته من آثار.

فالواقع أن الإسلام كعقيدة وإن لم يفتقد إلا قليلاً من أهميته، وسلطانه، ولكن الإسلام كقوة مسيطرة على الحياة الاجتماعية قد فقد مكانه[1].

وهذا الشيخ العلامة محمد الخضر حسين ـ شيخ الأزهر سابقاً ـ رحمه الله تعالى، يحذر، ويندِّد، وينصح الأمة، ويبين للآباء خطر هذه المدارس في فصل عنوانه: أبناء المسلمين في مدارس التبشير، أضعه بين يديك كاملاً لعل في ذلك ذكرى لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد:

من الذي يستطيع أن يهيِّىء لولده عيشاً راضياً، وينبته نباتاً حسناً، فينشأ سليم القلب، طاهر اللسان، صديقاً لأسرته، عاملاً على إعلاء شأن أمته؟! ولكنه يأبى أن يفعل هذا الذي ينصح به لولده، ويجني ثمار الحمد من عواقبه، فيعمد إليه وهو صافي الفطرة، فيلقيه في بيئة يتولاه فيها من لا يرقبون إلاًّ ولا ذمة، فلا يزالون يلقنونه زيفاً، ويبذرون في نفسه شراً، والذي خبث لا يخرج إلا نكداً... ذلك مثل المسلم الذي يهبه الله ولداً ليسلك به هداية، ويعده لأن يكون عضواً يرتاح لسعادة قومه، ويتألم لشقائهم، فإذا هو يبعث به إلى مدارس أسِّست لمحاربة الدين الحنيف، ولقتل العاطفة الإسلامية، وهي المدارسُ التي تنشئها في بلادنا الجمعيات التي يقال لها: جمعيات التبشير.

إن الذي يقذف بولده بين جدران هذه المدارس، لا تكون جريمته من جريمة أولئك الذين كانوا يقتلون أولادهم خشية إملاق ببعيد... ألم يقم الدليل إثر الدليل على أن القائمين فيها بأمر التعليم يلقنون أبناء المسلمين معتقدات ديانة

---

(١) عن كتاب: تجربة التربية الإسلامية، د. سعيد رمضان البوطي.

غير إسلامية، ويحملونهم على تقاليدها، ويتعرضون للطعن في شريعة الإسلام بطرق شأنها أن تؤثر على الأطفال، ومن هم بمنزلة الأطفال في عدم معرفتهم بحقائق الدين معرفة تقيهم من شرّ ذلك الإغواء؟!

ليس الذي يزجّ بابنه في مدارس التبشير بالذي يقتل نفساً واحدة، ولكنه يقتل خلقاً كثيراً، ويجني بعد هذا على الأمة بأجمعها، ولا أقول هذا مبالغة، فقد يصير هذا الولد أستاذاً من بعد، ويفسد على طائفة عظيمة من أبناء المسلمين أمر دينهم، ووطنيتهم، كما أفسد عليه أولئك القسس أمر دينه، ووطنيته، وقد أرتنا الليالي أن من المتخرجين في هذه المدارس من يملك سلطة على قوم مسلمين، فيجدون فيه من الغلظة، والمكر، وعدم احترام الشريعة، ما لا يجدونه في الناشىء على غير الإسلام.

قد ينال الطالبُ في هذه المدارس علماً، وليس هذا العلم في جانب ما يخسره من دينه، وما يفوته من الإخلاص لأمته بالشيء الذي يثقل وزنه، ولكنها الأهواء التي أخذت القلوب، فتبعث الرجل على أن يأخذ بيد ابنه، وهو كالملاك طهراً وطيبة، ويقوده إلى حيث يشهد ازدراء قومه، والطعن في الحنيفية السمحة، فلا يلبث أن ينقلب ذلك الطهر رجساً، وذلك الطيب خبثاً، وتكون العاقبة ما نسمعه عن كثير من المتخرجين من هذه المدارس، وما نرى.

عرفتُ أيام كنت في دمشق أن ذا منصب رفيع في العسكرية، جاء بابنه الصبي إلى الأستاذ صاحب مدرسة «التهذيب الإسلامي» وذكر له أنه أدخل ابنه في مدرسة من المدارس الأجنبية، فأزاغوا عقيدته، وبلغ به الحال أن صار يدعوني وأمه إلى النصرانية، ثم رغب إلى الأستاذ، وهو مملوء حزناً وندماً: أن يعالج قلب هذا الغلام، ويعرض عليه محاسن الإسلام لعله يزكّى.

وقد عرف القراء اليوم نبأ ذلك القسيس الذي صدرت صحف هذا الشهر شهر رمضان، طافحة بإنكار ما قاله، وهو في درس يلقيه بإحدى هذه المدارس طعناً في الإسلام، ملأ فمه بالطعن في الدين دون أن يحترم شعور بعض أبناء المسلمين؛ الذين سبقوا إلى الجلوس بين يديه، وقد حملت الغيرة أحد الطلاب

الذين لا تزال فيهم بقية من إيمان على أن أنكر قوله، وفضح أمره، وإن في ذلك لعبرة لقوم يؤمنون.

ونحن لا نكثر من الإنكار على ذلك القسيس، ولا على القائمين بشؤون هذه المدارس؛ فإنهم يقضون حاجة في نفوسهم، أو ينفذون خطة رسمت لهم، وإنما نوجه إنكارنا، بل موعظتنا إلى إخواننا المسلمين الذين يقذفون أبناءهم في بيئة لا يخرجون منها إلا وقد غشي نفوسهم ضلال من فوقه ضلال، ومن فوقه لوثة أخلاق حقيرة، ظلمات بعضها فوق بعض، ولظلمات الآخرة أشدّ، وأبقى[1].

وقد استطردنا في هذه الفقرة؛ لما لها من أهمية كبرى في عصرنا الحالي، فالمعذرة من القارىء الكريم.

الأساس العلمي الرابع ـ إتقان الطفل اللغة العربية:

اللغة العربية مفتاح العلوم كلها، وكلما قوي الطفل باللغة كان سبباً في قوته فيما بعد لأي علم من العلوم رغب في تعلمه، وأحبّ أن يكسبه، واللغة العربية لغة القرآن الكريم، والحديث الشريف، رغّب في تعليمها النبي ﷺ، واهتم بنشوء الأطفال وقد أتقنوها، ومن شدة اهتمامه بها يقبل فداء أسرى بدر[2] بتعليم كتابتها، وقراءتها لأطفال المسلمين، فكان كل أسير يفدي نفسه بتعليم عشرة من صبيان الصحابة اللغة العربية، وإتقانها.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان ناس من الأسارى يوم بدر ليس لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة، قال: فجاء غلام من أولاد الأنصار إلى أبيه، فقال: ما شأنك؟ قال: ضربني معلمي، قال: الخبيث يطلب بذحل بدر، والله لا تأتيه أبداً. رواه الحاكم في مستدركه (٢/ ١٤٠) وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

فإذا أخطأ طفل ما، حزّ في نفوسهم ذلك الخطأ.

---

(١) الهداية الإسلامية (ص١٥١).

(٢) كما في الروض الأنف (٢/ ٩٢) وطبقات ابن سعد (ص١٤) قسم (١) ج(٢)، والتراتيب الإدارية للكتاني (١/ ٤٩، ١٢٧ ٢/ ٢٩٦، ٢٩٧).

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمرّ على صبية يرمون بالنبال[١]، فيخطىء أحدهم في كلامه، فينصب المرفوع فيقول: يا أمير المؤمنين! إننا قوم متعلمين، فيغضب عمر لهذا الخطأ، ويقول: والله! إن خطأكم في رميكم، أحبّ إليّ من خطئكم في لغتكم.

ولما كثر خطأ أطفال المسلمين في قواعد اللغة العربية، تنبه لذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه وخاطب العلماء بتقعيد القواعد، وتعليمها للأطفال، خشية من استفحال عجمة اللسان:

فقد روي أن ابنة أبي الأسود الدؤلي قالت له ذات يوم: ما أحسنُ السماء؟ فقال: نجومُها، فقالت: ما أردت ذلك، وإنما أردت التعجب بعظمة السماء، وليس السؤال عما فيها، فكان عليها أن تقول: ما أحسنَ! فتوجه أبو الأسود للإمام علي كرم الله وجهه، وأخبره بذلك، فرفع الإمام له أوراقاً، وطلب منه تقعيد قواعد النحو[٢].

وانطلق السلف الصالح في نصح الأطفال ـ طلبة العلم ـ بالاهتمام باللغة العربية؛ لأنها مفتاح العلوم الأخرى كافة:

فقد أورد ابن عبد البر قول عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون قال: أتيت المنذر بن عبد الله الحزامي، وأنا حديث السن، فلما تحدثت اهتز إليّ على غيري، لما رأى فيّ بعض الفصاحة، فقال لي: من أنت؟ فقلت له: عبد الله ابن عبد العزيز بن أبي سلمة، فقال: اطلب العلم، فإن معك حذاءك وسقاءك[٣].

وقد كانت نشأةُ الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ وهو صغير، يتعلم من القبائل العربية حيث رحل إليها، وعاش معها؛ ولهذا كان فصيح اللسان، وعمدة اللغة العربية بين العلماء.

---

(١) عن: أصول النحو، لسعيد الأفغاني، ورواه العسكري في: شرح المواهب.
(٢) شرح زيني دحلان لمتن الآجرومية.
(٣) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٨٦).

ويوصي ابن سينا في كتابه «السياسة» باب: سياسة الرجل ولده، بما يلي:

«وينبغي أن يحفظ الرجز، ثم العقيدة؛ لأن رواية الرجز، وحفظه، أيسر؛ إذ أن بيوته أقصر، ووزنه أخف على أن يختار من الشعر ما قيل في فضل الأدب، ومدح العلم، وذم الجهل، وما حثّ منه على بر الوالدين، واصطناع المعروف، وقرى الضيف، فإذا فرغ الصبي من حفظ القرآن، وألمّ بأصول اللغة، نظر عندئذ إلى ما يلائم طبيعته، واستعداده».

أما أبو الحسن الماوردي، فينبه إلى أهمية تعليم الطفل اللغة العربية، وإجادتها، فيقول:

«فإذا بلغ التأديب، والتعليم، فالوجه أن يبدأ بتعليم القرآن مع اللغة العربية؛ لأنها اللغة التي أنزل الله بها كتابه، وخاطب بها في شرائع دينه، وفرائض ملته، وبها بلغ رسول الله ﷺ سُنَّته، وبها ألفت الكتب الدينية، والحكمية، والجدية، والهزلية، وبها تكتب رسائلهم، والصكوك التي جعلها الله وثائق بينهم، فلا بُدَّ للناشىء في هذه الملة من تعلمها، وإلا كان جاهلاً بالدين، منقوصاً في الملل».

«مع أن لهذه اللغة من الفضيلة ما ليس للغة من اللغات من الفصاحة، والبيان، والطلاوة على اللسان، والحلاوة في السماع والآذان، وكثرة التصاريف، واحتمال المقاييس النحوية، وسعة الألفاظ، ووسط الحروف بين القلة والكثرة، وأشباه هذه الخصال ما لو تعلمت تجملاً، واستفيدت تأدباً، لكانت لذلك موضعاً؛ ولهذا كان الملوك العجم يتعلمونها، فإن كثيراً منهم يستعملها في أوقات حَفْلَته، ومجالس زينته».

ويؤكد الماوردي رأي ابن سينا في تعلم الأخفّ من اللغة بقوله:

والوجه في تعليم اللغة: أن يقتصد إلى الأخف فالأخف من كتبها، والأسهل فالأسهل من مؤلفاتها، ومصنفاتها، وألا يشغل الأولاد بالغريب الوحشي، والنادر الأجنبي، ولا بدقائق النحو، ودواوين العروض؛ فإن ذلك مما يشغله عن المعاني، وإنما تتعلم الألفاظ قصداً إلى معرفتها، فإذا أفنى الإنسان عمره في تعلم الألفاظ فاتته المعاني، إلا أن يكون ذلك لمن يجعله صناعة، مثل الأدباء،

والمؤدِّبين، والمعلمين من النحويين، ويحتاج في الاستعانة على تعلم اللغة إلى رواية أشعار العرب، وأيامها، وأخبارها، والصواب في تدبير ذلك: أن تروى له، ويعلم، ويحفظ الأشعار الحكمية التي ضمت الحكمة، والتوحيد، والدين، والبعث على العلم، والزهد، والشجاعة، والجود، ومكارم الأخلاق؛ لينشأ على معرفة الفضائل، ومحبة نيل الممادح نشوءاً، ويعتادها عادة، فيجتمع له في ذلك فائدة الفصاحة، والبيان، ومعرفة المبتذل من الكلام، وكثير من الغريب، والوقوف على المعاني الفاضلة[١].

الأساس العلمي الخامس ـ إتقان الطفل اللغة الأجنبية:

وبعد أن يتقن الطفل اللغة العربية بشكل جيد، ويحفظ شيئاً من القرآن والحديث، فلا بأس بإتقان لغة أجنبية سائدة، وذلك لتكوين جيل مسلم يستطيع كشف خطط الأعداء، ويأمن مكرهم، وينقل العلوم المادية البحتة إلى المسلمين، وهذا ما فعله رسول الله ﷺ أول ما وصل المدينة المنورة مهاجراً من مكة:

فقد روى أبو يعلى، وابن عساكر عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أُتي بي النبي ﷺ مقدمه المدينة، فقالوا: يا رسول الله! هذا غلام من بني النجار، وقد قرأ مما أنزل عليك سبع عشرة سورة، فقرأت على رسول الله ﷺ فأعجبه ذلك، قال: «يا زيد! تعلَّم لي كتاب يهود، فإني والله ما آمن يهود على كتابي، فتعلمته فما مضى لي نصف شهر حتى حذقته، فكنت أكتب لرسول الله ﷺ إذا كتب، وأقرأ كتابهم إذا كتبوا إليه[٢]. وعندهما أيضاً وابن أبي داود عن زيد قال لي رسول الله ﷺ: «أتحسن السريانية؟! فإنها تأتيني كتب؟» قلت: لا، قال: «فتعلمها»[٣] فتعلمتها في سبعة عشر يوماً.

---

(١) نصيحة الملوك (ص١٦٨).

(٢) رواه أبو داود والترمذي والحاكم وصححه وأحمد والفاكهي. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٨٧).

(٣) ورواه أحمد والحاكم، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٨٧).

وعلى هذا سار السلف في تعليمهم الأطفال، بالإضافة إلى اللغة العربية لغة أجنبية أخرى:

روى الحاكم في مستدركه، وأبو نعيم في «الحلية» عن عمر بن قيس قال:

كان لابن الزبير رضي الله عنه مئة غلام، يتكلم كل غلام منهم بلغة أخرى، فكان ابن الزبير يكلم كل واحد منهم بلغته، وكنت إذا نظرت إليه في أمر دنياه، قلت: هذا رجل لم يرد الله طرفة عين، وإذا نظرت إليه في أمر آخرته، قلت: هذا رجل لم يرد الدنيا طرفة عين.

الأساس العلمي السادس ـ توجيه الطفل وفق ميوله العلمية:

تقدّم قبل قليل تعلم زيد بن ثابت للغة السريانية، وقد اختاره الصحابة، وقدّموه للنبي ﷺ، ورشحوه له لعلمهم بقدراته، وميوله اللغوية، واستطاعته تنفيذ رغبة رسول الله ﷺ في تعلم السريانية، وهذا دليلٌ على توجيه الطفل حسب ميوله العلمية، ورغباته النفسية؛ لأنه أدعى لتمكن العلم من نفسه، وبراعته به، وتفوّقه على أقرانه، وقد قرر هذا أيضاً علماء السلف رضوان الله عليهم، فهذا ابن سينا يرى أنه: ليست كل صناعة ـ مهنة ـ يرومها الصبي ممكنة له، مواتية، ولكن ينبغي له أن يزاول ما شاكل طبعه، وناسبه.

وروي أن يونس بن حبيب كان يتردَّد على الخليل بن أحمد الفراهيدي؛ ليتعلم منه العروض والشعر، فصعب ذلك عليه، فقال له الخليلُ يوماً: من أي بحر قول الشاعر:

إذا لم تستطع شيئاً فَدَعْهُ وجاوزه إلى ما تستطيع؟

ولما عجز يونس بن حبيب عن الإجابة، طالبه الخليل بن أحمد بتنفيذ الشطرة الثانية من بيت الشعر محل السؤال.

وكان الإمام البخاري في أول أمره يحاول تعلم الفقه، والتبحر فيه، فقال له محمد بن الحسن: اذهب واشتغل بعلم الحديث، عندما رآه مناسباً لقدراته،

وأليق به، وأقرب إليه، وقد أطاع البخاري، ومن ثم صار على رأس أهل الحديث، بل وإمامهم[1].

وهذا عمر بن عبد العزيز يُحدثنا عن نفسه التوّاقَة الطموحة، منذ طفولته، وكيف يحقق آماله وميوله ورغباته، بعزيمة وقوة إرادة.

الأساس العلمي السابع ـ المكتبة المنزلية الصالحة، وأثرها في بناء الطفل:

حتى يتعلم الطفل القرآن، والحديث، واللغة فلا بُدَّ من احتواء البيت على مكتبة إسلامية علمية يشبُّ عليها، وينهلُ منها.

عن عبد الله بن سلمة، عن أبيه سلمة قال: دفع إليّ أبي بديل بن ورقاء كتاباً، فقال: يا بني! هذا كتاب رسول الله ﷺ، فاستوصوا به، فلن تزالوا بخير ما دام فيكم... فذكر الحديث، وفيه: أن الكتاب بخط علي بن أبي طالب رضي الله عنه[2].

وكان سمرة بن جندب رضي الله عنه قد جمع أحاديث كثيرة في نسخة ورثها ابنه سليمان، ورواها عنه، وهي على ما يظن الرسالة التي بعثها سمرة إلى بنيه، وهي التي يقول فيها ابن سيرين: في رسالة سمرة إلى بنيه علم كثير[3]، وهذا يشير إلى أهمية احتواء المنزل مكتبة علمية نافعة لبناء الطفل بناء علمياً قوياً؛ لهذا قال الجاحظ:

متى كان الأديب بارعاً، وكانت مواريثه كتباً بارعة، وآداباً جامعة، كان الولد أجدر أن يرى التعلم حظاً، وأجدر أن يسرع التعليم إليه، ويرى تركه خطأً، وأجدر أن يجري من الأدب على طريق قد أنهج له، ومنهاج قد وطىء له، وأجدر أن يسري إليه عرق من نحله، وسقي من غرسه، وأجدر أن يجعل بدل الطلب

---

(١) عن مجلة الوعي العربي سنة أولى عدد (١) عام (١٣٥٧هـ/١٩٧٧م) ص(٣٣).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ترجمة: بديل بن ورقاء.

(٣) تهذيب التهذيب (٤/٣٢٦) رقم (٤٠٢) للحافظ ابن حجر.

للكسب النظر في الكتب، والاختلاف في سماع العلم، إلا وقد بلغ بالكفاية وغاية الحاجة[1].

وقد نبه لدور المكتبة المنزلية الإمام الشهيد في رسالته: أنجع الوسائل في تربية النشء تربية إسلامية خالصة، فقال:

وأذكر كذلك ضرورة احتواء المنزل على مكتبة مهما كانت يسيرة، إلا أن كتبها تُختار من كتب التاريخ الإسلامي، وتراجم السلف، وكتب الأخلاق، والحكم، والرحلات الإسلامية، والفتوح، ونحوها، ولئن كانت صيدلية المنزل ضرورية لدواء الأجسام، فالمكتبة الإسلامية ضرورية لإصلاح العقول، وأن يحول الأبوان دون تسرب الكتب الهازلة، والصحف الماجنة إلى ابنهما لا بالمنع والتهديد، فإن ذلك مما يزيد شغفه بها، وإقباله عليها، ولكن بصرفه إلى كتب نافعة مغرية، وإثارة الميل فيه إلى هذه الناحية الصالحة.

الأساس العلمي الثامن ـ رواية طفولة علماء السلف في طلب العلم أمام الأطفال:

نظراً لما تلعب القصة في شدِّ انتباه الطفل، وتحريك مشاعره، وإثارة اليقظة الفكرية في عقله، وحيث إن أسلوب القصة كانت إحدى الوسائل النبوية في تربية الأطفال، والتي سنأتي على ذكرها في الفصل الخامس إن شاء الله، وأحد الأركان القوية في شحذ هممهم، وتطلعهم نحو مستقبل علمي متقدم؛ لهذا نقدم بين يديك هذه النماذج لتكون النواة التي تنطلق منها في توجيه الأطفال، واستنهاض هممهم.

وقد تقدم معنا طفولات عجيبة في حفظ القرآن والحديث، وروينا حادثة ابن عباس رضي الله عنهما، وطلبه للعلم، ونزيد على ذلك القصص التالية:

١ـ طفولة سفيان بن عيينة في طلبه للعلم:

ذكر الخطيب البغدادي عن أحمد بن نضر الهلالي قال: سمعت أبي يقول: كنت في مجلس سفيان بن عيينة، فنظر إلى صبي دخل المسجد، فكأن أهل المجلس تهاونوا به لصغر سنه، فقال سفيان: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ

---

(١) كتاب الحيوان، للجاحظ، طبع سلسلة المختار من التراث العربي رقم (١١/ ٣٦٤).

ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٤/ ٩٤] ثم قال:

يا نضرا لو رأيتني ولي عشر سنين طولي خمسة أشبار، ووجهي كالدينار، وأنا كشعلة نار، ثيابي صغار، وأكمامي قصار، وذيلي بمقدار، ونعلي كآذان الفار، اختلفت إلى علماء الأمصار، مثل الزهري وعمرو بن دينار، أجلس بينهم كالمسمار، محبرتي كالجوزة، ومقلمتي كالموزة، وقلمي كاللوزة، فإذا دخلت المجلس قالوا: أوسعوا للشيخ الصغير.

قال: ثم تبسم ابن عيينة، وضحك، قال أحمد: فتبسم أبي، وضحك(١).

٢ـ طفولة مالك بن أنس رضي الله عنه:

قال مطرف: قال مالك: قلت لأمي: أذهب فأكتب العلم؟ فقالت: تعال، فالبس ثياب العلم، فألبستني مسمرة، ووضعت الطويلة على رأسي، وعمّمتني فوقها، ثم قالت: اذهب فاكتب الآن.

وكانت تقول: اذهب إلى ربيعة، فتعلم من أدبه قبل علمه(٢).

قال ابن وَهَب: حدثني مالك، قال: كنتُ آتي نافعاً؛ وأنا غلام؛ حديثُ السن؛ فيحدثني، وكان يجلس بعد الصبح في المسجد لا يكاد يأتيه أحد(٣).

٣ـ طفولة الإمام الشافعي رضي الله عنه، وطلبه للعلم:

قال رضي الله عنه: لم يكن لي مال، وكنت أطلب العلم في الحداثة ـ أي: في مستهل عمره ـ وكانت سنه من ثلاث عشرة سنة ـ وكنت أذهب إلى الديوان أستوهب الظهور ـ أي: ظهور الأوراق المكتوب عليها ـ فأكتب فيها(٤).

وحكى البويطي عن الشافعي ـ رحمه الله ـ أنه كان في مجلس مالك بن أنس

---

(١) الكفاية في علم الرواية (ص١١٢).
(٢) مقدمة كتاب: «الديباج المذهب»، لابن فرحون.
(٣) «التعليق الممجد على موطأ محمد» لأبي الحسنات عبد الحي اللكنوي (١/ ٢٣٩) وعزاه لتذكرة الحفاظ للذهبي في سيرة نافع.
(٤) عن كتاب: صفحات من صبر العلماء (ص٥٥ ط٢).

ـ رحمه الله ـ وهو غلام، فجاء رجل إلى مالك، فاستفتاه، فقال: إني حلفتُ بالطلاق الثلاث أن هذا البلبل لا يهدأ من الصباح، فقال له مالك: قد حنثت، فمضى الرجل، فالتفت الشافعي ـ رحمه الله ـ إلى بعض أصحاب مالك فقال: إن هذه الفتيا خطأ، فأخبر مالك بذلك، وكان مالك مهيب المجلس، لا يجسرُ أحدٌ أن يردَّه، وربما جاء صاحبُ الشرطة، فوقف على رأسه إذا جلس في مجلسه، فقالوا لمالك: إن هذا الغلام يزعمُ أن هذه الفتيا إغفال وخطأ، فقال له مالك: من أين قلت هذا؟ فقال الشافعي: ألستَ أنت الذي رويتَ لنا عن النبي ﷺ في قصة فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، قالت للنبي ﷺ: إن أبا جهم، ومعاوية خطباني، فقال ﷺ: «أما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له». فهل كانت عصا أبي جهم دائماً على عاتقه؟! وإنما أراد من ذلك الأغلب، فعرف مالك محل الشافعي ومقداره، قال الشافعي: فلما أردت أن أخرج من المدينة جئتُ إلى مالك، فودعته، فقال لي مالك حين فارقته:

يا غلام! اتق الله تعالى، ولا تطفىء هذا النور الذي أعطاك الله بالمعاصي، يعني: بالنور العلم، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٢٤/ ٤٠] هكذا في هذه رواية: البلبل، وفي رواية أخرى: القُمْري، الحمامة[١].

٤ـ طفولة الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه:

حفظ أحمد بن حنبل القرآن في صباه، وتعلم القراءة والكتابة، ثم اتجه إلى الديوان، يمر على التحرير، ويقول في نفسه: كنت وأنا غُلَيِّم أختلف إلى الكتّاب، ثم أختلف إلى الديوان، وأنا ابن أربع عشرة سنة.

وكانت نشأته فيها آثار النبوغ والرشد، حتى قال بعض الأدباء: وأنا أنفق على ولدي، وأجيئهم بالمؤدبين على أن يتأدبوا، فما أراهم يفلحون، وهذا أحمد ابن حنبل غلام يتيم، انظروا كيف؟! وجعل يعجب من أدبه، وحُسْن طريقه[٢].

---

(١) كتاب: حياة الحيوان الكبرى (١/ ١٥٦) للدميري.

(٢) رجال الفكر والدعوة، لأبي الحسن الندوي (ص١٠٥).

٥ـ طفولة الإمام أبي يوسف صاحب أبي حنيفة رضي الله عنه:

قال أبو يوسف: كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقلّ، رثّ الحال، فجاء أبي يوماً وأنا عند أبي حنيفة، فانصرفت معه، فقال: يا بني! لا تمدن رجلك مع أبي حنيفة، فإنا أبا حنيفة خبزه مشوي، وأنت تحتاجُ إلى المعاش، فقصرتُ عن كثير من الطلب، وآثرت طاعة أبي، فتفقدني أبو حنيفة، وسأل عني، فجعلتُ أتعاهد مجلسه، فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخري، قال لي: ما شغلك عنا؟ قلت: الشغل بالمعاش، وطاعة والدي، فجلست، فلما انصرف الناس دفع إليّ صرة، وقال: استمتع بهذه، فنظرت فإذا فيها مئة درهم، فقال لي: الزم الحلقة، وإذا نفذت هذه فأعلمني، فلزمت الحلقة، فلما مضت مدة يسيرة دفع إليّ مئة أخرى، ثم كان يتعاهدني، وما أعلمته بخلّة قط، ولا أخبرته بنفاد شيء ما، وكان كأنه يخبر بنفادها حتى استغنيت، وتموّلت.

وهناك رواية ثانية في نشأة الإمام أبي يوسف:

قال علي بن الجعد: أخبرني أبو يوسف، قال: توفي أبي إبراهيم بن حبيب، وخلفني صغيراً في حجر أمي، فأسلمتني إلى قصّار أخدمه، فكنت أدع القصّار، وأمرّ إلى حلقة أبي حنيفة، فأجلس أستمع، فكانت أمي تجيء خلفي إلى الحلقة، فتأخذ بيدي، وتذهب بي إلى القصار، وكان أبو حنيفة يُعنى بي لما يرى من حضوري، وحرصي على التعلم، فلما كثر ذلك على أمي، وطال عليها هربي، قالت لأبي حنيفة: ما لهذا الصبي فساد غيرك، هذا صبي يتيم لا شيء له، وإنما أطعمه من مغزلي، وآمل أن يكسب دانقاً يعود به على نفسه، فقال لها أبو حنيفة: مُرّي يا رعناء! هو ذا يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق، فانصرفت عنه، وقالت له: أنت شيخ قد خرفت، وذهب عقلك.

قال أبو يوسف: ثم لزمت أبا حنيفة، وكان يتعاهدني بماله، فما ترك لي خَلَّة، فنفعني الله بالعلم، ورفعني حتى تقلَّدت القضاء، وكنت أجالسُ هارون الرشيد، وآكل معه على مائدته.

فلما كان في بعض الأيام قدم إلى هارون الرشيد فالوذج، فقال لي هارون:

يا يعقوب! كُلْ منه، فليس يعمل لنا مثله كل يوم، فقلت: وما هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذا فالوذج بدهن الفستق، فضحكت، فقال لي: مم ضحكت؟ فقلت: خيراً أبقى الله أمير المؤمنين، قال: لَتخبرني، وألحَّ عليَّ، فأخبرته بالقصَّة من أولها إلى آخرها فعجب من ذلك وقال: لعمري إن العلم ليرفع وينفع ديناً ودنيا، وترحّم على أبي حنيفة، وقال: كان ينظر بعين عقله ما لا يراه بعين رأسه[1].

٦ـ طفولة الإمام محمد بن الحسن الشيباني في طلب العلم:

روى الخطيب بسنده إلى مجاشع بن يوسف قال: كنتُ بالمدينة عند مالك، وهو يفتي الناس، فدخل عليه محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، وهو حَدَثٌ، وذلك قبل أن يرحل إليه لسماع الموطأ منه، قال محمد: ما تقول في جنب لا يجد الماء إلا في المسجد؟ فقال مالك: لا يدخل الجنب المسجد، قال محمد: فكيف يصنع وقد حضرت الصلاة وهو يرى الماء؟ قال: فجعل مالك يكرر: لا يدخل الجنب المسجد، فلما أكثر عليه، قال له مالك: فما تقول أنت في هذا؟ قال: يتيمم، ويدخل، فيأخذ الماء من المسجد، ويخرج، ويغتسل، قال: من أين أنت؟ قال: من أهل هذه ـ وجعل يشير إلى الأرض ـ ثم نهض، قالوا: هذا محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، فقال مالك: محمد بن الحسن كيف يكذب؟ وقد ذكر أنه من أهل المدينة؟! قالوا: إنما قال من أهل هذه وأشار إلى الأرض، قال: هذا أشد عليّ من ذاك[2].

٧ـ طفولة الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ في طلب العلم:

قال الإمام ابن الجوزي عن الشدائد التي نالته في بدء طلبه للعلم، وعن محامد صبره على تلك الشدائد:

ولقد كنتُ في حلاوة طلبي العلم ألقى من الشدائد ما هو أحلى من العسل، لأجل ما أطلب، وأرجو، كنت في زمن الصبا آخذ معي أرغفة يابسة، فأخرج في

---

(١) عن كتاب: صفحات من صبر العلماء.
(٢) بلوغ الأماني في سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيباني، للشيخ زاهد الكوثري رحمه الله (ص١٢).

طلب الحديث، وأقعد على نهر عيسى ـ في بغداد ـ فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلتُ لقمة شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم، فأثمر ذلك عندي أني عرفت بكثرة سماعي لحديث الرسول ﷺ وأحواله، وآدابه، وأحوال الصحابة، وتابعيهم.

وقال أيضاً: لم أقنع بفنّ واحد، بل كنت أسمع الفقه والحديث، وأتبع الزهاد، ثم قرأتُ اللغة، ولم أترك أحداً ممن يروي، ويَعِظ، ولا غريباً يقدم إلا وأحضره، وأتخير الفضائل، ولقد كنت أدورُ على المشايخ لسماع الحديث، فينقطع نفسي من العدو لئلا أُسبَق، وكنت أصبح وليس لي مأكل، وأمسي وليس لي مأكل، ما أذلّني الله لمخلوق قط، ولو شرحت أحوالي لطال الشرح[1].

٨ـ طفولة الإمام ابن سينا رحمه الله تعالى في طلب العلم:

لما بلغ عشر سنين من عمره كان قد أتقن القرآن العزيز، والأدب، وحفظ أشياء من أصول الدين، والحساب، والجبر، والمقابلة، ثم أحكم علم المنطق، وإقليدس، والمِجَسطي، وفاق شيخه (الحكيم أبا عبد الله الناتلي) أضعافاً كثيرة، وكان مع ذلك يختلف في الفقه إلى إسماعيل الزاهد، واشتغل بتحصيل العلوم الطبيعي، والإلهي، وفتح الله عليه أبواب العلوم، ثم رغب بعد ذلك في علم الطب، وتأمل الكتب المصنفة فيه، وعالج تأدّباً ـ أي: تعلماً وتعليماً ـ لا تكسباً، وعلم الطب حتى فاق فيه الأوائل والأواخر في أقل مدة، وأصبح فيه عديم النظير، فقيد المثيل، واختلف إليه فضلاء هذا الفن وكبراؤه، يقرؤون عليه أنواعه، والمعالجات المقتبسة من التجربة، وسِنّه آن ذاك نحو ست عشرة سنة، وفي مدة اشتغاله لم ينم ليلة واحدة بكمالها، ولا اشتغل في النهار بسوى المطالعة، وكان إذا أشكلت عليه مسألة توضأ، وقصد المسجد الجامع، وصلى، ودعا الله عزّ وجلّ أن يسهلها عليه، ويفتح مغلقها له، وكان نادرة عصره في عمله، وذكائه، وتصانيفه، وصنف ما يقارب مئة مصنف ما بين مطول، ومختصر، ورسالة في فنون شتى، رحمه الله تعالى[2].

---

(١) صفحات من صبر العلماء (ص٧٦ط٢).
(٢) المرجع السابق (ص٤٣).

١٠ـ خاتمة: نموذج من أطفال الصحابة جمع بين العلم، والقرآن، والجهاد، وخدمة الرسول ﷺ:

روى الحاكم في مستدركه (٣/ ٤٢١) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال:

كانت وقعة بعاث وأنا ابن ست سنين، وكانت قبل هجرة رسول الله ﷺ بخمس سنين، فقدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن إحدى عشرة سنة، وأُتي بي إلى رسول الله ﷺ فقالوا: غلام من الخزرج قد قرأت ست عشرة سورة[١] فلم أجز في بدر ولا أُحُد، وأجزت في الخندق.

قال ابن عمر: وكان زيد بن ثابت يكتب الكتابين جميعاً: كتاب العربية، وكتاب العبرانية. وأول مشهد شهده زيد بن ثابت مع رسول الله ﷺ الخندق، وهو ابنُ خمسة عشر سنة، وكان فيمن ينقل التراب يومئذ مع المسلمين، فقال رسول الله ﷺ: «: «أما إنه نعم الغلام».

وغلبته عيناه يومئذ، فرقد، فجاء عمارة بن حزم، فأخذ سلاحه، وهو لا يشعر، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا رقاد! نمت حتى ذهب سلاحك!» ثم قال رسول الله ﷺ: «من له علم بسلاح هذ الغلام؟» فقال عمارة بن حزم: أنا يا رسول الله! أخذته، فردّه، فنهى رسول الله ﷺ أن يروع المؤمن، وأن يؤخذ متاعه لاعباً أو جدّاً.

☆ ☆ ☆

(١) وفي كنز العمال: قد قرأ سبع عشرة سورة، فقرأت على النبي ﷺ.

الباب الثامن

البناء الصحي

◆ تمهيد :

أولاً ـ أسس البناء الصحي

الأساس الأول: رياضة الطفل للسباحة والرماية وركوب الخيل والمصارعة والجري.

الأساس الثاني: تعود الطفل سنة السواك.

الأساس الثالث: اهتمام الطفل بالنظافة وتقليم الأظافر.

الأساس الرابع: اتباع السنن النبوية في الأكل والشرب.

الأساس الخامس: نوم الطفل على شقه الأيمن.

الأساس السادس: تعلم الطفل للعلاج الطبيعي.

الأساس السابع: النوم بعد العشاء والاستيقاظ المبكر لصلاة الفجر.

الأساس الثامن: إبعاد الأطفال عن الطفل المريض مرضاً معدياً.

الأساس التاسع: رقية الأطفال من العين الحاسدة والجنّ.

ثانياً ـ العلاجات النبوية :

١ـ السرعة في معالجة الطفل المريض.

٢ـ عيادة وزيارة الطفل المريض.

٣ـ العلاج باستخدام العود الهندي.

٤ـ العلاج بالحجامة والمشي.

٥ـ العلاج بالدعاء والرُّقى.

٦ـ العلاج من إصابة العين الحاسدة.

٧ـ تحريم تعليق شيء على الطفل ما لم يكن قرآناً أو حديثاً نبوياً

تمهيـد:

إن الإسلام اهتم بصحة الإنسان عامة، وبصحة الطفل خاصة، وقد حرص في توجيهاته الكثيرة على المداواة، والمسارعة إليها؛ لأنها من العلاجات الأساسية لصحة الجسم، وباعتبار أن الجسم أمانة عند الإنسان؛ لذا وجب المحافظة على هذه الأمانة، حتى جعل المداواة من قدر الله؛ الذي يمحو قدر الله الذي حل بالإنسان، وهو المرض.

فقد روى مسلم وأحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: أنه قال: «لكل داء دواء، فإذا أصاب الدواء الداء برىء بإذن الله عز وجل».

وروى الإمام أحمد والنسائي عن أسامة بن شريك قال: كنت عند النبي ﷺ وجاءت الأعراب فقالوا: يا رسول الله! أنتداوى؟ فقال: «نعم، يا عباد الله! تداوَوْا، فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد» قالوا: ما هو؟ قال: «الهرم».

وروى الإمام أحمد والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! أرأيت رقى نسترقيها، ودواء نتداوى به، وتُقاة نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئاً؟ فقال عليه الصلاةوالسلام: «هي من قدر الله».

وهذه الأحاديث إنما تدل على اهتمام النبي ﷺ بسلامة الفرد المسلم من الأمراض والأوجاع، وأن «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير».

ولكن ما هي أركان البناء الصحي للطفل، وذلك لتجنب كثير من الأمراض؟

وما هي القواعد الصحية اللازمة للطفل ليقلّ من إصابته بالأمراض؟

إذا تأملنا في الأحاديث والسيرة الشريفة، نلمح ثمانية أركان صحية اهتم بها رسول الله ﷺ لرعاية الطفل صحياً، فما هي هذه الأركان؟

أولاً ـ أسس البناء الصحي للطفل:

الأساس الصحي الأول ـ رياضة السباحة والرماية وركوب الخيل والمصارعة والجري:

تقدم معنا في أسس البناء الجسمي أن حق الطفل في تعلم السباحة والرماية، ووصية عمر للولاة أن يعلموا أطفالهم كذلك، ويضيف: وأن يثبوا على الخيل وثباً، وأن النبي ﷺ كان يصفّ الأطفال، ويجري لهم مسابقة الجري، وأنه شاهد مصارعة طفلين مع بعضهما قبل دخول غزوة أحد، فالرياضة البدنية هذه تبني جسم الطفل بشكل قوي، بحيث يقوى على التصدي للأمراض بشكل ذاتي، ويصبح جسمه ممتنعاً ذاتياً عن قبول الأمراض، إلا إذا أراد الله شيئاً آخر، وابتلاء آخر.

ولا حاجة أن نذكر هنا فوائد هذه الرياضات، فيكفي أن تجلس إلى أي طبيب لتسمع منه، وتصل إلى درجة اليقين للحديث النبوي.

إذ يكفي أن تعلم أن السباحة تحرك كل عضلات الجسم، وأنها تنفي كثيراً من الأمراض عن الجسم، مما ليس مجاله الآن، وإنما محله الكتب الطبية.

الأساس الصحي الثاني ـ تعوّد الطفل سنة السواك:

معلوم لدى الجميع اهتمام الرسول ﷺ بالسواك حتى قال ﷺ: «لولا أن أشقّ على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»[1] فإذا تعود الطفل هذه العادة، وبدأ ينظف أسنانه بشكل منتظم، ومتواصل، فإنه يقضي على كثير من الأمراض التي تكون أحياناً من تسوس الأسنان، أو من مرض اللثة، وقد أثبت الطب الحديث مفعول السواك، واحتواءه على مواد كيميائية تفيد الأسنان، وتقوي اللثة بشكل فعال. وهو رخيص الثمن، موجود بكثرة في الجزيرة العربية، ويذكر الإمام النووي رحمه الله في شرحه لصحيح مسلم: أنه يجوز استبدال عود الأراك هذا

(١) صحيح. ورواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي ومالك وابن ماجه عن أبي هريرة، وأحمد وأبو داود والنسائي عن زيد بن خالد الجهني. انظر صحيح الجامع رقم (٥٣١٥).

بأي شيء، وذلك لتنظيف الأسنان، حتى إذا لم يكن لدى الإنسان أي وسيلة للتنظيف نظف بيده، أو بقماشة خشنة، المهم في ذلك أن يتعود الطفل سنة السواك، وتنظيف الأسنان بأي أداة كانت.

الأساس الصحي الثالث ـ اهتمام الطفل بالنظافة وتقليم الأظافر:

النظافة ركن أساسي من الأركان التي دعا إليها الإسلام، والطفل الذي يريد الصلاة لا بد أن يتوضأ، ولا بد أن تكون ثيابه نظيفة طاهرة، ولا بد أن يكون المكان طاهراً، وذلك كله لأداء فريضة الصلاة التي يؤمر بها في السابعة، ويضرب عليها في العاشرة.

أما تقليم الأظافر، فهي إحدى الفطر الخمس التي نصّ عليها الحديث الصحيح: «خمس من الفطرة.. وتقليم الأظافر..» فالطفل الذي يتعود تقليم الأظافر، يكون قد أبعد يديه عن كثير من الأوساخ التي توجد تحت الأظافر؛ التي قد تسبب أمراضاً من جراء وضع الطفل يده في فمه.

الأساس الصحي الرابع ـ اتباع السنن النبوية في الأكل والشرب:

تقدم معنا من أدب الطعام: أن يعود الطفل تناول الطعام من أمامه، فلا تطيش يده في الصحن حيثما يحلو له، وإذا عوّد سنة رسول الله ﷺ في الابتعاد عن التخمة أثناء الطعام، كان له فوزاً، ونصراً، وحفاظاً من كثير من الأمراض الباطنية، والداخلية.

فقد روى الإمام أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، عن المقدام ابن معد يكرب قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

«ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»[1].

أما الشراب فيتعود فيه سنة رسول الله ﷺ وهيئته فيه:

---

(١) ورواه أيضاً ابن حبان وابن ماجه والحاكم، وصححه الذهبي. انظر جامع الأصول (٧/ ٤١٠).

أخرج البخاري ومسلم والترمذي عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ «كان يتنفس إذا شرب ثلاثاً» ورواه مسلم. وزاد الترمذي: «إنه أروى، وأبرأ، وأمرأ». قال أنس: «وأنا أتنفس في الشرب ثلاثاً» وفي رواية أبي داود: أن النبي ﷺ كان إذا شرب تنفس ثلاثاً، وقال: «هو أهنأ، وأمرأ، وأبرأ».

ويحذر الطفل من أن يتنفس في الكأس أثناء الشرب لأي سائل كان:

في الصحيحين عن أبي قتادة أن النبي ﷺ: «نهى أن يُتنفَّس في الإناء».

وفي رواية الترمذي: «نهى أن يتنفس في الإناء، أو ينفخ فيه».

ويشرب قاعداً ـ إلا ماء زمزم فالسنة فيه واقفاً متجهاً إلى القبلة ـ روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يشربنَّ أحدكم قائماً، فمن نسي فليستقِيء»(1).

الأساس الصحي الخامس ـ النوم على الشق الأيمن:

وهو ركن صحي نبوي أساسي في حياة المسلم، وله فوائده الصحية الكثيرة، والرسول ﷺ يوصي صحابته بذلك:

روى البخاري ومسلم: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، وقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوَّضْتُ أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت، واجعلهن آخر ما تقول».

الأساس الصحي السادس ـ تعلم الطفل العلاج الطبيعي:

إن تدليك العضلات يحتاجه الإنسان في حياته كلها، والطفل ينشأ وقد تدرب في تدليك عضلات والديه بإرشادهما، فيكتسب مهارة جيدة، وعلماً قد غدا اليوم من العلوم المفيدة للإنسان.

---

(1) انظر جامع الأصول (٥/ ٧٤) حول الموضوع.

والرسول ﷺ قد علم الطفل هذا، ودربه عليه بجسمه الشريف، فهل سمعت بهذا؟ لنستمع سوياً:

روى الطبراني والبزار وابن السني وأبو نعيم وسعيد بن منصور عن عمر رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وغليم له حبشي يغمز (أي: يكبس) ظهره، فقلت: يا رسول الله! أتشتكي شيئاً؟ قال: «إن الناقة تقحمت بي البارحة» (أي: ألقتني في ورطة)[1].

الأساس الصحي السابع ـ النوم بعد العشاء، والاستيقاظ المبكر لصلاة الفجر:

إن تعود الطفل لأداء صلاة الصبح في وقتها، هذا يعني أن يستيقظ باكراً، ولكي يستطيع أن يستيقظ باكراً نشيطاً قد شبع من النوم، فلا بد أن ينام باكراً[2]، فهذا عمر رضي الله عنه يأتي لصلاة العشاء عند النبي ﷺ وقد أنام صبيانه لكي يصلي العشاء مع رسول الله ﷺ.

فقد أخرج الشيخان والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أعتم رسول الله ﷺ بالعشاء، فخرج عمر، فقال: الصلاة يا رسول الله! رقد النساء والصبيان، فخرج ورأسه يقطر ويقول: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالصلاة في هذه الساعة».

وبالتالي فإن الطفل المسلم بأدائه لفروض دينه يكتسب العادات الصحية الجيدة، فيقوى جسمه ونفسه، وحيث إن غاز الأوزون «وتركيبه ثلاث ذرات من الأكسجين» ينتشر في الجو عند الفجر، وقد ثبت أن هذا الغاز يزيد من نشاط الخلايا الحيوية، ويقضي على كثير من الأمراض، فإن استنشاق الطفل لهذا الغاز يقوي من بنيته من حيث لا يدري، وهو يؤدي فرض صلاته.

وروى الحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي مرفوعاً: «إياك والسمر بعد هدأة الليل، فإنكم لا تدرون ما يأتي الله من خلقه»[3].

---

(١) كنز العمال (٤/ ٤٤).

(٢) زاد المعاد لابن القيم (٣/ ١٦٩).

(٣) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٧٥٢).

وهكذا تجد أنه لا فصل في الإسلام بين الدين والدنيا، فمن أراد تطبيق الدين على أطفاله، جاءته الدنيا راكعة صاغرة.

ثم هناك فائدة ثانية للاستيقاظ الباكر، وهي زيادة الرزق، فهذا ابن عباس عندما رأى ابناً له نائماً نومة الصبح، فقال له: «قم، أتنام في الساعة التي تقسم فيها الأرزاق»؟!(١).

وروى البيهقي دخول النبي ﷺ على فاطمة باكراً، وشاهدها نائمة، فأيقظها، وقال لها: «قومي، فاشهدي رزق ربك».

الأساس الصحي الثامن ـ إبعاد الأطفال عن الأمراض المعدية:

وضع ﷺ قاعدة عامة للأمة جميعاً كبيرها وصغيرها، وهي عدم ورود الإنسان المريض الذي يحمل مرضاً معدياً إلى تجمع الناس، ولا أن يقوم بزيارة أحد، وذلك لتجنب إصابة المسلمين.

وهناك أمراض معدية في مرحلة الطفولة يحذّر فيها الأبوان من أن يأخذا طفلهما في زيارة الأرحام والأصدقاء، كذلك بالعكس لا يأخذ الوالدان طفلهما إلى زيارة أحد في بيته طفل مصاب بمرض معدٍ حتى يشفى، وفي هذا أنفس القواعد الصحية النبوية.

ففي الصحيحين، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يوردنَّ ممرض على مُصحٍّ» ورواه أحمد وأبو داود والنسائي.

كذلك يقوم الأبوان بإبعاد طفلهم هذا عن بقية إخوته حتى لا ينتقل إليهم المرض، وحتى لا تنشأ عقدة نفسية لهذا الطفل المريض، فلا بأس بنصحه بحديث رسول الله ﷺ هذا ليعلم أن الأمر من رسول الله ﷺ وأن الطفل المسلم يحب رسوله، ويتبعه، ويستجيب لندائه:

الأساس الصحي التاسع ـ رقية «تعويذ» الأطفال من العين الحاسدة والجن:

وهذا العلاج يتفرد به الطب النبوي للأطفال، وهو ركن من أركان المحافظة

---

(١) زاد المعاد، لابن القيم (٣/١٦٩).

على صحة الطفل عند رسول الله ﷺ وهذا ما فعله ﷺ مع الأطفال، وحض الأبوين عليه، فقد أورد النووي رحمه الله تعالى في كتابه «الأذكار» باب: ما يعوذ به الصبيان وغيرهم:

روينا في صحيح البخاري رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين: «أُعيذُكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامّة، ومن كل عين لامّةٍ»، ويقول: «إن أباكما كان يعوّذ بهما إسماعيل وإسحاق»[1] صلى الله عليهم وسلم أجمعين. قلت ـ أي: النووي ـ قال العلماء: الهامّة: بتشديد الميم، وهي كل ذات سم يقتل كالحية وغيرها، وأما العين اللامّة، بتشديد الميم: «وهي التي تصيب ما نظرت إليه بسوء». اهـ كلام النووي ـ رحمه الله ـ.

وروى الترمذي عن عبيد بن رفاعة الزرقي رضي الله عنه: أن أسماء بنت عُميس قالت: يا رسول الله! إن ولد جعفر تُسرع إليهم العين أفأسترقي لهم؟ قال: «نعم، فإنه لو كان شيء سابق القدر لسبقتهُ العين».

وروى مالك في الموطأ عن عروة بن الزبير رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ دخل بيت أم سلمة وفي بيتها صبيٌّ يبكي، فذكروا أن به العين، فقال رسول الله ﷺ: «ألا تسترقون له من العين؟!».

وروى أحمد بإسناد حسن عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل النبي ﷺ، فسمع صوت صبي يبكي، فقال: «ما لصبيكم هذا يبكي؟ فهلا استرقيتم له من العين؟!»[2].

وكان عمرو بن العاص يكتب المعوذات ويضعها في وسادة الصغير وهذه الوقاية من الأمراض لا يؤمن بها غير المؤمنين الصادقين؛ الذين تلقوا عن رسولهم ﷺ هذا المنهج النبوي الفريد.

---

(١) ورواه الحاكم في مستدركه (٣/ ١٦٧) وقال: صحيح على شرط الشيخين.
(٢) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٠٤٨).

ثانياً ـ العلاجات النبوية للأطفال:

بقي أن نسأل: وإذا نزل المرض بالطفل، فما هي أهم العلاجات النبوية الأساسية للأطفال؟.

للإجابة عن هذا السؤال لا بد أن نذكر ما جاء في المقدمة من ضرورة، وأهمية المداواة، واستشارة الطبيب، ولكن يضاف إليها العلاجات النبوية التالية:

١ ـ السرعة في معالجة الطفل المريض:

إن السرعة في أخذ الطفل المريض إلى الطبيب تلعب دوراً كبيراً في التخفيف من الإصابة المرضية، حتى إنها تصبح عنصراً فعالاً، فكثيراً من الأمراض يكون سببها تكاسل الوالدين في أخذ الطفل إلى الطبيب، لهذا نجد رسول الله ﷺ يعلمنا السرعة في معالجة الطفل.

فقد روى ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها قالت: عثر أسامة رضي الله عنه على عتبة الباب، أو أسكفة الباب فشجت جبهته، فقال: «يا عائشة! أميطي عنه الدم» فتقذرته، قالت: فجعل رسول الله ﷺ يمص شجّته، ويمجه، ويقول: «لو كان أسامة جارية لكسوته، وحلّيته حتى أنفقه».

وعند الواقدي، وابن عساكر عن عطاء بن يسار رضي الله عنه قال: «كان أسامة ابن زيد رضي الله عنهما قد أصابه الجدري أول ما قدم المدينة، وهو غلام، مخاطه يسيل على فيه، فتقذرته عائشة رضي الله عنها، فدخل رسول الله ﷺ فطفق يغسل وجهه، ويقبله، فقالت عائشة: أما والله! بعد هذا فلا أقصيه أبداً»[1].

أرأيت وهو يغسله يقبله؟! هكذا ﷺ يعالج الأطفال بيديه الشريفتين، ولا يتقزز، ولا يقرف منهم ﷺ.

---

(١) عن حياة الصحابة (٢/٤٤٦) ط مصرية.

٢ـ **عيادة الطفل المريض:**

وهذا علاج نفسي للطفل المريض، فإنه عندما يرى الكبار حوله جاؤوا لزيارته تقوى نفسه على مواجهة المرض، ويبدأ بالتحرك والكلام مع الضيوف شيئاً فشيئاً، وإذا صحب ذلك المجلس، وتلك الزيارة الدعاء للطفل كان خيراً على خير، وهذا علاج نبوي للأطفال فريد في معناه، فقد أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: كان غلامٌ يهوديِ يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «أسلم» فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال: أطع أبا القاسم! فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار».

هكذا يعود ﷺ الأطفال مؤمنهم وكافرهم، ويحرص عليهم، وما هذا إلا عناية منه بهم، واهتماماً منه ﷺ بالأطفال.

٣ـ **العلاج باستخدام العود الهندي، والسعوط[١]:**

أخرج الإمام أحمد والشيخان وأبو داود وابن ماجه عن أم قيس بنت محصن أخت عكاشة رضي الله عنه، قالت: دخلت على رسول الله ﷺ بابن لي لم يأكل الطعام، فبال عليه، فدعا بماء فَرَشَّه، قالت: ودخلت عليه بابن لي، لقد أعلقت عليه من العذرة[٢] فقال: «عَلاَمَ تَدْغَرن أولادكُنَّ بهذا العِلاق؟ عليكنّ بهذا العُود الهندي؛ فإن فيه سبعة أشفية من سبعة أدواء: منها ذات الجَنبُ، ويسعطُ من العُذْرة، ويُلدُّ به من ذات الجنْب».

وقد علق الدكتور حسين عبد المجيد هاشم عندما ذكر الحديث، فقال في شرح كلمات الحديث ما يلي[٣]:

---

(١) «السعوط»: ما يتداوى به شماً، أو سائلاً، يسكب في الأنف.

(٢) وفي رواية: «لا تعذبوا صبيانكم بالغمز في العَذرة» والعذرة: داء في الحلق، حيث كانوا ينظفون اللوزتين من القيح باليد.

(٣) في تحقيقه لكتاب: «البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف» لابن حمزة (٣/ ١١).

تدغَرْن[1]: بدال مهملة وغين معجمة، أي: تغمزن حلوق أولادكن بهذا العلاق، أي: الداهية والآفة، وفي الكلام معنى الإنكار، أي: على أي شيء تعالجن هذا الداء بهذه الداهية، والمداواة الشنيعة، فلا تفعلن بهم ذلك.

العود الهندي: أي: الكُست بأن يدق ناعماً، ويذاب، ويسعط به، فإنه يصل إلى العُذْرة، فيقبضها لكونه حاراً يابساً.

وذات الجنب[2]: السل، وقال القرطبي: وجع فيه يسمى الشوصة.

قال الطيبب: خصه بالذكر لأنه أصعب الأدواء، وقلما يسلم منه من ابتلي به.

ويُسعط من العذرة: بضم المهملة وسكون المعجمة، وهو وجع، أو عقدة في الحلق تعتري الصبيان غالباً، أو قرحة في الأذن والحلق.

ويُلَدُّ به: أي: يصب في إحدى شقي الفم[3].

وقال البخاري: القسط الهندي البحري، وهو الكُست مثل الكافور، ووصف سفيان العِلاق: يُحنك بالإصبع، وأدخل سفيان إصبعه في حنكه، وقال: إنما يعني رفْع حنكه بإصبعه[4].

وعن جابر رضي الله عنه: أن امرأة جاءت بصبي لها إلى النبي ﷺ فقالت: افقأ منه العذرة، فقال: «تحرقون حلوق أولادكم، خذي قسطاً هندياً وورساً، فأسعطيه إياه» رواه الحاكم في مستدركه (٤/ ٢٠٦) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

وعن جابر رضي الله عنه قال: كان عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

---

(١) في المعجم الوسيط: «دغرت» المرأة الصبي: أدخلت إصبعها في حلقه لترفع لهاته من العُذرة. (١/ ٢٨٧).

(٢) قال ابن القيم في كتابه الطب النبوي (ص٨١): كل وجع في الجنب قد يسمى ذات الجنب اشتقاقاً من مكان الألم.

(٣) يقال: لدَّه باللدود؛ إذا سقاه الدواء في أحد جانبي الفم. عن كتاب «وفاء الوفا» (١/ ٧٠).

(٤) انظر جامع الأصول (٧/ ٥٢٥) ت. الأرناؤوط.

صبي يقطر منخراه دماً، فدخل رسول الله ﷺ فقال: «ما شأن هذا الصبي؟» قالت: به العذرة، فقال: «ويحكن يا معشر النساء! لا تقتلن أولادكن، وأي امرأة يصيبها عذرة، أو وجع برأسه فلتأخذ قسطاً هندياً» قال: وأمر عائشة، ففعلت ذلك، فبرأ. رواه الحاكم في مستدركه (٤/ ٢٠٥) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

وفي رواية أحمد بسند صحيح: «فلتأخذ قسطاً هندياً، فلتحكه بماء، ثم تسعطه إياه» وقال الهيثمي (٥/ ٨٩): رواه أبو يعلى والبزار، ورجالهم رجال الصحيح.

وذكر أبو داود ـ بسند قوي ـ أن رسول الله ﷺ استعط.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه الطب النبوي[1]: قسط وكست بمعنى واحد، وهو نوعان:

- الأبيض الذي يقال له البحري.
- والآخر الهندي وهو أشدهما حراً.

والأبيض ألينهما، ومنافعهما كثيرة جداً.

٤ـ العلاج بالحجامة والمَشِيّ:

روى الترمذي ـ وقال: حديث حسن ـ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال عكرمة: كان لابن عباس غلمة ثلاثة حجّامون، وكان اثنان يُغلان عليه وعلى أهله، وواحد يحجمه ويحجم أهله، قال: قال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «نعم العبد الحجام، يذهب بالدم، ويُخِفُّ الصُّلْب، ويجلو البصر... خير ما تحتجمون فيه يوم سبع عشرة، ويوم تسع عشرة، ويوم إحدى وعشرين... خير ما تداويتم به السعوط، واللدود[2]، والحجامة، والمَشِيّ»[3]

---

(١) ص (٣٥٣) ت. الأرناؤوط.

(٢) «اللدود»: بالفتح هو الدواء الذي يُلدّ به، ويصب في طرف فم المريض.

(٣) المشِيّ: الدواء المسهل، لأنه يحمل شاربه على المشي إلى الخلاء، قاله الدكتور=

. رواه الحاكم في مستدركه (٤/ ٢٠٩) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

وعن عائشة رضي الله عنها: أنها استأذنت رسول الله ﷺ في الحجامة، فأمر النبي ﷺ أبا طيبة أن يحجمها، قال: حسبت أنه قال: وكان أخوها من الرضاعة، أو غلاماً لم يحتلم. رواه الحاكم في مستدركه (٤/ ٢١٠) وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

٥ـ العلاج بالدعاء والرُّقَى:

روى مالك في الموطأ عن حميد بن قيس المكي رضي الله عنه قال: دُخل على رسول الله ﷺ بابني جعفر بن أبي طالب، فقال لحاضنتهما: «مالي أراهما ضارعين؟» فقالت حاضنتهما: يا رسول الله! إنهما تُسرع إليهما العينُ، ولم يمنعنا أن نسترقي لهما، إلا أنا لا ندري ما يُوافقُك من ذلك؟ فقال رسول الله ﷺ: «استرقوا لهما، فإنه لو سبق شيء القدر لسبقته العين».

وروى الإمام أحمد والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ امرأةً جاءتْ بولدها إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! إن به لمماً[1]، وإنه يأخذه عند طعامنا، فيفسد علينا طعامنا، فمسح رسول الله ﷺ صدره، ودعا له فثع (وهو القيء) فخرج من فيه مثل الحجر الأسود، فشفي.

وأخرج البخاري ومسلم والترمذي عن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: ذهبَتْ بي خالتي إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! إن ابن أختي وجعٌ، فمسح رأسي، ودعا لي بالبركة.

قال الجعيد: رأيتُ السائب بن يزيد ابن أربع وتسعين جلداً معتدلاً، فقال: قد علمت ما مُتِّعتُ به من سمعي وبصري إلا بدعاء رسول الله ﷺ.

وروى الطبراني عن أم أبان بنت الوازع عن أبيها: أن جدها الوازع انطلق إلى

= عبد المعطي أمين قلعجي على هامش تحقيقه لكتاب الشفا في الطب للإمام أحمد بن يوسف التيفاشي ت ٦٥١ هـ ص٨٦.

(١) أي: طرفاً من الجنون يلم بالإنسان، أي: يقرب منه، ويعتريه.

رسول الله ﷺ فانطلق معه بابن له مجنون، أو ابن أخت له، قال جدي: فلما قدمنا على رسول الله ﷺ المدينة قلت: يا رسول الله! إنَّ معي ابناً لي (أو ابن أخت لي) مجنوناً آتيك به، فتدعو الله عز وجل له، قال: «ائتني به» فانطلقتُ إليه وهو في الركاب، فأطلقت عنه، وألقيت عليه ثياب السفر، وألبسته ثوبين حسنين، وأخذت بيده حتى انتهيت به إلى رسول الله ـ ﷺ: فقال: «أَدْنِه مني، واجعل ظهره مما يليني» قال: فأخذ بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله، فجعل يضربُ ظهره حتى رأيت بياض إبطيه، ويقول: «اخرج عدو الله، اخرج عدو الله» فأقبل ينظر نظر الصحيح، ليس نظره الأول، ثم أقعده رسول الله ﷺ بين يديه، فدعا له، فمسح وجهه، فلم يكن في الوفد أحد بعد دعوة رسول الله ﷺ يفضل عليه.

وفي ختام هذه الفِقْرة نضع بين يديك بعض الرقى المسنونة، والمستحبة، رجاء معرفتها، وتطبيقها إن احتجتَ إليها:

روى الترمذي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ كان يعلِّمهم رُقى الحُمى، ومن الأوجاع كلها:

«باسم الله الكبير، أعوذ بالله العظيم، من كل عِرْقٍ نعّار، ومن شرّ حرِّ النار».

«عرق نعار: أي: نعر العِرْق بالدم؛ إذا ارتفع، وعلا».

وروى البخاري ومسلم وأبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى الإنسان (الشيء منه) أو كانت به قرْحةٌ، أو جرْحٌ قال بإصبعه هكذا ـ ووضع سفيان سبّابته بالأرض، ثم رفعها ـ وقال: «باسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا، يشفى به سقيمنا بإذن ربنا».

وروى الترمذي عن علي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان إذا أتى مريضاً، أو أُتي به إليه، قال: «أذهب الباس ربَّ الناس، اشْفِ أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقماً».

(الباس): الشدة، والألم.

روى البخاري ومسلم ومالك وأبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات، وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه، وأمسح عليه بيمينه رجاء بركتها.

ونختم هذه الرقى برقية جبريل عليه السلام لرسولنا محمد ﷺ فقد روى مسلم والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: يا مُحمد اشتكيت؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم» فقال جبريل: «باسم الله أرقيك من كلِّ داءٍ يؤذيك، ومن شر كل نفس وعين، باسم الله أرقيك، والله يشفيك».

ولهذا قال ابن عباس ـ وهو ينبّه لضرورة قراءة المعوذات ـ:

«ما من مولود إلا على قلبه الوسواس، فإن ذكر الله خنس، وإن غفل وسوس، وهو قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾» رواه الحاكم في مستدركه (٢/ ٥٤١) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

٦ـ العلاج من إصابة العين الحاسدة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان يؤمر العائن [أي: الحاسد] فيتوضأ، ثم يغتسل منه المعين [أي: المحسود]» رواه أبو داود.

وروى مالك في الموطأ عن أبي أسامة بن سهل بن حنيف أنه قال: رأى عامر ابن ربيعة سهل بن حنيف يغتسل، فقال: ما رأيت كاليوم ولا جلد مُخْبأةٍ، فَلُبِطَ سهل، فأتى رسول الله ﷺ، فقيل: يا رسول الله هل لك في سهل بن حنيف، والله! ما يرفع رأسه، فقال: «هل تتهمون له أحداً»، قالوا: نتهم عامر بن ربيعة، فتغيظ عليه، وقال: «علام يقتل أحدكم أخاه، ألا بَرّكْتَ، اغتسل له» فغسل عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح، ثم صُبَّ عليه، فراح سهلٌ مع الناس ليس به بأس».

وفي رواية لمالك: «علام يقتل أحدكم أخاه، ألا برّكت، إن العين حق، توضأ له» فتوضأ له عامر، فراح سهل مع رسول الله ﷺ ليس به بأس.

٧ـ تحريم تعليق شيء على الطفل ما لم يكن قرآناً، أو حديثاً نبوياً:

ولا بد أن نذكر في ختام هذا الباب من حرمة تعليق الحرز، أو الحلقات، وعليها حبات زرقاء، أو لبس الصبي لخلخال اعتقاداً من أنه يقي من العين، مما

يفعله الجاهلون بأحكام الشرع، والذي اعتبره رسول الله ﷺ من الشرك؛ الذي إذا أصرّ صاحبه على وَضْعه بعد تنبيهه.

فعن عمرو بن الحارث أن بكيراً حدثه: أن أمه حدثته أنها أرسلت إلى عائشة رضي الله عنها بأخيه مخرمة، وكانت تداوي من قرحة تكون بالصبيان، فلما داوته عائشة، وفرغت منه، رأت في رجليه خلخالين جديدين، فقالت عائشة: أظننتم أن هذين الخلخالين يدفعان عنه شيئاً كتبه الله عليه؟! لو رأيتها ما تداوى عندي، وما مس عندي. لعمري لخلخال من فضة أطهر من هذين» رواه الحاكم في مستدركه (٤/ ٢١٨) وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي.

ولهذا نجد تحذيراً شديداً من رسول الله ﷺ من أفعال الجاهلية ومعتقداتها بتعليق أشياء على صدور الأطفال خشية الحسد، فلنستمع، ونتبع، ولا نبتدع.

روى عبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٢٠٨) عن أبي قلابة قال: قطع رسول الله ﷺ خرزاً التمسه من قلادة الصبي ـ يعني: الفضل بن عباس ـ قال: وهي التي تخرز في عنق الصبي من العين.

☆ ☆ ☆

الباب التاسع

تهذيب[1] الدافع الجنسي للطفل

■ تمهيد :

■ أسس تهذيب الدافع الجنسي للطفل .

الأساس التهذيبي الأول ـ استئذان الطفل في الدخول .

الأساس التهذيبي الثاني ـ تعويد الطفل غض البصر ، وحفظ العورة .

الأساس التهذيبي الثالث ـ التفريق في المضاجع بين الأطفال .

الأساس التهذيبي الرابع ـ نوم الطفل على شقه الأيمن .

الأساس التهذيبي الخامس ـ ابتعاد الطفل عن الاختلاط والمهيجات الجنسية .

الأساس التهذيبي السادس ـ تعلم الطفل المميز فروض الغُسل، وسُننه .

الأساس التهذيبي السابع ـ شرح مقدمة سورة النور للطفل المميز .

الأساس التهذيبي الثامن ـ المصارحة الجنسية للطفل المميز، والتحذير من الفاحشة .

الأساس التهذيبي التاسع ـ الزواج المبكر .

■ **خاتمة** ـ علامات البلوغ .

---

(١) أمور الجنس بحاجة لتهذيب وليس إلى بناء لأنها موجودة في النفس بشكل قوي، فالحاجة إلى تهذيبها هو العملية التربوية، بخلاف غير المسلمين الذين يبيحون الجنس في كل مراحل العمر بالاتصال المحرم

تمهيـــد:

حرص الإسلام على تنشئة الإنسان تنشئة متوازنة، بحيث يتكون تكويناً منسجماً مع طبيعته التي خلقها الله، ومع فطرته التي فطره عليها، وهكذا كانت إحدى خصائصه المميزة التوازن في الأمور كلها بلا إفراط ولا تفريط.

والدافع الجنسي خلقه الله تعالى في النفس البشرية ليكون سبباً في استمرار الكائنات الحية جميعها، ومن بينها الإنسان، وقد خصَّ الله تعالى زمناً معيناً لتفجير هذه الطاقة في الإنسان، ليصبح قادراً على الإنجاب... وسمى الشرع الحنيف هذا السنَّ بسنّ التكليف، أي: بدخول الطفل هذا السن يصبح مسؤولاً عن تصرّفاته، محاسَباً على أعماله.

ولكي يسير الدافع الجنسي في نفس الطفل بشكل هادىء، بلا تهيجات خارجية تغذيه نحو الانحراف عن السلوك القويم، رعى الإسلام هذا الطفل، وطالبه بأوامر ونواهٍ، وذلك لكي يتهذب الدافع الجنسي، ويبقى متوازناً طاهراً بلا انحراف، نقياً بلا تلوث.

فما هي الأركان والقواعد الضابطة التي خصّها رسول الله ﷺ في تهذيب الطفل جنسياً؛ وذلك ليقوم الوالدان باتباعها، فيحفظوا بها طفلهم من الانحراف الجنسي، وتبقى فطرته نظيفة طاهرة عفيفة، لم تخدشها الجاهلية بمستنقعها الآسن؟

الأساس التهذيبي الأول ـ استئذان الطفل في الدخول:

الطفل يعيش في منزله كثيراً، ويتنقل سريعاً في أرجاء البيت، والاستئذان بالنسبة له أمر صعب وشاق في كل لحظة، وفي كلِّ آن؛ لذلك وجدنا القرآن الكريم يحدد للطفل الصغير طريقة الاستئذان، فيتناولها بالرعاية، والتوجيه، وذلك بأسلوب تدريجي رائع، فحددها له أولاً، وهو طفل صغير أن يستأذن في ثلاث أوقات حساسة: من قبل صلاة الفجر... ووقت الظهيرة عند القيلولة.. وبعد صلاة العشاء.

ونلاحظ أن هذه الأوقات هي أوقات نوم الوالدين، وقد دخلا في غرفة

النوم، حتى إذا قرب من سنّ الاحتلام وجب عليه الاستئذان في البيت في الدخول على والديه في كل آن، وكلما وجد أمامه الباب مغلقاً في وجهه، ووالداه في الغرفة.

فلنعشْ لحظات مع التوجيه القرآني الذي خصّ هذا الأمر بالتفصيل، والبيان دون غيره؛ لما له من أهمية كبيرة في ميزان الشرع.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور: ٢٤/ ٥٨ـ٥٩].

«ففي هذه الأوقات الثلاثة لا بد أن يستأذن الخدم، وأن يستأذن الصغار المميزون؛ الذين لم يبلغوا الحلم، كيلا تقع أنظارهم على عورات أهليهم.

وهو أدبٌ يغفله الكثيرون في حياتهم المنزلية، مُستهينين بآثاره النفسية، والعصبية، والخلقية، ظانين أن الخدم لا تمتد أعينهم إلى عورات السادة!

وأن الصغار قبل البلوغ لا ينتبهون لهذه المناظر، بينما يقرر النفسيون اليوم ـ بعد تقدم العلوم النفسية ـ أن بعض المشاهد التي تقع عليها أنظار الأطفال في صغرهم هي التي تؤثر في حياتهم كلها، وقد تصيبهم بأمراض نفسية، وعصبية، يصعب شفاؤهم منها»[1].

فهل تريدان أيها الوالدان أن يمرض طفلكما؟ وبأي مرض؟ إنه بالأمراض النفسية، والعصبية؛ التي يصعب شفاء الطفل منها.

وما هو السبب يا ترى؟ إنه تهاونُ الوالدين في تعويد طفلهما الاستئذان للدخول في الأوقات الثلاثة؛ التي تكون فيها عورات الوالدين منكشفة؛ لهذا

(١) «في ظلال القرآن» (١٨/ ١٢٣).

نجد النبي ﷺ يعلِّم أنساً الاستئذان، كما روى البخاري في الأدب المفرد(١).

عن أنس قال: «كنت خادماً للنبي ﷺ قال: فكنت أدخل بغير استئذان، فجئت يوماً فقال: كما أنت يا بني! فإنه قد حدث بعدك أمر: «لا تدخلنّ إلا بإذن».

ومن هنا وجب أيضاً على الوالدين أن يسترا عوراتهما في كل آن أمام طفلهما؛ لكي يساعداه على سير غريزته الجنسية بشكل طبيعي، دون تسرع بالمهيجات، فلنتجنب.. ولننتبه.. ولنستجب لنداء الله تعالى ورسوله لما يحيينا.

حكم الطفل غير المميز:

إن الطفل الصغير الذي لا يميز محاسن وقبح النساء، وكذلك البنت التي لم تبدأ معالم البلوغ عندها، لهما حكم خاص بهما نصت الآية عليه:

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٢٤/ ٣١].

وهذه عائشة رضي الله عنها يأتيها الصبيان والصغار، ويرون لباسها، قال عطاء: كنت آتي عائشة أنا وعبيد بن عمير، وهي مجاورة في جوف ثبير، قلت: فما حجابها حينئذٍ؟ قال: في قبة لها تركية، عليها غشاء لها، بيننا وبينها، قال: ولكن قد رأيت عليها درعاً معصفراً، وأنا صبي(٢).

---

(١) من الحديث (٨٠٧).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٦٧) قال حبيب الرحمن الأعظمي مُعلقاً: وأخرجه البخاري دون قوله: «وأنا صبي» (٣/ ٣١١).

الأساس التهذيبي الثاني ـ تعويد الطفل غضّ البصر، وحفظ العورة:

إنّ البصر هو نافذةُ الطفل على العالم الخارجي، فما تراه عيناه ينطبعُ في ذهنه، ونفسه، وذاكرته بسرعة فائقة... فإذا تعود غضّ بصره عن العورات كافة المنزلية والخارجية، مُستعيناً بمراقبة الله تعالى له، كما فعل الطفل الصالح عبد الله التستري؛ الذي كان يردد ورده القلبي قبل أن ينام: «الله شاهدي.. الله ناظري.. الله معي» فإن ذلك يُورث حلاوة الإيمان، التي يجدها الطفل في نفسه.

وقد يتهاون الطفل أحياناً، وينسى أخرى، ويغلبه هواه في لحظة ما، فيرسل بصره نحو الفتيات بشهوة وتلذّذ، فماذا فعل رسول الله ﷺ في مثل هذا الموطن؟

أخرج البخاري والترمذي وأبو داود عن عبد الله بن عباس قال:

«كان الفضل بن عباس رديف رسول الله ﷺ فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، فجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر»(١).

وروى أحمد عن الفضل بن عباس قال: كنت رديف رسول الله ﷺ من جمع إلى منى، فبينا هو يسير إذ عرض له أعرابي مردفاً ابنةً له جميلة، وكان يسايره، قال: فكنت أنظر إليها، فنظر إليّ النبي ﷺ فقلب وجهي عن وجهها، ثم أعدت النظر فقلب وجهي عن وجهها حتى فعل ذلك ثلاثاً، وأنا لا أنتهي، فلم يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة(٢).

وروى زَنْجُوَيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان الفضلُ بنُ عباس رديفَ النبي ﷺ يصرف وجهه بيده ويقول: «ابن أخي! إنَّ هذا يومٌ من غضّ فيه بصره وحفظ فرجهُ ولسانهُ غفر له»(٣).

وفي رواية ابن جرير في «تهذيب الآثار» أن العباس قال للنبي ﷺ:

---

(١) الكنز (٥/ ١٨٨ و٢٠٤) ورواه ابن خزيمة في صحيحه (٤/ ٢٦١).

(٢) المسند (١/ ٢١١).

(٣) ورواه ابن خزيمة في صحيحه (٤/ ٢٦٠) وأبو يَعلى في مسنده (١/ ٢٦٤).

رأيتك تصرفُ وجه ابن عمّك! فقال رسول الله ﷺ: «رأيتُ جاريةً حدثة، وغلاماً حدثاً، فخشيت أن يدخل بينهما الشيطان».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان الفضل بن عباس رديف رسول الله ﷺ قال: فأتت رسول الله ﷺ امرأةٌ من خثعم تستفتيه، قال: فجعل الفضلُ ينظر إليها، وتنظر إليه، قال: فجعل يصرف وجه الفضل بيده إلى الشق الآخر، قالت: يا رسول الله! إن فريضة الله في الحج على عباده أدركت أبي شيخاً كبيراً، لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: «نعم».

رواه ابن خزيمة في صحيحه (٤/ ٣٤٣) ورواه البخاري ومسلم.

فإذاً لا بُدَّ من تعويد الطفل غض البصر عن العورات في كل مكان، حتى لا تتسرع غريزته الجنسية بالنضوج المبكر، السريع الشاذ؛ الذي قد يسبب أضراراً، وأخطاراً ذاتية، وجسمية، ونفسية، واجتماعية، وخُلُقية.

وقد ذكر الشيخ عبد الحميد كشك ـ رحمه الله تعالى ـ في إحدى خطبه قول أحد علماء الألمان حول أهمية غض البصر، وأنه العلاج الوحيد للجنس قوله:

لقد درست علم الجنس، وأدوية الجنس، فلم أجد دواء أنجح، وأنجع من القول في الكتاب الذي نُزِّل على محمد ﷺ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٢٤/ ٣٠].

أما ستر العورة فإن الطفل يتعوّدها مع بداية أمره بالصلاة، حيث لا بد أن يكون لباسه ساتراً لعورته، وذلك لتكون صلاته صحيحة سليمة من صغره، وبالتالي ينشأ على حب ستر العورة، صبياً كان أم بنتاً، فالصبي يلبس ما يستر عورته، والبنت كذلك، وتزيد عليه أن تتعود الحجاب، فتبدأ بحجاب الصلاة، وهكذا ينشأ الطفل مستقيماً صالحاً مهذبة نفسه، قويمة أخلاقه، قوياً في إيمانه.

الأساس التهذيبي الثالث ـ التفريق في المضاجع بين الأطفال:

وهو ركن أساسي في تهذيب الطفل جنسياً، وعدم إثارة غريزته بشكل سيىء، وهذا لا نظير له في العالم كله من تشريعات... إنها نظرة النبوة، والدقة

النبوية في تهذيب الطفل، والاهتمام به، فروى أبو داود بسند حسن عن النبي ﷺ:

«مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وَفَرِّقوا بَيْنَهم في المضاجع».

وفي رواية الحاكم في مستدركه (١/ ٢٠١) وقال: صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي: «إذا بلغ أولادكم سبع سنين ففرقوا بين فرشهم، وإذا بلغوا عشر سنين فاضربوهم على الصلاة». ورواه الدارقطني (١/ ٢٣٠).

إذاً هذا التفريق يبدأ في سن العاشرة، حيث تكون الغريزة في طريقها للنمو، ولكن كيف يتمُّ التفريق في المضجع؟ إنه عدم نوم طفلين تحت لحاف واحد، أو ينامان في سرير واحد، أما على فراش واحد، وبلحافين مختلفين فلا حرج. وكلما ابتعدا عن بعضهما فهو أفضل.

قال العلامة شاه ولي الله الدهلوي:

«وإنما أمر بتفريق المضاجع؛ لأن الأيام أيام مراهقة، فلا يبعد أن تفضي المضاجعة إلى شهوة المجامعة، فلا بد من سد سبيل الفساد قبل وقوعه»[١].

لذلك فإن النوم في فراش تحت لحاف واحد، يؤدي بالأطفال أن تنمو فيهم الغريزة الجنسية بسرعة متزايدة، وأن تتأجج فلا تجد طريقاً لإنفاذها إلا ببعض مظاهر الانحراف، والشذوذ الجنسي. وكم تحدث شذوذات تحت اللحاف لا يشعر بها الأبوان، فتكون سبباً في دمار هؤلاء الأطفال الأبرياء؛ الذين تساهل آباؤهم عن أحوالهم، فوضعوهم في مخالفة أوامر النبي ﷺ!

ورسول الله ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٥٣/ ٣-٤] يُقدِّم لنا أمراً صريحاً: «وفَرِّقوا» فالمؤمن يمتثل فيفرق، وأين التفريق؟ إنه «بينهم في المضاجع». فأين التربية الغربية والشرقية من هذا التوجيه النبوي الرائع؟!

---

(١) «حجة الله البالغة» (١/ ١٨٦).

الأساس التهذيبي الرابع ـ نوم الطفل على شقه الأيمن، وابتعاده عن النوم على بطنه:

اتباع سنة رسول الله ﷺ بالنوم على الشق الأيمن يُبْعِدُ الطفل عن كثير من المهيجات الجنسية أثناء النوم، وقد وصف ﷺ النوم على الوجه بنومة الشيطان... فإذا نام الطفل على بطنه، فيؤدي ذلك إلى كثرة حكِّ أعضائه التناسلية التي تثير شهوته في هذه الحالة، فإذا وجد الوالدان الطفل في هذه الحالة نائماً غيّرا من حالته، وحبَّبوا إليه النوم على الشق الأيمن، والابتعاد عن النوم على الصدر... فضلاً عن أن النوم على الصدر يورث كثيراً من الأمراض الجسمية... والأطباء جميعاً بدون استثناء ينصحون بالابتعاد عن النوم على البطن.

الأساس التهذيبي الخامس ـ ابتعاد الطفل عن الاختلاط، والمهيجات الجنسية:

انطلاقاً من القاعدة القائلة: «وبضدها تتميز الأشياء» سنعرض بين يديك التجربة الأوروبية في الاختلاط، وما نتج عنه بين الأطفال ذكوراً وإناثاً، الأمر الذي تشمئز منه النفوس الطاهرة العفيفة، فقد أورد الشيخ وهبي سليمان الغاوجي عن التجربة الغربية، وإننا إذ نقدم هذه التجربة الفاشلة للآباء والمربين؛ لأن النفوس المسلمة الضعيفة تعوّدت أن تأخذ التجربة الأوروبية محل اعتبار وتقدير، وتتثاقل مسامعها من وعظ الواعظين في المساجد والخطب، وهم يحذرونهم من وباء الاختلاط، فإليك هذه الطائفة من الحوادث، إنَّ في ذَلِكَ لذكرى لِمَنْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ، فقال:

«حدثني الأستاذ الكبير أحمد مظهر العظمة أنه حين ذهب منذ سنين في رحلة علمية إلى بلجيكا، لاحظ مدرسة ابتدائية هناك، وهي تقوم بجولات في مدارسها، جميع طلابها بنات، فسأل المديرة: لماذا لا تخلطون البنين مع البنات في هذه المرحلة؟ قالت: **قد لمسنا أضرار اختلاط الأطفال حتى في سن المرحلة الابتدائية**».

وإن لم تصدق هذا الكلام، فإليك الأرقام لتتكلم معك:

«قال القاضي لندسي في كتابه «تمرد النشء الجديد»: إن الصبية في أمريكا قد أصبحوا يراهقون قبل الأوان، ومن السن الباكرة جداً يشتدّ فيهم الشعور الجنسي».

ويحدث هذا القاضي عن أحوال (٣١٢) صبيّة على سبيل النموذج فيقول: إن (٢٥٥) صبية منهن كن أدركن البلوغ فيما بين الحادية عشرة والثالثة عشرة من سني أعمارهن، فيهن من أمارات الشهوة الجنسية، والمطالب الجنسية ما لا يكون عادة إلا في بنات الثامنة عشرة فما فوقهن سناً.

ويقول الدكتور أديت هوكر في كتابه «القوانين الجنسية»:

«إنه ليس من الغريب الشاذ، حتى في الطبقات المثقفة: أن بنات سبع، أو ثماني سنين منهن يخادنّ لداتهن مع الصبية، وربما تلوثن معهم بالفاحشة.

بنت في السابعة من عمرها من بيت عريق في الشرف والمجد، ارتكبت الفحشاء مع أخيها، وعدد من أصدقائه. ونفر آخر من خمسة أولاد يشتمل على صبيتين وثلاثة صبيان متجاورين، متقاربي البيوت، وُجِدُوا متعلقين ببعضهم بالعلاقات الجنسية، وقد حفزوا على ذلك غيرهم من الأولاد أيضاً، وكان أكبر أولئك سناً ابن عشر سنين، وبنت أخرى في التاسعة كانت في ظاهر الأمر تحت رقابة شديدة، وجدت سعيدة بكونها حبيبة عشاق ذوي عدد!!

وقد جاء في تقرير طبيب من مدينة بالتيمور: أنه رفع إلى المحاكم في تلك المدينة أكثر من ألف مرافعة في مدة سنة واحدة، كلها في ارتكاب الفاحشة مع الصَّبايا دون الثانية عشرة من العمر».

«يخمن القاضي لندسي الأمريكي أن (٤٥٪) من فتيات المدارس تدنَّسن قبل خروجهن منها، وترتفع هذه النسبة كثيراً في مراحل التعليم العالية، فيكتب: أن الطالب في مدرسة ثانوية تكون عواطفه دون عواطف الطالبة شدة والتهاباً، فالصبية هي التي تتقدم أبداً، وتأمر، وما يفعل الصبي إلا أن يتبع ويأتمر»[1].

---

(١) «المرأة المسلمة» (ص٢٤٣).

ومن المؤسف، والمؤلم، والمحزن أن كثيراً من البلدان الإسلامية بدأت تسير على هذا النهج في اختلاط الصبيان مع البنات... وهذا تآمر على إفساد المجتمع، وتوهين بنية الأجيال.

الأساس التهذيبي السادس ـ تعلم الطفل المميز فروض الغُسل، وسُنَنه:

حينما يتوقع الأبوان قرب بلوغ الصبي، والبنت على السواء، عند ذلك وجب عليهما تعليم الأطفال فرائض إسقاط الحدث الأكبر ـ الجنابة ـ وسننه، وكذلك يحدثانهم عن أسبابه، وعن طبيعة المادة التي تخرج، ولونها، أي: يقدمان لهم درساً في فقه الغُسل من كتب الفقه، ولأن يحدّثهم الآباء حديثاً هادئاً عن هذه الأمور، خير من أن تمتد أيدي السوء لتنتشلهم، ويقدمون لهم السُّمَ الزعاف، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «ينقض عرى الإسلام عروة عروة من نشأ في الإسلام ولم يعرف الجاهلية».

فلا بد من أن يقدم الأب لصبيه والأم لبنتها حديثاً وأحاديث عن فقه الإسلام في هذه المادة، التي تخرج من جسم الإنسان، وماذا يفعله الإنسان في مقابل ذلك، وما يعني خروج هذه المادة بالنسبة للشرع؟

إنه يعني دخول سن التكليف في الحياة... إنه بدء الفرائض على الإنسان، والنواهي الربانية له... وبذلك أصبح الإنسان محاسباً على الصغيرة والكبيرة على أعماله، وأقواله، وأن المَلَكَيْن رقيباً وعتيداً، بدأ كل منهما مهمته في تسجيل الحسنات والسيئات... إلى غير ذلك من مواعظ هادئة، تنبّه الطفل نحو العمل الصالح، وكراهية العمل الطالح.

الأساس التهذيبي السابع ـ شرح مقدمة سورة النور، وتحفيظها للطفل المميز:

بعد بلوغ الطفل سن العاشرة، يفرق في مضجعه عن إخوته، فهذا يعني أن بعض الدلالات الجنسية بدأت بالظهور رويداً رويداً.

ففي هذه السن نبدأ بوضع الوقايات النفسية، والمناعات الإيمانية في نفس الطفل، ليقوى بها على التحكم في غريزته، وضبط نفسه، والحفاظ عليها من ارتكاب الفاحشة، والعياذ بالله تعالى، فكان السلف ـ رضوان الله عليهم ـ

يقدمون لأطفالهم سورة النور كوقاية لهم مع الشرح والبيان، ويهتمون بتحفيظها في سن المراهقة قبيل البلوغ وخاصة البنات.

روى مجاهد عن النبي ﷺ أنه قال: «عَلِّموا رجالكم سورة المائدة، وعَلِّموا نِساءَكم سورة النور» رواه سعيد بن منصور في سننه والبيهقي في شعب الإيمان ورمز السيوطي لضعفه[1].

وقد أوضح الجاحظ: «بأن المعلمين كانوا يُعنون عناية خاصة بتحفيظ الفتيات سورة النور»[2].

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب في الآفاق:

«لا تدخلنّ امرأة مسلمة الحمام إلا من سقم، وعلموا نساءكم سورة النور»[3].

الأساس التهذيبي الثامن ـ المصارحة الجنسية، والتحذير من الفاحشة:

قلنا: إن الطفل يُعلَّم، ويُحفَّظ سورة النور، التي تتضمن البناء الخلقي، والتهذيب الجنسي للطفل، وتحذِّره من الوقوع في الفاحشة.

وبعد تعلمه فرائض الغُسْل، وإسقاط الجنابة، يحذر تحذيراً شديداً من الوقوع في الفاحشة، ويشرح له وذلك حسب البلد الذي يعيش فيه الطفل، هل في بلد متحلل مثل الغرب وأمريكا؟ أم في بلد إسلامي محافظ؟ وعلى حسب الأسرة التي بلغ فيها ذلك الطفل، هل هي إسلامية أو إباحية، فحيثما كانت الإباحية فيجب أن يشرح للطفل المسلم البالغ ما هو الزنى، حتى يجتنبه، ويبتعد عنه، وذلك من أجل ألا يقع في الزنى؛ ثم يقول: أنا لا أدري كيف هو؟ وما حكمه؟

ويروى له حديث رسول الله ﷺ التالي:

---

(١) انظر الجامع الصغير ٤/ ٣٢٨.
(٢) «البيان والتبيين» (٢/ ٩٢).
(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه (١/ ٢٩٥).

روى أحمد والطبراني[1] عن أبي أمامة أن فتى من قريش أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي في الزنى، فأقبل القوم عليه وزجروه، فقالوا: مه.. مه.. فقال: «ادنه» فدنا منه قريباً، فقال:

«أتحبه لأمك؟» قال: لا، والله يا رسول الله جعلني الله فداك! قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم».

قال: «أفتحبه لابنتك؟» قال: لا، والله يا رسول الله! جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم».

قال: «أفتحبه لأختك» قال، لا والله يا رسول الله! جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم».

قال: «أتحبه لعمتك؟» قال: لا، والله يا رسول الله! جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم».

قال: «أتحبه لخالتك؟» قال: لا، والله يا رسول الله! جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم».

قال: فوضع يده عليه، وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهّر قلبه، وحصِّن فرجه».

قال: فلم يكن الفتى بعد ذلك يلتفت إلى شيء.

ويُعرَّف كذلك بعقوبة الزنى، وإقامة الحد:

وفي الصحيحين عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني أنهما قالا في الأعرابيين اللذين أتيا رسول الله ﷺ، فقال أحدهما: إن ابني هذا كان عسيفاً - يعني: أجيراً - على هذا، فزنى بامرأته، فافتديت ابني منه بمئة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم فأخبروني أن على بني جلد مئة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده! لأقضينَّ بينكما بكتاب الله تعالى: الوليدة والغنم ردّ عليك، وعلى ابنك مئة جلدة وتغريب عام، واغْدُ يا أنيس - لرجل من أسلم - إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها».

---

(١) إسناده صحيح. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٣٧٠).

الأساس التهذيبي التاسع ـ الزواج المبكر:

مهما قيل في الزواج المبكر من مساوىء في العصر الحاضر، فإن محاسنه تفوقه، وخاصة إذا صحبه تأمين الحياة المادية، سواء من مساعدة الوالدين، أو من كسب الفتى الناشيء. وما أمراض الأمة النفسية والاجتماعية، والحوادث الجنائية إلا نتيجة طبيعية لتأخير الزواج، ولن نناقش هذا الأمر كثيراً، فحسبنا أن نقدم من حياة السلف الصالح هذه النماذج التي قدمها الإمام الراوي عبد الرزاق المتوفى سنة (٢١١ هـ) في مصنفه، باب: نكاح الصغيرين المجلد السادس صفحة (١٦٢):

١ـ عن عروة قال: نكح النبي ﷺ عائشة وهي بنت ست، وأهديت إليه وهي بنت تسع، ولُعبها معها، ومات عنها وهي بنت ثماني عشرة[١].

٢ـ وعن أبي جعفر قال: خطب عمر إلى علي ابنته فقال: إنها صغيرة، فقيل لعمر: إنما يريد بذلك منعها، قال: فكلّمه، فقال علي: أبعث بها إليك، فإن رضيت فهي امرأتك، قال: فبعث بها إليه، قال: فذهب عمر، فكشف عن ساقها، فقالت: أرسل، فلولا أنك أمير المؤمنين لصككتُ عنقك.

وقد علل عمر زواجه من بنت علي، وهي صغيرة، بقوله:

عن عكرمة قال: تزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وهي جارية تلعبُ مع الجواري، فجاء إلى أصحابه، فدعوا له بالبركة، فقال: لم أتزوج من نشاطٍ بي، ولكن سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي»[٢] فأحببتُ أن يكون بيني وبين نبي الله ﷺ سبب ونسب.

---

(١) قال المحقق حبيب الرحمن الأعظمي: وأخرجه مسلم، وفيه «لعبتها» ورواه أبو داود في النكاح.

(٢) صحيح. انظر صحيح الجامع (٤٥٢٧) وقال: رواه الطبراني والحاكم والبيهقي عن عمر والطبراني في الكبير عن ابن عباس، وعن المسور.

٣ـ وعن الحسن، والزهري، وقتادة، قالوا: إذا أنكح الصغار آباؤهم جاز نكاحهم. قال عبد الرزاق: وبه نأخذ.

٤ـ وعن ابن طاووس عن أبيه قال: إذا أنكح الصغيرين أبوهما، فهما بالخيار إذا كبرا.

٥ـ وعن الزهري: أن عروة بن الزبير أنكح ابنه صغيراً ابنة لمصعب صغيرة.

٦ـ وعن هشام بن عروة قال: زوج أبي ابنه صغيراً هذا ابن خمس، وهذا ابن ست(١)، فمات فورثته أربعة آلاف دينار، أو نحو ذلك.

سؤال فقهي: ما هو سن زواج الصغيرة؟

قال مالك والشافعي وأبو حنيفة: حدُّ ذلك أن تطيق الجماع، ويختلف ذلك باختلافهن، ولا يضبط بسن، وهذا هو الصحيح، وليس في حديث عائشة تحديد، ولا المنع من ذلك في سن أطاقته قبل تسع، ولا الإذن فيه لمن لم تطقه وقد بلغت تسعاً(٢).

خاتمة: علامات البلوغ:

هناك علامتان لدخول الطفل سن البلوغ والتكليف، وهما الاحتلام، أو ظهور شعر العانة تحت السرة.

١ـ الاحتـــلام:

فقد نصت الآية: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٢٤/٥٩].

وروى أبو داود عن علي كرم الله وجهه قال: حفظت عن رسول الله ﷺ: «لا يتم بعد احتلام، ولا صمات يوم إلى الليل».

---

(١) قال المحقق حبيب الرحمن الأعظمي: لعل الصواب «زوج أبي ابنته صغيراً، هذه بنت خمس، وهذا ابن ست».

(٢) انظر: بذل المجهود في حل أبي داود (١٠/١٥٤) طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢ـ ظهور شعر العانة:

عن عطية قال: «عُرضنا على النبي ﷺ يوم قُريظة، فكان من أنبتت عانته قُتِل، ومن لم يُنبت خُلِّي سبيله، فكنت ممن لم ينبت فخلِّي سبيلي» رواه الخمسة، وصححه الترمذي.

وفي لفظ: «فمن كان مُحتلماً أو أنبتت عانته قتل ومن لا تُرك» رواه أحمد والنسائي(١).

وعن سمرة بن جندب أن النبي ﷺ قال: «اقتلوا شيوخ المشركين، واستحيوا شرخهم» والشرخ: الغلمان الذين لم يُنبتوا. رواه الترمذي، وصححه.

٣ـ الصبي إذا بلغ خمس عشرة أقيمت عليه الحدود:

رواه البيهقي في «الخلافيات» عن أنس.

☆ ☆ ☆

---

(١) ورواه الحاكم في مستدركه (٤/ ٣٩٠) بلفظ: «كنت غلاماً يوم حكم سعد بن معاذ في بني قريظة أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم، فشكوا فيّ فلم يجدوني أنبت الشعر، فها أنا ذا بين أظهركم».

الخاتمة الأولى

خطاب النبي ﷺ إليكم أيها الآباء

هذا خطاب موجَّه من النبي ﷺ إليكم معاشر الآباء والأمهات، تمّ بحمد الله وتوفيقه جمعها في أربعين حديثاً؛ لتكون إصلاحاً ومنهاجاً، وهي خلاصة ما تقدم من واجبات الوالدين التي خصّها النبي ﷺ.

وإن دلت على شيء فإنما هو حرص النبي ﷺ واهتمامه بتهيئة الوالدين إعداداً وتكويناً، وذلك ليكونا خير نبراس لطفلهما، كما يُعالج الوالدين معالجة طيبة للوصول بهما قُدماً نحو قمة تربوية عالية، وعقلية تربوية فائقة، ونفسية تربوية متوازنة، تقوم بدورها بشكل منسجم ومتوافق مع كتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ، وسيرة السلف الصالح.

☆ ☆ ☆

الأربعون النبوية إلى الآباء

١ـ أخرج الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته».

٢ـ أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تُنتج البهيمةُ بهيمةً جَمْعاء، هل تُحسّون فيها من جدعاء؟» ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠].

٣ـ روى الترمذي عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: فماذا قال عبدي؟ فيقولون: حَمدكَ واسْتَرْجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة، وسموه: بيت الحمد».

٤ـ روى أحمد ـ بإسناد جيد ـ عن المقدام بن معدِ يْكرِب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة، وما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة».

٥ـ في الصحيحين، عن عبد الله بن مسعود قلت: يا رسول الله! أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني بحليلة جارك».

٦ـ أورد البخاري في صحيحه «باب: من طلب الولد للجهاد» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفَنَّ الليلة على مئة امرأة أو تِسع وتسعين، كُلُّهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: قل إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشِقّ رجل. والذي نفسُ محمد بيده! لو قال: إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون».

٧ـ روى الطبراني عن حفصة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «لا يدع أحدكم طلب الولد، فإن الرجل إذا مات، وليس له ولد، انقطع اسمه».

٨ـ روى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال لها: «يا عائشة! ارفقي؛ فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيراً دلهم على الرفق» وفي رواية: «إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق».

٩ـ روى البزار عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «إن لكل شجرة ثمرة، وثمرة القلب الولد، إن الله لا يرحم من لا يرحم ولده، والذي نفسي بيده! لا يدخل الجنة إلا رحيم» قلنا: يا رسول الله! كلنا يرحم، قال: «ليس رحمته أن يرحم أحدكم صاحبه، إنما الرحمة أن يرحم الناس».

١٠ـ في الصحيحين عن أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا، فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشدّ مما غضب يومئذٍ، فقال: «يا أيها الناس! إن منكم مُنَفِّرين، فأيكم أَمَّ الناس فليوجز؛ فإن من ورائه الكبير، والصغير، وذا الحاجة».

١١ـ أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

١٢ـ وروى الإمام أحمد والنسائي عن معاوية بن قرة عن أبيه: أن رجلاً كان يأتي النبي ﷺ ومعه ابنٌ له، فقال له النبي ﷺ: «أتحبُّه»؟ فقال: يا رسول الله

أحبَّك الله كما أحِبُّه، ففقده النبي ﷺ فقال: «ما فعلَ ابنُ فلان؟» قالوا: يا رسول الله! مات، فقال النبي ﷺ لأبيه: «أما تُحبُّ ألا تأتي باباً من أبواب الجنة إلا وجدتَه ينتظرك عليه؟» فقال رجل: أله خاصة يا رسول الله، أو لكلنا؟ قال: «بل لكلكم».

١٣ـ روى الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنعم الله على عبد نعمة من أهلٍ، أو مالٍ، أو ولد فيقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، فيرى فيه آفة دون الموت».

١٤ـ روى البيهقي في «الشعب» من حديث الحسن بن علي، عن النبي ﷺ قال: «من وُلِدَ له مولود، فأذّنَ في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى، رُفعت عنه أم الصبيان».

١٥ـ في الصحيحين عن أبي موسى قال: ولد لي غلام، فأتيت به النبي ﷺ، فسماه إبراهيم، وحنكه بتمرة، وزاد البخاري: ودعا له بالبركة، ودفعه إلي.

١٦ـ روى أصحاب السنن عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل غلام رهينة بعقيقته، تُذبح عنه يوم السابع، ويُسمّى فيه ويحلق رأسه».

١٧ـ روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «افتحوا على صبيانكم أول كلمةٍ بلا إله إلا الله، ولقنوهم عند الموت: لا إله إلا الله».

١٨ـ روى الطبراني وابن النجار عن علي كرم الله وجهه أن النبي ﷺ قال: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن؛ فإن حملة القرآن في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه، وأصفيائه».

١٩ـ روى الحاكم وأبو داود عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها، وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع».

٢٠ـ روى ابن حبان عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «الغلام يُعقّ عنه يوم السابع، ويُسمّى، ويماط عنه الأذى، فإذا بلغ ست سنين أُدِّب، وإذا بلغ

تسع سنين عزل عن فراشه، فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضُرب على الصلاة والصوم، فإذا بلغ ست عشرة زوجه أبوه ثم أخذ بيده، وقال: قد أدبتك، وعلّمتك، وأنكحتك، أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا، وعذابك في الآخرة».

٢١ـ أخرج الشيخان عن الربيع بنت مُعَوّذ قالت: أرسل رسول الله ﷺ صبيحة يوم عاشوراء إلى قرى الأنصار: «من كان أصبح صائماً فليُتمّ صومَه، ومن كان أصبح مفطراً فليَصُمْ بقية يومه» فكنا نصومه بعد ذلك، ونصوّم صبياننا الصغار منهم، ونذهب إلى المسجد، فنجعل لهم اللعبة من العهن (أي: الصوف) فإذا بكى أحدهم من الطعام أعطيناه إياه حتى يكون عند الإفطار.

٢٢ـ روى مسلم ومالك وأبو داود والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ لقي ركباً بالرّوحاء، فقال: «من القوم؟» قالوا: المسلمون، فقالوا: من أنت؟ قال: «رسول الله» فرفعت امرأة صبياً، فقالت: ألهذا حج؟ قال: «نعم، ولك أجر».

٢٣ـ روى أبو داود عن عمرو بن شعيب رحمه الله، عن أبيه، عن جده: أن امرأة أتت رسول الله ﷺ ومعها ابنة لها، وفي يد ابنتها مَسكتان غليظتان من ذهب، فقال لها: «أتعطين زكاة هذا؟» قالت: لا، قال: «أيَسُرُّك أن يُسوِّرَك الله بهما يوم القيامة سوارين من نارٍ؟» قال: فخلعتهما، فألقتْهما إلى النبي ﷺ وقالت: هما لله ولرسوله.

٢٤ـ روى الشيخان ومالك والنسائي وأبو داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، على كل عبد، أو حرّ صغير أو كبير.

٢٥ـ روى النسائي من طريق جعفر بن سليمان عن ثابت: أن النبي ﷺ كان يزور الأنصار، فيسلّم على صبيانهم، ويمسح على رؤوسهم، ويدعو لهم.

٢٦ـ روى الترمذي عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يؤدب الرجل ولده، خيرٌ من أن يتصدق بصاع».

٢٧ـ روى ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ: «أكرموا أولادكم، وأحسنوا أدبهم».

٢٨ـ روى الإمام أحمد والطبراني عن عبادة بن الصامت: أن رسول الله ﷺ قال: «ليس من أمتي من لم يجلّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه».

٢٩ـ روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قالٌ: «من قال لصبي تعال هاك أعطك، ولم يعطه، فهي كذبة».

٣٠ـ روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبّل النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما، فقال الأقرعُ بن حابس: إن لي عشرة من الولد ما قبّلتُ منهم أحداً، فقال رسول الله ﷺ: «من لا يرحم لا يرحم».

٣١ـ روى الديلمي وابن عساكر عن أبي سفيان قال: دخلت على معاوية، وهو مستلقٍ على ظهره، وعلى صدره صبي، أو صبية تناغيه، فقلت: أمط هذا عنك يا أمير المؤمنين! قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان له صبي فليتصاب له».

٣٢ـ روى البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى، وفرّج بينهما.

٣٣ـ روى الترمذي عن عمرو بن شعيب رحمه الله عن أبيه عن جده: أن النبي ﷺ خطب الناس، فقال: «ألا من وَلِيَ يتيماً له مالٌ فليتجر فيه، ولا يتركه حتى تأكله الصدقة».

٣٤ـ روى أبو داود وأبو يعلى عن عوف بن مالك عن النبي ﷺ قال: «أنا وامرأة سفعاء الخدّين، امرأة آمت من زوجها، فصبرت على ولدها كهاتين في الجنة». وزاد أبو داود: «ذات منصب وجمال حبست نفسها على يتاماها حتى بانوا، أو ماتوا».

٣٥ـ روى أبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان له ثلاث بناتٍ، أو ثلاث أخوات، أو بنتان، أو

أختان، فأحسن صُحبتهن، واتقى الله فيهن، فله الجنة».

وفي رواية أبي داود قال: «من عال ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، أو أختين، أو بنتين، فأدبهن، وأحسن إليهن، وزوّجهن، فله الجنة».

٣٦ـ روى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له أنثى فلم يئدها، ولم يُهنْها، ولم يؤثر ولده ـ (أي: الذكور عليها) ـ أدخله الله الجنة».

٣٧ـ أخرج البخاري ومسلم والنسائي عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده! لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».

٣٨ـ روى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «عفّوا عن نساء الناس تعف نساؤكم، وبرُّوا آباءكم تبَرَّكم أبناؤكم، ومن أتاه أخوه متنصلاً فليقبل ذلك محقاً أو مبطلاً، فإن لم يفعل لم يردْ عليّ الحوض».

٣٩ـ روى ابن عساكر عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه ـ كما في الجامع الكبير ـ: أن رسول الله ﷺ خرج على عثمان بن مظعون، ومعه صبي صغير له يلثمه، فقال له: «ابنك هذا؟» قال: نعم، قال: «تحبه يا عثمان؟» قال: إي، والله! يا رسول الله إني أحبه، قال: «أفلا أزيدك له حباً؟» قال: بلى فداك أبي وأمي، قال: «إنه من ترضّى صبياً صغيراً من نَسْله حتى يرضى، ترضاه الله يوم القيامة حتى يرضى».

٤٠ـ روى الإمام أحمد وابن ماجه والبخاري في «الأدب المفرد» عن معاذ رضي الله عنه قال: أوصاني رسول الله ﷺ بعشر كلمات:

(١) لا تشرك بالله شيئاً وإن قُتلت وحرِّقت.

(٢) ولا تَعُقَّنَّ والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك.

(٣) ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمداً، فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله.

(٤) ولا تشربنّ خمراً فإنه رأس كل فاحشة.

(٥) وإياك والمعصية، فإن بالمعصية حل سخَط الله.

(٦) وإياك والفرار من الزّحف وإن هلك الناس.

(٧) وإذا أصاب الناس موت وأنت فيهم فاثبت.

(٨) وأنفق على عيالك من طَوْلك.

(٩) ولا ترفع عنهم عصاك أدباً.

(١٠) وأخِفهم في الله.

☆ ☆ ☆

الخاتمة الثانية

خطاب النبي ﷺ إلى الأطفال

هذه مجموعة من الأحاديث النبوية جمعتها من مادة هذا الكتاب؛ لكي يحفظها الطفل المسلم، فتكون له نبراساً في الهداية، والسلوك الصحيح، والأخذ من منهاج النبوة التعاليم التربوية، وهي بذلك تساعد الوالدين والمربين - إن شاء الله تعالى - على توجيه الطفل المسلم.

☆ ☆ ☆

الأربعون النبوية للأطفال

١ـ روى الطبراني وابن النجار عن علي كرم الله وجهه: أن النبي ﷺ قال: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه».

٢ـ روى أحمد والشيخان عن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ متى الساعة؟ فقال رسول الله ﷺ: «وما أعددت لها؟» فقال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله، فقال ﷺ: «أنت مع مَنْ أحببت».

وفي رواية البخاري قال: ونحن كذلك؟ فقال ﷺ: «نعم» قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: «أنت مع من أحببت» قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم.

٣ـ أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ دخل الخلاء قال: فوضعتُ له وَضُوءاً فقال: «مَن وضع هذا؟» فأخبر فقال: «اللهم فقِّهه في الدين».

٤ـ أخرج الترمذي عن ربيعة بن شيبان قال: قلت للحسن بن علي رضي الله عنهما: ما حفظت من رسول الله ﷺ؟ قال: حفظت منه: «دَعْ ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة».

٥ـ أخرج البخاري ومسلم عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: كنت على عهد رسول الله ﷺ غلاماً، فكنت أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا أن ها هنا رجالاً هم أسنُّ مني.

٦ـ أخرج البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود ـ وهذا لفظ البخاري ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلت مع النبي ﷺ على غلام خياط، فقدم إليه قصعة ثريد وعليه دباء، قال: وأقبل على عمله ـ يعني: الغلام ـ قال: فجعل النبي ﷺ يتتبعُ الدّباء (أي: القرع) قال أنس: فجعلت أتتبعه، وأضعه بين يديه، قال: وما زلتُ بعدُ أحب الدُّبّاء.

٧ـ أخرج الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: «يا غلام! إني أعلمك كلمات:

ـ احفظ الله يحفظك.

ـ احفظ الله تجده تُجاهك.

ـ إذا سألت فاسأل الله.

ـ وإذا استعنت فاستعن بالله.

ـ واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك.

ـ وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك. رُفِعت الأقلام وجفت الصحف».

وفي رواية غير الترمذي زيادة:

ـ «احفظ الله تجده أمامك.

ـ تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة.

ـ واعلم: أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك.

ـ واعلم: أن النصر مع الصبر. وأن الفرج مع الكرب. وأن مع العسر يسراً».

٨ـ أخرج مسلم وأبو داود عن أنس رضي الله عنه أن فتى من أسلم قال: يا رسول الله! إني أردت الغزو، وليس معي ما أتجهز به؟ قال: «ائتِ فلاناً قد كان تجهز فمرض» فأتاه، فقال: «إنَّ رسول الله ﷺ يقرئك السلام، ويقول: أعطني الذي تجهزت به، فقال: يا فلانة أعطيه الذي تجهزت به، ولا تحبسي منه شيئاً، فوالله لا تحبسين منه شيئاً، فيبارك لنا فيه.

٩ـ روى الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ناشيء ينشأ في العبادة حتى يدركه الموت، إلا أعطاه الله أجر تسعة وتسعين صديقاً».

١٠ـ أخرج أبو داود والترمذي والنسائي عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال: علّمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر: «اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولّني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شرَّ ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذلُّ من واليت، تباركت ربنا وتعاليت».

١١ـ أخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا بني! إياك والالتفات في الصلاة؛ فإن الالتفات في الصلاة هلكة، فإن كان ولا بُدّ، ففي التطوع، لا في الفريضة».

١٢ـ روى أبو داود والحاكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبعٍ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشرٍ، وفرّقوا بينهم في المضاجع».

١٣ـ روى ابن السني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جاء غلام إلى النبي ﷺ فقال: إني أريد الحج، فمشى معه رسول الله ﷺ فقال: «يا غلام! زودك الله التقوى، ووجهك في الخير، وكفاك الهمَّ» فلما رجع الغلام على النبي ﷺ فقال: «يا غلام! قبل الله حجّك، وغفر ذنبك، وأخلف نفقتك».

١٤ـ أخرج الإمام أحمد والبخاري ومسلم ـ واللفظ لأحمد ـ عن ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه قال: خدمت رسول الله ﷺ يوماً، حتى إذا رأيت أني فرغت من خدمتي، قلت: يقيل [أي: ينام بعد الظهر] رسول الله ﷺ، فخرجت إلى صبيان يلعبون، قال: فجئت أنظر إلى لعبهم، قال: فجاء رسول الله ﷺ، فسلّم على الصبيان، وهم يلعبون، فدعاني رسول الله ﷺ، فبعثني إلى حاجة له، فذهبتُ فيها، وجلس رسول الله ﷺ في فيء حتى أتيته، واحتبست عن أمي عن الإتيان الذي كنت آتيها فيه، فلما أتيتها قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ في حاجة له، قالت: وما هي؟

قلت: هو سرٌّ لرسول الله ﷺ، قالت: فاحفظْ على رسول الله ﷺ سره، قال ثابت: قال لي أنس: لو حدثت به أحداً من الناس، أو لو كنت محدّثاً به لحدثتك به يا ثابت!.

١٥ـ أخرج البخاري ومسلم ومالك والنسائي وأبو داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير، على كل عبد أو حر، صغير أو كبير.

١٦ـ أخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا بني! إذا دخلت على أهلك، فسلِّم يكن بركة عليك، وعلى أهل بيتك».

١٧ـ روى مسلم وابن خزيمة (٣/ ١٤٤) عن ابنة الحارثة بن النعمان رضي الله عنها قالت: ما حفظت (ق) إلا من في رسول الله ﷺ يقرأ بها في كل جمعة.

١٨ـ أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «أسلم» فنظر إلى أبيه وهو عنده؟ فقال: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار».

١٩ـ روى أبو يعلى والطبراني عن عمرو بن حريث: أن رسول الله ﷺ مر بعبد الله ابن جعفر، وهو يبيع بيع الغلمان، أو الصبيان قال: «اللهم بارك له في بيعه، أو قال: في صفقته».

٢٠ـ أخرج البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقاً، وكان لي أخ يقال له: أبو عمير ـ وهو فطيم ـ كان إذا جاءنا قال: «يا أبا عمير! ما فعل النُّغَير؟» لِنُغَر كان يلعب به، وربما حضرت الصلاة وهو في بيتنا، فيأمر بالبساط الذي تحته، فيكنس، ثم يُنْفَخ، ثم يقوم، ونقوم خلفه، فيصلي بنا [النغير: تصغير النغر، وهو طائرٌ صغيرٌ كالعصفور].

٢١ـ روى الترمذي عن سعيد بن العاص رحمه الله: أن رسول الله ﷺ قال: «ما نَحَل والدٌ ولداً من نَحْلٍ أفضل من أدب حسن».

٢٢ـ روى ابن السني عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ رأى رجلاً معه غلام، فقال للغلام: «من هذا؟» قال: أبي، قال: «فلا تمش أمامه، ولا تَسْتَسبّ له، ولا تجلس قَبْلَهُ، ولا تدعه باسمه». [لا تستسب له: أي: لا تفعل فعلاً يتعرض فيه؛ لأن يسبك أبوك، زجراً لك، وتأديباً على فعلك القبيح].

٢٣ـ وروى الطبراني عن عائشة رضي الله عنه قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما برّ أباه من سدَّد إليه الطرف بالغضب».

٢٤ـ وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا نظر الوالد إلى ولده فسرّه، كان للولد عتق نسمة» قيل: يا رسول الله! وإن نظر ثلاثمئة وستين نظرة؟ قال: «الله أكبر».

٢٥ـ روى الإمام أحمد والطبراني عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «ليس من أمتي من لم يجلّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه».

٢٦ـ أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه».

٢٧ـ أخرج أحمد وأبو داود عن عبد الله بن بسر صاحب النبي ﷺ: أن النبي ﷺ إذا أتى باباً يريد أن يستأذن لم يستقبله، جاء يميناً وشمالاً، فإن أذن له وإلا انصرف.

٢٨ـ أخرج البخاري ومسلم ومالك وأبو داود والترمذي عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ، فكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام! سمِّ الله تعالى، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك» فما زالت طعمتي بعدُ.

٢٩ـ أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ قال لصبي تعال هاك أعطك، ولم يعطه، كُتِبت كذبة».

٣٠ـ أخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لي: «يا بني! إن قَدَرْتَ أن تُصبحَ وتُمسي وليس في قلبك غِشٌّ لأحد فافعل، ثم قال: يا بني!

وذلك من سنتي، ومن أحيا سنتي فقد أحياني، ومن أحياني كان معي في الجنة».

٣١ـ أخرج البخاري ومسلم وأبو داود وأحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خدمت النبي ﷺ عشر سنين، والله! ما قال لي أفّ قط، ولا قال لشيء: لِمَ فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا؟.

وفي رواية مسلم (زيادة): كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلُقاً، فأرسلني يوماً لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبيُّ الله ﷺ، فخرجت حتى أمُرَّ على الصبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا برسول الله ﷺ بقفاي من ورائي، فنظرت إليه، وهو يضحك، فقال: «يا أنيس! ذهبتَ حيث أمرتُك؟» قال: قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله، قال أنس: والله لقد خدمتُه تسع سنين ما علمته قال لشيء صنعته: لم فعلت كذا أو كذا؟ أو لشيء تركته: هلا فعلت كذا وكذا؟

وفي رواية أحمد (زيادة): قال أنس: خدمت النبي عشر سنين، فما أمرني بأمر فتوانيت عنه، أو ضيعته، فلامني، فإن لامني أحد من أهل بيته إلا قال: «دعوه، فلو قدر، أو قال: لو قضي أن يكون كان».

٣٢ـ روى الترمذي وأبو داود والبخاري في «الأدب المفرد» وابن حبان في صحيحه عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: «من كان له ثلاثُ بنات، أو أخوات، أو بنتان، أو أختان، فأحسن صُحبَتهنَّ، وصبر عليهنَّ، واتقى الله فيهنَّ دخل الجنة».

٣٣ـ أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «كان يُؤتى بأول الثمر فيقول: اللهم بارك لنا في مدينتنا، وفي ثمارنا، وفي مُدِّنا، وفي صاعنا، بركةً على بركة. ثم يُعطيه أصغر من يحضره من الولدان».

٣٤ـ أخرج البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى، وفرّج بينهما.

٣٥ـ أخرج البخاري ومسلم والنسائي عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده! لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».

٣٦ـ روى أبو يعلى وابن عساكر عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أُتي بي عند مقدمه ﷺ إلى المدينة، فقالوا: يا رسول الله! هذا غلام من بني النجار، وقد قرأ مما أنزل عليك سبع عشرة سورة، فقرأت على رسول الله ﷺ فأعجبه ذلك فقال: «يا زيد تعلم لي كتاب يهود، فإني والله ما آمن يهود على كتابي» فتعلّمته، فما مضى لي نصف شهر حتى حذقته، فكنتُ أكتب لرسول الله ﷺ إذا كتب إليهم، وأقرأ كتبهم إذا كتبوا إليه.

وعندهما أيضاً وابن أبي داود عن زيد: قال لي رسول الله ﷺ: «أتحسن السريانية، فإنها تأتيني كتب؟» قلت: لا، قال: «فتعلَّمها» فتعلَّمتها في سبعة عشر يوماً.

٣٧ـ أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعوّذ الحسن والحسين: «أعيذُكما بكلمات الله التامّة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عَيْن لامة» ويقول: «إن أباكما كان يعوّذ بها إسماعيل وإسحاق».

٣٨ـ روى أحمد عن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يَصُفُّ عبد الله وعبيد الله وكثيراً بني العباس رضي الله عنهم ثم يقول: «من سبق إليّ فله كذا وكذا» قال: فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره، فيقبلهم، ويلتزمهم.

٣٩ـ أخرج البخاري والترمذي وأبو داود عن عبد الله بن عباس قال: كان الفضلُ ابن العباس رديف رسول الله ﷺ فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه، فجعل الفضل ينظر إليها، وتنظر إليه، فجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر.

٤٠ ـ روى أحمد والطبراني عن أبي أمامة: أن فتىً من قريش أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ائذن لي في الزنى، فأقبل القوم عليه، وزجروه، فقالوا: مه.. مه.. فقال: «ادنه» فدنا منه قريباً، فقال: «أتحبه لأمك؟» قال: لا، والله، جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم». قال: «أفتحبه لابنتك؟» قال: لا، والله! يا رسول الله! جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم». قال: «أفتحبه لأختك؟» قال: لا، والله، يا رسول الله! جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم». قال: «أتحبه لعمتك؟» قال: لا، والله! يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبُّونه لعماتهم». قال: «أتحبه لخالتك؟» قال: لا، والله، يا رسول الله! جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبُّونه لخالاتهم». قال: فوضع يده عليه، وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحَصِّن فرجه» قال: فلم يكن الفتى بعد ذلك يلتفت إلى شيء.

☆ ☆ ☆

دعاء شكر الله تعالى

- «الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات» رواه الحاكم وصححه.
- «يا ربِّ لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك، ولعظيم سلطانك» رواه أحمد وابن ماجه.
- «اللهم اغفر لنا وارحمنا، وارض عنا، وتقبل منا، وأدخلنا الجنة، ونجنا من النار، وأصلح لنا شأننا كله» رواه أبو داود وابن ماجه.
- «اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة» رواه ابن حبان وصححه.
- «اللهم يا من أظهر الجميل، وستر القبيح، يا من لا يؤاخذُ بالجريرة، ولا يهتك السِّتْرَ، يا عظيم العفو، يا حسن التجاوز، يا واسع المغفرة، يا باسط اليدين بالرحمة، يا صاحب كل نجوى، يا منتهى كلّ شكوى، يا كريم الصَّفْح، يا عظيم المنّ، يا مبتدىء النِّعَم قبل استحقاقها، يا ربنا ويا سيدنا، ويا مولانا، ويا غاية رغبتنا، أسألك يا الله ألا تَشْويَ خلقي بالنار» رواه الحاكم في المستدرك وصححه. وهذا الدعاء نزل به جبريل عليه السلام على النبي ﷺ هدية له من عند الله تعالى.
- «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، وأسألك عزيمة الرشد، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، وأسألك لساناً صادقاً، وقلباً سليماً، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأسألك من خير ما تعلم، وأستغفرك مما تعلم، إنك أنت علام الغيوب» رواه الترمذي وابن حبان وصححه.
- «اللهم زدنا ولا تَـنْقصنا، وأكرمْنا ولا تُهنّا، وأعطنا ولا تحرِمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضِنا وارضَ عنا» رواه الترمذي والحاكم وصححه.

□ «اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» رواه الحاكم وصححه.

□ «اللهم اجعلني صبوراً، واجعلني شكوراً، واجعلني في عيني صغيراً وفي أعين الناس كبيراً» رواه البزار بإسناد حسن.

□ «اللهم إني أسالك علماً نافعاً، وأعوذ بك من علم لا ينفع» رواه ابن حبان، وصححه.

□ ربِّ أعنِّي ولا تُعِن عليّ، وانصرني ولا تنصر علي، وامكُرْ لي ولا تمكر عليّ، واهدني ويسّر الهدى لي، وانصرني على من بغى عليّ، ربِّ اجعلني لك ذكّاراً، لك شكّاراً، لك رهّاباً، لك مطواعاً، لك مُخبِتاً، إليك أوّاهاً، مُنيباً، ربِّ تقبّل توبتي، واغسل حَوْبتي، وأجب دعوتي، وثبّت حُجّتي، وسدِّد لساني، واهْدِ قلبي، واسْلُلْ سَخيمةَ صدري» رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان وصححه.

□ «اللهم اغفر لي ذنوبي وخَطَئي وعمدي» رواه الطبراني في الأوسط.

□ «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمةُ أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحةً لي من كل شر» رواه مسلم.

□ «اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء» رواه الترمذي وابن حبان وصححه، وزاد الترمذي: «والأدواء» وقال: حسن صحيح غريب.

□ «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع» رواه الحاكم في المستدرك بإسناد صحيح، وابن أبي شيبة في مصنفه.

□ «اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملتُ، ومن شر ما لم أعمل» رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

□ «اللهم إني أعوذ بك من القسوة والغفلة، والقيْلة والذلة والمسكنة، وأعوذ بك

من الفقر والكفر، والفسوق والشقاق، والسمعة والرياء، وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجُذام وسيىء الأسقام» رواه ابن حبان والطبراني.

- «اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد» رواه مسلم.

وكتبه الراجي رحمة ربه:
محمد نور بن عبد الحفيظ سويد
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين.

☆ ☆ ☆

المصادر والمراجع

١ ـ التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي
٢ ـ تفسير القرطبي للإمام القرطبي
٣ ـ تفسير ابن كثير للحافظ ابن كثير
٤ ـ في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب
٥ ـ تفسير سورة النور للداعية أبي الأعلى المودودي
٦ ـ جامع الأصول لابن الأثير
٧ ـ مسند الإمام أحمد للإمام أحمد
٨ ـ مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي
٩ ـ البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف لابن حمزة
١٠ ـ كنز العمال لعلي المتقي الهندي
١١ ـ حياة الصحابة للشيخ يوسف الكاندهلوي
١٢ ـ شرح مسند أبي حنيفة للعلامة علي القاري
١٣ ـ رياض الصالحين للإمام النووي
١٤ ـ عقود الجواهر المنيفة للإمام مرتضى الزبيدي
١٥ ـ الأذكار للإمام النووي
١٦ ـ بذل المجهود في حل سنن أبي داود للشيخ خليل أحمد السهّارنفوري ت (١٣٥٦ هـ)
١٧ ـ الترغيب والترهيب للمنذري
١٨ ـ مصنف الإمام عبد الرزاق للإمام عبد الرزاق بن همام الأصفهاني المتوفى (٢١١ هـ) تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي
١٩ ـ فتح الباري في شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني

٢٠ ـ كتاب عمل اليوم والليلة لابن السني
٢١ ـ المنتقى من أخبار المصطفى ﷺ لابن تيمية الجد
٢٢ ـ حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة القنوجي البخاري
٢٣ ـ سيدنا محمد ﷺ للشيخ عبد الله سراج الدين
٢٤ ـ الشفا في تعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض
٢٥ ـ شرح صحيح مسلم للإمام النووي
٢٦ ـ الأدب المفرد للإمام البخاري
٢٧ ـ أدب الإملاء والاستملاء للإمام السمعاني
٢٨ ـ جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر
٢٩ ـ فيض القدير للعلامة المناوي
٣٠ ـ الزهد والرقائق للإمام عبد الله بن المبارك، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي
٣١ ـ الكلم الطيب للعلامة ابن تيمية، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط
٣٢ ـ اقتضاء الصراط المستقيم للعلامة ابن تيمية، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط
٣٣ ـ المنهل اللطيف في أصول الحديث الشريف للشيخ محمد بن علوي المالكي الحسني
٣٤ ـ صحيح الجامع. ط٣ للشيخ محمد بن نوح نجاتي
٣٥ ـ ضعيف الجامع. ط٢ الشهير بـ: «ناصر الدين الألباني»
٣٦ ـ الكفاية في علم الرواية للعلامة الخطيب البغدادي المتوفى سنة (٤٦٣ هـ).
٣٧ ـ الرحلة في طلب الحديث للعلامة الخطيب البغدادي، تحقيق نور الدين عتر
٣٨ ـ أصول الحديث للدكتور عجاج الخطيب
٣٩ ـ طبقات الحفاظ للإمام السيوطي
٤٠ ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون، تحقيق د. محمد الأحمدي

٤١ ـ كتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي، تحقيق د. محمد رأفت سعيد
٤٢ ـ القوانين الفقهية لابن جزيّ الكلبي
٤٣ ـ أحكام المولود لابن قيم الجوزية
٤٤ ـ حاشية ابن عابدين لابن عابدين
٤٥ ـ حجة الله البالغة للشاه ولي الله الدهلوي
٤٦ ـ فتح باب العناية تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبي غدة
٤٧ ـ الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيثمي
٤٨ ـ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للإمام الكاساني
٤٩ ـ النهاية في تفسير غريب الحديث للعلامة مجد الدين ابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ)
٥٠ ـ المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة
٥١ ـ تربية الأولاد في الإسلام للشيخ عبد الله علوان
٥٢ ـ التربية في الإسلام تحقيق الدكتور أحمد الأهواني
٥٣ ـ تاريخ التربية الإسلامية د. أحمد شلبي
٥٤ ـ الإحياء في علوم الدين للإمام الغزالي
٥٥ ـ منهج التربية الإسلامية للأستاذ محمد قطب
٥٦ ـ تجربة التربية الإسلامية د. سعيد رمضان البوطي
٥٧ ـ رسالة «أنجح الوسائل في تربية النشء تربية إسلامية خالصة» للإمام حسن البنا
٥٨ ـ أصول التربية الإسلامية وأساليبها لعبد الرحمن النحلاوي
٥٩ ـ السعادة العظمى للشيخ محمد الخضر حسين
٦٠ ـ دراسات في الشريعة الإسلامية للشيخ محمد الخضر حسين
٦١ ـ الهداية الإسلامية للشيخ محمد الخضر حسين
٦٢ ـ المرأة المسلمة للشيخ سليمان الغاوجي
٦٣ ـ تاريخ أدب العرب للأديب مصطفى صادق الرافعي
٦٤ ـ صفحات من صبر العلماء للشيخ عبد الفتاح أبي غدة

٦٥ ـ رسالة المسترشدين تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبي غدة
٦٦ ـ الروض الأنف للسهيلي
٦٧ ـ محمد رسول الله لمحمد رضا
٦٨ ـ الطريق إلى المدينة للداعية أبي الحسن الندوي
٦٩ ـ الرسالة القشيرية للإمام القشيري
٧٠ ـ النوادر السلطانية (سيرة صلاح الدين) لتوأم الدين أبي الفتح علي بن محمد المعروف بالبندراي
٧١ ـ تلاوة القرآن المجيد للشيخ عبد الله سراج الدين
٧٢ ـ مقدمة ابن خلدون لابن خلدون
٧٣ ـ المستطرف من كل فن مستظرف لشهاب الدين الأبشيهي
٧٤ ـ رجال الفكر والدعوة للداعية أبي الحسن الندوي
٧٥ ـ كتاب «مؤتمر بحوث رسالة المسجد» لرابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة (١٣٩٥)
٧٦ ـ تنبيه المغترين للإمام الشعراني
٧٧ ـ بر الوالدين للشيخ الحناوي
٧٨ ـ رسالة نبي الهدى والرحمة للشيخ محمد عبد السلام حافظ
٧٩ ـ تحقيق القضية في الفرق بين الرشوة والهدية للشيخ عبد الغني النابلسي، تحقيق محمد عمر بيوند
٨٠ ـ «الاعتقاد» على مذهب أهل السنة والجماعة للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي
٨١ ـ كتاب «أنباء نجباء الأبناء» لابن ظفر المغربي المكي
٨٢ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني
٨٣ ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري
٨٤ ـ فهارس المستدرك محمد السعيد بسيوني
٨٥ ـ صحيح ابن خزيمة لابن خزيمة، ت. د. محمد مصطفى الأعظمي
٨٦ ـ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني
٨٧ ـ سنن الدارقطني للدارقطني، تحقيق عبد الله هاشم

٨٨ ـ فهارس سنن الدارقطني ويذيله التعليق المغني للعظيم آبادي، د. يوسف المرعشلي
٨٩ ـ مسند أبي يعلى الموصلي تحقيق حسين أسد
٩٠ ـ نصيحة الملوك لأبي الحسن الماوردي، تحقيق محمد الخضر، نشر وزارة الأوقاف الكويتية
٩١ ـ العلماء العزاب للشيخ عبد الفتاح أبي غدة
٩٢ ـ تيسير الوصول لابن الديبع
٩٣ ـ عدة الحصن الحصين الإمام ابن الجزري الدمشقي ـ شرح الشيخ حسنين محمد مخلوف رحمه الله
٩٤ ـ عمل اليوم والليلة للإمام النسائي المتوفى (٣٠٣ هـ)، تحقيق: الدكتور فاروق حمادة
٩٥ ـ ديوان «أمي» للشاعر بهاء الدين الأميري
٩٦ ـ غمز عيون البصائر شرح كتاب أشباه النظائر لابن نجيم شرح الحموي المتوفى سنة (١٠٩٨ هـ)
٩٧ ـ سنن سعيد بن منصور تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي
٩٨ ـ كتاب (العيال) للحافظ ابن أبي الدنيا تحقيق د. نجم خلف
٩٩ ـ التراتيب الإدارية للكتاني
١٠٠ ـ المحتاج في شرح المنهاج شرح الخطيب الشربيني على المنهاج للنووي
١٠١ ـ الجامع في السيرة النبوية للأستاذة سميرة زايد
١٠٢ ـ سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للإمام محمد بن يوسف الصالحي ت ٩٤٢ هـ
١٠٣ ـ صحيح السيرة النبوية لإبراهيم العلي
١٠٤ ـ نسيم الرياض في شرح الشفاء للقاضي عياض شهاب الدين الخفاجي
١٠٥ ـ رسالة أبي حنيفة إلى عثمان البتي تحقيق محمد زاهد كوثري.
١٠٦ ـ لامع الدراري على جامع البخاري.

١٠٧ ـ المهذب (في الفقه الشافعي) للإمام الشيرازي تحقيق د. محمد الزحيلي.
١٠٨ ـ حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين للشيخ يوسف النبهاني.
١٠٩ ـ شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ضبط وتصحيح محمد عبد العزيز الخالدي طبع دار الكتب العلمية.
١١٠ ـ كتاب فضائل القرآن أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي تحقيق مروان العطية ومحسن خرابة ووفاء تقي الدين طبع دار ابن كثير دمشق ـ بيروت.
١١١ ـ برنامج صحيح البخاري الإصدار الأول ـ شركة صخر العالمية.
١١٢ ـ برنامج الحديث الشريف الإصدار الأول ـ شركة صخر العالمية.
١١٣ ـ عودة الحجاب.
١١٤ ـ كتاب المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للإمام الحافظ أبي العباس القرطبي، تحقيق الأساتذة مستو والسيد و بديوي وبزّال، نشر دار ابن كثير، دمشق وبيروت.

وغيرها من المراجع التي ذكرت في ثنايا الكتاب.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

☆ ☆ ☆